

اصوات

في الثقافة السودانية

مكي أبو قحز



اصوات

في الثقافة السودانية

مكتبة أبو قريظ

سيف

SEFSABA PUBLISHING HOUSE
WWW.SFSABA.NET

مكي أبو قريجة / صحفي وكاتب من مواليد مدينة كركشي بالسودان
ونلقى دراسته الأولية والوسطى في مدارسها ثم المؤتمرة الثانوية بأم
دومان. تخرج في كلية الحقوق بجامعة القاهرة - فرع الخرطوم، وصدر
له «اليهود في السودان» (طبعتان). «أصوات في الثقافة السودانية»
(طبعتان). «الأمم والتلوطن في بلاد الأونكلوط». «سولة بني عثمان في
ملاحم الثورة الهندية». وله مجموعة شعرية تحت الطبع.

أصوات في الثقافة السودانية

مكي أبو قريجة

الطبعة الثانية يناير 2015

رقم الإيداع: 2014/25316

التسجيل الدولي: 978-977-5154-34-7

جميع الحقوق محفوظة ©

هذا حالات التراجمة والتقديم والتبسيط الإضافية،
ولم لا يسمح بإنتاج أو نسخ أو تصوير أو ترجمة أي جزء
من هذا الكتاب، بأي شكل أو وسيلة مهما كان نوعها إلا
بإذن كتابي

No part of this book may be
reproduced or utilized in any
form or by means, electronic
or mechanical including
photocopying, recording or by any
information storage and retrieval
system, without prior permission in
writing of the publishers.

التأليف
محمد الجعلي

إخراج فني
علاء الجعلي

الأصوات الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة
عن رأي دار صفصافة.



دار صفصافة للنشر والتوزيع والبرقيات
5 ش. المسجد الأقصى - من ش. النشأة - الجيزة - ج. م. ع.

أصوات

في الثقافة السودانية

الفهرس

| | |
|-----|--|
| 8 | الأهداء |
| 9 | مقدمة الطبعة الأولى |
| 11 | مقدمة الطبعة الثانية |
| 12 | عبداله الطيب |
| 16 | شيء من تذكيراته في زمن الطغ |
| 22 | صومعته.. كلية كردون |
| 26 | رحيله.. حريق مكتبة الاسكندرية |
| 30 | الطبيب صالح وحفاية المولد |
| 34 | ذاكرة السودان المتقلبة |
| 39 | الواقعي يتجاوز المتخيل |
| 44 | المجنوب في مزرعة الحرية |
| 50 | رسائله إلى بيزي الأمير |
| 55 | جمال محمد أحمد |
| 60 | التاريخ السوداني في نصوح بورخيس |
| 66 | ما بين لوركا والقليل |
| 71 | صلاح أحمد إبراهيم |
| 74 | بين شاعرين زقودة ووه المادح |
| 80 | تحرير على الفتاة والإبداع |
| 85 | حمزة الملك طميل |
| 91 | محمد الحكي إبراهيم بين الشعر والنثر |
| 97 | شابيو - الشاعر نور القلب الرنان |
| 102 | كمال لجزولي.. جمع للحل |
| 106 | عرفات.. المتقلب المرفف والكاتب الطليعي |
| 118 | الطبقات.. بين هراية الوفان وعذوبة النص |
| 124 | إسماعيل الثلاثي |
| 129 | هتلان حسن أحمد |
| 135 | المنص ونوامر.. مع «أصوات وجنلج» |
| 141 | الدكتور أحمد الطيب |
| 145 | صلاح بشري وكمال حيد الحليم |
| 151 | محمد أحمد محبوب |

| | |
|-----|---|
| 156 | «موت منيا».. جدلية الحب والمعرفة |
| 162 | غمامة تحت غمامة |
| 168 | جوزيقنا بخيلة |
| 173 | الفتى الذي قلدهاء في ناشطيل |
| 177 | مروسة رميلة |
| 183 | موت حلم |
| 188 | يوميات الزماني قواميس في السوراه |
| 193 | فيلينا.. ممرضة بريطانية زوجة لأول رئيس سوداني |
| 197 | ولفلا تحت جبل المشقة |
| 203 | الفتى صغير المدينة |
| 211 | امير لطورية رايح فضل الله |
| 215 | إبراهيم زكريا.. زعيما العمال للعلم |
| 221 | إحسان عباس.. مرمسا بجامعة الخرطوم |
| 226 | ابن عمر القومسي.. وثاريخ دارفور |
| 232 | نعوم شقير.. كما رآه أبو سليم |
| 238 | يوسف ميخائيل.. مؤرخا بمحضر الصفاة |
| 243 | ملساة مؤرخ.. القريسته النخاب |
| 249 | منكرات يوسف بدري |
| 255 | أم برمان.. سببية بين المداثن |
| 260 | أم برمان.. سببية بين المداثن -2 |
| 265 | ملساة الطنج |
| 270 | عطيرة مدينة الحديد والنفار |
| 274 | منهج الطفلة النجم |
| 278 | أحمد خير المحامي.. «كفاح جيل» |
| 284 | التاريخية ورثة الحضارة السودانية القديمة |
| 289 | عبدالرحمن عبدالله.. الشفافية ونفاس الحصة |
| 295 | السودان.. حروب المزارع والهوية |
| 300 | حروب الموارد.. المؤلف |
| 304 | برلميل.. المستبد العادل |
| 308 | الأميرة نصرة وحوريات مارتجان |
| 313 | الكارب.. وقصة مشروخ الجزيرة |
| 319 | مايون بحيري والخدمة المدنية |

| | |
|-----|---|
| 325 | عبد الرحمن علي طه.. القريبوي المؤسس |
| 330 | إبراهيم أحمد... عفة اليد واللسان |
| 336 | الطوطاوي في السودان |
| 342 | إبراهيم أحمد عبد الكريم.. الرحيل الميافت |
| 345 | عبد الله رجب.. العصبانية والمناخنة |
| 351 | محمود حاج الشيخ كهر |
| 355 | الطردال رئيسا لحكومة حضري موت |
| 361 | التجاني العاصي.. الطعاسي لبارع والعالم الموسوي |
| 366 | مكتبة التجاني المنحني |
| 371 | المرأة السودانية.. تاريخ طويل وتجربة خضبة |
| 378 | د. فاطمة بلكر محمود |
| 380 | الإتحاد النسائي السوداني |
| 387 | صورتان للملكة آمنة |
| 396 | الحاجة بنت البنات أم سيف |
| 400 | موت رافع لامرأة شجاعة |
| 405 | أنقلس البسار في أحداث 1924 |
| 409 | حيوية الحزب المشاقب |
| 414 | رؤى جديدة حول مسألة الهوية |
| 418 | في كون الشلالة عقلة |
| 424 | رواج القلقلي وثلاثي السياسي |
| 428 | البعام في مملكة الحيوان |
| 434 | صالح مؤمن.. لوروي لا تخطئه العين |
| 438 | هو جكن في وثائق من التاريخ السوداني المعاصر |
| 444 | شيكان.. المعركة الأسطورية |
| 450 | سجناء الضمير من تصير الثورة المهدية |
| 456 | بدايات الحركة المسرحية في السودان |
| 461 | حسين شريف... البدايات الأولى للمصحافة السودانية |
| 467 | الخرطوم في القرن التاسع عشر |
| 473 | الثقافة في مواجهة التسلط والقهر الديني |
| 478 | معاوية نور.. صورة وخبر |
| 482 | الاستعماري النبيل وضمير المثقف |
| 487 | لقاء في بحر المانش |



إهداء

«إلى والدي
اللذين ربّاني وأحسنا إليّ
وأودعا بين جوانحي حب الوطن
عليهما رحمة الله وبركاته»



مقدمة الطبعة الأولى

قطرات من بحر النيل

الثقافة السودانية غورها عميق وروافدها متعددة، وأساطيرها متشابكة فقامتها تشكلت عبر آلاف السنين شاركت في صنع الحضارة الإنسانية. إن لم تكن يسوعها الأول - ثم لم تلبث أن ران عليها انقطاع لسانها بصدد الإحاطة بكل ذلك، وما كنا عليه عاكفين ولكن حاولنا تقصي بعض تجلياتها من خلال رؤى سفرت بعد قراءات ومشاهدات ومساعرات واستعراض عميق لموروثنا من الحكايات ولروايات المتصلة بحضارتنا تلك الثقافة ومظاهرها المتنوعة

نصل ذلك في دجى ليل هذا الطويل، مستدعي نعمة واحفاء وجوهاً عربية سفر كريم من مدعياء أدبه وهائيس ومؤرخين ومعلمين ومناصلين ونقبيين ومتصوفة وقديسين، رجالاً ونساءً وأنحاء عادييين من عمار الناس - مدح الأرض - مروا سرعاً كالقاس الصباح، لا أن آثارهم بقيت كعظمة لإماتونج ورسوخ جبل مرة وكبرياء انداير مستدعي أيضاً بعضاً من أيام أمسا لولود - معاركها وبطولاتها وتنصاراتها، ونكماراتها. أيامها النصراة ومواقفها المشرفات وأعيادها المشرفات

وهي إعتقاد الجارم أن ما يحق الآن بوطنا من محن وأزمات، هو إلا تعبير من قصور وعيا بتاريخنا وثقافتنا وما الشامة - هي أرقى حصاناتها - ولا تجلي الوعي بالذات والعمل من أجل حياة عية مشرفة راحرة بالشاهد الإنساني الخلاق

هذه النكتات شررتها صحيفة (الإتحاد) بأبوظبي على مدى خمس سنوات (2000 2004) كما أعادت نشرها صحف عربية وسودانية أردنا بها أن نقدم

أصوات

مناذج من الثقافة السودانية لأجيال مقطوع بها - حجتها الظروف السيّاب
لما حقة عن رؤية ذاتها وتجديتها المهاجر والمهاجر - ما أمت لها صهراً أردنا أن
شد من نور تلك الأجيال ونقول ربّ لها تاريخاً مجيداً وحضارة حارقة ثرية ووصفاً
جديراً بالإنشاء إليه وقد سرت هذه الكتابات كثيراً من القراء فأعربوا عن سعادة
عامرة وفخر مشوب وبولا ذلك لما أقدمنا على جمعها في كتاب أما أصدقاءنا
لمثقفون انحدرون العارفين في هوى الوطن وهمومه فقد لبّوا حماساً فائقاً مد
لوهلة الأدي - ظلوا مثابرين على الاتصال والتبويه عقب كل مقال وجدوا فيها
تعبيراً عن صورة ذلك الوطن السعيد وكثير منهم ساهم بشكل إيجابي في إثراء
تلك الكتابات مروداً بالكثب النادرة والمعلومات المفيدة والنصائح العالمة وهي
مصممتهم العالم الدكتور الدكتور فيصل عبد الرحمن عليّ مه الذي شرع قلمه -
دون من ودعاء - يهدف منافعاً عن تاريخ أمتة وحقوقها ومصالحها وحدودها
لسياسية ومياه بينها وموروثها من القيم الأخلاقية الباهرة ولا عرو فهو الليث من
ذاك الأسد كما لا يفوت أن نذكر بالخير الأسناد الكريم راعي لثقافة السودانية
محمود صديق عثمان صالح لإهتمامه ومتابعته وتشجيعه الدؤوب وإتزامه بطبع
لكتاب من خلال مركز عبدالكريم ميرغني الثقافي والشكر للصديق الشاعر
راشد سيد أحمد ابدي رُودنا بالصورة الساذجة من العاصمة البريطانية - وسوق إنشاء
أيضاً للأصدقاء الأستاذين المتنبئين بتشكيليين مهّاب لبيب ويوسف شعبان وكن
من الأساندة عبد الجبار عبدالله وحلمي مصطفى وجلال بشري وعلي لطيف
والأنسة رباب محمد عدالله وغيرهم من الفضلاء الكرام الذين طوقوا عفي بما
قدموا من صروب التعاون الصادق بكل تجرد وسماحة

مكي أبو قريجة

أبوظبي 2005

mekkuhas@hotmail.com



مقدمة الطبعة الثانية

صدرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب بأبو طلي عام 2005 من مؤسسة «الأمارت للإعلام، حيث كنت أعمل محرراً سياسياً و«حياً ثقافياً بصحبة «الاتحاد» إلى أن تم إنهاء خدماتي في بنك المؤسسة بعد أكثر من ثمانية عشر عاماً

عدت إلى السودان وحاروا، هي أمر توزيع الكتاب وأحفظت وحدة الشر التابعة لها وتوقف نشاطها وقد تم توزيع أقل من ثلاثمائة نسخة فقط من الكتاب بالسودان وعندما وصلت نسخة من حروف الصديق الدكتور محمود صالح عثمان صالح رعي لثقافة السودانية قرر على الفور طبع ألفي نسخة وتوزيعها من خلال مركز عبد الكريم ميرعسي الثقافي وحالت دون ذلك أسباب تقع مسؤوليتها على عاتقي ولا أرى من الضروري الخوض فيها والآن تصدر الطبعة الثانية كما كان الأولى إلا من تنقيح خفيف وإدخال مقابض في الكتاب وألغيت صمير المدينة «وصورتان للمسكة أمة» ومارات الظروف التي ظلت هذه المقالات كما هي لا تبرح مكانها والأزمات السياسية والاقتصادية والأخلاقية بأحد بلابيت اليك وما رب يؤكد أن محرراً هو الاهتمام بثقافتنا وتاريخنا لشهد الوعي السياسي لهذا الجيل حتى يتمكن من الإمساك بمصيره ويصنع مستقبلاً يكون جديراً بهذا الشعب العظيم

للمؤلف

17 مايو 2014م

متابعتاً التراث... مستشرقاً الحداثة

عبد الله الطيب



في ذلك الحساء البعيد من عام 1945 كان مسرح معهد التربية بجامعة لندن يحتشد بجمع عفير حين اعتلى الحشبة ثابان أسمران نحيلان دقيقا الملامح - أحدهما معصود الحديدي - وأحدا يشدان ويرحمان قصيدة حميلة ذات رين صاوح كاتب القصيدة من تأليف أحدهما وهو عبد الله الطيب وترجمها الآخر أحمد لطيف وكانا آنذاك مبعوثين إلى إنجلترا وبعد أن فرغا من ذلك الإشاد العذب تدافعت نحوهما العذارى والتعنن حولهما بظنين توقيعهما على النسخة الإنجليزية التي تم طبعها بانرويو وتوزيعها على الحضور جاء في القصيدة التي خلد فيها عبد الله الطيب لعاصمة البريطانية كما لم يستطع أبلغ شعرائها أن يفعل حياك (لندن) ريحان له أرج من الرياض النضجرات العفيف ما أن يحف إذ جف الربيع ولا يمسى يصوحه من العفيف صوب العفول حياه فهو مكتهل ريان بالهرر ذو وشي الفوف

ولا أذهب بعيداً إذ رعت أن قصيدة أخرى لعبد الله الطيب كتبها في أبريل 1946 وعنوانها «الكأس التي تحطمت» ما كانت تصور إلا صبوة من صبوات انصبا في لندن تشاركه فيها صديقه أحمد الطيب . ولعجيب في أمر هذه القصيدة الحميمة أنها تعتبر من لشعر الحر ادي ناصبه الدكتور عبد الله انصيب عداً ثم يحف نوره إلا أحيى حتى هذه القصيدة التي سبقت في الرمان قصيدتي «كوليرا» برك الملايكه و«بنوت لاند» للدكتور لويس عوض ثم يحاول الشاعر من حلانها أن يرغم زيادة تلك الحدة الباكسة حتى حيم حاول بعض السقاد إثبات ذلك وقال إنها مجرد محاكاة لنفس شاعر إنجليزي أشار إليه غير أنني أرى أن القصيدة لرائعة لشاعر محمد المحكي إبراهيم (هايدي) فيها نفس عميق من «الكأس التي تحطمت»

والدكتور عبد الله الطيب هو أحد أبرز العلماء والمثقفين السودانيين الذين انتمعت بهم بلادهم وقف مسير عاماً في قاعات لدرس يعلم ويحاضر ويكتب ويؤلف ويضع المساهمات والمقررات ما وهن عزمه وما كل ساعده وما حيب أملاً لأمة لا تأمر عليها ولا شرك في وأد حرمها ولا ركض وراء لاسورار بطل حاداً وما تنح عن حصومانه في جامعة الخرطوم بشأن منصب المدير سوى الشعر العظيم ولا عجب في ذلك فالرجل يعجز عن عمرة كريمة جعلت من اعلم حياه به . فالمحاذيب دورهم لا يخص على أحد؛ علماء وسعراء وُدء وثواراً ربوا شعبة العلم والوقادة في الدامر وامتشقوا السيوف دود عن الوطن أنصاراً للإمام المهدي في الشمال وشرق وخنسبوا عدداً من لشهدء . ذلك غير ما قدموه في انصاصة السودانيين ضد الأتراك في عشرينات لقرن التاسع عشر .

بعد تخرجه في كبة عربون ابتدائية عمل عبد الله الطيب في التدريس بمدارس الوسطى بأم درمان الأهلية وروى لي زميله العم الأستاذ مبارك بابكر البشير - عليه رحمة الله - أنهما كانا يدرسان اللغة الإنجليزية للصف الرابع - وكان فصلين - وحدث أن تمؤق فصل الأستاذ مبارك على تلاميذ عبد الله

أصواته

لطيف وفُسر لي العم مبارك السبب - صاحبكاً - أنه كان يلتزم بالمقرّر ويجوده
أما عبد الله الطيّب فكان يخلق بهم في سموات أخرى من المعرفة ويتشعب في
لحديث ليتحدّ مارب شتى

وتجد تلك العلاء مستقرة لدى الدكتور عبد الله في الحديث وفي الكتابه فإذا
استمعت إليه يشجيك بصوته المديد وأحاديثه الطيبة المتنوعة ويقودك إلى
عوالم ساحرة في اللغة والمعرفة وقد قرأت ثره يأخذ بيدك ويمشي بك في
دروب التاريخ والتّير والحرافات والناس بمختلف أنماطهم فتقلب بين نعم
لمعرفة وطرافة الحديث

كانت حياته الأكاديمية والفكرية راحة حيث عاد للتدريس في كلية الحرطوم
لجامعة واستمر معاصراً أطوارها المختلفة حتّى إكتملت في طورها الحالي
جامعة من أكثر نظيراتها عراقية في العالم. وبولى عماده كنية لأداب بجامعة
لحرطوم دحاً من الزمان نعم فيها طلابه الذين كثيراً ما كان يشي عليهم ويرعاهم
ويشمر مجهوداتهم بفيض علومه لرحر وحضور شخصيته الطاعني. ثم أصبح
مدير الجامعة لمدة عام ومديراً لجامعة جنوباً عاماً آخر صدرت له عدة دواوين
من الشعر الرصين منها أصداء الليل وبلدت رامة وأعاني الأصيل واهتم
بالمسرح فألف مسرحية رواج السمر وغيرها أما كتابه المرشد لهم أشعار
لعراب فقد طلّ مرجعاً نقدياً عميقاً إلترم فيه بالمصيح العلمي مشاؤلاً قو في الشعر
وأورانه تنول المجد القادر على عصم التراث

طلّ عبد الله الطيّب عضواً يجمع لغة العربية في مصر منذ عام 1961 وقدم
بتأسيس جامعة بانير في كانو ببيجيريا، كما عمل أسبداً لغة العربية في كلية
لآداب بجامعة سيدي محمد بن عبد الله في المغرب، وقضى لره يدرس في
معهد بحث الرضا بتدريب المعتمين وإعدادهم في الدويم وساهم بجهد مقد
في إعداد المناهج وكثيرون ممن عاصروه من المعتمين يذكرون خلاقاته مع

متر فريث الذي أسس المعهد بأوسعه سناً ولجأ إلى سلاح الشعر الذي
يدود به كلما أحسّ بضيق

وعهد يفت الرضا لما تميقنا نأشور
وكان صغيراً تالفها صغفاً
والفت كتب الأطفال طائفة
من الأعلم فيما كتبهم كلفاً

وما رنك تذكر كتب المطالعة للمرحلة النوسطى التي قام بتأليفها بلعة حرة
ساعة سبت عقولنا لمصه في تلك الأيام وأسعدتنا حكايات «السديد والرح»
ومسرحية «عمرو بن يربوع» اللتين صاغتهما شعر ومسرحية «أبو الحسن وهرون
الرشيد» وغيرها وما رنك كتب «الأحادي» الذي صمّم مجموعته طريقة من
المفصّل ولأساطير السودانية يعاد طبعه للأطفال عاماً بعد عام فيشجّد خيالهم
ويصمي عادة القراءة فيهم.

أما كانه من «ناعدة المصار» فبطل من أمع ما قرأت من سر لحدث - ولا
ألمس له نظيراً من جسده الأدبي غير أنه أقرب إلى الهايكو الياباني وهو صرب
من الشعر بكفي بيت منه للتفسير مما تأتي به قصيدة كاملة فهي ذلك الشر بكل
كلمة صدها - مبرأ مانعاً بالقطار بطوف بك على المعارف والموارد والحكم
ويتنقل فتحتويك لدهشة ولأعجاب

حبيب إلي الأبناء أخيراً أن الدكتور عبد الله الطيب الذي وصل إلى إحمر
في إجارته السونة كعادته في كل صيف ألقم به عارض رائل - يدور له - وأمره
صريع لمستشفى فوجعت القلوب - إلا أن ما تواتر من أساء بعد ذلك أهد
بتحسن صحته واستمررها ولا يملك إلا أن يربع لأكب بالصراعة لعلي التقدير
أن يمن على ذلك العالم الموسوعي الكبير بالصحة ويمتعه بالعافية فالدنيا هي
غيب أمثاله ماسحة عجز وعاص حيدها عن كل حلية

22 يونيو 2000

شيء من ذكرياته هي زمن الطلب

عند بله الطيب

هي شهر الماصي شهدت حلقة تلفزيونية أحسبها صمم برامح «من الأمل»
يستضيف فيها الشاعر الراحل إبراهيم العبادي وآخر ثم يوفق مقدم البرنامج في إبراز
اسمه كما تم يوفق في كل ما فعل أحال أن ديث استجيب جرى في أوائل
صوات الثمانين كان المقدم جهما غليظ الحس ومحدود القدرات حتى أنه لم
يكن يعي دوره - طرأ أنه هو محور الحلقة وتصرف على هذا الأساس - لا أنت تكاد
لا تحطى، إشراقات العبادي وعزاه ذكرياته كان في تمام كيف ورعته في الحديث
لو لا ملط مصيغه وجهه بقيه ما يحتره من معارف

تحدث العبادي عن الحردلو ود أبوس في مشهد أمام الحليفة عبد الله يستسمح
فيه بشأن الحليفة شريف ويحاول رأب الصدع في الخلاف الذي نشأ بين أهل البيت
والحليفة. ولقد كان ظني أن الحردلو لم يستسمح الحليفة إلا بشأن ابن عمه عمارة
ود أبوس. كنت تواقاً لأن أسمع المزيد من تلك الأخبار، ولكن لأح الإعلامي
لحطير حرمسي والمشاهدين عمداً وتحدث العبادي عن شاعر يدعي كباسة تبارى
مع بظير له أمام الشيخ العبيد ود بدر الذي أجاز كل واحد منهما سابق الحديث كان
طلياً وبادراً - لولاه سامحه الله وانصريف هي الأمر أن كباسة ذلك هو صاحب انمثل
لدي سارت به الركب «عمى كباسة» وأوضح العبادي أن كباسة ولد أكمها بلا
عيسى إلا موصعهما، أسوق ذلك بمناسبة ما يضيغ من معلومات تتعلق بتاريخنا
الاجتماعي وثقافتنا الوطنية

أصرت بما الشفاهية.. وحتى هي لم ستفد منها بالتسجيل والتوثيق. فأسلامنا

الدين يعجبهم الردى واحداً تلو الآخر ممن كانوا جزءاً مشاركاً في ذلك التبريح بمثابة مكتبات تحترق كما غير المستشرق الفرنسي حاك بيرك ولكي أرى الآن وميضاً من أمل أحداً في الانتشار في مجال الكتابة وخاصة المدكرات التي عالما ألفت أصوء ساهمة على التبريح الاجتماعي بالأهم واجاً الدكتور موسى عبدالله حامد المهتمين بكتابة إبداعية حقيقية حين كتب عن دكريات الطفولة وأيام الطلب في مدرستي أم درمان الأميرية الوسطى وحوار طفت الثانوية رصد تلك الأيام بذكره فوبرغرافية متوقفة، حصة بعد حصة وحدثاً نلوا حدث بلعه رصمة أحاده كان ذلك آخر المساهمات في هذا الاتجاه وإن لم أحظ بقراءة الجراء الأخير منها حتى الآن

وسكن يعني دكريات الدكتور عبدالله الطيب التي صممتها مجموعته الشريتين من نافذة المطار، ومن حقيقة الدكريات، وغيرهما أعمالاً مذهشة تكتسب الطابع الروائي الملحمي لما فيها من عسى في البع والقصص ومن عرص للثراء الذي تميز به ذلك لرمز الاستثنائي كتب الرجل محلاً عادراً شاردة ولا واردة مما مر عليه من أحداث لم يصح لترتيب أو تكتمك شأن معمار الرواية الحديثة التي حلت أبواب لتقاد يتناول حكايات ويربط بينها وبين ما يناسبها من أشعار وأخبار تاريخية وأدبية فتتشعب الشجون وهو ممسك بحيوطها شأن الحديق، الماهر الدروب تكاد تجد فيه يقول بعضاً من ذلك أيام الدراسة وربما ختمت الأحوال بتقدم الأيام والتبدلات التي طرأت.

التعظيم عندنا حتى نهاية المهدي كان ديباً إلا أنه كان لا يقل مستوى عن أي مكان آخر في العالم الإسلامي، بما في ذلك الأهر والرتونة، وعندما هم الإمام المهدي في أيام الطيب بالتوجه إلى مصر بصحة بعض شيوخه بأن ما لقيه في بلاده من علوم لن يريد عليه هالك والخير في أن يظل مقبلاً وتخلي ذلك الرعم حينما حاوره الأب أهروولدر القس الألماني الأسير ولدي ألف كتاباً طبع بالحقد وبعضه

أصوات

«عشرة أعوام هي لأسره، إلا أنه اعترف بأنه حين حاور المهدي وتحدث معه هي شؤون اللاهوت وجد «بحر» لا يسير له عورة»

في بداية القرن العشرين أعاد المعهد الجديد المدارس الابتدائية التي كانت قائمة في المعهد التركي ونشأ كلية غردون وهي التي عُرفت بالكلية القديمة في الأوقاف اللاحقة كثير من رؤادها الأوائل في لتعليم والفكر والسياسية والثقافة والصحة والنص تخرجوا من تلك الكلية وكثير منهم أصبح تجاورها مستوى بعد ذلك ليتخرج بالجامعات المصرية أو جامعة بيروت الأمريكية أو جامعات بريصايا إلا أنهم ظلوا يتذكرون الكلية كأنهم ما قرأوا بعدها

دما اسعد عبدالله الطيب لأداء الامتحانات لدخول الكلية في ديسمبر عام 1935 كاتب هناك يصح عشر من المدارس الوسطى، ثم تكن كلية غردون مدرسة ثانوية حقاً، كانت مدرسة إعدادية لتوظيف.. كانت «التجهيري»، ثم صدرت ثانوية فيها بعد حين أدخل في نظام التعليم امتحان شهادة كيمبردج وقامت المدارس العليا التي إنتقل إليها اسم كلية غردون ومهدت لقيام جامعة لخرطوم وعندما التحق عبدالله النصب بالتجهيري كان يستطيع أن يحدد الدراسة التي يرغب فيها وكان لقصة الشرعي طموح الجمع ووقف على التلاميذ الأدكياء وكاد هو في مقدمتهم إلا أن حنبر هؤلاء، كان يتم كل خمس سنوات، وما كان صاحب يميل كثيراً للنص، بن كان إلى اشترى أمر، يستعجل السواب يتوظف بسرعة سبب طروقه العائليه ثم يستحب لدعوت معلمه في الالتحاق بالفهاء لده كانت حمية أمل مسر مكوت كبيرة وبهذا الحوجة فصل كبير على النعيم في السودان فعندما إلفاه بعد سنوات وهو يدرس في معهد بحث ارضاً قال له متحسراً «إنك كنت أدكي تلميذ مر على الكلية»، وقين إن مسر مكوت زار السودان بعد ذلك عام 1967 كدائه من وقت لآخر في فصل الشتاء، وكان قد أمس وحفل يتابه بعض السيان جمعتهم مائه إقطر عامره في شهر رمضان أقامها اريعيم إسماعيل الأرهري للنصيف

الرائد وكان الأهرري قد درّس عبدالله الطيب الرياضيات في الكلية عام 1939 وظلّ يُدرّس إلى ما بعد منتصف عام 1945 ليتقاعد متفرّعا للعمل الوطني.

عندما دخل عبدالله نصيب الكلية كان لـدكتور أحمد الطيب قد تخرّج فيها إلا أنه اتخذ نفس عبيره مكانه - هير أولاد مدرسة بربر - ألقى ذكراً حية عطوة تتداولها الألسن حيث كان قد نظم قصيدة هرية طالب فيها «ريس العايدين أمدي» صابط العداءات للداحليات بريادة سكر شاي الصباح بصف قطعة حيث كان المقرّر قطعته ونصفاً ولم يستجب الرجل طبعاً وظلّ يحال كما هو إلا أن صبت لقصيدة تجاور جدران الكلية حتى أن محلات «جودنجر» للساعات والنظارات بالحرطوم أجارت أحمد عليها بساعة منه.

كان عبدالله الطيب يعرف شكل الكلية حيث زارها مرة عام 1931 مع والده - الذي كان مدرّساً أيضاً - وأبغضه أنه سيستحق بها يوماً ما وسيخلق شعرة «كاريه» وميلده إلى أوروبا، ويقول الدكتور عبدالله إن والده عرف ذلك عن طريق الكشف حيث كان الرجل صالحاً إتفق حوله جماعة من المقرّ، تحدث عبدالله نصيب عن الداحليات وقال إن أغلبية أولاد العاصمة كانوا يحتلون «كتشير» و«كرري» وأولاد «ستاك» من أولاد بربر والداير وعطيرة وشندي وسائر الشمال وأولاد العرب يسكنون في دحية «مفي». وكان من بين داحليتي «ووجت» و«آرثر» تسافر، على الرغم من أن معظم طلابهم من بيتاب ريفية مُعصّة في الدواوة. وكان أولاد «ووجت» يظنون إلى مستقبل الوظيفة بجد وصراخ، وكانوا «كبابين» في نظر سائر التلاميذ، أما أولاد «آرثر» فلا يعترفون لأنفسهم بدواوة، وكانوا يحاولون تحدي أولاد العاصمة ببيّار حصائصهم الريفية كنوع من لأصالة إلى درجة أن بعضهم ربما جاء معه ندهي «الكركر» ليمسح به جسمه إيماناً في إبراز خصوصيته إلا أن وضعه صابور الصباح يطل الأطراف حيث يأتي رئيس الرؤساء بنيه كالطالوس يرتدي حلابية من سكروقة، أو بوبلين أو تيل هراو وبق رأسه طايفة حرير حمراء وفي قدميه

أصوات

شُتب من جلد النمر، بمشي في حلاء كسائر رؤساء الدخبات، يمشون في حلاء كالعمد ونظار القاتل في إحتصان 17 سيرة، دث الإحتفال لذي كان بقم في عواصم المديريات لتجديد ذكرى زيارة الملك جورج الخامس إمبراطور الهند وملك بريطانيا لمياء بورسودان عام 1912 في طريقه إلى الهند.

لَمْ يكن الجميز مرحاً خفيف الظل كما كان في لمرحتين اسناتين - الأولى والوسطى - كان ثقيلاً على النفس بسبب العت ويراد به الإحصاع والمصعد - وقد داق منه صاحب فيما يبدو الأمرين فقد كان مشرف الدخلة الإنجليز يأي بصحبة كلبه يرتدي الشورت والجوارب الطويلة النخية وكان الشورت لباس لمكان أيضاً يبدو وكأنه يحص على التشمير وروح الحد التي أشاعها الحكام لبريطانيون بين الناس

لَمْ يسس عبادة الطبيب أن يلاحظ رجلاً شيخاً كان يجلس تحت شجيرات ليوم طيلات أمام فصول السنة الأولى الخمسة وكان الطلاب يرددون أن هذه الأرض كانت جروف والده قبل أن تستولى عليها الحكومة ورعوا أنه كان يبيع السجائر للتلاميذ الذين يدخنونها كانت السجائر مملوغة في أكليّة إلا أنهم سمحوا بها في فصول لامتحان في المدارس العليا كما لم يسس مستورة التي كانت تباع القوس بالقرب من مقهى الطلاب وكان قولها جيداً ذهني الحيات، كامل الاستواء، ومع سلطة فعليه متوقفة ورب مستجاد، كما كان رعيها بلدياً شمسي حساً.

تلك الذكريات التي هاغها عند الله الطبيب بمحبة والقان جديرة بالقراءة وخليفه أيضاً بأن تفري الآخرين ليكتسوا عمداً وأحسنو برصني تفيداً إيجادياً سفت إليه لأهم الحادثة.

19 يونيو 2001م



الحسين بن علي والفقهاء

صومنته.. كلية هردون

عبد الله الطيب

كان لعقفل الجرمال بشارلس هردون حاكم د ر السودان في 26 سابر 1885 دنه
 حرد وناسى عميقين هي أوساط الشعب البريطاني الذي رأى فيه رهراً مألفاً في ذلك
 العهد الميكوري، المرهو بانصاراته وعصمته.. يعبروه قديساً وقف وقعب لأحيرة
 بصارع الهمجة من أحل شر المدسة والاستدارة ما راوه دحلاً عاصباً كما راء
 اشوار صبيحه افتتاحهم لقصره وقتله أمام شاطئ النيل بالحرطوم والصيرون لا
 يزولون يظرون باكار بذلك الشعب الذي ثار بهم من هردون الذي عرفه منذاً
 عاشف إبان مهمة له في الصي كانت الرعبه في الانتقام بمثل في نفوس الصباط
 لالجلير حين كرو قاسحين كانوا معبشين بالصعبة والارود فمشوا عرو أحساد
 عشرة آلاف من المقاومين الشهيد في طريقهم إلى الحرطوم عبر معركة أم درمان
 وحين عاد قائد الفتح الجرمال كشر إلى بريطانيا مدلاً بصره ففترح إنشاء مدرسة
 كلية في الحرطوم إحياء لذكرى هردون فتحمس له الشعب البريطاني وتضاعف
 للإكتساب في حمله عاطفية مادرة الحدوث. وعبت الملكة فيكونوريا رعاية تلك
 المؤسسة وكانت أول المشرعين عباً وبغداً أما رئيس وزراءها النورد سالسوري فقد
 وصف المشروع بأنه «إلبرام إمبراطوري لاينة ما بين الشعوب من حواجر وإقامة
 رابطة من المعاونة الفكرية وشر الثقافة الإنسانية» ما أراد بذلك إلا انفاق المحص
 فأي ثقافة إنسانية تلك التي تفرصها مدافع العكسيم لإحضار شعب واسرع حرب
 أرادت السباسة اسريطانية لكلية التي تم افتتاحها في أكتوبر عام 1903 أن تكون
 مؤسسة لإعداد موظفين صغار أعبديه لا حيلة لهم لإدارة دولا ب العمل في
 دواوين الحكومة إلا أن طلابها كسروا الصور وفارمو العربية ونطعوا إلى المعارف
 ووسعوا مداركهم ليصبحوا مباد لأمل لأمتهم.

كان لمصر نصيب لا يسى في تأسيس الكلية وأصبح أحمد هدايت بك أول ماطر بها تحت إشراف جيمس كرى مدير مصلحة المعارف هدايت هذا كان أحد حريجي كليه براود وبقي في الكليه حتى عام 1911 وصفت الكليه عدداً من الأساتذة والعلماء المصريين الاعداد أمثال عبد الرؤوف سلام ومحمد الحصري ومحمد أبو المجد وعبد الوهاب النجار ومحمد ماضي أبو العرايم وغيرهم من الذين عرفتهم الجامعات المصرية والمحافل الأدبية والعلمية ذلك إلى جانب عدد من الأساتذة السوريين أبرزهم الشاعر فؤاد الحصيص الذي كان أستاذ للأدب العربي.

قبل أن يشتد ساعد الحركة الوطنية وتسفر عن وجهها السياسي إستحدثت لأدب ومية لإستهام لهم وانبثقت بالقيم البينة ومناصي البطولات وساهمت الكلية بأبرز شعراء تلك الفترة من طلابها وحريجيها ومنهم عبدالله محمد عمر البنا وعبدالله عبدالرحمن لأمين ومحمد الأمين القرشي وأحمد المرصبي وممدثر البوشي وهؤلاء تخرجوا في قسمي اللغة العربية ولقصة الشرعيين أما أبرز الشعراء الذين تخرجوا في قسم اللغة الإنجليزية والعلوم الحديثة فمنهم أحمد محمد صالح وعبدالقادر إبراهيم ومن قسم الهندسة الشعراء علي نور وعبدالرحمن شوقي ويوسف مصطفى التي ومحمد أحمد محبوب الذي ستأثر بالكتابة النقدية إلى جانب السائد محمد عشري الصديق ومعظم هؤلاء لعبوا دوراً أساسياً في النهضة الأدبية الحديثة والحركة الوطنية وتسم بعضهم مناصب يادية علي بعد بيل لإستقلال

وعندما نشكلت الجمعيات السياسية السرية في سنوات العشرين وأفصححت عن هوية متصلة بالكماح المشترك نوادي الليل كان من أهدافها العمل على رفع مستوى بعض الطلاب وإرسالهم إلى مصر للدراسة الجامعية، فهرب إلى القاهرة في عام 1923 الطالبان توفيق أحمد البكري وبشير عبدالرحمن ثم لحق بهما بعد

أحداث

عدم الدرديري أحمد إسماعيل كانت بحرية جريئة أرعجت لإدارة البريطانية فصقت عليهم الحقائق ومنعت أهليهم من تقديم المساعدات إليهم وحرمتهم من العودة إلى السودان فلاقوا مشقة وعنت لولا عطف وأريحية الأمير عمر طوسون الذي أحرق عليهم إعانات شهرية مكنهم من الإستمرار بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة الآن) والتخرج فيها

بعد تلك التحربة سمحت السلطات البريطانية لبعض الطلاب بالسفر إلى لندن للدراسة في الجامعة الأمريكية ببيروت ومنهم معاوية محمد نور وعبد الله عسري الصديق، ثم أوفدت بعدهم عبدالفتاح النمري ومحمود الصوي وعبيد عبدالنور وإسماعيل الأهرري

بعد الانتفاضة العسكرية لعيفة انسي فادها صباط مودايوب ضد الجيش البريطاني في عام 1924 ران على البلاد جو غامض من الكيب والإرهاب والملاحقات البويسية وتحذت السلطات إجراءات قاسية لكسر الإرادة الوطنية فأغلقت الكلية بحرية وبرر اتجاه لإغلاق كلية عردون أيضاً.. إلا أن ذلك إستبدت بممارسات لمعية ضد لطلاب أفزع محمد أحمد مخروب في وصفها في موت دينا

وفي عام 1931 والأزمة الاقتصادية العالمية هي عتفوها برأت الحكومة تحمض مرتبات خريجي الكلية في إطار برنامج نقشي لتجاوز الأزمة فسعت بذلك دون أن تدري إلى إكفاء ما كان يستعر من الغضب المكبوت فقد طلاب الكلية إصراً هراً المجتمع العاصمي واستمر حتى تدخل الوسطاء وتدارت السطاب حثياً عن موقفها أدى ذلك للإضراب إلى كسر الحمود السياسي وتجاوز آثار ثورة 1924 ووضع المعلمين أمام مسؤولية تنظيم أنفسهم لمواجهة المصير فاستمر المحاصر أليماً حتى برر مؤتمر الخريجين العام في أواخر أعوام الثلاثين

كما كان ذلك الإصرار خطوة أولية نحو تغيير برامج الدراسة الثانوية لتتجه نحو الثقافة العامة واعداد الطلاب للدراسات الجامعية وتزويدهم بالمعرفة التي تنثري الروح وتشجع القدرات. وإن كان عبدالله انصيب قد وصف تلك الدراسة بأنها كانت حوء لا تسعد إلى القلوب على الرغم من أنه أشار إلى أن الطلاب كانوا يناقشون قصايا فلسفية في غاية العمق كالشك والقدر وحرية الإرادة والمعري ومساجلات طه حسين والرافعي عن كفر شار ومجون أبي نواس ومقالة الحلاج فوما في لجة لا تشد، وتحدث عن أساتذة بريطانيين كانوا يتدحنون عن استحياء فيما يتعلق بالأفكار التي كان يتداولها الطلاب كمسئس سكوت الذي أتاح فرصة الكتابة والسقد للطلاب. الأمر الذي فابله البعض بالرربة والتوجس كما تحدث عن أساتذة سودانيين نحو أمثال عوض ساني والمصري حمرة وإسماعيل الأرهري

وفي أوائل عام 1939 تم افتتاح المدرس العليا وكانت فوق لمستوى الأكاديمي لكلية عردون - وهي مدارس انهندسة والبيطرة والزراعة والعلوم ثم الأداب فالحقوق وكانت قد أنشئت في وقت سابق لذلك مدرسة كششر الطبية في 28 فبراير 1924 كأول مدرسة عيا بالسودان وفي عام 1940 تم نقل كلية عردون التذكارية من الخرطوم إلى أم درمان وخصصت مبانيها لقوات احتفاء في الحرب الثانية واحتفظت باسمها حتى عام 1945 حين سُميت مدرسة أم درمان التي انقسمت بدورها إلى المدرستين الشهيرتين وادي سيدنا وحتنوب وكانت المدارس العليا قد أطلق عليها اسم الكلية بقديمة ثم أصبحت كلية جامعية ترتبط أكاديمياً بجامعة سدن، وفي يونيو 1956 أصبحت جامعة الخرطوم.

10 أكتوبر 2000م

رحيله.. حريق مكتبة الإسكندرية

عبد الله الطيب

كان يرى للغة العربية في فصاحة السودانين، ولا يستكثر عليهم ذلك كمستعربين ومهجاء. وإنما يحدق في التاريخ ملياً ويقول إنه يرى جزءاً عربياً من السودان والتجربة العربية كانا رتفاً واحداً، قبل أن يمتجر الحدود الأفرع العظمى ويصبح بحر القلزم. لم يحدث ذلك في أزمان عابرة بعيدة، ولكن حتى وقت قريب - مسمياً في التاريخ - كان البحر ممرًا مائياً صيفاً يترددى شاطئه ويأدى من الصمت قيل ويقول إنه قرأه في كتب هيروdotus «تاريخ» إن عرباً من البلاد الواقعة جنوب مصر قائلوا إلى جانب دارا، إمبراطور الفرس في القرب الريح قبل الحملاد وما بك الملاد انني أشكر إنيها إلا انسودان

مثل عبدالله الطيب المودح الأسعي للمثقف السوداني الذي جمع سراعاً بادره ما بين موروته لثقافي الصارب في القدم، وبين ما كتسه من وهي وإدراك من مبادرات الحداثة العربية، حسبه وكبد رشاً في المنظمة نفسها التي يقال إنها كانت مهد الإنسان في طفولته الأولى، ومسرح يداعه الحصري الذي أهده للشيرة العافية في تلك العصور السحيقة

تفتحت عيانه في خلاوي بيته المحاذية، الفُر الميامين، الأتقياء الثقافت أهل العهد والصدق، الدين ما تراحعوا أمام غلو عاصب وما انشوا قاصوداً الأترك العراء وشهدو مقتلة سليمان الربير في بحر لعرال، وخرج بعضهم مع رابع فصل الله إلى عرب أفريقيا رافضين المحصوع، وسارعوا يمتشقون الحسام، يتصربون لدعوة الإمام المهدي حين أعلن الجهاد.

تدرج في مراحل التعليم الرسمي متفوقاً في كل عام، وأبدي صروباً من المجابة

والحرم، حتى ولج كلية عردون التذكارية، وكانت أملاً عريض المال وهناك تجلّت قريحته وازدادت معارفه حتى خرج معتمداً في المدارس الوسطى بات أديباً مرموقاً ولا يزال طالباً في أكليته، توجّه إليه الدعوات ليحاضر في مستديبات «عمامة» حول الأدب والثقافة والتاريخ، وهو دون العشرين صلّ معلماً طوال حياته لا يريم بالمدارس الوسطى ويخت الرضا وكلية الخرطوم الجامعية والجامعة قدّم للأحيال بعير من ولا ادعاء، وساهم في تأليف المصاحح شعر وثراً وفي تدريب المعلمين وإعلاء «التجربة التعليمية إلى جانب رفاقه المعلمين الأعداد» ليس يدين لهم الوطن لكن ما قدموه لأبائهم من فصل جليل، هاجر إلى أوروبا في منتصف سنوات الأربعين فأكمل دراسته الجامعية وواصل من بعد دراساته لعلها حتى طفر بالدكتوراه.

ظن أحد الأعلام البارزين والأكاديميين المرموقين على مستوى القارة الأفريقية والعالم العربي في مجال الأدب واللغة العربية، وأدهش مؤلفه «المرشد» إلى فهم أشعار العرب ومصانعتها لأدباء العرب في سنوات الخمسين وقد قام بتأليفه ولم يكن قد تجاوز ثلاثين بكثير، قدّم له صديقه وحده في مجمع اللغة العربية الدكتور فخر حسين الذي ما انك يراسه طوال حياته، ويشركه في كل ما يتصل بشؤون العربية والأدب.

يتحدث عن كبار شعراء الإنجليز شكسبير وبايرون وشيلي وتي. اس إليوت وأودن وميسر ينتقد ويترجم بعض أعمالهم ويجاريها أحياناً وما قصيدته «الكأس التي تحطمت» إلا معجزة رائعة لأحدهم كتبها في أبريل عام 1946 وحين حاول بعض النقاد إسعاد فصل زيادة الحداثة الشعرية إليه بسببها رفض تلك الساحة وتمسك بموقفه التقليدي الرافض للتجديد في الشعر

كتب شعراً كثيراً وله دواوين عديدة إلا أن بعضاً من الناس رآه متحصباً لا يعبر عن الإنسان المعاصر وانصرفوا عنه لكن ذلك لا يعني خلوه من الصور

أصوات

لجمالية الإبداعية اللغوية والعاطفة الفياضة وقد أعجبتني كثير من قصائده، أعود إليها من وقت لآخر متدوقاً مستعجباً، وخاصة مرثيته المترعة باللوعة الإنسانية والحدود المبلبل.

أما هي كقصة الشرف فلا يسري بمصارلته كاتب فقد إمتلك ناصية اللغة فانقادت إليه سلسلة مطواعة جمع وحرر عدداً من الأحاديث السودانية للأطفال ولكن من قاعدة القطارة والحقيقة لذكرى من بين أعماله الشريفة تمثلان عدي دروه لقص وانداغي في الحكيم مع عمن التجربة وتنوعها كلما قرأتهما إردادنا بصارة وشرافاً وأسهمنا في انفعالات الروحي وثرء وجدانك أوعل بهما أبعد مما يعرف لأن الواقعية السحرية لغة رصينة جادة ومفردات شديدة عبثات ص حكايات، ومواقف عادية مشحونة بالدلالات والرؤى ينعالي صحيحها الإنساني ليشكل جنساً روائياً غير مسبوق

لَمْ يكن عبدالله الطيب رجلاً سلس القياد يؤثر سلامة ويسمى الرحام وإنما كان يدافع بصراوة دون ما يراه الحق، وما موقفه من إعدام الأستاذ محمود محمد طه إلا مثال واحد لوقفات جهيرة، كتب قصيدة شجيرة مؤثره يرى فيها المفكر لشجاع ويعتد مناقبه واصفاً يده بالشهيد لا المارق كما جاز للجهلاء أن يقولوا

كان يطل على أبناء شعبه من حلال البرامج الإبداعية يفسر القرآن الكريم فيجندب إهتمام العامة والخاصة، ويحدث أثراً طيباً في القوم وفي البرامج للفريريين في أوقات لاحقة كان يحدثهم بعدوة المحب وترفق العارف لموجود. يتناول شتى أنواع المعارف والتراث - يشفق الحديث ويتنوع فلا يرداء لا روعه رحماً.. يكاد يفهم قومه الجميع فلا عموص ولا تنطع ولا ريف ولا دعاء

كان حين يتحدث يستدعي الرمان والحكايا والشعراء والأدباء والمحدثين والعلماء والملوك والسلاطين عتاهم أمامك شاحصين يتكلم فيمثل بالشعر

في الثقافة السودانية

والحديث لمأثور فتطهر بعض عوامص اللغة فيعود للشرح والتفسير شأن المعلم
الحاذق والمربي الرؤوف

وُلِد البروفيسور عبدالله الطيب في الدامر عام 1921 وتروح الصانة الشكيبية
البريطانية جريلا في عام 1949 في لندن التي أحبها وحضر حفل
الرؤوف جميع المبعوثين وسهروا في «بيت اسودان» يستمعون للأغاني التي
رُددها الأستاذ إدريس الباء، ويا للحس، وهي مساء لحبس الماصي شيعت
العاصمة السودانية العلامة الكبير بعد مرض أدخله في غيبوبة طويلة أمطرت
قبره سحائب الرحمة والرحموان، وأحرّ التعاري لآل المجدوب الكرام

24 يونيو 2003م

سمح السجايا وعبقري الرواية لطبيب صالح وحلقاته الملوك



الطبيب صالح عبقري لرواية العربية - كما وصفه لنقاد جده "حيثاً برماً" - بصورة يعجب عليها حياة المعهود - بنكهة محاورية من الصحافيين على توقع لمريد من إبداعه الروائي - يرون أنه قد توقف طويلاً ولم ينحرف معجبه بجديده يتوخ عمله المدحى - يرد عليهم يكاد يقول لهم « يا جماعة لست برزياً أفضل ما تريدون ولكني أشهد وأحشد وأكتب ما أراه ملائماً وليس شرطاً أن يكون رواية » والمتابع لكتباته المتناثرة في الصحف والمجلات يجد كثيراً من نفسه للإداعي العميق الذي لم ينقطع يدحض تجاربه في السمر والقراءة ويكتب أشياء ممتعة بروح شجاعة تستبطن المشاهدات لاتعقته شاردة ولا واردة.

بالأمس القريب كان في ربرة لسيويورك فكتب عن تلك الرحلة في عموده بالمدح الثقافي في صحيفة «الاتحاد» كلمت نصرات إحتفى فيها بالمحتتمين

به وكان معموراً بسعادة لا توصف فحكى عن أمسية نادرة فصاحا بمسرح حديقه
الديبلوماسي السوداني العاني إبراهيم حمد مدير اليونسكو في نيويورك أعجبه
بقائه بأصهار العاني من أهل حلفاية الموك، المدينة التي كانت عاصمه لعملكه
العدلاب هي أومان عابرة- ولتي استوطن فيها الشايقة في أوقات لاحقة للعرو
التركي في عشرينات القرن اتسع عشر وهي لاتزال رابضة على انصه اليمى
لهر الجبل على بعد أميال شمال لخرطوم كأنها تتوق لاستعادة أمجاد أهلة
تحسر الكاتب عليها وعلى بعض أهلها الذين هجروا مارلهم التي كانت أهلة بهم
حتى وقت قريب قبل أن تسوها لرياح العادرة، وأحدو يتوحدون نحو المهاجر
البعيدة طلباً للأمان والعيش الهىء- وكأنما لسان حالهم يقول «حيث يكون
الحبر ويكون للحرية يكون وصا هناك» يحتل الطيب صالح ذلك المشهد
الأساوي في تجربة السيد، ستا شقيقة كل من الموسيقار المعروف بشير
عباس والسيدة إقبال قرية صاحب الدار فوصفها بالمودج الأكل للمرأة
السودانية في زمانها الذي خدعها فيه شعراء الحقيبة

لا بد أن الكاتب الروائي قد قرأ عن سلف بها حملت اسمها هي الملكة سماملكة
شدي التي ذكرها رحالة أوروبيون راروا السودان في القرن السابع عشر قالوا إنهم
رأوا ملكة يحمها الجلال والكمال جميلة كأن وجهها صحيفة من ذهب، رعم أنها
كانت تلقاهم من وراء حجاب- الملكة ستا هذه كانت امتداداً لملكاب مروي-
الكنداكات اللائي وعين حصاره مروي في نفس المنطقة قبل وبعد الميلاد، وحش
بالمسيحية قبل كل مكان حين كانت العيون لاتزال بلبة بالدمع غداة صلب السيد
المسيح حصاره لاتزال أثره شاحصة للعيان تذهل عناء الآثار في فجر كل يوم
حديد كانت موطناً لتعدين الحديد حتى أطلق عليها المؤرخون المحدثون وصف
بيرمتجهام أفريقيا. السيدة ستا المعاصرة تسمى الآن لدحاك بشقيقتها في كدا هرباً
من عت الأيام ومثل التيسيين الجوف في الخرطوم

أصوات

أماجت تلك المشاهدات في أشجاناً هاجمة فصاحب الدر الفاتح من أهل مدينتي - كوستي - ألا سقى ورعياً لأيامها الزاهرات كان يقص في طفولته في حياً يسبب بسنوات هائلة في الدراسة كماً نراه تلميذاً مشاعياً - ذلك الشعب الذي يستحق الإعجاب حتى انتقلت عائلته إلى أم درمان لتقبت به قبل سنوات صيفاً في دار صديقي الأستاذ معوية الطاهر المحامي في البحرين، حيث كان مديراً إقليمياً لليونيسكو مقيماً بالدوحة وتحدثنا طويلاً عن تلك الأيام التي ذهبت ولي تعود

في صيف العام الماضي قدّر لي أن أزور العاصمة البريطانية لأول مرة تلبية لدعوة كريمة من صديقي الشاعر راشد سيد أحمد الذي عمرو هو وأصدقائه بكرمهم الفياض واريحتهم الغدّ وقصصاً أمسيات سعيدة في دورهم العامر، الدكتور محمد سلمان محمد العالم الكدود والأدب المنع والمترجم الألمعي، والدكتور أحمد الطيب فرح مستشار الطب النفسي المعروف بالشعر والروي بنكاب والملح وكثيراً ما جلسنا نستمع للدكتور محمد سليمان يقرأ لنا أشعار الألمانى هيرتولت برشت، التي قدم بترجمتها على نحو مرّ طيره في تاريخ الترجمة إلى العربي أصاب إليها نألقه لغتان وطاقته الروحية التي لا نضب، كان قد أسى من مرض حوّل قومه بعربيته الجارة وحبّ أصدقائه الذين أحاطوا به كالسوار بالمعصم ما فارقوه لحظة حتى اسرعوه من برائن الصوت

أما ليدة العناية فقد قصصناها في دار الصديق كمال سوار الذهب في كينجر ستون حيث جمعنا بأصدقاء فارقناهم منذ سنين وفي مقدمتهم الدكتور حمودة فتح الرحمن لطبيب وداعية حقوق الإنسان - حدين الطفولة والصبا - وأخوه إبراهيم وعائلته الصغيرة وأستاذنا الصحفي المعروف محبوب عثمان

ما كان يدور في خلدي أنا بشا أسرى حلفية الملوث كما حدث للأستاذ

الصب صالح يومذاك - وباله من أسر نسجه من توهج الروح الإنسانية وعدوية السلوك - حيث وقف الجميع صاحب الدار وأفراد أسرته يكرمونه وهاذنا هي كل لحظة ما انشغلوا بأنفسهم ولا ببعضهم فقط - كانت تجربة جديرة بالاحتفاء في زمن تشابكت فيه الأمور.

في تلك اللحظات وصل بعض أهلهم من باريس - أسرة كاملة معظمها من النساء - كن سيدات مثقفات لسان وحبرات هارذات لدار بهن وامتدَّ بعدُ آخر من الحديث تناوٍ أحوال الوطن وأخباره التي لا تني تحبب الأمل، بل أن ذلك الحضور لرائع أصاء شمعة في لدجة الخالكة وأصبح حبراً لأد تتوق إلى فجر جديد وهكذا تقارب تجربة لروائي الطبيب صالح بمالقيناه من أهل تلك الطلدة من كبد الوطن.

13 يونيو 2000م

ذاكرة السودان المثقلة

الطيب صالح

كتب محمد بن عيسى المثقف ولورير المغربي كلمات طيبات حيات معجيات عن صديقه لكاتب الروائي السوداني الطيب صالح فقال «سيدي الطيب هو ذاكرة السودان المثقلة، يحفظ بكتابه وشعرائه- رجاله على الأخص بحر لوطيه الأم ويحس بأحشائه تنعرق وهو يتحدث عن السودان، مجالسه التي يستجليها هي مجالسه مع السودانيين، من حبرة معكريها وعلماها ممن عرفته، ولكن لطيب صالح هو إنسان كل الديب، يستيع الثقافات، ويقرأ لكل الكبير وفي ملامحتهم لإيجاز سيدي الطيب يحدثك عن أي أمر، إلا عن نفسه وأعماله، ويحدثني عن كل الأمور بما في ذلك نفسه وأعماله، تحدث مرات هاتماً بين واشنطن ولندن لتحصير لحسن تكريمه في أصيلة، شيء لا يصدق، في كل مناسبة كنت أشعر بأن الطيب صالح كان يتهرب في عموية الطفل أو إمتعاض لعدو، لم يستمع قط فكرة تكريمه، فلا يراجل والله لا استحق التكريم، هناك غيري من يستحقونه»، كان يردد لي ذلك كلما فأتحت في الموضوع حتى أحسست فعلاً أنه لا يرغب وأنه فعلاً غير قادر على الرقص، وصارحته بذلك واعترف، وأخيراً رضع»

لحسن محمد بن عيسى رأيه في ذلك الرجل بقوله «هكذا هو سيدي الطيب الحشوم الوقور المواجه الحقيق، البسيط، الإنسان المسالم بقلبه ووجدانه وعمله وتصرفه وقلمه»، لا حداث فيما كتب هذا المثقف المغربي، فالطيب صالح هكذا وبزيد..

صلاح أحمد محمد صالح الشاعر والدبلوماسي السوداني المعروف راس

الطبيب صالح في المرحلة الثانوية بوادي سيدنا إلا أنه لم يحصل به عن كثب وفي لندن إلتقيا حيث عملاً معاً في هيئة الإذاعة البريطانية فوجس صلاح في بداية أمره من هسرت ذلك المعنى الرئسي القادم نشوء من الحطوط وحاف على سمعة السودان إلا أنه بات يدهشه في كل يوم بجديد ويشير إعجابه، فقد حقق في إذاعة لندن ما لم يبلعه سوى فئة من السوايح فقد كان المديع اللامع د الصوت الدافئ لودود والذي يشد الأذن والقلب معاً حين يقرأ حديثاً تشعر وكأنك تستمع إلى صديق تأس إليه، يحدثك من مقعد مريح مقابل وأتما تجلسان حول مدفأة.. وحين يدير حواراً يسحر صيفه بقدر ما يسحر المستمع.

مال الطبيب صالح مكانة اجتماعية وأدبية سامية في مجتمع الإذاعة وأروقتها ومبتدياتها، ويذكر صلاح أنهم اعتادوا الجلوس خلال ساعات العمل في كافييريا الإذاعة وكان يدور نقاش جدي يتناول مواضيع شسبة وأدبية في شتى لقصايا يشارك فيه عرب من جنسيات مختلفة وبريطانيون وأحرون وكان أكثر ما يبههم وهم يستمعون إليه بلاعته وتمكنه من الكلمات عربية كانت أم إنجليزية وعمق ثقافته وسعة إطلاعه، كان يحاور البريطانيين في أدب شكسبير وثيسون ولورد بيرون وفير جرالند وأوربورن ويحاور العرب بالعمق والتعكن داتها في الأدب العربي من عصور دي الرمة وأبي نواس وابن الرومي والمسي مروا بشوقي وحافظ وطه حسين إلى عصر نجيب محفوظ ويوسف ادريس وبرار قبلي وصلاح عبدالصبور وأحمد عبدالمعطي حجاري وطلوب معهم في بساتين بيرم التونسي وصلاح جاهين وهؤ د حداد والمحدثلو والعبادي وود الرصي. ويحفظ من أقوال هؤلاء وأشعارهم لكثير، يعرض كل ذلك بتواضع ووقاره المطبوع

أما الدكتور عبدالواحد عبدالله يوسف فقد رأى الطبيب صالح داساناً زكي معزاد واسع صدر، عري النفس، معتدل المراح والتفكير لا يجمع شرقاً أو غرباً، يتحدث ببساطة وعمق في أب واحد وفي أدب جم ودماثة خلق أشبه بسوك

أصوات

لصالحين، فيه من تصوف ابن عربي وصدق العراقي الشيء الكثير. وفيه من انسى وشحمه وجرأته وقدرته على الإبداع الشيء الكثير أيضاً. كان يمتنبي لا يزال من أحب الشعراء إلى نفسه، ونكر نصيب بعيد عن صلف لمتنبي وضموحه إلى السسطة والجاه، الطبيب إنسان بسيف عدية في التواضع».

في كتاباته غير الروائية بالمعنى المحدد للرواية، يتحدث نصيب صاحب جساماً أدبياً تجد صعوبة في تصنيفه فحين يكتب عن ذكريات أو تجارب أو راء حول الناس والأشياء تجد متعة كأنها مريح من تذوق الشعر العظيم والشعر الفصيح والحكي البارع المشوق. كأن ما نقرأه ليس واقعاً، أهى الواقعية السحرية كما يتحدث السقاد؟ تلك قصة أخرى

يصف زميلته في الإذاعة ليلي طوس فيقول «مسيحية كالمسلمين، عربية كالأوروبيين، رستراطية كبناب البلد، تشربت حباً للغة العربية من الجامعة الأمريكية في بيروت، ومن البستاني والعليلي ومارون عبود فيها من رومانسية جبران وجادبية لبنا تتلمس الكلمات العربية وهي تهفها كأنها قطع من عملة أجنبية مادرة» وتحدث عن آخر يدعى صاحب مخبي الدين فقال «كان من دمشق أو من حلب، جاء يحمل درجة لذكثوره من السوربون وروجنه فرنسية، كان حجة في تودد الرفث عن العرب، يحفظ منها قدر هائلاً، شعراً وشراً، تعود يعيش مع الفرنسيين فما رافته الحياة في لندن كان يكره الإذاعة ويحترق الأوروبيين عموماً كل الجهود لتعليمه الإذاعة، مات بالفشل، مات بعد ذلك في حادث سير في الكويت ويصف موسى المسعودي الفله كان أحسن قارئ، أحمدر. جاء من القدس، كريم متلاف صريع عوان به مطلب واحد يحصل عليه دون مشقة كان مريحاً هجيباً من العارس والصعلوك» فابلهاء في جيف عام 1973، عبدالرحيم الرفاعي وأنا وكان قد طلق زوجته الإنجليزية وتزوج هولندية، وحصل على درجة الدكتوراه وأصبح أستاذ في جامعة بيدر نظروا إليه فلم يعرفه

الأول وملة، فقد فعل فيه لرمن فعله، إلا أطلال رسامته للافقة للطر، وأصداء بعيدة من صوته الجميل^١. ووصف مدير الإذاعة العربية مستر حوردون ووترفيلد بأنه «كان رجلاً صحيحاً بجميع المعاني، جسمياً، وعقلياً وروحياً، فيه ترفع الأرستقراط وتسامح الصان ورعاية صدر المؤرخ كان يستحق أن يكون مديراً عاماً لهيئة الإذاعة البريطانية بأسرها أو نائباً في البرلمان أو سفيراً أو وزيراً، لكنه لم يكن طموحاً ولم يكن يبالي وكان يصرف شؤون القسم العربي الكبير بلا كبير جهد ويهرع إلى قلعته في إيطاليا خلال أشهر الصيف يقرأ ويكتب وكان مع وقاره صحوكاً يعجبه مزاج عبدالرحيم الرفاعي لأنه مصري، ومراحي لأنه يعاملني كرميل له في مهمة الكتابة، فقد كنت بعض تراجم كتاباتي بدأت تظهر في لندن تلك الأيام وكان يعجبه قول عبدلرحيم الرفاعي أن بريطانيا وطنه القومي، ساحراً بذلك من الرعم اليهودي بأن فلسطين هي الوطن انقومي لليهود

فالطيب صالح فاحاً القراء العرب والسميع المتابعين بصورة خاصة مفاحاً أذهلتهم في أواخر سنوات المسين الماضية حين صدرت أعماله وانتشرت وما فتئت حديث كل لسان وبمئة كل علم وهكذا ملأ الأدب وشغل السمع، فأعماله قرئت في عشرين لغة حية وإلى جانب العربية تُرجمت أعماله إلى تسعة عشرة لغة هي الإنجليزية والعربية، والألمانية، والصينية، واليابانية، والروسية، لإيطالية، وإسبانية، والهولندية، والتركية، والبولندية، والرومانية، والسربية، والسلافية، والتشيكية، والمجرية، وبنماركية، والكورية، والعبرية، وتارلت إبداعه الأوساط لأدنة العربة والأجبة بالدرس والتحس واحتفت به أمم حموة. كما كانت أعماله الروائية مادة للدراسة والأطروحات الجامعية لسين درجات الماجستير والدكتوراه، حيث بلغ عددها ثمانني أطروحات لدرجة الماجستير وعشرات لأطروحات لدرجة الدكتوراه بالعربية والإنجليزية والعربية، وهكذا تربع لطيب صالح بعه الأصيل هي قمة العالمية حيث حثرو بجداره هذ انكم الهائل من لعاب البشر

أصوات

لا يزال أستاذنا الدكتور فيصل عبدالرحمن علي طه يتحفنا بكل ما يصل إليه من إصدارات جديدة. يسعدنا إصلاح القراء على مستحدثات الفكر السوداني ومتابعة الحركة الثقافية، ولا غرو فهو أحد مدتها البارزين يحتفي بها ويقدرها بمستوى عظم فقد أشرك في السمع بالسفر الرائع الذي حرره صديقه الدكتور حسن أبشر الطيب وأصدره في مجلد جد فاحر أبيض يليق بجلال المناسبة وبمستوى ما حظه كبار الكتاب والأدباء، أصدقاء الطيب صالح وعارفو قصته بمناسبة بلوغه السبعين.

كتبوا كثيراً عن الطيب الإنسان وصحباؤه. عن بيله ومروءته وشجاعته وكرمه والعباس، عن تواضعه وبساطته، وعن دعاياته وروحته المرحية. وتضمن الكتاب أيضاً لقاءين مع الكاتب ومقالات نقدية في عتبة العمق والتنوع والموضوعية شارك فيها نقاد عرب وأجانب.

الواقعي يتجاوز المتخيل

الطيب صالح

حين أشرت إلى الجسر الأدبي الذي برع فيه الطيب صالح بكتابته عن شخصية واقعية صحنه، ماناً وتوثقت علاقته بها في عقد سابق - عمل لا هو روائي ولا من حس تراحم كتابه مباشرة حية عن شخصيه واقعية طعت ذلك وقد كنت أحسب أنني أعود وشيكاً لأقرأ ذلك النص وأعوص هي أعواره بمعامره. فالطيب الروائي الموهوب لم يجد كبير صاء في الكتابة عن المصري. كان في معماره كمن يتناول مادته من قريب، لا بتلف كثيراً ولا يتعمّل ولا يستدعي حياله. فكل مواقف البطل كان شاهداً عليها من ومشاركاً فيها ويبدو أن الطيب كان أيف يتسلّى بروايات ذلك لرحل العربي ويمتنع بنصراته لشادة، وذلك بطبيعة القاص الذي يسعده الحروح عن لمألوف حين كتب الطيب صالح رائعته «موسم الهجرة إلى الشمال» ظلّ كثير من النقاد العرب أن مصطفى سعيد هو الكاتب نفسه يروي تجربته في ذلك المقال الروائي الفريد والمثقفون السودانيون حسبوا البطل أحد أرائيل الطلاب الذين ابتعثوا إلى إنجلترا وركزوا بصقة خاصة على الدكتور أحمد الطيب. فنجريه غير بعيدة عن قصة مصطفى سعيد المثقف السوداني الموسيم الذي يتزوج من بريطانية تدبّه الولايات - مثلما فعلت جين مورس - تتلاعب بعواطفه وتغشّل في التعامل مع عبقرية وتبالغ في الانغماس من همواته الصغيرة وفي مقاييل صحفية كثيره نعى الطيب صالح أن يكون لأمر كذلك فالإبداع ليس صورة فوتوغرافية من الواقع ومصطفى سعيد جمع في ذاته ملامح بعض الشخصيات ربما يكون أحمد الصب أحدهم حتى أنرى أخيراً لأستاذ على

أصوات

أوسن فأعلن أنه هو مصطفى سعيد لا غيره.

كان المسي أعرب من الواقع بكثير ومهما شطّ بك لحيال وجمع لا يمكن أن تتصور شخصاً واحداً يمكن أن يتميز بكل هذا النشاط والحركة والحيوية والتنوع. ويبدو أن لطيف صالح لم يفكر في لكتابة عنه إلا حينما مات بصورة مفاجئة بسرطان الكبد مثلما احتفى مصطفى سعيد فجاء محلف استشارات حول حقيقة مصيره. وعندما كتب قان في مثل هذا الوقت من العام الماضي توفي رجل لم يكن مهماً بموارث الدنيا، ولكنه كان مهماً في غرف ناس قليلين، مثلي، قبلوه على عواشه، وأحبوه على علاقته، رجل قطع رحلة الحياة لفصيرة وثبات وشغل مساحة أكبر مما كان متاحاً له، وأحدث في حدود العالم الذي تحرك به خصوصاً عظمة، حمل عدة أسماء، أحمد مسي يوسف، مسي يوسف بسطاوروس، مايكل جوريف، ومثل على مسرح الحياة عدة أدوار، حملاً وممرضاً ومدرساً وممثلاً ومترجماً وكاتباً وأستاذاً جامعياً ورجل أعمال ومهرجاً وبد على مله ومات على مله ترك مزرعة من مائتي هكتار من أجود الأراضي في جنوب إنجلترا، وقصراً ذا أحديقة، وحمام سباحة وأسطبلات خيل، وسيارة رولر رويس وكاديلاك وموسيدس وجاعوار وماركات أخرى، وحلف أيضاً مزرعة من مائة هكتار في ولاية فرجينيا بالولايات المتحدة، وبيتاً في واشنطن ومطعماً وشركة «سباحة» هذه هي الصورة التي ابتدئ بها لطيف صالح قصة المسي، وهي رواية واقعية من أحسن ما قرأت بطلها قبلي مصري جاء يتعاون مع قسم الدراما في هيئة الإذاعة البريطانية، حيث كان يعمل الروائي السوداني، النقي به وتوثقت بينهما العلاقات رغم الاختلاف الكبير بين شخصيهما، فالطيب طبعاً رجل شديد الحياء، جَم النواصع، بسيط وزاهد كصوفي لا يسعى للظفر بالدنيا ولا يبحث عن الأصواء ومواقع نحضة - مثلما كان مصطفى سعيد - والمسي شخصية ديناميكية جريئة لاتاني ممثلة بالحياة جاء إلى لندن في عام 1952. لا يملك غير معرفته باللغة

الإنجليزية يستخدمها ببراءة في مختلف المواقف ويال بها مأربه وبحقوق أهدافه عامر وبلاعب واستخدم «الأوصاف» و«المهلولة» حتى يستطاع الوثولح إلى جامعة بمربون ومن ثم انطلق في المجتمع البريطاني كواحد من أفراد.

وصف الطبيب صالح صديقه المسيحي بأنه كان مترهلاً بكروش صحمه ومؤخره بارزة - كأنه كرة شفت إلى نصدين - إلا أن وجهه كان يكسوه شيء من الوسامة، فلم يعدم سماء نجيبه، «عصمهن كن جميلات فارعات الطول، بدو قرما إلى جانب الواحدة منهن» تزوج فتاة من أسرة إنجليزية عريقة ينحدر أسلافها من سلالة سير توماس مور، الوزير الأول للملك هنري الثامن. فأنام الدنيا ولم يقعدده بالتباهي والافتخار بأصهاره هؤلاء. افتتح دارهم الموسوعة المكونة من طابقين فاستوى على الطابق العلوي «عالم دارلاً أمراً ماهياً» وقلب تلك الدار رأساً على عقب، يستضيف أصهاره من البشر، ما كان يحظر على بال البلاء الأرايب الراندين في قبورهم انصحة هي أطراف إنجلترا أن يروا أمثالهم. وحين يفتح لك الباب تزكمت روائح الملوحة والكهوية والكوراع والمسقة لم يكنف بذلك حين أحس بقوة مركزه الاجتماعي صاهر أسرة عربية موسرة أسف عليه كثير من نسائها وخرج مسعياً من تلك التجربة

مصطفى سعيد كان عبقرياً نابغاً منذ طفولته. من مراحل التعليم قفراً... كلية عردون بالقاهرة وأخيراً أوكسفورد، منذ البدايات الأولى كانت لغته الإنجليزية معجزة. بهرت أقرانه ومعلميه فلقبوه بالإنجليزي الأسود أصبح أستاذ في جامعة أوكسفورد ولا يزال في الرابعة والعشرين فتح له المجتمع الإنجليزي أبوابه فلم يفكر في المال والجاه، بل أحد يسعى نحو الجنس الذي ملأ عليه أقطار نفسه كان يعيش حجاب تشلسي وأندية هامبستد وميتدياب بومريري. يقرأ لشعر ويتحدث في الدين والفلسفة وروحانيات الشرق ويقد الرسم. يفعل كل شيء في سبيل إصطياد امرأة ثم لا يلبث أن يسرح بعيره بحثاً عن أخرى من بين فتيات جيش

أصوات

الحلاص رجميات الكويكر، ومجتمعات العائيس واجتماعات أحزاب الأحرار أو العمال أو المحافظين أو الشيوعيين يتحل لي كل مرة اسما محصفا، مرة حسن وتشارس وأمين ومصطفى وريتشارد. وحين عاد إلى السودان بعد قضاء عقوبه السجن لقتله جين مورس تسلس إلى قرية مسية في لشمال وتزوج من فلاحه بسيطة ذلك بعد أن حلف وراءه أسطورة الرجل الوسيم لأسود المدلل في الأوساط البوهيمية قال عنه ذلك الاقتصادي الإنجليزي الذي يبدو أنه كان يفتته «إنه كان وجهة يعرضها أفراد الطبقة الأرستقراطية الذين كانوا في سنوات العشرين وأوائل الثلاثين يتظاهرون بالتحزّر ويقام إنه كان صديقا لبورد فلان ولورد علان وكان أيضا من الأثريين عند اليسر الإنجليزي كأنهم يريدون أن يقوبوا أنظروا كم نحن متسامحون ومتحرّرون بهذا الرجل الإنجليزي كأنه واحد منا تزوج بنتا ويعمل معا على قدم المساواة»

تعرف المسسي على مجتمع الألب والنس مستحدا صديقه الطبيب صالح تارة، وأحيانا كان يقتحم الميدان وحده مستعيا بجرأته وبعنه الإنجليزي المطواعه وسكنه في شارع معروف في حي عريق ترعده المطمة النارية لأصهاره السلاء ولم تعوره الحيلة للوصول إلى عالم صموئيل بيكيت المعنى تعرف عليه وصادقه وأصبح ينقله ويأديه به سام»

حاء المسسي مرة للطيب صالح وقال «أصلهم ناويس يتجوا فيدم عن «لورس» تعرف مير حيمثل دور نورس؟ لك عسس في دور لعربي شاب، أما دور لورس بيعكروا في عمر شريف، وأنا ناوي ألقض اندور المحرج حيكون ديميد آخر ناعمي، وتاعمي وعدني يكلم أحوه هكدا بكل بساطة وعموية كان المسسي يتصرف، إلا أن الطبيب صالح قال إنه بقدر ما كان ممثلا بارعا في الحياة كان يفشل في الأدور السيمائية التي عابا ما يكون فيها «كوميدس» يستغرق دوره دقيقة أو دقيقتين، جرسون أو خادم، أو سائق تاكسي في القاهرة وكان رئيس قسم لدراما في الإذاعة

البريطانية يحبه وبعضه دور في أي تمثيلية يخرجها.. يستمتع بمعابثته وشتمه ويصرخ فيه يا واد يا بن أنت طول الوقت عمال تننطط وتترقص وأون ما يولع النور الأحمر ويبدأ التسجيل تهمد الله يحرب بيتك ما تحط شويه من الأوطط دي في الشغل!

إلا أن المعامرة الكبرى التي حاصها المسي كانت حين إستصاف مجلس لعموم البريطانيين في لندن المؤتمر الدوري لبرلمانات العالم فاقص بالوفد المصري مقدم خدماته، حجر فنادق ونسوق وعيادات أطباء حتى بات بالعمل عصوا في الوفد نوجه إليه بدعوات بهذه الصفة وحين عاد رئيس الوفد لأسباب طارئة حل مكانه بطريقته.. واستأجر بدلة السهرة أو استعدها، وتقدم ليحيى الملكة في صف طويل يقف وراءه محمد أحمد محجوب بقامه المديدة وسمنه المهيب وقدراته العدة وثقته المعروفة. أحد المسي يتحدث إلى الملكة ويتحدث حول مهامها وحياتها العائلية وتربيتها لأطفالها استمرت المحادثة وقتاً طويلاً لا يتعب فتحرك ذوق أديبه وجدته من دراعه برفق. ثم تمر المسألة كما اعتاد المسي أن يحرج من المأرق كالشعرة من العجين وفي أول صباح بعد المحادثة أحاط به رجال الأمن مرودين بكل صغيرة وكبيرة عنه واتهموه بأنه عميل للمخابرات المصرية. بينما اتهمه الجانب المصري بأنه عميل لبريطانيا. وبعد تحقيقات واسعة تبين أن هذا الشخص إما أحمق أو محبون لا يدري ماذا يفعل.

مصطفى سعيد المتخيل ظل انطوائياً يشعله نشاطه العاطفي والمسي الشخصية الواقعية إستخدم كل ملكاته وأساليبه ليصل إلى أهدافه، كان منه الطبيب صالح إنه كان صديقاً دائماً على مائدة الحياة وحين التقى به لأول مرة حاول أن يرشوه بجوارب من نوع رخيص بعد إستضاع الكاتب بقدراته العدة أن يصمم المسي إلى عالمه الإبداعي الفريد.

6 نوفمبر 2001م

المجدوب، يلود بمررعة الحرية



عشر المجدوب على فردوسه الأرضي في طفولته حين عاش فترة منها في
مررعة على شاطئ، النيس ظلت تلامحه تجربته طول حياته بعد أن تركت فيه
أثر لا يروى وحد فيها حريته التي نمت أن صامت وتبددت لدى التحانه
بمؤسسات التعسف والتصييق الرحر والأوسر. والطام والاصباط دحل
الحوة حرياً باكياً وحين حاول الشيع تألعه بتمرات رماها به، لا أنه لم يلبث
أن استكان حين رأى حواراً مقيداً بقسوة ووقعت عيناه على عصا السلم المخيفة.
لم يجد مفر من الحفظ والمواظلة وأصناف المررعة لاعتاد اداعب خياله ونشر فيه

حائناً دافقاً بهربه المحصرة والحصاد وجمال الحيوان وحرية الطير وتلك الأعشاش المتقنة لصناعة وأصوات الليل عاش مع أقربه هؤلاء الذين وصفتهم بأنهم لم يكونوا يعرفون إلا الأرض والكد ولصحك والبساطة وقال إن ذلك كان عمراً حقيقياً له حيث كانوا أحراراً وتعتمد مهم الحرية وقد نشأت معهم تولوا قريتي وخدمتي ولن أسى حنوتي صاهي أسية وأحبا الصور. ولصبر وفرح الله ممن كانوا يلودون بتلك المزرعة».

حلبت ليه انحرطوم حين إنقل إليها صغيراً وأحسن بجاذبية بها شديدة العسوة وعدم قدرُح في المراحل الدراسية شهد في كلية عربون التذكارية لوحات على جدران الفصول.. ذكر من بينها لوحة الموناليزا وذكر مستر لين، الذي أنشأ أول جمعية للفنون شارك فيها مبارك رروق الذي كان يرسم وجوهاً حسان بقلم الرصاص والحرير هاشم الذي كان يستخدم الأقلام الملونة والألوان المائية، وقد أحب مستر لين هذا ووصفه بالإيجليري، الفاضل لإسائته ولين عريكته. كان المجدوب يتمنى لو كان رساماً وقد بدل جهوداً جبارة لتحقيق هذه لأمية، حيث أنه التحق بعد فترة طويلة - وقد تقدم به العمر- بالمعهد الفني ثم عاد والتحق بقسم الدراسات الإضافية. حيث تلقى دروساً في الرسم على يد السيدتين خريزدا لطيب وفاطمة عبدالفتاح، وحضر محاضرات في سدوق الفني قدمها الدكتور أحمد الربيع صغيرون. وحدث المجدوب عن أول معرض أقيم في السودان أقامه مستر لين عام 1926 وقد رسم هو لوحات لحسانات أهدها لبعض أصدقائه الذين ربيوا بها صبرلهم، إلا أن أفضل مشهد في رآه وأعجبه في ذلك الزمن البعيد فقد حدث أمام الحمانية أدار القصاء «ال» حيث وقف رجل «برندي حلاية دبلان لها باقة كحلاليب لحنسية» وليس عمامة مصممة لا حدلقة فيها، أميل للبدانة، مجتمع الجسم، لو فت إن لوبه بي لما كنت دقيقاً كان أحضر فاتح المحصرة نصب خشبة مربعة لها قوائم

أصوات

فرش عليها ورقة بيضاء ثقينة، ثبتها بدبابيس صغر، يرسم بقلم الرصاص امرأة واسعة العينين، مشلحة، وممتلئة وممشطة تتكبر على معدة، وتندحب فركه، حصرها بحبل وردنها تعيل فؤادهاشتي قدرة الرجل في ذلك الزمن البعيد «البعيد» كان اسم ذلك الفنان علي عثمان أو عثمان علي - لم يقطع المجدوب الشك - إلا أنه كان مشهوراً وفندك. يقول إنه كان يعمل في مصلحة لسكة الحديد وقد انتشرت أعماله المبنية ملأت جدران المقاهي، وكان يرسم شيئاً حفظه حقاً فهو يسجله مسجلاً دقيقاً كان رسمه كشعر «الحقبة» يجسم المرأة المحجوبة ويكرر على مواضع بعينها، ويرى المرأة لا يراها ويتحدث عن العفاف والنصون وانكتمان فإذا جاءت الحرب صارت المرأة قائداً للأسطول أو عباً من الشام ومن الغريب أن يستمر بعض الشعراء في هذا حتى الآن.

كان الفنان جمعا بأم درمان يعمل مثل ذلك وقد اهتم برسم امرأة بشكلها التقليدي لتاريخي ذلك الذي يرحي إنيك كأنها إحدى الكسافات بشلوحها وصفاثرها وحمال تناطيعها وامتلانها

كان الشاعر محمد المهدي المجدوب يتحدث إلى لشاعر عبدالرحيم أبودكري في حوارية ثرية مسرتها الصحف في إحدى سنوات السبعين من القرن الماضي تجد فيها قدرات المجدوب في التعامل مع النثر وأطر ذلك الحديث كان مسجلاً - أي بلغة الكلام وليس بلغة الكدبة - وكما قبل ذلك معويين بمقدمة ديوان «دار المجاديب» ثم بمقدمة «لشراة ولهجرة» ولما كتب قد سهرت تلك الليلة مع ملفات المرحوم عثمان حسن أحمد فقد عثرت على ملف يحتوي على بعض فصائد الشاعر ومجموعة من مقالات وكتابات نثرية قد جلب في عالمه لشري رعم محدوديته حيث لم يتجاوز بصع مقالات ومقدمات لدواوين شعرية

ومن أفضل ما جاء في تلك الحوارية رأيه النقدي في الشعراء لتجاني يوسف

بشير، والناصر قرب الله، وذلك حين سأل أبو دكري عن الأساس الموضوعي لتعصيله الناصر على التجاني فجاءت إجابته بسيطة وسهلة، أقرب إلى الملاحظات الصائبة من النقد الصارم المحدد إلا أنها مشحونة بالدلالات والمهم العميق لجمالية الشعرية وحسب سبيلها فقال «التجاني شاعر عظيم حالد، وقد كنت ذكرت في مقالة سابقة أنه لم يكن منصوب بل شاعراً حياً ولكن ثقافته وشأنه في أسرة دينية أملت عليه مظاهر صوفية انعكست على شعره وحين حاول الخروج عن مستوى شعري آخر رماه النقاد بالعموصي ولقد كان يجيد ما يعرف بحادة متمردة.. نقد حاول الصورة الشعرية ولم يستمع إلا بماك بها.. كان يحاف من الحياة، ومن الذي لا يحاف من العجز والضرورة، خصوصاً إذا كان عاري الأعصاب كشاعرنا العظيم التجاني مديك بالمرارة، عالماً بأنه عبقرى صانع وقد كتب شعر يحسه لا يصدره فيه أحد.. وشعره الذي تنعكس فيه ثقافته الدينية كان حديث حيران مع نفسه يريد أن يعرف موقعه في العالم ومصيره كان يعوص في أعماق نفسه ويستحلي حواطره ويأمن عرله في ثقافته ويتشهى ما الناصر فكان يميل عييه حوالبه في شجاعة من لا يبالي بالعواقب، ويعرف في حرارة وسماحة وقد شهدته في أيامه الأخيرة ثم أرتجع منه ولا أكثر نهالاً وإيماناً بالحياة ولت أن تمارن بين أشاعرين عظميين في شعر الطبيعة، وهذا باب به خطره في الشعر التصويري.. نعم أرحو أن تقارن بين قصيدة التجاني في توتي وشعر الناصر في طبيعة عرب السودان سوف يبين لك أن التجاني كان ذكياً بليداً والناصر صناداً قدرة على الحب وكان التجاني شديد الاهتمام بشعره عاكفاً عليه عارفاً بقيمته مدافعاً عنه متحرشاً بادعاء الشعر ولم يكن الناصر هكذا فقد كان الشعر عنده يحفظات يعيشها حقاً ويمتدح فيها بالطبيعة والبس ولم يتصرع للشعر وكان صوته ناصعاً مبيتاً بالوداعة والعدوبة والمصيب ولمح أيضاً وكان التجاني هادئاً صامياً الأسلوب في شعره متمرد في هذه الساحة مع تأثره بشوقي، وليس هذا عيباً وغيره من الشعراء كان

أصوات

كذلك، خصوصاً حمزة الملك طمبل وصاحب «الشاطيء» الصخري^١ وقد اشتهر التجاني في مصر أولاً ولعل قده إمام إخواننا المصريين بالشعر السوداني في ذلك زمان كان سبباً في دهشتهم أن يكون مثل هذا الشعر قاله شاب سوداني من أم درعان ومازلاً يؤمن بالشهادات من الحارح ولا أدري متى يزور هذا ويتولى أمر أدبنا بأنفسنا حتى يعرف سادات المبدعين حق المعرفة.

لقد أحرر ديوان الناصر - وهو معاصر للتجاني - ولم يتأمله القراء كما ينبغي ولذلك أنكروا قوله إنه أشعر من التجاني وأعرف نفراً يشيدون بشهرة شاعر على السماع قبل أن يقرأوه لقد إمتار الناصر في جعلته باستقلاله وعجلته في كتابة القصيدة. رامت التجاني بتصعية أسلوبه الصافي في أبيات معدودات.. اني أحب التجاني حباً لا يوصف.. مع الاشفاق عليه والبكاء والاحترام والتوقير، كما أحب الناصر الذي صاحته فترة غير قصيرة وأعبد نفسي من التحير لأنه لا يسعني وللناس رأي والتحير غير منبول في أمر في الحقيقة أن الشاعر نفسه هو الذي يحدد موقفه لقد رأيت رأي رفعة الكثيرون قبل أن يقرأوا الناصر قراءة حقّة ولا عجب فقد هاجم أشياخه حماة اللغة حمرة الملك طمبل قبل أن يمهروا قصيدته.

في محاصرة قدمها نافذ سوداني مصرح قبل أشهر قليلة بالمجمع الثقافي بأبوظبي وصف الشاعر المعجود بانمجون ويقسي أنه قد تحسّى عليه وأقرط،

فالرجل كان محباً للحياة مقبلاً عليها شديد الصراحة والسحرية من نفسه ومن الآخرين. وقد رأي البعض أيضاً أنه قد أسرف في حسيته عندما وصف تجربته في الجنوب في قصيدة «انطلاق» فإد قرأنا ما قاله عن نفسه يرول كثير من الالتباس «هل أنا متصوب؟» لا أعرف كيف خلعت الصوفية عليّ، قال الأصاذ عبدالمحيد عابدين إسي شاعر لأمل الحسي وأنت ذكرت الوثنية أنا

١ حينئذ منصور الشاعر المصري الذي أقام بالسودان مدرسا

قصبة الفضاء عدي فهي السحت عن إسان سوي أم الحسبة في قصبة
«الاطلاق» فقد قلت لك إنني عشت في مررعة على شاطئ ليل قبل
دحولي إلى السولة الصرمة- المظهرة

وعندما نلت إلى السوب استعدت حريتي الأولى نلت. لست صوفياً وطريفة
مشدحي هي شدلية ولا يهدون بها إلا لحناء مستقيم عفيف. وكبي كت
أميل إلى حكمة القادرية ذات لطول والسوبات.. نقايرهم رقصهم وهو بعينه
يدع حلفة الذكر والكرب في الجربة وعجت كيف طال بحثا عن أمر العمع
وأندهم باقية في هذا الرقص والإيفاع وتعرف انتشار القادرية في الصعيد،
ولعلك شهدت حلفاتهم هناك.. دراويشهم يلبسون ابودع والجلود. وقد نعت
في قصبتي «الاطلاق» هي من العرب شعفاً بجمال السوب وبساطته وقوته
وعنده المباشر بالحياة وقد عدي أحد النقاد المصريين من السحبيين والأمر
له من قبل ومن بعد.

رسائله إلى ديزي الأمير

محمد المهدي المجدوب

تحدثت «عثة الإجليزية رورماري» عن الشاعر السود بي محمد المهدي المجدوب قائلة وبك لا تعرف مدى تأثير هذا الرجل عليّ . إنه امتلك خوانحي واستلب عقلي لقد قتلتني وأنا أحشى أن أرفع أمامه حين ألقاه فهو أشبه بالقديسين سكن في داحله بركان، ورغم أن صورته حلوة هذئة، لكن ابتسامته ساحرة لقد أبغضني أنه تعلم بالسودان ولكن يبدو لي وكأنه يحتوي العالم بين يديه . إنه قوة جارفة ماذا أفعل ؟ كانت تلك الصلة التي تلقى بالمجدوب بعد إلا عن طريق رسائل حارة ملتهمة محتشدة بالمعرفة والتأمل والعكر العميق

كان المجدوب قد كتب إلى صديقه علي أبوس يطلب منه أن يختار له امرأة تكافئ «أريد امرأة تكسب إلي . بس الثلاثين والأربعين . تكون أما وحيية عرقها بأحوالي جميعاً والأمر جد ولا يحتاج إلى مزيد من الشرح ويحسن أن تكون وحيية محرونة مثلي (تصوراً) تحسن الكتابة والوصوح والصرحة، وتكون ذات فهم عميق . عسى أن يعمسي ذلك في تنظيم نفسي أحذر أن تكون قبيحة أو سمينة أو عجوزاً ولا فالويل لك، أريدها مشوقة خفيفة الورد رقيقة وسأكتب إننيها لن أخفي عنها شيئاً ألا ترى في خطابي إنني في حالة سيئة جداً أحد المجدوب يكتب بانتظام إلى الأنسة رورماري في لندن بلغته الإنجليزية الصحة حول الأدب والفن والفلسفة والأخلاق وعن سيرته الذاتية وانطباعاته العابرة حداً ومارحاً . ساحراً ومتبرماً . لا يتعثر ردوده غير المستطمة إلا أنه بات يتحلل ذاتها ويسمو في شرايينها بطريقة أودت بها إلى نهاية مأساوية

كنت ديري أمير الكاتبة والقاصة العراقية في مجلة «النقاد» العدد (78) الصادر في في ديسمبر 1994 تشكو مراراً من تصرف الناقد المصري رجاء النقاش فيما يتعلق باستيلائه على مجموعته هائله من الرسائل طبعاً يبعث بها المجدوب إلى ديري - طيلة سنوات - حتشت بكل تجاربه وملاحظات في مختلف مجالات المعرفة وتأملاته وآرائه في الحياة في الناس بلعته الشاعرية لأسرة

كانت ديري الأمير قد لتقت بالمجدوب في بيروت حينما كان عائداً من مؤتمر الأدباء العرب الذي انعقد في القاهرة في عام 1964 وكان ذلك أثناء مأدبه عشاء أقامها الملحق الثقافي السوداني المتميز صرار صالح صرار لعدد من الأدباء كمن المجدوب والذي كان أمياً عاماً لإيجاد الأدباء السودانيين وقدك سحتم تث لسله بلا مارع بلطفه الذي شمل كل الحاضرين ويحدثه لشيق وثقافته ابراسعة وبياقته المعهودة

ومن جانبها وحهب ديري أمير - التي كانت تعمل بالسفارة العراقية في بيروت - دعوة أيضاً لعدد من الأدباء من بينهم صرار والمجدوب اندي مدد فترة مكوثه بالعاصمة اللبنانية.

بعد عودته إلى الخرطوم بدأ المجدوب يبعث بالرسائل إلى ديري الأمير التي لم تشأ أن ترده عليها لإعتبارات كانت ترها، منها سلوكها المحافظ المخرمت الذي يرى في كتبه إلى لرحاب خروجاً عن مألوف التقاليد إلا أنه التقى بها في القاهرة عام 1968 خلال انعقاد مؤتمر الأدباء وعانته بموده ولطف وتواضع، ومن ثم طشت أب سبل الرسائل سيقطع إلا أنه سماع بأقوى مما كان. وفي اعام التالي إبعثت أعمال المؤتمر في بغداد. وكان ناحياً جداً أصغى عليه الربيع روميا بالإصافة إلى كرم انصيااف العربية الذي أناح لمن أراد من الأدباء انبعاء في بغداد لفترات طويلة وظلت أحداث ذلك المؤتمر مادة دسمة لرسائل المجدوب بعد عودته إلى السودان فكان يكتب إليها عن لأدباء لذين راقوا له

أصوات

والدين لم يعجب بهم بأسلوب راق ومهدى كما كان يكتب عن تجارب طمولته وشبابه وبصالة السياسي مستقداً بمرارة الجواب السببية في وطه

ثم لم يلبث أن بدأ يكتب إليها عن حياته الخاصة وعائلته وصيقه وتبرمه بتقاليد اجتماعية لا يؤمن بها. أدركت ديري الأمير عمق شاعرية المجدوب وصدق تجربته وروح الصداقة التي ينحلى بها إلا أنها كانت تتساءل عن سبب إحتيره لها ليعبر عن همومه الذاتية والعامة، وما يحتلج في أعماقه من إهتمامات سياسية عالمية ومحلية وتراثية وشخصية وعاطفية. وعندما علمت أن بعض صديقاتها يتلقين رسائل مماثلة من المجدوب تحففت قبلاً من حساسيتها بالبحرود

كانت ديري الأمير قد تعرفت على الناقد المصري رجاء النقاش وشأت علاقة وثيقة بين عائلتيهما والمعروف عن النقاش أنه كثير الإهتمام بالحياة الخاصة للأدباء وخاصة أولئك الذين يربح في الكتابة عنهم وكان يلح عليها أن تضعه على أي رسائل تلقتها منهم وكانت لا تلبى رغبته تلك حتى لا تكون طرفاً مع من يتناول سيرته، وهي دت مره طالبتها بالتحديد برسائل المجدوب وألح عليها حتى رضخت على مخصص بعد أن تحدثت عن الظلم الذي حاق بالشاعر وتم يجد من يكتب عنه ما هو جدير به. كانت ديري الأمير تحبشى أن يتعامل النقاش مع رسائل المجدوب كما فعل مع رسائل أنور المعداوي الناقد المصري الراحل التي سلمتها إليه الشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان، ويبدو أنه كان قد علق على رسائل المعداوي بصورة لم تسر الكثيرين بمن فيهم ديري الأمير.

استمرت رسائل المجدوب تترى على الكاتبة العراقية حتى رأت أخيراً أن ترد برسالة قصيرة مقنصية للشاعر تشكره على ثقته بها وتزجى تحياتها لزوجته وأولاده الأمر الذي أثار حفيظة المجدوب واعتبرها إهانة وواصل كتاباته المكثفة متناولاً هذا الموقف

بعد وفاة المجدوب استنف القفاش اتصالاته البريدية والهاتفية يطالب بالرسائل التي كانت نحشى عليها ديري لأمير من الصياغ في البريد بأن الحرب الأهلية اللسانية وأخيراً يصطاع الشاعر بلد الحيدري، أن يمنع ديري الأمير بعد أن سحر من محاولتها- بشحن تلك الرسائل إلى رجاء القفاش عن طريق العاصمة البريكانية لند تسلم القفاش الرسائل وكتب يشكر الكاتبة العراقية إلا أنه ظل يحتفظ بها منذ ذلك الوقت الذي امتد حتى الآن إلى أكثر من ربع قرن دون أن يشر في أي شكل من أشكال الكتابة أصبح القفاش يتصرف بصورة عريية منذ ذلك لحين مع ديري الأمير التي قطع صلته معها وروت لكاتبة أنها عندما عادت إلى بغداد في منتصف الثمانينات التقت به مصداقة في هو هدى الرشيد وسندت عليه المصداق حتى لم يستطع أن ينعادها ولكنها نادياً لم تنطري إلى ما ساء من تصرفاته ولم يعاته رعم الصداقة الوطيدة التي كانت تسمح بها بدت. ووجهت إليه دعوة لتناول العشاء أو لعشاء موعد بالاتصال لتحديد موعد في إطار برنامج ريارته. إلا أنها فوجئت بمغادرته بغداد صباح اليوم التالي مباشرة إلى القاهرة

أحست ديري الأمير بالإحاط والدم الشديد لتعريضها في رسائل المجدوب وعدم استباحها للاحتفاظ بالأصول لأنها أرسلت إليها هي ولم ترسل إلى رجاء لعماش لدي حيث بوعوده ولم يوطف تلك الرسائل هي اكتانه عن الشاعر السوداني بل ظل يلود بصمت مريب محتفظاً بأشبء لا تحصى

حين قررت «دار الطليعة» نشر رسائل الأدباء إلى أصدقائهم كتب الدكتور بشير الداعوق إلى ديري الأمير يطلب منها إرسال أية مجموعة تمتلكها فأشارت إليه أن ينصل رجاء القفاش ليرسل إليه مجموعة المجدوب التي أسولى عليها ولكنه رفض أن يرد على الداعوق. وظل الأمر كما هو حتى الآن ويبدو أن هذه الرسائل ستصبح إلى الأبد وبصيص معها تراث ثري لا يقدر بشئ من يدع اشاعر المجدوب.

أصوات

كان للمجدوب يمتلك طاقة عاطفية هائلة وكان صديقاً وارف لظل يحيط
بصه بالأدباء والمثقفين - وخاصة الشباب منهم - ينتفي بهم في جلسات طويلة
تجمل بدعائمه وتعيمانه الساحرة ومرحه المياض إلا أن المرء كان يلاحظ فيه
حزناً دفيناً وتبرماً بالوجود - لدي كان عميق الإحساس به - تجلى ذلك في كثير
مما قال في لقاءات ومقالات صحفية

كان يصيق درعاً بتردي لأوضاع السياسية وفشل لزعامات وييدي قنوطاً وأسأماً
يحيط به من تقاليد متحلفة ويبدو أنه كان يرغب في تبديد يأسه وحزنه بالكتابة إلى
بعض الذين يأنس إليهم ويهمو

• قرأت في وقت لاحق في إحدى الصحف اليومية مقالة للكاتب النقاش
حول الشاعر المجدوب

الائق الأفريقي واللغة الباهرة

جمال محمد أحمد



كتب جمال محمد أحمد بلغة ذات ألق وبهرة ، كانت معررته تأتي جديدة كأن لم يكن يتداولها الناس ولم تترحر بها المعاجم ، كان يشحن كلماته بدلالات جديدة تحتصن في يسر أفكاره ورؤاه فيتلاشى الشكل في المحتوى يبرر نفس إبداعي مخير

جمال كان عجباً متمهلاً في كل ما تجده عنده، وصف مرة محمد إقبال الشاعر الباكستاني العظيم فقال «عدوبة مصادر لهامة أعطته قدرات على ليسر، أيسر الألفاظ تأتيه طوعاً، لا يملكها إلا من بدر نفسه لمعرف في شعره وفصوح وإبانة» كان عجباً رؤى التجاني، «وعبدك يا جمال»، وكان عجباً مذاق العازني «هل حباك الإله بالحسن»، كأنه يصف نفسه حين يكتب عن إقبال بلا شك فقد كان جمال يتقرى الكسمة بيديه يتحسسها كأنما يعجن صلصلاً ويشكل حين ترجم «أفريقيا تحت أنصو» جديدة

أصوات

لنازل ديهيدسون ترجمة تحرم بأنها أعشى أسلوباً من الأصل أضاف بها إلى إسهاماته الكبرى في الحياة الثقافية تسميت بوفرأها جميع الناس كتابة تثرى الوجدان وتعمق الإحساس بمعظم أفريقيا الكتاب يتناول أفريقيا جنوب الصحراء لا أشمال العربي يجد السودان فيه مصيلاً تاريخ مروي الذي هو نقطة الانطلاق لتاريخ حضارة القارة. تقرأ وتنسى ألا نخرج من مطالعه ما تراه عيبك. يجسد المعاني فتتفجر الكلمات لتلف الأحاسيس جميعها كأنك ترى وتلمس وتسمع وتشم الشدي والعبير بذلك الماهي القليل

كان صاحب وعي أفريقي مبكر عاص في وجدان أفريقيا وكتب عنها بمحبة ووهاء استعرض كثيراً من تاريخها ورموزها من العظماء كما لو كان شريكاً في الذي حدث جاء من أقصى الشمال واستحق بكلية عردوس وشارك في حياتها الثقافية والاجتماعية وأصبح رئيساً لرؤساء الداحيات فيها وعندها تخرج عمل بالمدرسة الأهلية الوسطى بأم درمان وتحدث حي بيت المال سكناً

كانت الحركة الوطنية في بواكيرها وفكرة مؤتمر الحريجين تراود المثقفين فانعكس في ذلك النشاط وشارك في إعداد التصورات الخاصة بأهداف المؤتمر وأبدى نشاطاً لمت الأمطار واستطاع أن يمزج بثقة الجميع ولم يبدأ العمل بتشكيل اللجنة التمهيدية ثم إحتبته مقررأ لها كان لا يزال في الحادية والعشرين من عمره ولكنه أدى المهمة بكفاءة عالية ونال أعجاب الحريجين جميعهم وشاءهم

كانت مدرسة أبوروف الفكرية التي تطورت فأصبحت قيادة بحرب الإتحاديين هي أقرب المدرس الفكرية إلى نفسه وقلبه فقد كان صديقاً لجميع أعضائها، يلغاهم ويشارك كثيراً في نشاطهم ولكنه لم يستطع في عصراً كامل العصبية كما أنه لم يكن عضواً في جماعة القوميين رغم ما كان يربطه من صداقة بجميع أعضائها ولم يصبو في عصبية الحزب الوطني الإتحادي. وفي الوقت نفسه لم ير بأساً في قبول وظيفته امترحم للجمعية التشريعية التي عارضها الجميع عدا جماعة الأسفلانيس كان لا

نعم كبير وزن لظنون ولاقوئل.. يفعل ما يريد بلا مجاملة ويتصرف بما يشع بصحة، كان يحب أن يطلق حر حاملاً فكره ورايه.

قال عنه الطبيب صالح إن حدثه كان ودوداً وطريقته عجيبة في الحديث ينسج غلاله رهيبة من المنجبه ويخلق مباحاً من الإلهه يستحضر أصدقاءه المعانين ويداعب الحاضرين ورغم حرارة علمه وتوقد دهبه ورخابة آفاقه المكربة فانه لم يكن يتحدث عن شناعة الأدب إلا نادراً، وإذ فعل يلقي إتيك بالأفكار العميقة جراً في لسانه كلامه العادي كان إنساناً جذاباً إلى الدرجة التي باتت غير قليل من حواريه يقدرون طريقته في الكلام والتمشي والسلوك كان في سلوكه على سجيته تمام لا يفعل شيئاً لا تألفه نفسه وحتى عندما كان صغيراً لم يكن يفعل ما يقوم به «سفراء عادة» من مجاملات كالمسلمات في المطار وزيارة المرضى في المستشفيات. وقد تمّ سببه في سجن ثلاث مرات، في كل مرة يحدث شيء يقطع عنه إقامته وفي المرة الأخيرة جاء أحد الوزراء في زيارة خاصة فأرسل من يستقده في المطار ويدبر أمر إقامته بأحد الصديق وكفى بذلك ولم يره ولم يسأل عنه وعاد الوزير الحظير إلى الخرطوم عاصياً وأقبح الحكومة يقول جمال من مصيبه، ويستطرد يعيب صالح في حديثه الضيق عن الرحل ويقول «كان جمال مسيح وحده بأدق معاني الكلمة، في حياته وفكره، وكان أسلوبه في الكتابة من الأساليب المعبرة في الأدب العربي المعاصر يمكن أن يوضع جنباً إلى جنب مع طه حسين وأحمد ركني ومصطفى صادق الرافعي والمدني والمسعدي، إذ كتب حلو عالماً طريقاً مدهشاً تتماوح فيه الأصواء والظلال والابتسام والسحرية وتفكر والأحاسيس شأن كل أدب عظيم».

أما روبن هود حكي² فقد كتب مقالة جاء فيها 'كيف تأثي لجمال محمد أحمد أن يصبح ككاتب بلاطع لا يشق له عباء، ودبلوماسي ناجح، ومستشار حكيم لعدد من رجال الدولة من الإنجليز والسودانيين؟! لقد كان رجلاً أنيساً ودوداً بكل من صحبه،

2 ترجمة بدر الدين خالد الهاشمي، صحيفة لأحداث 3 هـ 2011

أصوات

وروي قصص عظم الموهب كان بروي القصص الممتعة والحكايات المشوقة وهو يقد من يحكي عنهم بحركات تمثيلية تكشف عن سماتهم وتهيأتهم، وتثير عند من يسمعه ومشاهدته الضحك والسرور وتشمل أيضاً كان جمال أيضاً ميرة عقيمة أخرى ألا وهي قدرته الفائقة على الإحساس بالمتعة عندما يسعد الأطفال ربما كانت تلك الصفات محبوبة في دوحل الرجل ، بيد أنني أراهم أنها نصحت بما في مسوقه ، الأخيرة هي إنجلترا، خاصة وهو يدرس على يدي لبروفيسور السيدة تيل في جامعة إكسترا

نقد أخرى جمان محمد أحمد «حياة الأدبية والثقافية بعدد من المؤلفات والترجم والبحوث في مجالات الأدب والفكر و دبلوماسية ونشرت له عدة كتب منها «مطالعات في الشؤون الأفريقية» (1968)، و«سالي فوجمر» (1970)، وهي المسرحية الأفرسنة» (1971) و«وجدان أفريقيا» (1972)، و«عرب وأفارقة» (1977) وهي الدبلوماسية السودانية» (1985)، و«الحدود الفكرية بقومية انصورية» باللغة الإنجليزية - (1961) كما صدر به ضمن كتاب «بحوث أفريقية» «انصوري» الذي في القطة الجزائرية، 1967 بكلية نيلو / أكسورد وبحث متميز عن العلاقات العربية لأوروبية (صدر عن مؤسسه كوراد أديناور بول (1982)، وأصاف للمكتبية العربية معرباً «الدولة الاتحادية»، مادس وحاي وهامتون (1959) وكتاب بازل ديفيدسون «أفريق تحت أصواء جديدة»، (1961) وله «ولايات النيل المتحدة والثقافة الأفريقية المعاصرة» عمل جمال سكرتيراً لدار الثقافة ومستشاراً ثقافياً لمجته «حور»، وعصواً بهتة مجته «لتاريخ الأفريقي المعاصرة»، وعصواً مؤسساً لمركز الدراسات للوحدة العربية ومحظوظ ومشارك في الكتابة للمجلة «النسيان» السودانية في لفترة ما بين (1946-1949)، وعصواً مؤسساً للموسوعة لأفريقية (1962)

وكان جمال قد تولى سكرتارية الهيئة الستينية لمؤتمر الحريجين عام 1936. وقد تمثرت مساهماته في مركز دراسات الشرق الأوسط «هارارد» ومعهد الدراسات

الأفريقية ولأميوية السودان والمعهد الأدبي لدراسة اللغة العربية

ولد جمال محمد أحمد في عام 1915 في سرة نرق - إحدى قرى وادي حلفا التي ابتاعها النيل، وقد بكي عليها كثير وتصعب ورنائها بشاعر صادق ثم أطلق اسم قريته منه على داره العامة بالخرطوم إحياء لذكراه

وبعد أن أكمل تعليمه لأولي والأوسط في قريته في وادي حلفا انتقل إلى الخرطوم ليواصل تعليمه في الكلية التي تميز فيها على أقرانه بالمصاحبة وانحلق الغويم حتى أصبح رئيساً لرؤساء الدخليات وبعد أن أمضى فترة من الزمن بالمدارس لوسطى في أم درمان تم نقله إلى معهد التربية ببخت لرخصا- الذي كان يختار النوايح للعمل فيه حيث شارك في تفجير الثورة لتعليمية في سنواتها اللاحقة. وفي نهاية الحرب العالمية الثانية سافر في بعثة دراسية إلى بريطانيا التي عاد إليها لتمره الثانية لدراسات العليا في جامعة أكسفورد. وبعد عودته إلى السودان حازته كلبه الخرطوم الجامعية عميداً للطلاب وفي تلك الفترة- اتسع نشاطه الثقافي والفكري فقدم المحاضرات والبحوث وتحف الصحف السيارة بمقالاته العميقة وخاصة صحيفة الأيام، حيث كان يمجها بتوقيعه «عارف سعيد» وبعد استقلال السودان وقيام وزارة الخارجية ولج أبواب الدبلوماسية فأصبح سفيراً لبلاده في العراق وسوريا ولبنان والأردن وتركيا وبريطانيا وأنولابات المتحدة الأمريكية وأثيوبيا، وبرر في تلك العو صم دبلوماسياً ناحياً وأديباً معروفاً ومحدثاً معروفاً تحنفي به لأوساط الفكرية والثقافية في حبه وترحاله ونسرح في مناصب وزارة الخارجية السودانية فأصبح وكيلاً ثم وزيراً، كما كان أول رئيس لاتحاد الكتاب السودانيين.

طلت حياته عامرة ثرية، دافى الحيوية متوقد الدهن يقرأ ويكتب بهم ويقبل على مسرات الحياة ويستقبل أصدقاءه ويسعدهم بعزير ثقافته وثاقب فكره وبأرائه السيرة وروحته المدة إلى أن وافاه الأجل المحموم في عام 1986- عليه رحمة الله

الباريح السود بي في بصوص بورحبس



29 مايو 2001م

يعتقوب المربص، الذي كان أكثر حكام السودان قسوة قصي نحه في قصره في اليوم اربع عشر من قمر برمهاات عام 1842 تاركاً البلاد لصراوة جبة الصرائب المصريين، وهناك من يرى أن عبد الرحمن المسعودي قد قتله إما بالسم أو الحنجر وديما نصي بصورة طبيعية حيث إنه تسمى بالمربص وقد روى المسعودي المراف للقبطان ف برتون عام 1853 وقائع القصة فقال «إنه نتيجة للمؤامرات التي حاكها أحي إبراهيم- مع الوعود الكاذبة بالمساندة للرؤساء السود هي كردون الدين صلوة- قاسيت لأمرين أسيراً في قلعة يعقوب المربص».

هكذا بدأ الكاتب الأرجنتيني المعروف حورحي لويس بورحبس قصته «مرأ

«سحرة» التي قرأنا ترجمة لها بالعربية «شرب أحيراً»

لا سبيل إلى التعامل مع هذه القصة التي يتبسها أسلوب بورخيس المتشبع بانواقية السحرية إلا بتجريبها من النظرة النقدية التقليدية الصارمة للنص فإني يدهش حقاً ونحن بصدده الآن ليس سحرية النص، وإنما وقائعه التي جرت في منتصف القرن التاسع عشر وفي موقع جغرافي أنه لا تحيط موسوعة بورخيس مهما بلغ مداها.

يجعل النص تتأمل في كفة الوصول إلى تلك المصادر العنصرية حتى على ساحل المحنصين عن تاريخ السودان وبوطيعة في عمل إيديولوجي يتجه كاتب مثل بورخيس، ما الذي دفعه إلى تلك المعمورة وهو لذي ظل يمنح من معين لثرت الأمريكي اللاتيني العاري في ثرائه لأسطوري وثقافته المتعددة بالإضافة إلى التاريخ الأوروبي وتنازل أحداثه في واقع الثقافة الغربية المعاصرة.

ويتداعى بورخيس في قصته ذلك لعراق الذي ألفت به اسفاذير في قلعة يعقوب المريض بانتظار الإعدام - بعد أن قُتل أخوه في ذلك الطمع الأحمر «داسي» - لولا أن أسعته الحيلة باستخدام قدراته في السحر لأسود يلهي بها «حاكم» فجاء مقدم من القصب ودو، وكتب الرقي وأنسريم (البحرات) وأحرقها مع الكثرة والذات الحوي واستعمل السدل ليرى الحاكم في دائرة البحر التي صمها في كفه حبداً رقيقه ترعى في سهوب واسعة ومُدناً ومباحث وممالث وكوراً صحفية رسماً تجوَّب الحار وألات حرب وساء فانتات وملوك مدهوسين في بطون الأهرام وأشباحاً شهاب سودانية وأحباء يهرب نظامية وحيما رأى الطاعية في دائرة البحر رجلاً ملثماً يقتادونه إلى الإعدام طلب من العراف أن يكشف له عن لعظه ليتعرف على الرجز التمس، وحين فعل رأى الطاعية صورته والسيف يهوي على عنقه فنحور ثم سقط صريعاً

أصوات

لا بد أن بورخيس القارئ الأسطوري والذي تحيل المردوس في طموت مكتبة صحمة - قد قرأ كثيراً من المصوص والتقارير التي كتبها الرحالة الأوروبيون لذين زرو السودان خلال حقبة تاريخية متعاقبة، وفي طلي أن الطاعية يعقوب ما هو إلا حكمدار السودان أحمد بات أبو ودان، الذي مات في الخرطوم في عام 1842 ودفن في إحدى القباب التي مارالت شاحصة في وسط العاصمة قرب شارع القصر.

كان أبو ودان شخصيه طموحة حدثه نفسه بالإستقلال عن محمد علي والي مصر والاتحاء إلى لسلطان العثماني يستعد منه شرعته، ذلك بعد أن وطد صلايه مع انسودانييس، وقيل إنه بدأ بالفعل في مراسلة الباب العالي لسيده خطته لولا أن عاجبه الموت، الذي لم يكن طبيعياً فيما ذكرت المصادر فيد انوالي كانت الأسرع بهشاً.

استخدام بورخيس ظلالاً مما قرأ في إنتاجه للنص، لم يغرق في تفاصيل لتاريخ ولم يتحرفه، فذاك أمر لم يكن يعيه، ترك الأسلوبية والمباحات لعامة تسبخر على قصته، لا أنك تكاد لا تحطون بوعيه تلك المباحات - أساليب لعرايين وكبة «البخرات» وصناعة المعدل قنرز صور في عاية المروعة وانغرابه حتى النهاية الدامية للطاعية

الواقعية «سحرية مصطلح شاع في سنوات اثمانين من القرن لعشرين وارتبط بشكل عام بالإبداع الروائي لكيب أميركا اللاتينية، وخاصة بورخيس والكلولومي جارسيا ماركيز، وقد تجلت بصورة عميقة في قصة بورخيس «كتاب الأمل» واتسمت بها معظم أعمال ماركيز، وقدم كل من الألماني جوتتر جراسم والإنجيري جون فاوكر والإيطالي إيطانو كالفينو تجربته الخاصة في تلك الواقعية لتي تميز سحرها كل نص عن الآخر

وُلد لويس جورج بورجيس عام 1899 في بريس أبرس، وقد هاجرت أسرته في طفولته إلى إيطاليا ودرس في سويسرا، وأقرب عدّه لعات وألدي غنقية بأكبره منذ بقاعته وفي مرحلته الأولى تأثر بالشعر لإسباني الأمريكي وولت وبعان مع اطلاع عميق على مختلف لانجهاات لأدبية الساندة في الأدب الإسباني والأوروبي بصفة عامة كتب شعراً بديعاً أحاداً وبت أخذ الوجوه الإبداعية اللامعة بعد عودته إلى بلاده نشر نصوصه لإبداعية في الشعر ولرواية وأحد بهم أجيالاً من الكتاب والأدباء في جميع أنحاء العالم بعبثارة مثلاً فريداً بالإنسان الذي تصبغه الثقافة الواسعة والتف حوله التقاد بعباية واهتمام واعتبروه أسطورة إبداعية مرس وجه القرن العشرين وقد صدر أول كتاب مهم يوزح لمرحلته الإبداعية الأولى عام 1954 بعنوان «بورجيس والجل الجدم» ثم صدر «الحيل انصائح» في العام نفسه أصبح بورجيس أستاذاً في الأدب الإنجليزي في كبة الفلسفة بجامعة بريس أبرس وهي عام 1956 حصل على جائزة الدولة وأخذ بصره في الصعف والسلاشي حتى أطبق عليه العمى لكامل في عام 1960 وتم يعد قادراً على الكتابة والنقمة لولا أنه سي ابرت بهاتين المهمتين ليدخل معطفاً جديداً في تجربته لإبداعية

شحد العمى رؤيته وشفافيته وقدرته على العوص في أعماق الأشياء وشكل بدايه الحقيفة مما دعا صديقه الأديب الفرنسي جان بيير بريس لأن يقول «في نهاية الحمسينات بنع بورجيس أوج بصحه الأديب بفعل حياته انقاسية والمحظات الصعبة التي سبها له العمى، إلا أن الطريف حقاً أن دهاب سحره له مسوى جديداً من الكدية وسلت بأسلوب جديد حرباً أكثر حيوة، وذلك حين استخدم اللغة الشفاهة وقد مال إلى السطحة ورسم صور شعيرات وألوان من الحية العدية السبضة، وكأنه يستسلم بتسجيل ملامع واقع ريب هدي وشفاف لدرجة يبدو فيها النص أحياناً صرباً من الوصف الخارجى المحايد وليريء

أصوات

والمفهم بالسلاسة

سبق بورحيس في تناول التاريخ السوداني كمادة للإبداع الروائي جورجى زيدان الذي خاص تجربته ثرية جدية بالإعجاب حين قام بتوظيف التراث الإسلامى في إثني وعشرين عملاً روائياً ألهم خيالها في مرحلة الطفولة وعبأت شعور ووجدان أجيال من الأطفال العرب خلال العقود المتتالية بالقرب العشرين، وفرت إلى لأدهان أحداث التاريخ الإسلامى الممتدة من مرحلة ما بعد استئصال بنى العبروا في الشمال لأفريقي فالأندلس، وكان نصيب السودان منها روايتين هما «المملوك الشارد» و«أسير المتمهدي»، والأولى دارت أحداثها ما بين مصر وبلاد الشام والسودان بعد مذبحة الطلعة التي قصى فيها الوالي محمد علي باشا على معظم المماليك وفرَّ بعضهم إلى السودان سِرَّ حمله بقيادة به، إسماعيل لمتمحه ولمطاردة قلوبهم كانت الرواية العربية في طفولته وقتذاك مجرد بناء سردي وحبكة تعتمد على العقدة التي تنمك عن نهاية سعيدة، لا شك أن لكاتب قد اعتمد على الروايات الشفاهية عن تلك الحوادث وبعض التعرير المبسورة الصعيمة الصبغة التي كانت تأتي في شكل رسائل من السودان إلى مصر فالصحف لم تكن قد برزت إلى الوجود في القاهرة بعد، والأخطاء التاريخية كانت فادحة وذلك حين تناول في نصه حادثة اعتياد إسماعيل باشا في نسدي، فقد كان يض أن الملك عمر هو عيم الشايكية، وجعله يقيم في قصر ويرندي ثيماً وصمها، فهي غير تلك التي كان يرتديها شيوخ العرب السوداويون في أيامه

أما روايته الأخرى «أسير المتمهدي» فقد جاءت نصاً متماسكاً تورع الأحداث فيه ما بين مصر والسودان حول الثورتين النعراية والمهديّة، ويبدو أنه قد توفرت لدى الكاتب المصادر والروايات الشفاهية والصحف التي رصد الأحداث الأمر الذي جعل منها رواية كلاسيكية تتقيد بوقائع لتاريخ، إلا من

هات صغيرة في ترتيب الأحداث ولطريف أن أحد أبطالها كان هو حسن حبشي الذي عمل كاتباً للأمير عبدالحليم مساعد. ويبدو أنه كان موصفاً مصرياً في ديوان المديرية بمدينة الأبيض. وذلك قبل اندلاع الثورة المهدية والواضح أن جورجى زيدان وجد في شخصية حسن حبشي - الذي قرأ إلى مصر بعد موقعة توشكي - مجمل عتياً لرواية الأحداث كما أنه قرأت مرة أن جورجى زيدان عمل أيضاً في محاورات الجيش البرياني عندما كان دعوم شقير، وقد صاحب حملة لإيجاد أيضاً التي عادت حادثة بعد أن تأكد لها سقوطه المحرطوم في يد الثور في صبيحة 26 يناير 1885. وهكذا نسي له معرفة الكثير عن تفاصيل الثورة المهدية وقتها وقدم وصفاً تفصيلياً لبعض الأحداث نكاد لا نجد في معظم المصادر تاريخية، الأمر الذي يمكن أن شكك مدة مهمة للمؤرخين.

كتب جورجى زيدان كثيرٌ حول الأدب وتاريخ الإسلام بالإضافة إلى هذه المجموعة الروائية إلا أنه لم يسلم من سهام الناقدين الذين رأوا في تلك المجموعة افتراءات على الإسلام والمسلمين، لم يسلط هؤلاء النقاد من وجهات النظر الأدبية وهامش الكاتب في الحرية لتطويع الأحداث حسب مجريات القصة، إلا أنني لا أرى فيها ما يشكل بساءة للمعتقدات والدليل على ذلك صدور طبعاتها عشرات المرات ولا تزال تحتل مكانها في جميع المعارض بمختلف العواصم لعربية والمعروف أن لرحل أصدر مجلة «للهلال» في مصر عام 1892، وما زالت تواصل الصدور، عاش جورجى زيدان - وهو لبناني الأصل - في الفترة ما بين (1861 - 1914).

ماسر بوركا و خليل



هي المكان الذي حلت عمارة مرهج بالحراطوم هي ومث لاحق كان بلخوجة
سوري شيخ أمين مطعم و«كُتب» يتكون من غرفة وصالة وحديقة داخلية
صغيرة. كان هذا هو المكان الوحيد الذي يستقبل المشفقين لسوديين لقضاء
سهرتهم في عشرينيات القرن العشرين. فقد كانت مثل تلك الأماكن تقتصر
على الأثرياء فقط وفي هذا «الكُتب» كان النادل ليوناني يسي شايًا خفيف
لطل، عذب الصوت ينغم بداء ته لطلبات الرنات بالحان شجبه أسرة احدها
من بلاد الإغريق لا ريب وهي سوب منتصف القرن وما بعدها يقبل عرف
ناس مقهى شايه مكاناً يرتاده المثقفون ولأدباء والصحافيون وطلاب
الجامعات.

وكان أبرز رواد «كُتب» الشيخ أمين الشاعر والفنان خليل فرح الذي كان

منغمساً حتى مشاش العظم في الشعر والبناء والموسيقى والعمل لوطني
يشارك بحماس في تأسيس رؤيه جديدة لوطن يزرع تحت وطأة الاحتلال كان
عبقريه هذه بكل الحقايقس جاء إلى الخرطوم من قريه دبروسه في الشمال وهو
في عصارة الصب بل لم يبرح مدارج الصفولة بعد شعراً ينهم بلعته اللويه في
سدائات. وحيسا ولج كلية عردون لتذكارية بقسم ورش البرادين بلع هيبته
مدية أم درمان فتحرك شعر وإهال سر عور تلك الموهبة فاحتروه وهو لما يرل
تلميذا بالكلية كما درجوا على ذلك كلما سمعوا بموهبة شعرية جديدة
فاعترفوا بقدراته لمتجاوزة.

لم تكن ألحان يبي شاكة تمر على الحلين دون أن تؤرق مصجعه وتشكك له
هائساً مستمراً فقد كان يرى ويسمع مالا يتسنى للاحرين، فعبر عن ذلك
بقوله

يا يبي يا ليليل أميم

صداح حميتني الموم يمين

فالحليل تمر بحساسية شعرية وفنية عالية وكيمياء تحول المعادن لحسبة
إلى ذهب تجسد ذلك في سائر أعماله الإبداعية التي لا تزال تكتشفها عرالم
من السحر والدهشة المستمرة والتساؤل انمشروع عن أسرار تلك الإمكانيات
التي لا حدود لها وما كان لحن أعنية «عرة» التي أضحت كشيد «لمارسير»
للأمة السودانية لا تنأج لحن المارش العسكري المعروف

ود الشريف رأبه كمل

جيبوا ليه شالايت من دار قمر.

يستمتع إليه الحلين مصدفة في العاهرة حيث كانت تؤديه عرفة للكشافه تابعة

أصوات

للجالية السودانية. ومثلما كان يفعل فيديريكو جارسيا لوركا الشاعر الإسباني يستلهم أغاني المعجز في أصغاره ومسرحياته أسى أدهش العالم إسقاط الحليل - الذي رآه ورحل منكراً مثله - أن يعترف من مختلف الشبايع ليؤسس اتجاهات جديدة ويحدث تحولات عميقة في الفن السوداني.

أكثر ما يدهش المرء جرأة الحليل في كتابة الشعر بتراكيب جديدة ومفردات عجيبة وبسهولة لمفيدة وهصور «سوريالية» لا تقفأ تصبح جزءاً من لروح الشعبية ووجدان الناس.

رأه يوماً الرعب الوطني عبي عبد لطيف يصحبه رفقه الشاعر صانع عبي القادر وكان عبد لطيف قد أفرج عنه لتوه من السجن فباعته الحليل بتلقائية مذهلة

ماك غلطال ، ده هوى الأوطان

وما لبثت هذه الكلمات أن أصبحت مطلعاً بقصيدة تحولت إلى أغنية ثورية يتحدثها طلاب المدارس الحربية بشيد خلال تظاهرتهم المسلحة نتي صافوا بها شوارع العاصمة متحدثين نوى الإحتلال لبريطاني في عام 1924م

شارك الحليل في تكوير الجمعيات السامسية لسرية مد بوكيرها وباب أحد أبرر ناشطيه يكتب الأشعار الوطنية ويتحدى السلطة في مواجهات شجاعة لم يكن يبالي بنتائجها.

وعندما تفجر أحداث ثورة 1924 وجهتها قرب الإحتلال بقسوة وشراسة وأعدمت قائدها ، عسكريين وأودعت الرعماء السياسيين السجن ولماهي . لم يستسلم الحليل ولم يؤثر بصمت فاستخدم أشعره وأغانيه في المقاومة . وكانت أغنية «أذكر بقعة أم درمان» شرارة أشعلت حماس الناس فأخذوا يرددونها في

ميرتهم وماساتهم الخاصة. وذكر الشاعر حدياي عبد المصطب في شهادة به
تضمنها كتاب أصدره ابن الحليل مؤخرًا بعنوان «محبون عزة» أن رخطاً من حسان
ثم درمان هر عن شيئاً على الأقدام يقصدهن مرر الحليل بانحرطوم في حالة
مادة لحدوث أنه ك - يستمع إلى القصيدة من الشاعر نفسه ويستوثق من
كلماتها لأنها تنوء بأسلاف لهم كان لهم دور في الوطنية

ما قصيدته «نحن الشرف البادح» فقد كانت مانيفستو سياسياً رغم عمالياتها
وعتبارها تحولاً نوعياً في اللحن والموسيقى والأداء. إشععت السلطات الأمية
بأمرها - لا تشترها في أوساط العاصمة - وكان صموئيل عطية - اللساني الجسدية
مسؤولاً في قلم المحبرات. لا أنه كان مُحجاً للأدب والفن وصديقاً لعدد من
المنتقيين السودانيين. وحه عطية الدعوة لأصدقائه لحضور ليلة ساهرة في داره
ودعا الحليل أيضاً ليقدّم بعضاً من أعانيه.

فطن الحليل لنحدي مسؤول الأمن وقرّر مدرسته في داره وتبع أصدقاءه أن
سهرته الليلة في «عريس الأسد». ومنذ اللحظة الأولى إحتضن مرهره وأخذ يشدو
بالأغنية التي أفرعت سلطات الإحتلال «نحن ونحن الشرف البادح». فكان
موضع إعجاب الجميع لجسارته وجراته وأدائه الرائع الذي تجاوز روح الفصح
والتمسك

ثم تمهله ذات الرئة طويلاً رغم تنفله بين انحرطوم والمهارة طلباً للعلاج فعليه
المردي في العشرين من يونيو عام 1932 وهو في شرح الشباب قارناعت البلاد
لعيابه المجمع وأقام أصدقاءه الأدباء والشعراء والمنتقون حفلاً تأييداً في اليوم
الأربعين بوفاته وقف فيه عرفان محمد عبد الله خصياً معذراً مسجياً ومناقب
الشاعر الراحل فقال «كان الحليل شهيداً هماماً كريماً مثلاً يؤثر على نفسه لا
يحشى أساس ولا الأيام والليالي، صريحاً لا يدس ولا يكيد، يترفع عن السقاسف
فما سمعه ولا رأيته متدلاً ولا متملقاً، عرير في صغفه وقوته»

أصوات

ووصف عرفات مدرات صديقه الشاعر الذي لم يكن يعني إلا للصعوبة من
أصدقائه وقال لوفاتكم إن الحبيب إذا جلس بين أصحاب أضياء في هدوء الليل
وأرسل في خوفه معه متوحه، يرسل في جوف السمعين لتحريره حفيقة
ويكون قد سبي العالم الذي حوله غير منكف ولا متصع يحرج بعضا لا يشبهه
صوت المرمز ولا نيب القيثارة، من كان شيئاً لا يماس بعيره قائما يدته لا يدركه
لا من دق حسه وصقل دوقه، أما محمد أحمد محبوب فقد رثاء بمصيدة بعنوان
«ماتم الفن» ومطلعها

غاب في الرمن حليل واستتر شاعر قد وفان أعمر

ومراد الحليل يحيا في وحدان أمته وما زالت أشعاره تتوهج في كل يوم
جديد «عزة في هواله» و«وفي الصواحي وطرف المدائن» و«فلق انصباح»
و«يانيلنا يا نيل الحيا»، و«حديث الشاطئ»، و«ما هو عارف» و«ثم دور ودور»
وعبره

5 سبتمبر 2000م

المواقف الجهيرة

صلاح أحمد إبراهيم



لَمْ يَكُنْ مَدَقُّ اللِّسَانِ يَقُولُ مَا لَا يَعْمَلُ.. كَمَا عُبِّرَ بِنِ لَأَحْفَ بَلْ كَانَ
قَوْلًا فَعَالًا صَعِبَ الْمُرْتَقِي مَتَقَبَّ الْهَوَى شَأْنُ الشُّعْرَاءِ الْمَعْرُطِي الْحَسَّاسِيَّةِ
وَكَانَ وَاصِحًا كَالشَّمْسِ فِي رَأْدِ الصَّحَى وَصَفَ شَعْبَهُ مَرْءٌ بِالْجَمِّ الْبَشَرِيِّ
الَّذِي يَقُودُهُ الصَّغِيرُ بِالْمَعْرُوفِ إِمَّا اهْتِاحَ دَقُّ الْعَتَقَاتِ كَأَنَّهُ هُوَ مَا تَحْدُورُ وَصَفَ
دَاتَهُ فِي ذَلِكَ. وَكَتَبَ مَرْءٌ عَنِ الْمُتَقَبِّ فَقَالَ الَّذِي لَمْ يَفْتَحْ مَعَ الْعَصَمِ حَسَابًا
مُشْتَرَكًا.. وَلَدِي نَمْ يَسْمُ حِينَ جَاعَ أَهْلُهُ لَا رَأْيَ وَلَا امْتَلَاكَ.. وَبَعْمَرِي كَانَ
ذَلِكَ مَهْجَعَهُ فِي لِحْيَاهُ.. فَعِيَاتِهِ كَانَتْ بِحَدِيَا مُتَعَصِّلًا رَعَمَ هَدُونَتِهِ الْبَجِيلِ وَصَمْتَهُ
الْمَسَامِي.. رَادَ لِحْيَاتِهِ هَذِهِ أَنْ يَكُونَ ثَوْرَةً لَا يَهْدَأُ مَدَّ غَضَارَةِ الْعَصَا وَحَتَّى عِيَابِهِ
الْفَاجِعِ

أصوات

حين جئتم دكتاتورية عسكرية فاهرة على وطنه كان قد تخرج بتوه في جامعة الخرطوم متطلعا للالتحاق بالسلك الدبلوماسي يملئ كافة مؤهلاته ويريد يحدث أن تأمرت دون اعتراف على الكونغرس ووعيدته باتريس لوممبا استكثرت عليه استقلاله والتمتع بحيراته وأحاطت به من كل جانب - إحاطة الصور بالمعصم - يريد السلطة لأغوائها لضمها إسنمر رندقي الثروة نحو عواصمها وأراد صلاح بحكومة بلاده أذاك موقف مشرفا يكمل موقف عبد الماصر اندي وقف إلى جانب لوممبا لا يحيد ولما أعياه السيل كتب شعرا قدحاً مر كالحنظل ما ترك لوزير لحارجية حب يرقد عليه. أتجه بالحراج، وكان يدرك ألا مطمع لديه بالانتظام بالسلك الدبلوماسي، بعد أن قال «والعام الدبلوماسي الأيق .. يدعى الهامة هي كوم من اللعد رشيق».

وحين انتصف له الوطنيون واحتاروه سميروا بالحارجية - وهو الذي تجاور لعاعات الدد من مان وجاء وبات أكثر من ذلك - «يحتوي على الحموع» كما يقول ووت ويتماز ثم يعره المنصب ولم يقف حائلاً بينه وبين مواقفه الجهورية فتصدى لأكبر رأس في البلد عندما جبح الرأس في حديث أمى به لإحدى المجلات - فأوسعها من وتفريقاً وترك سفارته ووجه إلى باريس ليعمل موطناً صغيراً في إحدى لسفارات العربية وكأني به كالشاعر بابلو بيرودا عندما أعلن فضلية تشيبي في مدريد وحمل البندقية ليقاقل في صفوف الجمهوريين في الحرب الأهلية الأسبانية.

تمثل صلاح بكل سجايا ومواقف أمته فانصف بالأريحية وليس لعريكة والدب والنصحية والعداء وحب الآخرين والعصب العادل المشروع، وأصبح نموذجاً ساطعاً في البقاء والوفاء، وكان لا يفتأ يردد اسم الشاعر المرحوم شيبوب الذي دامله هي ثانوية حنتوب، ووصفه بقوله شيبون حجرة الشعب وصوت ملادي المثير وقد هما الاثنان بمسٹر براون ناظر المدرسة الإنجليري كشوك

الحرب في الحدي في أوائل الخمسينيات والاستعمار البريطاني في حشجة الروح فحصلهما عن الدراسة أيام كانت مثل هذه التصحيحات تعد صرباً من «بحون» ولكنهما انتصرا عليه عندما جلت لامتحان الشهادة من «مدرس الأهلية» وبعثا في الالتحاق بالجامعة.

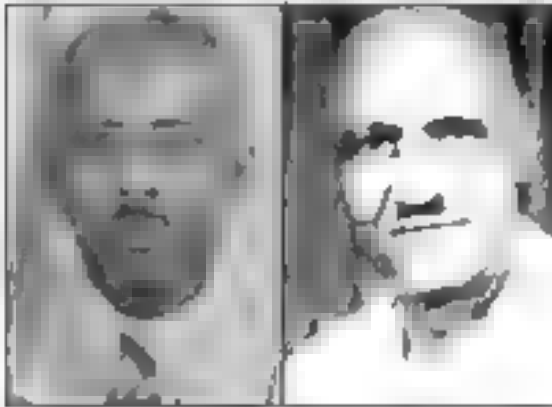
كان من الطبيعي أن يفصح صلاح بالمعرفة، وأن يكتب الشعر مدحاً وعمرة الأصفار، حيث نشأ في بيت يجمع بالعلماء والمؤرخين والمثقفين الأقداد- وعندما تخرج في الجامعة صدر ديوانه الأول، وشغل حيزاً مهماً في الشعر السوداني.

وكان صلاح كثيراً ما يردد قول اسلافه السوداني الأمين علي مدي « الشعر الحديد يتطلب ناقدًا جيدًا، وذلك عندما يدجن لمتلفين شعر حديد ولغة جديدة، معترف من المعين الثراء للعربية الدارجة في السودان فيعجز المعاني، بما هو حليق بإبداع الشاعر المتمرد. ويقول شعري حش كالحيش.. ربما لا يعجب بعض المنتصعين من النقد وكسي لا أباني أما في انكثابة الشربة فقد عالج صلاح القصة القصيرة باقتدار. ومارلت أذكر قصته «وهكذا يا أستاذ» التي هرتنا حتى الأعماق عندما قرأناها في عهد النظم وله مجموعة قصص صدرت في مؤلف مشترك مع صديقه الأديب السيد البروفيسور علي المك الذي سيمه إلى «الدر الباقية» وعنوانها «البرحورية الصغيرة» وكان لا ير لأن طالبين بالجامعة، أما مقالاته التي عبر فيها عن حصوماته الفكرية والسياسية والأدبية فجديرة بأن تحل مكانها بين عيون النثر العربي الرفيع وقد قدم الشاعر للقرء «غابة الأسوس» و«عصاة الهسي» و«محكمة الشاعر لسلطان اجائر» فضلاً عن ترجمة «الأرض الأثمة» لمصالح الأقبقي بانريك د. روزبرج

نشر هذا المقال في «الاتحاد» في يونيو 1993. عدة وفاة الشاعر

1 أكتوبر 2002م

بين شاعرين: رفوده وود المادح



محمود الفكي و عبد الحليم علي طه

أطلق محمود الفكي على صديقه الدكتور عبد الحليم علي طه لقب «ود المادح»، وذلك لأن شقيقه عبدالرحمن الفكي الذي كان يعمل ضابطاً في قوة دفع السودان مع عبد الله خليل وعبدالرراق علي طه ويقيمون معاً في حامية شندي كان يلاحظ أن أهل وأقارب عبدالرراق علي طه من قري منطقة شندي كانوا يزورونه بالحامية وكثيراً ما يحملون بين أمتعتهم طائرٌ ولم يكن المتاع سوى محلاية أو محلايتين حيث لم تكن حقايب السفر معروقة في ذلك الوقت، ولم يتوان عبدالرحمن الفكي في نقل تلك الملاحظة إلى شقيقه الذي سرعان ما استخدمها في هجاء عبد الحليم:

تاريخاً بين طابية ومطار
وحلافاً محلايتين وطار

وقال أيضاً:

مقرت طار أبوك بتصمم الإهنيين
مقرتو لتقول صر الخلا أب فرلين
حاجم بين رفاعة وطيبة والكاملين
ويراد لينتر قط ما راد على القرشين

يعني أن والد عبدالحليم كان مدحاً متحولاً بين قرى الحرية.

ويبدو أن الصريخ من آل علي طه والمكي إحتكما إلى عبدالله خليل في هذا الشأن باعتباره شاهداً على الواقعة مرد بحرمه وصرامته المعهودة «مخلية شفت لكن طار ما أعرض». إما عبدالحليم علي طه فقد لبث عريته محمود المكي بارقوده «والحفيد» يشير إلى أنه من الحب ومن أحفاد جنكير حاد

ويقول معاصروهم إن هذه الألفاظ كانت شائعة في أوساط انحرجين وكان يدويهما بها بلا حرج كما أن الصحف في ذلك العهد كلف تداول ألقاب الشعاعين دون أن يشير ذلك أي نوع من انحص أو العتاب في أوساط العائلتين لتبين نفقت ما كان يرد في قصائدهما من هجاء لادع وسحرية عندما يتعرضان للأسباب والأصول

وبعد قيام مؤتمر انحرجين وبرور المكنلات لسياسية انحر عبدالحليم علي طه إلى معسكر الإستقلال ببيما وقف محمود إلى جانب المعسكر الإتحادي، ولكن من لياحية الحربية البحت يقول بعض معاصري محمود إن عواطفه الحربية البحتة كانت تتأرجح بين لإتحاديين بحكم الجوار والسكن في «أبوروف» وحرب الأشقاء بحكم علاقة صداقة وكان المعسكران يتقبلان إخوانيات محمود وعبد لحليم السياسية بروح متسامحة تتهم المُلح والطرائف وتستمتع بالمكاهة والدعاية بل أنهم كانوا دائمى «تطلع للجديد من قصائدهما لتبديد الملل

وأشاعة روح انشامع وفي إحدى المناسبات هجا عبدالحليم الإتحاديين بقوله:

ربات الحذور في جمالها ما يعيب
كبح كوح إنقص والار وقع في لهيب
والرول الثقيل بنقبو فيها نلبيه
والحلبي الحقرش سوليهو زريبه
واللاسلكي هين بلقى فيهو ضربيه
طبر إنقرع أبقالا داب السيه
ودحامد وقع وانقاصي حالته صعبيه

وقد قصد لشاعر بكبح كونج إسماعيل لأرهري ولرول الثقيل يحيى العصلي
وبالحلبي انققرش أميس ريدان وباللاسلكي يبراهيم جبريل لطلوب قامته وبالسبيه
محمود العصلي. والسبيه هي ثلاثة عصي تعلق عليها قربة الماء. أما ودحامد فهو
علي حامد ويعتقد أن طبر هو بانكر القباني والقاضي هو محمد أحمد المرصى.
أما محمود المكي فقد أوسع الاستقلايين سباً لموافقهم على التطور اندستوري
ومشاركتهم في الجمعية التشريعية

سلسلة سوداسي الحويصة العبد ودياني
هل الجبة المترورة اللجنتهم هبودة
هجر وورد والهورة وشمراهم الكازورة
رئيس انجميمع شقيطي ونايب الرئيس حمريطي
فيها العريسان والحيطي وقسو الحكم بريطي
هل الباس البوجه المابعومو عكس الموجه
ما بهيجو ساعة الهوجه وجون بون باقي ليهم حوجه
شيخا الكبير مادبو وود الأمير الجبو
لحكم لثاني بيحو ومايرصي شيت بقسو

وعندما نقل ثانوي كلية عردون في النصف الأول من الأربعينات من الخرطوم إلى أم درمان سحت الفرصة لمحمود الفكي بأن يراقب أوصع الأستاذ عبدالحليم علي طه الماديه والمعيشيه عن كثب ليستفيد من ذلك في قصائده الساخرة فقد لاحظ أن عبدالحليم خلافاً لزملائه المدرسين كأسماعيل الأهرري وأبوبكر عثمان وغيرهما لم يكن يملك سيارة صالون بل كان يستخدم دراجة في دهبه إلى المدرسة وإياه، كما لاحظ أنه يسكن بالايجار ويتنقل من مسكن إلى آخر فتخاطبه بهذه الأبيات

الناس ركبوا الصوليين ولجيب فراره
وت لايس رديك ليشبه الشمساره
تقذل وتتفخ في البسكليت أب طاره
في لبقة الوسيلة الامة كل الامة
لاليت بك مكان ولا جحير تنمه

وحد في أشهر قصائده عبدالحليم أنني هجا فيها محمود الفكي

في وصف الحميد قالوا الحميد اتمادي
في المعى والصلال رحص فتحلو عياده
راسمالو اقرد حمران عدي هو قلاده
دربكة وطبل رمبارة جايه هواده
ما يشكر عنيك صشمعه جندودو أجسادا
فتح الحله سمع تحت كدرو ممداده
جاء المويه جاب الرمله جابلورمادا
أدى الحيط جبهتو تحت إيدو وساده
سكنك في السحاس عسى العتب ي مباده

كان الشاعران موظفين مرموقين لمكانة في خدمة المدينة فالأستاذ عبدالحليم علي طه عمل مدرساً بكلية عردون ثم المدارس الثانوية ثم ملحفاً ثقافياً بسفارة السودان بالمملكة المتحدة وتدرج في الوظائف حتى شغل منصب الوكيل

أصوات

لوزارة التربية والتعليم أما السيد محمود العكي فقد عمل محاسباً بمصلحة لمالية ثم مديراً لإدارة السودانية بعد الاستقلال وقد عاش حياة ثرية وأمتعاً للناس ولا يزال من بقي من معاصريهما يرددون في حبور تلك القصائد الساحرة وتلك الأجواء التي كُتبت تعطر أماسي العاصمة في تلك الأيام، خالية من لصعائن وملثنة بالروح العذبة والأحلاق السودانية لأصيلة السمحة

لَمْ يكن عبدالحليم ومحمود وحدهما في تلك الساحة، فقد عرف الناس «شعراء الكتيبة» وكان من أعصائها البارزين محمد المهدي مجدوب ومحمد عبدالقادر كرف وإمام دوليب والحررجي وأحمد علي طه- شقيق عبدالحليم- ومير صالح عبدالقادر

وكانوا يجتمعون في مكتبة حسن بدوي بأم درمان حيث كان يحتفظ بإنتاج لجمعية بي درج بالمكينة سموه «درج الساسف»، وأما إمارة الكتيبة فقد كان يتنافس عليها شعراً حسن بدوي والنور إبراهيم وقد أثبت الدكتور عبده بدوي في كتابه (الشعر في السودان) إخوانيات شعراء الكتيبة فذكر أن دسوس الكتيبة ينص على أن عضوية الجمعية يستحقها من هجا أكبر عدد من الشعراء المؤسسين للكتيبة، وأن القادم والمسامر يجب أن يقال فيهما شعر، وأن التقرير السوي للكتيبة يجب أن يكون شعراً وهي مقدمة ديوان «الكتيبة» لشاعر النور إبراهيم، كتب مير صالح عبدالقادر يقول «إنهم كان يعيشون عصر فساد سياسي، وأن «حلامهم في حياة فاضلة لم تتحقق فراحوا يهاجون أنفسهم عن أنفسهم محددين لرمز في الهجاء سبباً من أسباب الرحة النفسية»

صدر في مارس الماضي كتاب (بين شاعرين، مع حوايين عبدالحليم علي طه ومحمود العكي)، لمؤلفه الدكتور فيصل عبدالرحمن علي هذه، حيث قام بشراء مركز عبدالكريم ميرغني الثقافي بأم درمان، وقامت بالإشراف على توزيعه شركة رياض النريس للكتاب والنشر ببيروت والدكتور فيصل عبدالرحمن كاتب عبي

في الثقافة السودانية

عن التعريف ظلَّ يردد المكتبة السودانية بمساهماته المميَّزة في السياسة والتاريخ والقبول والكتاب عبارة عن مجموعة مقالات قدم المؤلف نشرها هي صحيفة «الخرطوم» التي كنت صدر في القاهرة - قبل أن تنتقل إلى الخرطوم - هي لفترة ما بين 1999 و2000 وعبد الحليم علي طه هو عم المؤلف، حيث استطاع من خلال هذه العلاقة أن يعثر على معظم شعره، إلا أنه لم يعثر إلا على قدر محدود من أشعار محمود الفكي

1 مايو 2001 م

تحريض على لكتاة والإبادة



بنور عبد الممنم

تلقب بكلُّ ترحيب وامتنان آخر إصدارات مركز عبد الكريم ميرعسي الثقافي
بأم درمان للذكريات وحوار «نصص» عدداً من المقالات بقلم الكاتبة السوديه
بسيدة بنور عبد الممنم عبد المصيف سبق نشرها في صحيفتي «الإبادة»
بأبوظبي و«الحرطوم» حين كانت تصدر في القاهرة وذلك خلال فترة إمداد
مذ أواخر سنوات الثمانين حتى أواخر سنوات التسعين المعاصية. كتبت عن
تجارب وذكريات وما غرّ بها من حواظر ما وصفت الكتاب جانباً حتى انتهت
صفحاته التي تجاوزت التسعين فأدهشي تمامك لصبر وإكتساره ونراه اللعبة
وبدحها بلا تعمد أو تنطع وانتابني إحساس عامر بأن معظم هذه المقالات كان
يمكن أن تكون أساساً لعمل إبداعي متميز في مقال بعنوان «أيام في الحرطوم»
وردت صور تعبر عن واقع اجتماعي جديد يتشكل

«مجموعة فتيات يتحدثن بكرة عرس فلانة» تتم عريفين العريس العامي؟
تُفرس في الوجوه، الشابة علي ألمح دهنة أو اشكار . يخرق أدبي صوت

المغامرة المأكرة في التجديد الشعري

حمزة الملك طمبل



«محببة أمينة» مقدسة للشاعر..

من حبها ينبثق عالم»

«كفافي»

لَمْ يَحْطِ الشاعر وسافر حمزة لملك طمبل بكثير اهتمام يسبب فصل ريادية وسبقه في محاولات تجديد الإبداع كما أن النقد والمؤرخين ثم يبرروا دوره كما ينبغي ويؤكد اسمه الآن ينواري في سجل التوثيق الأدبي وقد ظل هذا الشاعر سافر يكتب منذ بدايات القرن العشرين وحتى سنوات الخمسين وصدر «ديوان الطبيعة» في طبعته الأولى في أبريل 1931 ويبدو أنه صدر مرة أخرى مع مقالاته النقدية في

معجون بالكأبة والقنوط.» و قد يحتفلت ليها واحد يعرفها من الحمرة دي»

« في معرض حديثها عن رواج ابتها في الحطوط قالت لي «أول حاجة عملتها حست لي ثلاث سات من جامعة أم درمان الأهلية عملت بي البني مور والكهت بتع الحرس لأبي بيبي وبيلك ما بعدر على حق الحرفان و انطباخين البجبيهم لنسوان البحر للخدمة من الأهل والأصحاب»

« أخرى كانت عاملة حة جميلة في يديها وقدميها قالت رسمتها لها طالبة في جامعة الحطوط ذكرت أن مواعيد لطلبة «الحانة» مرهوتة بحدول محاصراتها . يا لها من صورة جميلة رائعة لطلبات يكافح لانتزاع التعليم ويواصل من أجل لقمة العيش في ظل هذه العلاء الطاحن . ما أروعهم وهم يقلن لا للإبحراف ولكن ماذا تفعل الأحرىات لحل هذه المعادلة الصعبة.

« الساعة الثانية عشر ظهراً يدخل أحد الأعمام وهو يتصبب عرقاً من الحر «طلعت من سوبا من لساعة الثامنة بالباحن، واحد من الركاب قال بشلوا منه ثلاثة ملايين أحذو الباحن كله للصمم أخيراً لبوا المروش واحد داسيها حوة بطبخة مقورها من حوة» يا بها من عنقرينة في من الشلل تلك التي تفنقت في ظل لتوحيه الحضاري

« في الصيدليه كنت أشترى دواء رهوبة للوالدة دخل واحد اشترى حبة صميط واحدة قدتها في حلقه لاحظ دهشتي قال أصعل شرو؟ الحرب ثمنها عالي كمن أحض بالثعب اشترى واحدة وهم يتشدقون عبر السموات المصائية أن الخدمات الصحية وصلت إلى أرقى مسوى وأن الدواء في متناول الجميع».

تمثل تلك الصور رصد لتحويلات عميقة في المجتمع السوداني لا تعمى على أحد مثلما يحدث في كثير من الأماكن في أزمان الحروب الطاحنة

أصوات

والأرهاب العادة المستمرة سياسية أو اقتصادية. نحن لا بدعي ندي بحمدها يكون أبلغ وأبعد أثراً من البيان السياسي أو التحقيق الصحفي فحين قرر لبلاشفة القيام بالثورة السوفيتية وإحداث لتحوّل الاجتماعي العففي في روسيا لم يكتفوا بالأدب الساسي والبيانات التحريضية بل طلبوا من الكائبات لروائي مكسيم جوركي أن يساعدهم برواية على عجل تناسب تطوّرات الأحداث فكانت «الأم» التي حثت مكاناً بارزاً في تاريخ الأدب السوفيتي وما استطاعت لكتب ولا مقالات الصحفية ولا البيانات السياسية العاصبة ولا شهرد لأحداث التي أعقبت إنقلاب بوشيه على الليدي في شبلي وإرهاب الدولة والرعب الذي كاد أن يحتلط بالهواء ويتغطى في لشوارع أن يعكس بالصبط ما وقع في تلك الأيام مثلما فعلت رواية «بيت الأروح» للكاتبة التشيلية إيرابيل لليدي. فقد تناوت الأحداث وتابعت القصص من خلال تجربتها الشخصية بما هو أشبه بالواقعية السحرية، ليست واقعية ماركيز كما يرى بعض القاد. بل واقعية هي التي جسدها بإمكانياتها وبوعبها الخاص الذي نفخر في تلك الأيام. ثم أعقبتها برواية «الحب والظلال» التي صوّرت فيها بداعيات الحدث بانتصار الديكتاتورية على الديمقراطية والتصفيات الدموية لواسعة النطاق ومطارده المثقفين والسيسيين المعارضين الذين أوعم الأحياء منهم على لتسلل حادج الحدود.

مرت لسدي صفاة ككاسة ذات اداع مدعش لتحتل مكاناً مرسحاً إلى جانب كتب أميركا اللاتينية اعظام أمثال جورج أمادو وجابرييل جارسيا ماركيز. لا تقل عنهم روعة ولا إمكاناتاً لم يكن أحد قد سمع عنها قبل سموات قلانس لأنها باحتصار ما كتبت لروية إلا حين تقدّم بها العمر ولكنها قبل ذلك كدت صحافية ذات تحارب واسعة ومتنوّعة عاصرت مناساة قريبها الرئيس لليندي وشهدت مصرعه كما كان مزون أسرتها يستقل المثقفين لكبار والشعر.

أمثال باللو بيروود إلا أنها ما كتبت الرواية إلا في وقت متأخر وفي ردها طرافة حين سئلت عن ذلك وقالت إنها لم تفكر في الأمر إلا في زمان باتت فيه حيراتها سحصر إما في رهو جوارب أحفادها أو الحوص في تجربة الكتابة وقد كان الحير الثاني حيث حققت نجاحاً مقطوع الطير ورجعت روياها إلى معظم البعث وأفرعت محروون العمر الذي عاشته بصدق وانفعال

هي الأسبوع المعاصي كتبت قد كتبت عن «يوميات في السودان» بليلة «البريطانية أرمي توماس وعلى الرغم من أن زوجها حرها كتم «موت حلم» عن مشاهدته وتجاربه في السودان إلا أنها تناولت ما ارتأته هي لا زوجها فحلت ما هو جدير بالقراءة سواء أكانت صوراً إيجابية أم سلبية والكتابة بدور عبد المعصم نفسها تناولت تعارب سيدات بريطانيات أقص في السودان مع أرواجهن في أيام احتلالهم للسودان وكنس بطاعتهن حيث أتحت بهن فرصة الوقت في أماكن يسودها السكون ولهدوء الناس في الدول المتقدمة كما طل دأبهم - يقرأون كثيراً ويكتبون أيضاً - يستجيبون تعاربهن وحواطرهم في داخل كل إنسان مبدع قابع

يأتي هذا الحديث ثمرياً لكتبتنا ومديح الدين لا يواصلون كدحهم في اتجاه تعميق رؤىهم لارتقاء مساحات جديدة للإبداع وأحياناً يكتبون بالقدر القليل من الإنتاج ويتوقفون وهم في تمام الصبح والندرات فالروائي المبدع الصب صابح أدهش الناس في الدخل والخارج بروايته وقصصه دت الرخم الإنساني الرفيع ووصفه بعض الأدباء بأنه كان أقدر وأنفع من جميع إمكانيات إعلامنا منذ الاستقلال حيث لعب لأنظار لبلاده وحلب لها كثيراً من الاحترام. الصب صالحيات يتصديق كثيراً حينما يشير لمقاد إلى بوقه عن كتابة الرواية ويقول إنه يستعصر عن ذلك بأجناس أخرى من لإبداع كالمقالة

ومثله أيضاً الشاعر محمد المكي إبراهيم - الذي أعده أحد أفضل شعراء

أصوات

العربية هي رسا هذا - يقول أيضاً إنه تحول إلى كتابة المقالة شأن أحريين كثيرين
ويسمي بهاية موسم عطائه الشعري ولا يرى دعياً للمكافرة . ماذا يقول إراء هذا
الإعلان الذي يحبط محيه الدين صلوا يتوفون رعم الشعر العظيم الذي كتب،
إلى مريد من الأعمان الأكثر روعة وبهارة وحاجة عدد يتحدث عن إرثو رامبو
الشعر العربي الذي توقف عن الشعر وهو دون العشرين - وظن أفضل
الشعراء الذين قدّمتهم البشرية في تاريخها الطويل. لا يراى مركز عبدالكريم
ميرسي يفاجشا بعطائه ويعدّاه بشر المصومى الجديدة بالقراءة والحفاوة، وذلك
في إطار محاولاته الجادة والمسؤولة لتوثيق الفكر السوداني وإشاعة المعرفة
وتوسيع الوعي الخاص بالذات القومية وخصائصها

تتبعكس إن أشرققت شمسك
بأعينا ماله من صور
أم المرء إن أشرققت نفسه يرى
الكون كالوهم فيها صهر

«غير أنه لا يصيب في الإجابة على مثل هذه الأسئلة حتى ولا أولئك الذين صغت
بهم وشعروا، بمثل ما شعرت به أنت»، ويسرسل ذلك الناقد البارع المجهول في
تأويله لأشعار حمزة فيقول: لقد كنت شديد الوطأة على الشيخ والأقدي.. ولا سيما
في قصيدتك (ذهب الودء) وإن كنت لم تقل إلا حقاً، وإني أعلم أن شعورك فيها عام
يساوي الصفتين - المشائخ والأقديّة - في كل بلد إسلامي، كما أعلم أن مبعث هذا
السطح في نفسك هو صياح محمد الإسلام والمسلمين الأخلاقي إن قصيدة
(الأصوات والصور) من وقصيدة (المعاني والأشكال) صرّح من انصبته مقه يلتا
في أسطه الأساليب ولا يستكثر هذا على من تأخذ لمعاني عن الجبال والأطلال
والأرواح والأشكال. إن عرّك حار بطيف ولكنه صريح نوعاً ولا بأس بهذا ما دمت
بقي النصيحة فلا أقل للشباب من أن يغفل ومرثية بليغة مؤثرة، وقد يشتم منها
بعض الناس عدم انحصار عن هذا النظام الإلهي الذي استجوب ظلام لعدم بعد نور
الحياة، ولكنني على يقين من حسن يقينك، واعتقد أن الحيرة وفرط الحسرة هر
لذي جمع بك إلى حد نجاست قلت: إنك لا تفصح أن تنعم لتفصح بعصيدتك
في الدوس ممن أساءوا لك بها وما كنت محتاجاً إلى هذه الملاحظة لأن ذلك
واضح في قولك

كربة في النفس قد فرجتها بكلام فيه للنفس شفاء

وأني بلشاعر الأدب أن يسري عن نفسه بغير كظم عيظة أو سكب شعوره على
لورق ولحن نسي به من حربه وهو يكاد يكون وحيداً بين هذه الأوساط الموبوءة.

وقت لاحق في مجلد واحد بعنوان «الأدب السوداني وما يجب أن يكون عليه وديوان الطبيعة» وديوان اشتمل على قصائد كتبت في الفترة ما بين 1916 و1930 تعددت أغراضها من وصف للطبيعة والغزل ولاحوائيات والمرثي والهجاء، وأغراض أخرى لم يسألها إلا المحدثون في أشعارهم، فقد كانت بعيدة عن قصائد القصيدة التقليدية. كان شاعره مدركاً لتجاوز الأسلوب الشعري الذي كان سائداً كما كان مدركاً أيضاً أن الدائقة الشعرية للمتلقين عهد ذاك كانت تنحصر لمحمد سعيد العباسي وعبد الله محمد عمر الب وعبدا لله عبدالرحمن لأمين وأصر بهم لذا عهد جاء في مقدمه للديوان أنه كتب ذلك أشعر تعبيراً عن أحاسيسه الذاتية وهي ما يتمنى أن يكون عليه الشعر في المستقبل وأوضح عن رؤيته الإبداعية الجديدة بالنسبة بقوله «وظائف تردب في طبعه وشعره على الناس الذين لا يحصهم من أموره شيء» وإن خصهم لم يقرأوا وإن قرأوه فلن يفهموه، وإن فهموه فس يعصونه، وإن عصبوه فلن يفهموه، وإن قدروه فس يحرك نفوسهم، وإن حركها فلشيء ربما لا ترصاه نفسي، ومع ذلك فإنني أطبعه وأورعه عليهم بدافع طبيعي حفي يعضوي بحث سر يرساط الفرد في مجموع» وأعلن حمرة، في مقدمته تلك أنه حالف السعة في ذلك الديوان، وكشف عن ديوان له سابق «نصته مقلد بدافع شعوري الحفي بحمال الشعر ثم حدثته حملة بحلوله من اتحديد، غير أنني نشرت بعضاً من قصائده في أول هذا الديوان للذكرى فقط»

يبدو أن الإحساس بضرورة التجديد في الشعر والأدب كان واضحاً عند من الأدباء والكتاب في سنوات العشرين، وإن لم يُعبر عنه بصورة واضحة وملحة عبر حمرة البعث طمبل ذلك قبل صدور مجلتي «لهضة» و«الفجر» اللتين اصططلتا بمهمة تركيب على الأجسام الأدبية المعشلة وعكس رؤى وأفكار المبدعين الجدد. فالطبعة الأولى لديوان حمرة تضمنت ثلاث مقدمات، أولاهما بحث تحليلي كتبه السائد الإنجليزي ماثيو أرمولد عن الشعر -ترجمته مجلة مصرية- واحتوى على خلاصة الرؤية النقدية الجديدة التي برزت خلال القرنين التاسع عشر والعشرين

وقال الشاعر إن هذا البحث يتفق مع نظراته لشعر وذلك يعني أن حمرة الملك طمست ظل يكتب الشعر وعينه على التيارات النقدية العالمية الحديثة التي ظلت تعدني شعوره بضرورة الخروج بالشعر من قوالبه التقليدية وأعراسه التي ما عادت تتماهى مع التعبيرات العتيقة التي مات يشهدا ذلك القرن

أما المقدمة الثانية فقد كتبها أديب سوداني لم يشأ أن يفصح عن اسمه وكتب بعنوان «كلمة أح في موضوع الديوان» ووقع في حتام مقدمته بكلمة «أحوك» لم أستطع أن أحصي دهشتي وإعجابي بتلك القدرة النقدية التي عبرت عن رؤية متجاوزة وأدوات لم تكن تتوفر في ذلك الزمان الباكر قبل سبعين عاماً - ولأدب العربي كان لا يزال يحارب العكاز من أنماطه التقليدية كما أن قواعد النقد الأوروبي الحديث لم تعرف على نطاق واسع ولم تستخدم بعد - إلا أن الأصوات الشعرية والأدبية العربية التي هاجرت إلى الأمريكنين وتأثرت بالثقافة العربية كانت تجد طريقها إلى بعض العواصم العربية والواضح أن محاولات الشاعر الكاتب عباس محمود العقاد ومدرسة الديوان كانت تستأثر بقدر كبير من الإهتمام. وقد ذكر ذلك الأديب السوداني الذي صرّح علناً بمعرفة اسمه أنه حين قرأ أشعار حمرة فوجئ بعش ذلك الشعر البديع الذي اعتبره - رغم كثرة إطلاعه - جديداً في لفظه ومعناه وأشار إلى عدد من النقصان التي رأى فيها عيوباً جديدة في الشعر تدل على اتصال الشاعر بالطبيعة اتصال المفكر المأمل - وب - فهو جدير بحمل لقب شاعر الطبيعة وأعجنته قصيدة «شبحوحة شجرة» فقال «كما يرى الأشجار الشائخة مثلاً ولم تزد ملاحظة الأعلى ما على أنها تصلح حشاً، أما أنت فقد استحسنت منها عره أي عرة - كذلك كان الحال في غيرها من قصائدك - صرت من أعني صروب الاحساس ذلك الذي دهك إلى الاستعظام في قصيدة «مطر» بالآيات الآتية

هل الكون وهم يكاد الدجى
يعني على حباله من أنر

الآن كانت مقالة وهذا أمر حدث قبلي لكثيرين فقد انتهى موسم عطائي الشعري ولا داعي للمكافأة فالشعراء لهم موسم للعطاء ومواسم للبيات لشتوي وموسم للموت ومواسم تتكرر أنفسهم، وهو نوع آخر من الموت كان ليوت يقول إن الشاعر الحقيقي هو الذي يستمر في الكتابة حتى ما بعد الخامسة والعشرين. ولكن لم يقل لنا ما عمره الحقيقي؟ رامي هجر الشعر قبل سن العشرين ولكن ذلك لم يمنعه من أن يكون شاعراً عظيماً ولكن روبرت فروست ظل يكتب إلى سن الثمانين، وكلما تقدم في العمر كلما أنتج شعراً أفضل كالبيد الذي يتعاقب بمرور الزمن.

كان صديقاً إسحاق القرشي يسألني كثيراً عن محمد المكي - الذي لم يكن قد التقي به - بلازمة طريقة بلهجة ناس بحر أرزي «هذا لشاعر عامل في عمل» ولا يمتأ نكر قصة قصيدة «أبها الواقع في حرج الكركدن» التي ربما يكون قد كتبها محمد المكي وهو بالصف الثالث أو الرابع بمدرسة خورطقت الثانوية عشر عليها إسحاق دخل كتاب مدرسي حين نقل إلى الصف وكان الكتاب يحضر الشاعر الذي ينقل ومنذ ذلك إلى الدراسة في جامعة الخرطوم كان إسحاق يقول بدهشته الهائلة تلك هذه القصيدة كتبها فتى صغير كان يرتدي «الشورت» المحاكي والقميص البولين بكمين قصيرين ومارلت أحتفظ بها يرجو أن أحدثه عن ذلك

وحين تحدث عن بداياته في الكتابة قال محمد المكي «وبعد أن تشعب سيرة تشيعوف وجوته في كتيبات سلسلة اقرأ رحت أحلم بأن أكون كاتباً في يوم من الأيام، فأحسست أنني اقتربت من تحقيق ذلك الحلم يوم نشر لي الصباح الجديد (مجلة كان تصدرها الأستاذ حسن عثمان منصور) قصة قصيرة ثم نشرت صحيفة الطبيعة (السان حال اتحاد العمال في السودان) قصيدة صغيرة كانت السبب في معرفتي على الأديب العيلسوف عيد السلام نور الدين

إستطاع ذلك الناقد أن يمس شعره حمرة الملك طمس مساً شغفاً بعد إلى جوهرها واسكه جديدها . لا أنه لم يستخدم قواعد نقدية صارمة . إستدل بثقافته وحساسيته إزاء الإبداع . فكأنه في ذلك كان إنطباعياً ولكن بصورة مدركة لا تحظنها العين . أحس بارتباط الشاعر العميق بالبيئة ، وأشر بنفس نصيب إلى مواضع العظمة الشعرية في قصائده . كما أحس بتأملاته الفلسفية واسبابها في سيجة الشعري .

من الواضح أن انطباع العام لشعرية حمرة الملك طمبل رومانسي شأن رمانه - واستخدمه لغة واستدعاء انصور و لأحيلة أقرب إلى الواقعية فصوره حاله ومفرداته مباشرة وعارية من أساليب البلاغة وظن يصبو في قصائده لأن يتعرف عليه المتلقون من خلال مداه في التجديد . كما تسمى لو بفرصة عليهم بالثقة عامة .

وبما أبي لا أحو محي نقدياً في تناوبي شخصية الشاعر حمرة الملك طمبل ولا أنقيد إلا بما أحسبه يصيء بعض جواب تجربته وشعره ، أجد نفسي مدفوعاً للإستشراق بعضاً من عالمه الذي ظل مجهولاً وما كنت أجرو على هذه المحاوله لو لا أن أتاح لي رؤية الديوان بأريحية المعهودة الدكتور فيصل عبدالرحمن علي طه وكنت قل أن أطلع على الديوان لا أعرف من حمرة الملك طمبل سوى أن إياه هم ملوك أرقو ، الذين حكموا مسطقتها عقود من الزمن . وأنه عمل بالإدارة البريطانية ردحا من الزمن .

ثم يهتم حمرة بشعر الوصية ولم تحدد السياسة هوى في نفسه رغم أن قصائد الديوان هذه كتبت في أوج العاصف الثوري الذي امتد من بداية تكوين الجمعيات السياسية وحتى هزيمة ثورة 924 . وما صاحب ذلك من أحداث دامية مأسوية تركت أثرها في معظم المثقفين السودانيين . والأكثر من ذلك أن الديوان نص من عديدها بالإجلاء بصورة سافرة ومباشرة . ألم يحاول أن يحمي كلفه وهيامه بدوي العيون الحصر فقد استقبل المدحوب السامي المورد اللبي بقصيدة عصماء لدى زيارته

أصبحت

للدويم وكال له المديح وحاطه بفاتح القدس

وبيدر المعارقة عادية أن يكون الشاعر توفيق صالح جبريل - الذي يحذر من نفس الأرومة الملكية- قد استقبل النبي بشعر عاضب مجلجل تداوله الألسن ونقاصي توفيق نعمة عصف وتصيبها وظل قابعا في وظيفه نائب المأمور، لأمر الذي ظل مصدرا لشعره وسحرته طوال حياته.

وحمره الشاعر الملك كان يرى للإنجليز فصلاً على أسرته -التي طُت من أبرر سنوات الإدارة لأهلية- وقد نوه بذلك انفصل في قصيدته «على قبر» لتي يرثي فيها أباه الملك جميل حمد فيقول

بيك المسافر في حرر حرير
هو يرعب كرام الإنجليز
قد أجازوك كما كنت تحير
لم تزل أنت على الناس عزيز

لم يكن حمرة وحده الذي نأى بنفسه عن الحركة الوطنية وهم حياً بالمستعمرين
كثيرون مثله من المستعلمين رأوا في قادة الجمعيات السياسية والحركة ثورية الوليدة
غوغاء وسوقه وطنوا الإنجليز محلصين جذيرين بالوفاء

وليس عديراً لحمرة أنه كان أرسقراطياً يهين إحساساً بمحتده السيل ودماته
املكيه مترفعاً عن الشأن العام إلا أن ذلك الإحساس لا بد أن يكون قد شكّل
بصرته للأمور ودفع به لاجاد مثل هذا الموقف ويبقى من حمرة -مع ذلك- اشاعر
الذي حاص معمره منكزه في سبيل تأسيس عصاء شعري جديد ولد حمرة في عام
1893 وتوفي في عام 1960- عليه رحمة الله

10 يونيو 2003 م

بين الشعر والنثر

محمد لمكي إبراهيم



صديقنا لشاعر محمد لمكي إبراهيم بقدر ما هو شاعر صبحم قريب فهو أيضاً
كاتب نثر مختلف. إذا تشرفته أسلوب ليس لغيره منه نصيب. يطرح أكثر القصص
تعقيداً في الفكر والسياسة والأدب بأصم الألفاظ وأيسرها ولا تحفى عليك
سحرية الذكوة للادعة العميقة كتب لي مرة إيان الجوبة الأولى لندما وصات
بين حكومة الخرطوم وحركة فرق. كان يدكري بأيام مصت والرمال ثم يذهب
بالناس كما فعل الآن. ذكربات مصى عليها أكثر من عشرين عاماً، وكنا عهد
ذاك في ميعة النص الوقادة. جمعنا أمسية ندره تحت سماء الخرطوم بحري
الصافية العميقة، في حديقة البلدية، مع مجموعة من لأصدقاء الشعراء. رسم
صورة أحاذة لندك اللقاء، فقال: أذكر بك الليلة القمر، في حديقة البلدية
حيث وجدكم أنت وشابو وراشد. جلسنا تحت قمر وهاج بحما نخيل عامص
السوا ويتلامع من حولنا بيل صامت ريع في حال سبيل طعما وشربنا وتلددنا
بالشعر وهالك رددت أنت أبياتاً استحوذت على روعي رداً من الرمال هل
تذكرها بأنني قد أسيتها وما أسايتها إلا الشيطان (الذي يكمن هذه الأيام في

أصوات

تفاصيل منشاكوس) لك أن تستمتع سحره هذه العائة الجميلة أو تنعجب من ذكره الفونوغرافية المدعشة فرعم مرور نك السنين رحاته الحافلة لميته طل يذكر قصيده قبل مرّة و حدة في أمسية مياغته عابرة لولا ذلك لما كان محمد المكي لثقاف الموسوعي اممتلى الوجدان، والمترع الحاطر والفاصل الإبداع

نحن الآن نتابع مقالاته السياسية حول الأزمة السودانية والقضايا العربية وبلاحتها . فهي محتشدة بالمعلومات والمشاهد التاريخية والتناول الحلاق.. للغة الجامعة والفلس الطويل والسحرية التي لا تحلو من عصب الشاعر وانفعالاته وهو يقول إن لكاتب في داخلي طلي يصل ويكن دون حرص على لظهور - وهي عادة لم أتخلص منها إلا يوم طلعت الدبلوماسية. وتحت طلال لتعدين الدستوري الثاني (المادة التي ضمن حرية الكلام لكل سكان لولايات المتحدة ونسبها) لم يعد هالك من ميرر للإترواء وتحديي الآن أكس في صحف عربية كثيرة ومن حين لأخر أناوش الصحف الأمريكية برسالة ومقالة في حياتي لم أعش خصوبة قلمة كذلك التي أعيشها الآن ولدت أسباب كثيرة بها قصة الوطن التي صارت تؤرق الكهل والشبح والوليد جاء حديثه هذا في حوار ممتع أخرته معه مجلة «كتابات سودانية» من حوالي عامين لخص فيه تجربته في القراءة والتكوين وفي الكتابة

طعنا محمد المكي كتب شعراً جميلاً ولا ريب مد بداياته الماكزة كان له صوته المصرد المجلجل، لذا أدهش الناس وعما جبلا بالعمر والاعتداد كان شاعر أكتوبر بلا مراع، حين كتب شعره ذاك لم يكن قد تجاوز الخامسة والعشرين بكثير ولا تزال تلك المصائد تكتسب جده وعنفواناً نلود بها كلما ألمت بنا جائحة وتراءى لنا الحظر..

ما ترك الشعر محاصراً فهو لا يزال يكتبه مألفاً متجاوزاً ولكنه بات مقلداً إنسي

أصوات

جئت مصباحاً وسلوى
ها هنا السجاد وبالرحب تفص
أنت شجرت السماء

شاعر كالرمح جسماً وروحاً. حاد الإنباه. ونوع بالحديث إلا أنه يجيد الإصغاء بروح الحكماء. كلماته تصل صليل الأجراس وشعره يتماقم في المكان فيستحيل سحر وأسطورة وشجراً دلوياً يأخذ بمجامع القلوب. شاعر بغوص في أحران وجودية لا مسيل إلى الإقصاح عنها ولا الفكك. يستعين عليها بالصحت والإبتسام الدائم لتثال وتسررب في السديم، ثم لا تلبث أن تعود. عيده ترقان في شراسة الصقر ورداعة اليمام. يحدثك فيمعن في الكرم وروح المعاملة. لا تستطيع وصفه بالأريحية أو ليس العربية فهو أكثر. كان كثيراً ما يقول لي إن الحساسية هي دائماً لقديم كأنها قد آذنت شحمه وأنت على لحمه فاستحال حيفاً بحيلاً كشجر السيمبان في يماعته شيفاً كسحابة صيف عابرة يحدثك عن معارف لا حدود لها ويحدث في عيبك كأنما يعتذر عن علمه الزهر لا يتفصل وإنما يعطي ويمسح، لا يمتن ولكنه يتعطف لا يبحث عن صوة ولا شهرة إلا إذا كانت النجوم تسعى لذلك.

كتب شعر حميلاً منذ سنوات صباه وصدر به ديوان «أعمية للإنسان الفرس الحادي ولعشرين» في القاهرة عام 1968، و«حاطب الليل» في الخرطوم عام 1988. ويعتبر من جيل «الستينات» والرغيل الذي أسس مدرسة «أبادهاك» نشرت له الصحف والمجلات داخل السودان وخارجه.

صحباه خلال سنوات ممرعة حصرية. وما كان أسعدنا - نحن المتلقين - بحس بين يديه كمن مساء وصعبي لتلك العذوبة المنهمرة كما عبر محمد المكي - وجأنا ذات أمسية وهو يقرأ شعر باللة الإسبانية كان من ديوان لشاعر

يا ترى هل كانت هي العصيدة التي تحدث عنها إسحاق؟

والدكتور إسحاق محمد الأمين القرشي كان شاعراً وسليلاً لدوحة شعر كما كان باعداً وكاتباً ومحدثاً برعاً مطمح كالشهاب في فضاء الثقافة وكان لا يران بالجامعة ولكنه أثر الإبراء وكف عن الكتابة وبيل إنه نصوف. تشقظ أحباره نصممش عليه ولا تظهر بطائل يروي الطمأ فالرجل كان سباحاً محتلاً وهو يشقى الآن بين الجامعات الأوروبية والعربية مما رايه قلقة القديم أكاديمياً وعالمياً لعويا يدرس لغة العربية؟

تطوي نفس شاعرنا محمد المكي على حث عظيم لوطن أفسح عنه برواثة الحادثة «أسي» شعر لا يكرر مارلما يحفظ منه الكثير وبراجعته في كل حين هذه ليست نظرات نقدية بقدر ما هي تجديد للإحتفاء بما صمغ الشاعر لأمة ولما يكمه لها من حب. أعجبي كثير، حديثه هي ذلك الحوار الجميل عن كردفان والأبيض التي شهدت هفوتته وبقاعته المفعممة بالذكريات وهذا جزء من نشره المصمغ، فإن يوماً ما ستجد نفسك منجذب إلى الماصي باستمرار وأن الطفولة والصبا هي عماد حياتك وأن الآن في نفس المرحلة تطمر كردفان إلى ذهني ونسي كل يوم السودان القديم الذي عشته هو إلى حد كبير كردفان وحرطوم السيات. مارلما هالك تحوّل إلى أطلال وفكر، حوتني هي ترميمه ثم وجدوا أن فصول مدرسة القبة التي انهارت أهم منه ذلك عمل من أعمال أهل الحمة أسأل الله أن يثيبهم عنه أحسن النواب وهو فعلاً مُقدّم على ترميم بيت الطفولة ولكنني سأكمل ذلك المشروع ذات يوم وأذهب لأعيش جزءاً من زمانني مع أولاد الحلة. السور صالغ حميدة ومكي المصاعد وباسين صقرا، وكل ذلك تحت ضلال شيخنا ورئيس سجادتنا الولي العارف السيد الكري نوح لأصفياء مبقي حدن الروح فصيلي جماع وعاش في حي القبة وكتب فيه قصيدته بباهرة «شارع في القبة» ولكن ذلك كان في زمن راح وهذا زمن آخر فقد عدت إلى

مدسة الطفولة قس أن أعاد السودان فأكرتها تكراراً شديداً كل ما فيها تعبر
للأسوأ وأيام ريارني كان جلاورة موفق الحيرية (وهي واجهة أمية) بصطادون
طلاباً من الشوارع وبأخذوهم إلى مشرف المدينة حيث يعذبونهم ويتركبونهم
على قارعة الطريق إستقام من نظهرانهم التي أحرقت لهم بسكهم الإسلامى (مد
منى كان بالإسلام بوك؟) هنالك مشاريع عملية أحلم بها المدينة العمر لجميل
لاستعادة بيتها التي صاعت وبصان الماء إليها من صاحبها القائمة في حوص
جرفي، وكل ذلك رهي برحيل الإحشيد يس فيدره تطل كل السكت مقطوعة
والمستقبل مرتهن».

آخر رسالة تنقيتها من صديقي لشاعر محمد المكي إبراهيم بالبريد الإلكتروني
كنت في عاية الطرف والإيهار... د انجلو- أراب عبرات بالعربية والإنجليزية
واستخدام ذكي للفتن. تصحكك وتسمك وتصيح عن إسكيات اشاعر
المدهشة وعشه لمشاعب وقدق الإبداع في كل ما يقول ويعمل.. لقد اشعلت
في الأيام العاصية وسافرت وأحشى ألا أكون قد قمت بالرد عليها وأنا أطمع أن
تكون هذه الكلمات رداً مفروحاً (على الهواء مباشرة كما يقولون) عليها تشفع لي
تقصيري في حق الشاعر العظيم.

بعد أن من الله بالشفاء على الممان الكبير محمد ردي وتكملت العملية
الجراحية الصعبة بالنجاح في الموحدة كتب إليه صديقه محمد المكي من
وانسطن نهشه جميلة جديده بأن يقرأها الناس الساطة لمحنتشه بالمعاني
كتب بقول إلى حجرة الشعب السودى المجلجلة، أحي الحبيب محمد
الوردي، والحاجة والأجان والأحماد - شكرا بك على هذه السعادة الكبرى
التي أدخلتها على قلب أحيك وقلوب محبيك في كل مكان باستحداثك الطبية
بتعلاج ونقبل بسك لهذه الهدية المقدمة إليك من فؤاد سليم وية خالصة
أنهص سالماً معافى فالكل بانتظار إبداعك الماصح الجمين كتب الله لك عمراً

أصوات

جديداً ولا شك أنه سيمحس عن من جديد أجمل وأحلى من كل الحمال
والعدوية التي صمعتها في الأيام الأولى. تغيل التهدي مني ومن أفراد عائلتي
وكافة أصدقائي ودمت في نعمة ورعي لأحبك محمد المكي إبراهيم-
واشنطن

حمل إلى صديق للطرفين وهو صديق أيضاً لوردي هذه الكلمات التي أرسلت
إلى الفسان الكبير. وكتب هو أيضاً كلمات لا نقل روعة وجمالاً وطلب مني أن
أفعل مثلما فعلاً حتى يسعد الفسان في فترة نقاهته، ولكني ترددت فكلماني
ستعدو خرقاً بالية إزاء ما صنعاه من كلمات

الشاعر «ذو القلب الرنن الأجراس»

شابو



حين استعمر عن أحواله محمد المكي إبراهيم في إحدى رسائله الخاصة كتب إليه أقول «أما شابو فأشاهده في برامج ثقافية تلفزيونية - نظر إليه مشاعق يجلس وسط أناس ملتحيين لا يعرفونه - كمن حلت عليه نعمة الهدد - يتحدثون بلغة محمد فريد أبو حديد وعلي الجارم وعبد العزيز جاورش لا يتجاوزون مقررات اللغة العربية في المدرس.. يحاول شابو أن يحقق بهم فيقعدونه بنظراتهم البلهاء وروح التعالي الأجوف.. علمت أن أموره مستقرة سيباً حيث يعمل بالتدريس في معهد لتعليم اللغات».

كان شابو ولا يزال يكنى «عجائباً كبيراً ومودة حالمة لصديقه الشاعر، وفي قصيدته «أغنية لمكي إبراهيم» يقول عنه:

صرت إمكناً خرافياً وثوقاً

أه يا طبعاً كما لمح الصبابة

جئت ليلي

كمان الجزولي..

قمح الكلام ونبل المرام



«نحب نكفي الشاعر أن يحكي من أي شعور في بيته»

بول إيلوار

«لا ينقص من قهر الحمال أن يفقد نحره وأن يمد على حصى الجمر الشريفة من الشعب أمصر ليس قافية رديئة، والعائلة الوطنية من التورفة لا تشع شياً من الشعر»

فيكتور هيغو

الشعر كمان الجزولي، نصبح قمح الكلام في بيته واستوي حبراً وامتدت
كرمه وتعرشت طلاً وريفاً وعدت دن معتقة شميعة رفح عقيرته بالعند والنشيد
لعذب وشتار من عيون ما قال فأهدي للمدعين الراحلين المحدود وأبودكري
وعني عبد القوم وغيرهم، كان يرمي بشظايا سدل الشعر في الجمر قبضة قبضة
حتى فف شعر المكاد واعتق وبعيت الدوف عطة وثناء وامناد وبجاوبت
أصداء أنفاس الشعب وأنساق رجده ووعيه أنفاسه الكامنة بحرك أوراق العشب

شيلي بيلو فيرود .. عقدت الدهشة السمتاء.. ثُمَّ لَمْ يَبْثْ أَنْ إعطف مترجماً
لنشر هوربا بلعته العربية الصقيلة ومعداته لغتانه. كان يترجم بلا توقف وكما
نلهف ونود أن تحفظ الكلمات ولدهشة تتصاعف وبعد أن أقف حذوا عن
صفحة عقدها مع لمس الإيطالي راعي الكنيسة الكاثوليكية بالمدينة «كوستي»
أن يعلم كل واحد منهما الآخر - العربية والإسبانية إتحداً أحد فصول المدرسة
الفنية العليا - حيث كان شابو مديراً - مكاناً للقاء التعليمي وبعد مضي ستة أشهر
كان شابو يسكن بالحضور ويسأل السورة بأشعار لوركا وبيرودا ومقتطفات من الأدب
الإسباني، ذلك قبل أن يأتي صديقه القس فاعراً معه من الدهشة حيث كان لا
يرال هو في مرحلة «حمد والتؤد و لجمال». ثُمَّ لَمْ يَرْحِ أقدام سافر تاه.

عاش الشاعر عبدالله إبراهيم محمد موسى (شابو) أياما قصيرة في مدينته
كوستي في سنوات السبعين من القرن الماضي، كان يتلقانا في داره مرحباً
متهدلاً، ويجلس إلينا موقور اشباب.. رائع المحيا، بهي السميت، طلي الحديث
إلا أنه يعيبُ حياناً ليحتلي بصديقه الشاعر عبدالعزير سيد أحمد وكان ينفقه
بديهر العلوم. كان يقيم غير بعيد عن دره ويعمل مهندساً في مشروع سكر
عسلاية يحتلين فيتناجيان ويرصدن المجرات ويتحدثان في المعارف والعلوم
والشعر والأدب والتاريخ مرابط حيولهما الترامحة في براري الإبداع يقول إن
نديمه ذلك كان يحيره هي ما يكون عنه الحديث ذلك المساء عن بناء بعض
الكبرى أو درب انشابة؟ أم عن حصاره الإيكاء، ثم إكتشاف الحديت وعن صهره
حتى يشف كاليدور؟ كان شديد الإعجاب بصديقه الشاعر عبدالعزير سيد أحمد
وكانت تروقه عراية أطواره. كان يحكي قصة كرامه لأصهاره فريسان الرريقت
حين جاءوا الزيدته في الخرطوم، ورأى الدبائح لاني بالمطلوب فعمد بشراء أكبر
بمرة سمك من جهة حراي جبل أوبياء تزن ثلاثين كيلوجراماً أو تزيد وأمر أن
توضع على المائدة كما هي معشوة بالحضروات وتوبل فامتدت بطول

أصوات

المائدة تعرف عن رعته العزلة في إكرام الصيف

ولد شايو بمدينة الكوة في الليل، الأبيض، وظلّ ولوعاً بها كلفاً مشوقاً وحين
كتبت مرّة عن الدكتور النجاني الماحي، كان لا بدّ لي أن أشر الكلام بشايو
الذي يكنّ تقديرًا عظيمًا لقريبه العالم الموسوعي وتحدثت عن الكوة أيضًا من
خلال محبة شايو لها فأعجب المقال أهل المدينة وأسعدهم وأبلسي شايو
فسرني ذلك.. فهم بعض أهلنا ويسا ويهم صلوات وشجة.

عاش شايو في مصر ذلك المخاض العظيم الذي أعقب ثورة يوليو وتأميم القدة
والعدوان الثلاثي وحركة التحرير الأفريقيه في إبانها فتصل بالحركة السياسيّه
والثقافية وعاصر جيلي عبدالرحمن ونجاح السر الحسن ومحيي الدين فارس
ومحمد مفتاح الميتوري، ورأى كيف كان عبدالوهاب ليأتي يتحاشى المجالس.
راقب في رؤية القليل ممن يحب ويستقي في مقهى ريش ملوك شاعر الجامع
والمناسي من العادي والمألوف تلك المرة بركت بصمانها واصحة في تجربة
شايو. وكان لا يفتأ يردد

(إثنان ما لاقيت أقسى منهما

شيس المصحي والشاعر الحساس)

وعندما عاد من بعثته الدراسية في الولايات المتحدة كان قد اكتسب تجربة
جديدة باتصاله بذلك المجتمع وقرأاته للأدب الأمريكي عن كثب فالتمس
بعينه في وولف ويتمان وريتشارد رايت وجيمس بدموين وغيرهم

عاد ليعمل معلماً بالكلية المهمة لعليا ويتألق في مجال الأدب والشعر في
سنوات الستين

في الشهر الماضي إلتقي بعد سنوات في الخرطوم بمكتب صديقا وتلميذا
الأديب الدكتور أحمد الصادق أحمد مدير معهد اللغات «صلتي»، كان شايو

قد أنفق تسع سنوات بدرس الإنجليزية في ذلك المعهد بعد أن تقاعد عن العمل بورارة التربية، بقصصاً مبهراً وصيماً طيباً ودارت بينا أحاديث الذكريات، فأنحسب بطيب حديثه بدي تحليلته فرءات شعرية كان يتكلم عن الشعر وعروصه ويربط ذلك بألحان "الجانودي" في بادية السودان فأسمعنا كل جديد ومثير وطلب منه الدكتور أحمد الصادق أن يقرأ قصيدة «حجر» التي يقول فيها

ماذا عليك إذا ابتعدت

ماذا عليك إذا انقصى رص لواء

وصوحت أمجاد عمرك في لربيع

حجر تكثف ثم ألقى في طريق السابغة

ماذا يبعد المس من حزن المريق

فالعشب بتمر فوق ظهر القافلة

والشمس تشرق دائماً في الشرق

تشرق دائماً

وتلون الأفاق بالبهج العتيق

مازال شابو يتربع على عرشة الشعري ويتألى في مجالات الثقافة ويتمتع بصلات واسعة مع المبدعين شباناً ومحضرمين، ويعرفه جميع العاملين بالصحف اليومية، يوقروه ويمحسونه كثيراً من الود والإخلاص، ومازل قلته كما قال:

في قلبي هذا لرنان الأجراس

نحان يشعني حباً كالبحر

ويقتلني مقتاً

صاعمت لأحزن الوقت

صاعمت لأحزن الوقت

عرفات.

المثقف لمرهف واكتب لطليعي



عرفات محمد عبدالله

شهدت سنوات الثلاثين من القرن لعاصي في السودان عيب ثلاثة من
 نمر رموره في الإبداع والفكر والتعبئة. فقد غيب الردي حلالها الشاعر بعد
 وهان الوطنية خليل فرح والشاعر العبقري النجاني يوسف يثير والكتاب
 الطليعي عرفات محمد عبدالله، قصوا ثلاثتهم ومارالو في شرح الشيب.
 يشاركون بوعي في التأسيس الفكري والإبداعي لأمتهم يشقون جهامة بيل
 طويل ما كان يلوح في أفقه صباح كتب محمد أحمد مجوب مقالاً مطولاً
 يتحدث فيه عن الرند عرفات في مجلة «المعرج» في 16 مارس 1937 فقال أندكر
 يوم أن مات عرفات فخرحت لعاصمة المشقة جميعها تشبه إلى مفره الأخير
 باكية حريبة ألم تغل يرمداك إنه انتصر لدعوتنا، وأن اندس كان يهدمون عرفات
 وأنصاره ويقتلون من قبعة ما يدعون إليه ويكيلون الشتم، كانوا في ذلك اليوم أول
 لياكين ولي طليعة مشيعين؟ ألم تغل يوم ذاك إنه الخطوة الأوس لتي خطاها
 لسودانيون نحو القومية السودانية؟.. وها هي الأيام تمضي سراعاً، وها نحن
 مازلتنا نكافح ونجاد، وها هي مبادئ عرفات تزداد كل يوم رسوخاً في لأدهان،

كلريح لعجربة فنكتسح اركاكة والبدانة والعشاة وما را من تنع وهجاجة

جاء كمال الجرولي إلى دولة الإمارات بدعوة كريمة من لقائمين على جوائز سلطان لعويس لأدبية، لحضور حفل توزيعها فاستضافه لمجمع انشاعي في أبوظبي بالتعاون مع الجمعية الثقافية السودانية التي قدمته فقرأ شعر جديدًا أصبح، ناصحًا بالحكمة والمعرفة مررًا بحجبه خصوصية قليل من الشعراء من نعرض لها حيث وح السجج والمعتقلات والتهديدات المسمرة بالنصعية الجسدية. ذلك ما عبر عنه في قصيدته هيس:

ليس القبل ما أعافه،

ليس المينة المفجعة،

ليس اندجار هذا اباب وجاة

أو دحولهم - عند منتصف الليل -

بالأسدحة المشرعة

لا.. ليس دمي الذي يسبح في قبحه

ولا جمجمتي التي تتشظى على لجدار

لكنما أخوف ما أحده

هو الخوف ذاته

ذاك الذي يد عقلت عنه لحظة سري إلى مسام الروح،

مافلأوس السمادير المنمنات

في هيس الانكار

في مراثية للشاعر القليل فيدريكو جارسي بوركنا قال شعرون محمد المكي إبراهيم، في دروة عطاءه وكدحه الحلاق، «لا يقتل انشعر في أسانيا وإنما يعقي ويستتاب» لا أدري حتى الآن ماذا وراء هذه الكلمات هي القصيدة، ولكنني أذكر أنها أعجبتنا وقتذاك ومارلت شعر ود امكي يطل دائماً كالحليب سائعا

للشربين في مراحل العمر المختلفة مهما تعيرت كيمياء الجسد وتبدلت، الشاعر والحقيقة صنوان والحقيقة ملك الشعب وروحه . والإعتداء عليه محاولة لرواد نذات الروح وقتلها

وبوركنا ندعر إسماني إستطاع أن يمسك بكلمات يديه بالروح لأدلسية ويحمد تجربته بينابيعها وريها وعجوها وتاريخها العابق بالأمشاح الثقافية العربية كتب الشعر والمسرحية بأبكار وجدة وعفوية فأدهش العالم الذي لا يراى يعامل مع إبداعه بكثير من التقدير والإكبار وحين أردت قوات الفالاح السوداء في أحربات الحرب الأهلية أن تصيب إسمانيا في كبدها وتفقد روح المقاومة لاحقت الشعر بيتاً بيتاً حتى اقتادته إلى ساحة القتل كالفائز المحرور لتقع المأساة التي لا يراد هولها مائلاً.

وكمال المحولي هو ابن الشعب وقد بام درمان في وقت كانت هي قمة مراحلها الثوري تنهياً للمحاض لعظيم وشأ فيها وبلغت تعليمه في مرحلته الأولى بمد رسها ثم هاجر إلى كيب لدراة القاون ومد ميلاد قصيده «أم درمان تأتي في قطار اشامة» مات أحد الشعراء السودايين المعروفين وكان لا يراد طاب بالجامعة

كان لتجربته في الإتحاد السوفييتي أثرها حيث تعرف على كتاب وشعره محتلمين قادمين من أصفاع الأرض البعيدة. وعاصر مبدعين سودايين كانوا مفهمين ودرسين في موسكو أمثال لشاعرين جيلي عبدالرحمن وعبدالرحيم أحمد عبدالرحيم «أبودكري» والقاص مصطفى مبارك مصطفى. وكان بينهم صداقة وود وظل هو وأبودكري يتراوران متقلبين ما بين موسكو وكيب وقد تابع كمال التجربة المأساوية بصديقا أبو ذكرى التي قادت في المهية إلى موته

ومن عجب أنني كنت أفكر في انكتابة عنه هذ الأسبوع عندما عثرت بين أوراقى

عنى حوار أجراه أبوذكرى مع المجدوب هي أوائل سنوات الثمانين الماضية وبشرته إحدى الصحف السودانية أدخلني ذلك الحوار في العالم الشري للشاعر المجدوب الذي شاقني تناوبه لبعه واستخدامه للمعردة، كنت أتهيأ للكتابة عن ذلك لولا أن حاجاًنا كمال الجرولي بربارته المباعثة

قل سنوات شرب صحيفة "الاتحاد" الطيبانية للشاعر كمال كتانته الثاكلة عن صديقه أبوذكرى كان داهلاً وحاصراً عندما كتب، وكان مثلاً لديه ذلك السوع الشعري والعنقري العدة، فتمتع راصداً تلك اللحظات الأليمة والتحويلات المربعة التي كانت محاصر روح الشاعر وسوقه في مشارف الردى

بعد سهرة عمرة بالود والمشاعر الفياضة جمعت عدداً من الأصدقاء بمبرل صديقنا المبدع عثمان حامد سليمان، بحثنا بالشاعر الرائر، عدت معبباً أنأط مجموعة من الأعمال الأدبية والفكرية من إنتاجه الأخير، ولم يهدأ بي خاطر حتى تصفحت كثيراً مما تصمته فاطرتني أيما طرب وملأت حواسي بالرضا والعرفان

فكمال ليس شاعراً محيداً، فحسب وإنما كاتب أيضاً واع بسوره ومؤولته كمثقف وطي قل كل شيء. كتب مقالات ثرية بصراصة الأكاديمي وعذوبة الشاعر واستدعى كثيراً من المرجع الشهمي بأناة وتبصر. عكف عليها مشيراً، جاداً ودوياً. متمكناً من أدوته الأبدية في الروية والإمعان لم تفته روح الفكاهة والمسامرة رغم ما احتوته تلك النصوص من فصل الريادة الفكرية البكر بمصيانا انشائكة المعقدة تشعر كأنك تمنحهم عالماً فكرياً جديداً. وأنا لا أريد أن أقصد على لقاري، متعته قبل نشرها واستعجل فرحاً مجزواً وإنما سأعمل على إنتاجها للجميع في موعد جد قريب

19 أكتوبر 2002

أصوات

أفكارهم ورؤاهم.

فكتب عنه يقول «إن رجلاً يدرك للحياة أسمى معانيها ذا عقل نفاذ وفكامة حاضرة، شاعراً سواء أنظم الشعر أو دبح الشر، أو عسى يأثر المتقدمين أو المتأخرين، فناناً سواء أكان عارفاً على آلة أو مقنياً، أو رساماً، أو عاشقاً لهذا أو ذاك من صروب الفن سيجد عيشاً الذي يحس فيه جُداً ممل وعقيم، فإدابه يقرُّ أن الله لا يعير ما يقوم حتّى يعيروا ما بأنفسهم، وإذا كُنا نحن محرومين من الكثير من مباحح الحياة ومقوماتها فلا أقلّ من أن نعي بما يحصف بعض الشيء من مرارة الحرمان، وإذا لم يكن في مبورنا أن مشيء «بأدي الصوت والأدب»، نقرأ لقلة الذين سيقبلون على الانتساب إليه، ولأن يثبتنا لم تنته بعد إلى هذا اللون من اللدات المعوية، ولا بد لنا من نشر لدعوة الأدبية وتهذيب الأدواق، وترويض الناس على تذوق الفن، فلتبدأ بجماعة صغيرة للصوت والأدب يقوم أعضاؤها بمهمة الرُّواد في هذا الميدان

صدر كتاب «موت دنيا» لمؤلفيه محمد أحمد محجوب وعبدالحليم محمد في عام 1946، ولكن الواضح أنه كتب قبل ذلك، فالتجارب المتعلقة بسنوات الثلاثين وبديّة تكوين الجمعيات الثقافية بدت حارة متدفقة بحيوية التجربة وهنغوانها.

وافقت تلك المجموعة على إقتراح عرفت الذي وجد هوى في نفوسهم المتعطشة للمعرفة ولبحث الجديد في تلك الأيام المفقرة، وشرعوا في تكوين جماعة للصوت والأدب فقدموا المحاضرات لتأكيد دور الثقافة في حياة الناس، إلا أن هذه التجربة لم تدمر طويلاً حيث تعرّضت المجموعة لصعوبات عراها المحجوب بجهات وصممها بالرحمة عملت على الكيد لهم ونجحت في مسعاها بحدبهم عن المصفي قداماً، ولكن يبدو أنهم ابرؤوا إلى حين ثم لم يلبثوا أن أعادوا الكرة بإحياء جمعيتهم التي عرفت بمجموعة لهاشعاب والتي قدّر لها أن

وترداد انقلوب بها إيماناً، ولكن هل أدركت يا أخي أن المسؤولية قد تصبغت وأن العبء قد ثقل، وأنا قد بدأنا مرحلة جديدة من مراحل الجهاد، لقد تصور الأمر، فبعد أن كان محصوراً في دائرة جماعة تدعو إليه أصبح اليوم جهاد أمة»

يبدو أن عرفات لم يكمل دراسته في كلية غردون إصطرته ظروف مالم يصصح عنها أحد إلى هجر مقعده وهو في النصف الثالث وذلك رغم نبوعه ومن ثم التحق بمصلحة لريد والبرق كاتاً ومترجماً . وكانت تلك المصلحة تفص شباب متوث عالي الهمم، كانوا يقرأون بهم شديد ويتقدرون الشعر ويبحثون الأدب، وأصبح عرفات رجلاً للمجالس وقطب الرحى في حلقات الأس والنقاش

وقد ساهمت هذه المصلحة بعدد زاهر من الموظفين الذين شاركوا في أحداث ثورة 1924 وفي مقدمتهم عبيد حاح الأمين، وصالح عبدالقادر

وبمآ بات عسراً في قيادة جمعية اللواء الأبيض، التي تبلورت أهدافها واشتد ساعدها خلال عامين أو ثلاثة من تسببها، رأت الجمعية أن تبعث بعرفات إلى مصر كممثل لها هناك حيث معقل المهمة ليصطلي بالأوار الذي خلفته ثورة 1919 ويؤسس مبراً للجهر بحقوق الإنسان في السودان

ترك عرفات الوطنية مليب نداء الوطن، كما ترك عائلته الصغيرة، زوجته وطفليه في وقت كان يعتبر فيه مثل هذا السلوك ضرباً من صروب المغامرة وقد أعلن لدى وصوله إلى القاهرة قوله مع جئت إلى مصر طالب مال ولا باحث عن عمل ولكي جئت أعرض مصالح شعب وأدافع عن قضية أمة»

وفي 26 يونيو 1924 حين حتمت الإنتفاضة المعادية للإحتلال البريطاني في الخرطوم والمدن السودانية الكبرى وانطلقت التظاهرات ووجهت جمعية اللواء الأبيض «نداء السودان إلى الأمة البريطانية» وقد ترجم عرفات النداء إلى اللغة

أحداث

للإنجليزية وشرته صحيفة «النايمز»، كما شررت «الأهرام» بصفه بالذمة العربية. كان الهدف من التذمة طرح العصبية السودانية أمام لرأي العام البريطاني وبيّنه على حقيقة جمعية «الدواء الأبيض» وأهدافها، ورفض الداء لإدعاء بأن السودانيين راضون عن الإدارة البريطانية وانتقد أداء الحكومة في الخرطوم في مجال الاقتصاد والتعليم واعتبر مشروع الحرية مررعة خفية لمصانع لاشكير لإمدادها بحاجتها من الأقطان بأحسن الأثمان

وفي تلك الأيام لتي جعلت بالصبح والحركة في مصر والسودان أعين لسير لي ستاك سرदार الجيش المصري في شوارع القاهرة فاعتقل عرفات ومجموعة من رفاقه السودانيين منهمين بالمرور في حادث الاعياد، وروح في السجن سبعة أشهر أمضاها متدرباً بالنصير ومثلاً للثبات

ولما أفرج عنه ألقي الحقو ملبداً بالعيوم والأمور قد تعبرت والترم الكثيرون دورهم تعادياً لحملات القمع والإرهاب فاضطرت الظروف لأن يفتح حانوناً ليقال ليسد رمقه هو وبعض من الطلاب السودانيين الذين هربو إلى مصر طلباً للعلم، ثم لم يلبث أن توجه إلى سياء ليعمل في شركة إنجليزية للتعبدين حوالى العام، ومن هناك رحل إلى جدة وانتحق بالعمل موظفاً في شركة القاعة للسيارات، وكان يجد في أوقات فراغه متسعاً لتعليم دروس في اللغتين العربية والإنجليزية لبعض الراغبين وأصبحت داره قبلة لرواد جدة من السودانيين والمصريين من لحياج وغيرهم

بعد اعترب دام أكثر من حصة أعوم عاد عرفات إلى السودان، والظروف كما هي. علف ونصيق فكتب إلى أستاذة المستر هيلسون مساعد السكرتير الإداري في الشؤون لأهلية يطلب منه أن يسهل له سل العودة إلى الخرطوم متعهداً بالمحافظة على الأمن العام لمدة عامين.

وهيلسون هـ مستشرق معروف عمل مدرساً في كلية عردون التذكارية، وتقلب في وظائف إدارية مختلفة، وحاض في رسالته بهيلسون «لقد اشتركت فيم اشترك في حركة سنة 1924 تدفعني إلى ذلك وطنيتي، ولد فسلب في مهمتي أريد العودة إليهم إلى بلادي ولا أقطع على نفسي عهداً بأنني إذا دعيتي ظروف الخدمة العامة في بلادي سأحجم عن ذلك»، عاد عرفات إلى الخرطوم لا ليقيم في داره وإنما لينسبل إلى لمجتمعات ولينعرف على الأوساط التي طل عهده بها، ووجد في نادي الحريين صالته فشارك في المسرح، وشهده اناس مُخرجاً وممثلاً جيداً يؤدي دور محبوب ليلي فيسرع الإعجاب والتعظيم وحدث في سبيل دعم المشروعات الشعبية كالمدرسة الأهلية والأحفاد وملكاً المرش، فعل ذلك دون أن يجرعه النحر أو الإساءة لغير ما هو قومي كان نشاطه ذلك وصلاً لما انقطع بسره خارج السودان، فقد كان يشارك في التلالي المسرحية التي شهدتها عام 1924 ووجدت اهتماماً وإقبالاً عظيمين للإجادة التي تميزت بها تلك الجماعة المسرحية من شباب الموظفين والطلاب وفي مقدمتهم صديق فريد وعرفات محمد عبدالله وعبد الرحمن علي طه

حين عاد عرفات مكتسباً خبرات وتعارف جيدة خاصة خلال فترة وجوده في مصر، أبدى اهتماماً واضحاً بالثقافة، فتلقف فكرة محمد عباس أبو انريش لإشياء مجلة «المهبة» وبدل وقته وقلمه في حماس أدهش الجميع وحين احتجت بموت صاحبها أبدى جرحاً وأساءة شديدين كان واضحاً اهتمام عرفات بدور المثقفين كمنخبة فادرة على الاصطلاح بمهمة النهوض بالوطن

كتب المحجوب في «موت دنيا» أن عرفات الذي التقاهم بعد عودته من الخارج وكانوا فيه أيقاعاً كان يحدثهم عن بحرية مساوٍ مصت «كانت مُصممه بالشعر ونص و بالأدب والجمال» سمعته ومهنتين أحريين، ومن المؤكد أنه كان يحدثهم على حرص تلك التجربة ليشكلو جمعيات ثقافية تلعب دوراً في سوره

والإصرار وأعلن عرفان أن المجلة ستترك اهتمامها على الفنون والآداب والثقافة وأكد أنها لن تكون ساحة لتصفية الخلافات أو الإحياز لصرة حرب على الآخر لم تكن لأحزاب السياسية قد برزت بعد وبقي لها عقد كامل من سنوات حتى تتطور الاتحادات ويتم تأسيسها، إلا أن الخلافات بين «الشوقية» و«العيلية» على رعاية نادي الحريجين كانت تحيم على أجواء العاصمة.

وبعد عام من صدوره حطت «العج» خطوه جديد، بإعلانها الإهتمام بالحياة السياسية والاجتماعية لي إطار ما وصفه بالتجديد الإصلاحي الرشيد وهي محاولاتها بخلق شعور قومي وتأكيد الهوية السودانية دعت جماعة «العج» إلى التأسيس الفكري والإبداعي القومي الذي يماشى مع خصوصية شخصية السودانية ومكوناتها الثقافية.

كانت تلك لجماعة قد قرأت الأدب العربي بصفة عامة والإنجليزي على راحة الحصوص خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر والأدب العربي قديمه وحديثه وتوفرت على معارف شتى

وعندما صدرت صحيفة «النهضة» وتلتها «العج» باتت تلك المجموعة مواجهة ببداع سوداني يرتبط بحياة الإنسان في بلادهم ومن وضع للأسس النقدية وكتبه بلقصة والأجناس الأدبية الأخرى «في بلد إنعدم فيه اس وحلت مجالسه من المرح» كما عبّر محمد أحمد محجوب الذي أكد بأن العدد الأول لـ «العج» ردهم بما يس دفيه من بحوث أدبية، وشعر جميل، وثقافة اجتماعي أشبه بمصنع الجراح الذي يعرف مكان الداء فيقتله معجلاً بالشفاء، وما كنا سنظر لمدح والثناء بقدر ما كنا نتظر النقد والتجريح ولم يحب الناس حب بهم، فلم يعجب بعضهم بحث صديق أديب عن «سافو» شاعرة لسيوس اليونانية المبدعة، ولم تعجب البعض لأخرى «لرقيب» في صدى المجتمع ولكننا لم نضق درعاً بذلك، بل مصيباً في سبيلنا، وإذا بصحيفة يونانية تصدر في الخرطوم تحيي

تلعب دوراً أساسياً في التأسيس الفكري وترسي تجارب عميقة متصلة بالثقافة السودانية وقد شاركت تلك النخبة بحماس في قيادة الحركة الفكرية والثقافية التي انتهت بقيام مؤتمر الحريجين العام، وسعت تلك المجموعة إلى تكوين ذاتها بالقرءة المتصلة والمناقشات المستمرة وألقت إلحاحاً عميقاً بالبحر العربية والإنجليزية وتابعت لتيارات فكرية والثقافية السائدة وقداك حتى توفرت على ثقافة موسوعية.

وعندما أصدر عرفات مجلة «الفجر» كان أفراد المجموعة هم كتابها وشعراؤها برزت ناصجة نافست مثيلاتها من المجلات العربية كـ «البلاغ» و «الرسالة» و «السياسة».

واستطاعت منذ ميلادها أن تستقطب قراء كثيرين كانوا يتسابقون لاقتنائها وقد كتب الأستاذ عبدالعادر حمزة الكاتب لمصري في مجلة «البلاغ» الصادرة في الخامس من نوفمبر 1934 يقول «نص لي في وائل كل شهر مجلة سودانية تصدر باللغة العربية اسمها «فجر»، وهي من المجلات العربية انقليله التي أقل على مطالعتها بحاية رائدة وبشعب غير قليل لأسباب عديدة منها حرارة ما يعالجه كتابها من موضوعات وجودة اللغة التي يكتبون بها وحرارة الأساليب وغير ذلك مما لا يحده في مجلات كثيرة تصدر في بعض بلاد انشرق العربي، وتدعي التفوق والترغم في الأدب الحديث

تحدث السكرتير الإداري لحكومة السودان جيمس روبرتسون عن شعار «السودان للسودانيين» في عام 1945، وقال إنه وفاة حسين الحليمه شريف في عام 1928 تفرقت جماعة هذا الشعار، إلا أنه ظل يعمل في نفوس بعض الموظفين ولصباح حتى عاد للظهور مجدداً بعد نضع سنوات كمصدر إنهم لجماعة من الشباب المنتمين يعرفون باسم «جماعة الفجر» كان يقودهم عربات

أصوات

محمد عبدالله الذي لعب دوراً بارزاً في اضطرابات عام 1924، ولم تعد لديه أوهام بشأن مصر»

كان حسين الحليمه شريف قد كتب في صحيفه «الحصار» خلال شهري أغسطس وسبتمبر 1920 أربع مقالات بعنوان «السودان ومصر أو المسأله السودانية» تصدى فيها لمطالبات مصر المنكية ولباشوات الإقطاعيين الذين أخذوا يتحدثون بصوت عال عن حقوق تاريخية في السودان.. حقوق الفتح والسيادة! وذلك في أعقاب ثورة 1919.

حدد حسين شريف موقفه في شعار «السودان للسودانيين» وفي أوقات لاحقه تراجع عن موقفه المشدد إزاء مصر ورأى مصرورة إقامة نوع من الاتحاد بين مصر والسودان للحفاظ على الروابط التاريخية للبلدين»

كان عرفات أحد قادة حركة اللواء الأبيض قد عاد من مصر بعد سجنه في أحداث اعتقال السير لي ستاك وبعد خروج الجيش المصري من السودان إثر طلبه لأحداث العاصفة التي بلغت ذروتها باصطدام فرقة عسكرية سودانية بالجيش البريطاني وكان قد تردد أن هناك اتفاقاً جرى بين قائد الجيش المصري أحمد رفعت ومجموعة من اصباط السودانيين الذين قادوا لانتفاضة المسلحة لا أن رفعت تراجع عن الدخول في معركة إلى جانب السودانيين ضد الإنجليز وانصاع لأوامر الملك فؤاد بمعاداة الحراطوم هو كان عرفات واحداً من بين عدد من المثقفين السودانيين الذين أحبطهم هذا الموقف ودفعهم للبحث عن دروب أخرى للتصال من أجل قضية السودان وكان أبرز هؤلاء إلى جانب عرفات، صالح عبدالقادر، وعبدالله حسن

كان كل ما يمتلكه عرفات حين تقدم هو ورفاهه لاستصدار دخصة مجلة «المجر» جيبها مصرياً واحداً، فصدر العدد الأول في لثاني من يونيو عام 1934 بالعمرم

أصوات

«أيها الناس إنا نحترم العقائد والمبادئ والآراء وبرى هي اختلافها ضاهرة طبيعية بل محدودة، وليس من رأيا أن نقول لتغير طلقوا عقولكم ولا تطلب إلى أحد أن يفيد نفسه برأي غيره، بل يد رأيا الأمر قد جنز حدوده المعقولة وأفسد على الناس تفكيرهم فإنت نقول. تعادوا إلى كلمة سرء» «إب نفهم، لو كان للمهم قبة أن الحزبين المحترمين يصم كل منهما جماعة من «المجديين» إلى أفراد من «المحافظين» أو من يسمون كذلك ولم أسمع مطلقاً بأن الحزبين يمثل أحدهما «الشباب المجدد» والأخر «الكهولة المحافظة» فكيف إبت بربك موقع بين هذا وبين التعبير الذي أقحم على مقال الأديب «س..» ما لم يكلف أنفسنا من الشطط ما كنا في عسى عنه إن هذا يذكرني بتلك القصص الطريفة التي حوت محرى المش بين العوام عن «البحل في الأبريق» والجميل الذي طلع لحنلة والورة التي هي عمر ولو طارت» «إنت رأيت في «الحربية» قد طرحناه للملأ قبل اليوم. وهو أنت ستكرها وترقب اليوم الذي لا ترى فيه إلا بياناً مرصوفاً يشد بعضه بعضاً وقد يسر المرء يد يرى بيران الحرب الحربية نخمد بعض لشيء ويرى الناس كل يسير في عمه، ويمضي في سبيله لا شعب ولا يجب». هذا نموذج من كناية عرفت وأرائه الحكيمة وسعيه لوحدة كلمة الأمة وقد شملت كتاباته السياسة والأدب والاجتماع والصحافة والمسرح والاقتصاد والتعليم والفلسفة واللغة

إسقاط «الفجر» أن تصدر بصورة منتظمة حتى توقفت مؤقتاً لإصابة عرفات بدات الرئة وصراعه مع لمرص حتى توفي في عام 1936 ولم يبلغ الأربعين من عمره. كاتب جرأة عرفات وشجاعته وريادته هو وأصدقائه الكتاب الذين لم يتقاصوا أجزاً فقط سبياً في تحقيق تلك التجربة الثرية

كان إلى جانب عرفات من الكتاب الذين ساهموا بأقلامهم في مجلة «الفجر» محمد أحمد محجوب ويوسف مصطفى النسي، ولنجاني يوسف شير، ومرص

أصوات

محدثٌ لحسن تهيئة وما صدر عدد من أعداد «المعرج» إلا وأعقبته صيحة في دور الحكومة وفي المجتمع فالحكومة غير راضية عن توجهاتها، صائفة درعاً بما يوجهه من نقد لسياساتها. والمجتمع شك في أمره لأنه لم يتعود مثل تلك الصراحة في نقد ومجابهة الحاكمين ولا يراى بشكو من العهد النمسي. عهد الخوف وروح الخسوع، ولهذا أصبح في حال لا يحسد عليها، لأن الحكومة تعتبره معادين لها، وللمجتمع يحسبها ممالئين للحكومة ولا لما سكنت عما وكم مرّت بها من ظروف أظيقت عليها الحيرة نطاق قائماً، إذا حاولنا نقد المجتمع والأفراد وحسابهم ضيقى الصدر لا يرحون بالنقد وإن كان للمصالح العام والحكومة كصاحب لبنت لمبى من الوجدان ما رأيت حجراً مطوحاً في لعناء إلا ظنّه موجهاً إلى داره يقوص أركانها وكثيراً ما فكر بعصا أن يحصم القوم ويهجر القرطاس ويطلق الأعمال العامة، فأبى لا تورث صاحبها في ذلك لحو البعض إلا لأنهم والحيرة والألم

هؤلاء كانوا يؤسسون ويدفعون صرية الريادة واقتحام المجهول، إلا أنهم أكدوا أن عرفات كان أكثرهم إحمالاً للأذى، وكان يشجعهم على المضي قدماً في ذلك المشروع التأسيسي ويطلبهم بعدم الإهتمام بالنقد وعدم الإحتفال بالنشء وانتقدير. وقد تمير عرفات بالمرونة والحكمة فكان يهدىء من ثورة الشباب إذا اشتعلت وتبدى صرامها ولكنه يدكي لهيبها إذا ما رأى لحرر يوشك أن يصير رمداً وكانت إدارة الأمن العام تتابع بإهتمام بالغ ما تتناوله المجلة ولا يكف جرس الهاتف عن الرنين مهددين نارة ومتوعدين أخرى، وعرفت ما ص بجرأته غير عابيه حتى حسبهم البعض على صلة بالسلطة خاصة بسب علاقاتهم بدور عطفة بدي كان مدرس بكية عردوس، وهو لباني ماروني كان عم صموئيل عطية يعمل في قلم المحاورات بدور هذا عرف بعلاقاته الواسعة بالمشفقين السودانيين وقد ألف كتاباً بعنوان «عربي يروي قصته» ورد فيه تحربة

معاوية محمد نور ومشاهد من المجتمع السوداني في ذلك الوقت.

طالب المحجوب على صفحات «المحرر» بالتعبئة القومية لتحقيق الإستقلال «سأقي على الأقل إن لم يكن هناك نصيب من إستقلال سياسي وحددت «مجلة الخطوات الأولى للحكم الذي بتوفير الوظائف ذات مسؤوليه للحريجين حتى يتمكنوا من الإلمام بقضايا الحكم ومشكلات البلاد ومن ثم المشاركة بفاعلية في تقرير مصيرهم.

وهاجمت «المحرر» توجه حكومة الإحتلال للإعتماد على الإدارة الأهلية، وأبدت اهتماماً عميقاً بالتعليم ودعت إلى رفع مسواه ومراجعة المقررات المدرسية لتلبي الاحتياجات التعليمية والثقافية في المستقبل. وطالبت بتوفير التعليم العالي بجد الفرد السوداني فرصاً أفضل في بيل الوظائف والترقي كما اقترحت ألا يتلزم التعليم مع احتياجات الحكومة للموظفين وإنما يكون ضرورة من أجل ذاته، «لتحريج جيل مفيد حقاً وإعداد سودانيين راقيين لا أشباه أفريج، كانت الفرة التي صدرت فيها مجلة «المحرر» من أكثر المعضات حدة في تاريخ السودان المعاصر، حيث أعقبت أحداثاً مهمة وقعت في عام 1924 تمحست عنها نتائج خلّت تؤثر بشكل مستمر في رؤى وأفكار الحريجين، وأضحت تلك «المحلة المسر الوحيد الذي ينف حونه استقفون كُتُناً وقراء حيث أتاح لهم «الفرصة بلورة آرائهم ومواقفهم ومقترحاتهم الخاصة بنظم أنفسهم لمواجهة قضاياهم والتعامل مع سلطات الإحتلال

وعندما أعلب فكرة مؤتمر الحريجين تبسها «المحرر» وأحدث تعبر عنها وتنايع وقائعها وأحارها حتى قيام المؤتمر لينتج مشروعها المفكري والسياسي وطل عرفات يبدل جهوده لتوحيد كلمة الحريجين وتنسيق مواقفهم وكان كثيراً ما يكتب ناصحاً وموضحاً كيفية الحوار وإدراجه واحترام وجهات النظر المختلفة كتب مرة مقالاً حول ذلك جاء فيه:

عما يصحبه جماعة من الفقراء، وهناك أسدى صرورا من الكرامات كشفاً المرصى وقصاء حوائج الناس كان يرفع يديه فسط فيهما الدنانير فيورعها بظاليها ولكن حدث أن رجلاً من الأسراف هي مكنه دعاه يستعين به في شقاء أمه ولما رأى حوارقه حاول أن يسديه مكنونه وبما أن أعبته الحيلة وصف له كبرا في السودان ليسه بالدي وبما عاد إليهم الكز فوحده ومن ثم يسع رقه فكثرت مواشيه وكلف بها حمسمائة من مريديه يركبون الحين ويحملون السيوف المزينة بالعصا ويقفون في قرى مفصلة لكثرتهم وشيد ربيتين لدماشية ليندح منها للأصيف في كل صباح إلا أنهما لاقتان تمتلان كما كانتا

ذكر الشيخ عبدالصناد ولد حسين أنه حدث أن ر ر الشيخ حسن في بلدته. إلا أنه لم يحده حيث كان يتعبد في الحلاء، فلما انصرفه لأيام سمع ذات صباح هرجاً ومرجاً والنساء يرددن، حرج بجميع يساهدون عودة ديك الشيخ الذي وصفه بأن كان قصير القامة، أصعب، إلا أن به دوابت من الشعر مصفورة يرقدي ثوباً من الد مور ويحمل عصا في يده رأه يشق الخمع حتى يلج الحوش رقي أو النساء صربت الطبول وفرشت سجادة رومية على لدكة أمام الديون وخرج إلى الناس يسلم عليهم ويقضي حوائج المحتاجين منهم. وفي ذلك المجلس عرصب عليه فتاة مريضة قطب أوقيه من الذهب مقبل شعائها ولما حياء بها طلب من أمها أن تلبسها رخطها وأمرها أن تقوم فترقص وتقي بعدانها فوق أحد حيرانه الحالسين كان ذلك الشاب قد أسر قولاً في نفسه بيع أمره الشيخ الذي رد عليه بذلك وأشفعه قولاً يؤكد خطوته عند الله حتى أحجل الشاب وفي ذلك المشهد أيضاً طلب من رعاة الصان انعمليس معه أن يطلقوا الحملان برصع ما شاء ومن ثم يهضون للحليب، وبعد ذلك تبقى من اللبن بعد كنفاء صغار لصان م يبلغ ثمانية عشرة وينة- وأطها القرعه الكسيرة أو المرمة

في الثقافة السودانية

محمد خير (مهاك) والأخوان محمد وعبدالله عشري الصديق ولسيد العيل
وجمال توفيق بدوي، وصالح عبدالقادر والهادي الصمراي وغيرهم

4 ديسمبر 2001م.



سير لي ستاك (إلى اليمين)

الطبقات..

بين غرابة الوفائع وعدوبة البص

قال ياكوفي أنا في لخلوة راقدا، رأيت نجمة كبيرة في السماء تعلقت بها
روحي وخرجت من جسمي، فطار، فخرقت السموات الصبع، فسمعت صرير
الأفلام، فلو كان ياكوفي بعد محمد نبي نساء، ثم رجعت فوقعت في جريرة من
حرار المالح فحاءني رجل لابس كسيتين من صوف فلقسي اسمي ومشى معي
خطوبين وجانيبي في قور الصغىرويات فوجدت الشيخ الرئيس في الدرس ومعه
ثمانية طلاب فلما فابلهم رطمت رطمة عجمية.. فركوا القردة، ثم رجعت
فوجدت رواسي عمده مركب، فادخلني فيها، فبحثت طالبا حلوتي فوجدت أبي
في ساقية دماطبي، أهد يا مبر لاس مراك لعلوة فيها فقير محتل بنفسه.
فدخلت حلوتي فوجدت ياكوفي جثتي في الجبة إن تشروها بالمناشير ما تتحرك
فماعت لها روعي فدخلت فيها»

هذه التجربة الطبية العراقية العدة وهذه اللغة البديعة المعجزة التي انسقت
مع محتواها وتحوهرت في نصها خطها الشيخ محمد النور صيف الله قبل قرين
كاملين من الرمان وصف بها تجربة الشيخ حسن ودحسونة صمن مؤلفه المادح
كتاب الانطبقات في حصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعر، هي
لسودان».

بعد فراعته من خلوته يرتدى الشيخ حسن ثيابه لخشنة المصووعة من لحاء
لشعر وني أدمع إهابه وتركب فيه أثرها من الفروح حج الشيخ حسن إلى
بيت الله الحرام وساح في الأرض من الحجر إلى مصر والشام حولي إثني عشر

أصوات

وقد سمعهم بالبنادق

هذا الكتاب رعم أن تأليفه تم قبل مائتي عام. وتناول أحداثاً توارثت عبر لروايات لشفهية وحدثت قبل كتابتها بمائتي عام أيضاً. ورغم أنه اشتمل على كثير من المبالغات. إلا أن يكشف عن معلومات ثرية ومهمة عن حياة سودانيين الدينية والعلمية والأدبية والسياسية والاقتصادية. ويقدم المؤثرات الحقيقية التي أسهمت في تكوين شخصيه السودانية المعاصرة.

تعلب اللهجة الدمية على النصحي في كتابته، إلا أنها لغة حية وعيب ومشحونة بالدلالات الموحية وعلى الرغم من إكتشاف بعض الوثائق والمؤلفات لسي أرحح لعهد القويج وهي الفترة التي تناولها الكتاب - فإن «الطبقات» ضلّ يجسد الأسس المعرفية الحقيقية التي لا يستطيع لباحثون تجاوزها وكان أول من أرشد إلى قيمة كتاب «الطبقات» واعتمد عليه هو الشيخ أحمد بن الحاج بوعلي، كاتب الشونة، ومؤلف كتاب «تاريخ ملوك السودان» أو «مخطوطة كاتب لشونة»، وقد حصي هذا المؤلف بإهتمام عدد كبير من الباحثين والناشرين أمثال ماكمايكل، وهيلسون، وسلمان داوود مديبل، وعلي عبد الرحمن الأمين وعبد لحرير أمين عبد المجيد، ومكي شبيكة، وعبد المجيد عبيدين، وهولت، وعلي محمد علي، ومحمد محبوب مالك، وحسن الماتح قريب الله

وتعكس مائه «الطبقات» أن مؤلفه ود صيب الله رعم ثقافته الراسعة لم يكن مؤرخاً بالمعنى الدقيق المعاصر، إلا أنه كان مرآة صادقة ومختلاً حافلاً لما حدث في عصره من أخبار وأحوال راوياً أمياً لكل ذلك. وكان داهمه لتأليف هذا لكتاب دعوة من بعض رملاته طلبوا منه أن يورج لملك السودان وأن يذكر مناقب الأولياء والأعيان. فأثر أن يفتدي من سبقه من المحدثين والعقهاء والمؤرخين ممن تناولوا هذا المجال وألغوا في التاريخ والمناقب أمثال عبد السلام لباوروي، واليوطي، وابن حجر العسقلاني، والشيخ أحمد المقرئ. ولا

وفي مشهد حرروه نعيه عبدالصديق أيضاً يصف إحدى أماسي شهر رمضان في حصرة الشيخ حسن ودعسونه. وكأنه يصف إحدى بيالي ألف ليلة وليلة، قال إن مئة وعشرين جارية جن يلبسن ألبس الثياب ويحملن أقلام طعام كانت كل واحدة منهن تلس سواراً من العاج يحيط به سواران من الفضة، وكل جارية تتبعها أخرى صغيرة في أديها قرطان وترتدي ثوباً «درديسي»، وتحمل صحناً، وكل جارية تمشي وراءها أخرى وهي معصمها سوار من الفضة وترتدي حردة مير ويحمل فرعة. وحلس هذا الجمع العفير من الفتيات أمامه وأحد يورع الطعام على الناس، فتهض كل جارية بحمل ياءها وتقدمه للصيوف حتى فرع من الجميع يقيب حارية واحدة فتبت بوضع قدح وصحن وفرعة أمام الراوي ويد حبس. وما كسحت أعطيتها وجدوا فيها ديكيس وفرحي حمام وعصمورين وقال الشيخ حسن «إن قصوريا هذا المساء كله دجاج مربوط على الرعدة لمدة تسعين يوماً» وما جيء بمطور لشيخ نفسه رأى الناس طستاً ملأها بماء (القرص) وطبقاً يحتوي على مطالة «خبيزة» مصبوعة في الرماد الساحر «الملاة» معص عنها الرماد وشرب ماء (القرص) وأحد طرفاً من المطالة فته في (القرص) وأكله ثم تمصمص وقام للصلاة

هذه الصورة النادرة ليست من سج الخيال وإنما كانت جزءاً من الواقع الإجتماعي الذي عاشه السودانيون في حوالي القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين كان هؤلاء الشيوخ أعمدة الحياة الاجتماعية وأمراءها غير المتوجس وكان بعضهم قد حاز ثراء واسعاً. كثرون لم يهزم ذلك الثراء، وإنما كانوا واحبات يهوي إليها الصيوف والعرباء. كان لملوك بحمدونهم على تلك المكانة ولا يجرؤون على مسهم حتى لا يعطبو

وورد في سيرته تلك تصوير مدهش بموكب له توجه إلى سار تلبية لدعوة من الملك بادى ولد رباط ليعالج أحماء بامبراً الذي أصيب بوع من الشلل «ماسكاه»

عراً لا عجباً» يحاطه نوع من التجنون، فتأهب للسفر بصحبه أناس كثيرون بعضهم مغاليم وأخرون مطلوبون للعدالة. كان الموكب مهيباً حيث تصدّت أمامه ثلاثة وأربعون من الحيل العتاق مطهّمة ومسرجة بأفضل أنواع السروج وليس على ظهورها فرسان وهو راكب حمله وبما اقترب من سدور رآه الملك بادي فقال إن هذا لفقير أحد ملوكنا، ولما علم الشيخ حسن بذلك طلب أن يبلّغوه بأن ملكه هذا عرض عليه فلم يقبله. ولما أقبل على مريضه حرج الناس إلا أمه وأخته احتبأتا في "القطيع"¹ فرأتا عجباً حيث قام الشيخ بديحه ومن ثم شفاء وانفضه وأحده إلى أحيه الملك وطلب منه أن يجلس للناس ثلاثة أيام يقضي حوائجهم. وقد فعل.

عاش الشيخ حسن ودحسوة حياة ثرية مليئة بفعل الخير وهداية الناس وحل مشاكلهم ومن الطرائف التي أوردها كاتب الطقات أن حادثة اسمها مهبوبة أنت إليه لمكتب لها حتى تجد الخطوة والقول لدى الناس، فكسب لها في ورقة «حمورة مهبوبة» حمراء مقبوبة.. يلعب بها الهوبة في حرائر السوبة» فوجدت المرأة خطأ وامراً. ولما أخذتها للجلاد دفعه فصوله لقراءتها فسألها عن كاتبها فلما أبدعته قال لها إن الشيخ قد أساء إليك. فانقطع خطها.

كان سب وفاته أنه حاول أن يردّي تمساحاً إحتجّره في حمبر ولكنه توحش وكثر صرره.. بوجه إليه بيراي بسديته فارد إليه البارود فقبله عليه رحمة الله تعالى ولعل في ذلك أول إمارة لاستخدام الأسلحة لدرية في السودان لأنها حتى القرن التاسع عشر كانت قليلة العدد في أيدي بعض الناس وحين قاوم السودانيون الغزو التركي عام 1821 كان ذلك بالأسلحة البيضاء وبكسها ثم تلبث أن انتشرت في سنوات الحكم لتركّي. وقد ورد في نفس سيرة الشيخ حسن ودحسوة أنه إتخذ جنوداً من العلماء الأحياش يصحبونه كالميليشيات

1 مغلوب في المعركة يسم بهذيلقات الطعام وغيرها

الفارس الصوفي والشاعر الموسيقي

بسم عيل الله قياتني

نصب الملك سايمين ود دكين نفسه باقداً أديباً حين وحه نهامه للشاعر
 لشيخ إسماعيل الدقلاشي بأنه لحن في شعره، فعصب الشيخ ورد عليه بحدة
 «هل أحرك بدلت شيطانك الحالس فوق رأسك؟»، وحتدم الحوار بينهما إلى
 لدرحة التي قرّر الملك قتل الشاعر الصوفي وهما إبرى له أهله ودووه بأصحين
 وممروه من المسورط في سمش دمه نحوفاً من أن يحلب إليهم الحرب عتراجع
 بعلك سايمين عن موقعه وشكاه إلى شيخه العقبة محمد ود موهلي فاعتذر عن
 التحدث إليه وقد «أنا ما بقدره حافظ الكتاب وشابه شمس» والصرف في
 هذه لحادث الأدبية أن جميع أشكال الإبداع الفكري والثقافي في عصر الفوج
 كتبت باللغة الدارحة السودانية، فقد كانت الأداة الوحيدة للتعبير أي لم يكن
 هناك مجال لمافد يتحدث عن اللحن في اللغة

وقراءة لمدح القبيلة من أشعار لشيخ محمد ود هدوي والعقبة على الشافعي
 والشيخ ود عبد الهادي والسيد ود دويب ومكي الدقلاشي بحسد شيوخ
 أساليب التعبير في سودان ذلك لرمز الذي إعتد لهجته الخاصة حتى جاء
 بعهد التركي فوضع نهاية لهذا الوضع وهناك أمثال الشيخ فرح ود نكتوك أحد
 معاصري الدقلاشي وأشعره وحكمه، وحتى كتب الطعاب الذي ورد
 فيه سيرة لشيخ إسماعيل هد تم صاعتها كلها في قالب ادمئة، والأهم من
 ذلك كله كانت شجاعه الشاعر وجرأته في تحدي الملك

ود الشيخ إسماعيل في القرن السابع عشر في بلدة يجبي الواقعة بين الشمين

شك أن المؤلف قد تأثر أيضاً بكتاب «الطبقات الكبرى» للشعراني، فقد قال عن منهجه في الكتابة «وَرُدَّتْ أَنَّ أَجْمَعَ هَؤُلَاءِ الْأَعْيَانِ فِي مَعْجَمٍ وَاحِدٍ وَأَذْكَرُ «علماء على حدة، وعلماء التوحيد على حدة، وقراء القرآن على حدة، والمجباء والشعراء على حدة، وأذكر العلوك والشيوخ المعتمدين بأمر الدين والأعيان المذكورين، أيهم بحروف الهجاء».

25 ديسمبر 2001م

من هريب وكانت تمحو حوله بقايا طويلة صلبة كأنها رماح نائمة .. تطفو لتماسبح وتسيح فوق سطح الماء وتمتد على الشاطئ وكأنها حدوق أشجار صحمة وأفراس البحر والجواميس تحتل أحيا بقطعان القفر الوردية إلى المزارع ذلك إلى جانب الحيوانات الموحشة لأخرى كالأسود والأفيال والذئاب والعزلاء.. كانت الطبيعة بكراً وسخية

أقامت قبيلة الشلك على الشاطئين والبحر من منطقة الدويم وحتى أعالي النيل كانوا سادة المنطقة بلا مزارع معو قبائل العرب والوافدين من شمال السودان من الاقتراب من الماء إلا بحساب وظلوا كذلك حتى منتصف القرن التاسع عشر حيث بدأوا في التراجع وإن بقيت بعض بحيوب حتى العقود الأولى من القرن العشرين وتبقى تفاصيل حادثة مقتل الشيخ إسماعيل جزءاً من أسرار التاريخ في ذلك الجزء من الوطن

يحتوي كتاب « طبقات ود صيف الله على كبر راحر بما كان عليه الحياة السودانية طيلة عصر الفويح الذي امتد من أوائل القرن لسادس عشر وحتى القرن التاسع عشر

وعلى الرغم من أنه مكرس لروية كرامات الأولياء والصالحين إلا أنه اشتمل على مادة حصية عن أساليب الحكم وطرائق الحرية كما أنه يوضح حقائق جغرافية عن الأماكن والقرى في ذلك الزمن فضلاً عن لغة التي كان يستخدمها الناس في ذلك ومنها كثير من المفردات والتركيب التي اندثرت وما عادت قيد التداول والاهتمام.

وأستطيع أن أحرم بأن هذا الكتاب يمكن أن يكون رافداً أساسياً للكتاب والمندعين لإثراء وجدانهم والاعتراف من فيضه في أعمالهم الإبداعية وأرى أن الكاتب لروائي الطيب صالح الذي حقق صغته على نحو مذهش استطاع

وعد الحزم شمال غرب الدويم بالنبل الأبيض ويحس هذا جبل صغير ويعرف أيضاً بجبل الشيخ إسماعيل أبو رادعة وكان أبوه الشيخ مكّي الدفلاشي شيعياً من كبار الصوفية في ذلك العهد - ترجم به ود صيف الله في الطبقات أيضاً وقد حرق في ساحة له ولم يعد .. كان يصحبه طفله الورد الذي تم العثور عليه وحده بعد حين أما إسماعيل فقد كان لا يزال في العهد وأمه هي خيرة «سقر مجاوية» والتي كان قد بعث بها سلطان نقلي إلى الشيخ مكّي لتعجب له بالأولاد المحصر الصالحين وتلك من سمات انحلاط أعراق الأمة السودانية ولما شب عن لطوى حفظ إسماعيل القرآن على الفقيه محمد ود صوفي حفيده والده.. وتعلم لغته والتوحيد على الشيخ مختار بن حودة الله (شارح الأحصري) وشرع في تدريس الرسالة والتوحيد والقرآن.

برر الشيخ إسماعيل في كتابة الشعر وألف قصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم... كما ألف كتاباً في الصريفة وآداب الذكر. وبالإضافة إلى ذلك له أشعار في الغزل الصريح تغزل في تهمة وهيبة بلعة حسية مباشرة لا يقدم عليها إلا من له قدم راسخ في علم الباطن وجاء في كتاب الطبقات أن روح هيبه حاف عليها «فقهر» بها إلى حبال تقلي وفجر مفردة مندثرة تعني أنه خرج ولم يعد ويرى رد صيف الله أن الشيخ إسماعيل من اعلاماتية وهي فرقة من «صوفية» محالف الشرع ظاهراً وبيحا ومهتماً للعلم وثريماً كان ذلك مثل ما فعل الشيخ محمد الهمم لدى محاور الأربع في الرواح الشرعي وجمع ما بين الأخيين، ورغم معارضة القاصي دشن «أصر» على موقفه باعتباره مأدوا له. ولا يحرج الأمر عن شطحات الصوفية في حالات جديهم وحروهم عن المألوف.

وتحس في أشعار الشيخ مكّي إحساساً عميقاً بالطبيعة والحياة. فتجده يحب المطر ويتوق لهطوبه المتواصل «صب مطر الصعيد باليته عايد»، ويقول «صب مطر الصعيد وصاح المفرد» إهتم بتغريد الطيور وتعبيرات الطقس وهبوب

أصوات

الرياح الباردة العلوية من الجيوب ذلك غير ما تعكس قصائده القبية أحوالاً مختلفة من لحياة الاجتماعية في ذلك العصر.

إلا أنه يبقى أهم ما يميز به الشيخ إسماعيل هو قدرته العبقرية على العرف، حتى أطلق عليه لقب صاحب الربابة وهي الصبور - وعلى الرغم من وصف «العبيدات» بقدراته هذه والذي لا يخلو من مبالغة إلا أننا لا نملك إلا أن نتوقف أمام ظاهرة موسيقية مذهشة «حيثما يعرف على الربابة يصدر نغمات يفيق بها المجنون وتدهل العقول وتطرب الحيوانات والجمادات وحتى أن الربابة حيثما يصدونها تحت وهج الشمس تعرف على نغمات صوته دون أن يمسها» ونزل عن تلميذه العقبة أبو النور الرياشي أنه كان يهيم بالرقص حيثما تأتيه حانة الجذب الصوفي فيستدعي العرائس والعراسان ويعد حلقة في فناء داره ويعرف تلك الألحان الشجية كما أن فرسه «ت بكر» قد تعلمت ما يشبه لرقص فكان حين يشدها مرتجراً «بينه الحرب» تبت بكر لمرداداً سلطية انصره» كانت تحرك جسمها وتجلس وتهض وتقرّب رأسها من رجليها الأماميتين وتدهش الحاصرين بتلك الحركات الإيقاعية والواضح أن الشيخ إسماعيل كان يهتم أيضاً بمظهر السلطنة، فحوازيه يحيطون بموكبه يحملون الصفي والنسهم تكاد لا ترى فرسه من كثرتهم يهللون بأنعام جميلة ويشير لموكب حماس الجميع فيصحبونه ويرددون التهليل

ولما عاد من مسار في شقاعة لدى البلاط الملكي عبر ليل الأبيض في مشرع أليس الكوة العالية وثب عليه جماعة من قبيلة الشلك وقتلوه وكان ثم يتجاوز الأربعين من عمره بكثير. وقد اكتفى ود صيف الله بهذا القدر من الشهادة المأساوية لهذه الشخصية الأسطورية والعامرة بأثر الجبلية

والسل الأسف كان غير السل الذي نراه الآن كان بحراً عريضاً يخصص بالجور وتحط به أفعال كيفة وأشجار عملاقة كان أمارونا أريقاً تكاد لا ترى الماء إلا

أصوات

يُسمى أن يبرهما وتصمم المجموعة أطايب ما حادت به قرائح المبدعين
سردايبين مد لسطه برقاء وخشي سوت ثمانين من القرون العشرين،
كأنها نادت من أرواح الربيع أو حريف كردغان في ذلك الزمان السحي السعيد
كأنما أراد عثمان أن يوقظ نحن النوام على حقيمة قدرتنا لايداعية كأمة
حيّة تولد الحصار ت في معاضلها وما اعتراها الآن سوى نقص مؤت ووهن
صبر. دهابه بعد حين

كان عثمان يكتب محله هذه بحظ يده وأحياناً بما كية الكتابة يتصل بالكتاب
والمبدعين يدعوهم بلكته ورسال كن جديد أنشأوه ويقب في التراث ويهنم
بالوثائق وحين عزم إصدار عدد بمناسبة عيد الإستقلال في الأول من يناير
1981 قال «ولجأ إلى لمطان والمصادر بدأت بحراي وهو كجرب الحوي
يحتوي على بعض قصصات ومخطوطات مما عكمت على جمعه مد أن كب
يافع وما أنك أفع وإن سعت من السوء دون رنداها رندأت بمخطوطات شعر
المرحوم يوسف مصطفى التي وهي أشعاره المتأخرة ولتي لم تشر في ديوان
بعد. كان ابنه الطالب لعي أذاك قد نحن على بصور منها كان ذلك قبل
أن يصح الأح أحمد رئيسي لسي به إنمر ولقرره اصراع . فتأمل! ولا تحسني
نشر بعضها صرباً من رشا! شعر التي تهتر له القلوب وتطرب ولم احتر شيئاً
من شعره سياسي اكتفت بأنكم - أحمرين - بحفظون شيئاً من (في القواد
ترعاه العبايه)

و«كان قد أهدى الصديق العمري مخطوطة أصلية لقصيدة لعمه المرحوم
بهدي العمري يمدح مولانا السيد علي سمير عني، وقد كتبه في عام ميلادي
(1) فاستهواني ذلك ولا أضل أنها نشرت قص رأيت إثباتها بليمتها التاريخية،
ولتعبها عن وجدان الناس أذاك»

ويواصل عثمان حديثه فيقول «ثم لحأت بي الأدب (المعجب)!! ومتى ي ترى

أصوات

أن يسهل من معين تلك المساحات التي حفل بها لكتاب ويوظفها بشكر بارع في أعمانه وخاصة في «مريود» و«بسر ش». كما أن هناك عدداً من مبدعيها تناولوا سيرة شخصيات وردت في الكتاب وأبدعوا خصوصاً ذات إعتبار وقد كتب الشاعر الرحل الدكتور محمد عبدالحجي شعراً جليلاً تناول فيه شخصية الشيخ سماعين صاحب الربابة، وحاول أن يقارب بين تجربته و«سطورة أورفيوس» ليونانية.

كأن الكاتب الأرجنتيني بورحيس يتحدث دائماً عن كتاب «ألف ليلة ويلة» وتأثيره عليه في الرؤية الإبداعية وكتابة النص ويعلم دائماً أنه لا يستطيع أن يحصي أو يقدر عدد المرات التي قرأ فيها الكتاب فقد كان بالنسبة إليه كتاباً مفتوحاً يقرأه في كل حين، ثم لا يلبث أن يقرأه ويعراه

ومع اختلاف النوع والمقدّر والحسن لأدبي لا يقل كتب الطبقات قيمة عن «ألف ليلة ويلة» للكتاب الراغبين في تطوير رؤاهم الإبداعية، وتطلّ سيرة الشيخ سماعين صاحب الربابة الأكثر سطوعاً في هذا السمر الرائع

سهرت معه تلك الليلة

عثمان حسن أحمد



في تلك الليلة بلغ بي انسداد مبهتاً ولجّ النوم في العناد فحين معشر
العاملين في مجال الصحافة يروح لنا السهر فحين يتقصي دواصلي أو بعد أو
قبل منتصف الليل بقليل يتأبنا إحساس السليم الصغير في نهاية اليوم الدراسي
أو آخر الأسبوع إحساس بالحرية لا مثيل له . نحن وكأن يومنا قد بدأ بتره
نقرأ ما فانا في صحف ليوم وتتابع المواضيع السياسية وربما مقالات ثقافية أو
فكرية مما يكتبه أصحابنا المكثرون بلغة لكتابة وهمومها . فقد قيل إن الشاعر
والصحافي المصري المعروف كامل الشاوي كان قليلاً ما يرى الشمس .. وهو
قل شرونها بقليل ويخرج من مره بعد العروب . وحين تعادي الأرق تماوت
مجموعة «أضواء» التي كان يصدرها عثمان حسن أحمد من وشنط حين كان
يعمل مشاعراً ثقافياً لسقارة جمهورية السودان ظلّت المجموعة تلازمي مد
أن أهداني إياها صديق الطرفيين الأستاذ محمد ميرعني بركة في عام 1984
عندها عراء للعرض حين أنصحبها فأجد فيها افتتاحيته المشرقة بلغة الموجرة
المعبّرة وكلماته المعتقاء البادحة . وكأني به يجاري عبد الحميد وابن الحميد

وعندما كبر، وشيخاً عن الطوق صادقاً وأصبح سمق أعذب ساعات فراغها بصحبته هو وأستاذة لنا أجيالاً آخرون

كان عثمان حسن أحمد مبتهجاً حلال ذلك الشهر الوصى، في خرطوم تلك الأيام. إستهوتني طريقته في الحديث عن «درهمه» التي كان يودعها في شكل أسهم في تلك الشركة، كان يتقصى أرباحه وظل يمدحني حين علم أنني في زيارة لمخطوطتي التي وصفها بسلسلة الأمر متجاهلاً أنني «محدث من نفس تلك الأرومة». ما كان بمهلي لكي اتحدث وأرد على دعاياته الساحرة. كان يتحدث ويتحدث ويشيع مريراً من لبهجة ولحور

نشأ عثمان في حي أبوروف وبدأ تعليمه في حلوة الشيخ سلمان، ثم التحق بمدرسة أبوروف لأولية فأتم درجته الأميرية لوسطى فمدرسة وادي سيدنا الثانوية التي فصل منها في عامه لدراسي الثالث لنشاطه السياسي، وجلس لامتحان الشهادة الثانوية من المدرسة الأهلية بأم درمان. التحق عثمان بالعلم في وزارة المعارف معلماً بالمدراس لوسطى فبدأ بمدرسة أبو عشرين ثم تم إختياره لتدريس في معهد بحث الرضا كورس الستين، نيل الدبوم وهالك لتقى بأستاذه الدكتور أحمد لطيف أحمد، الذي كان في حروة عطائه التربوي والثقافي ومحاولاته لدعوة لوضع اللسان الأولى للمسرح وكان قد عاد من لندن بعد أن مال شهادة الدكتوراه في المسرح العربي وأخذ يكتب في مختلف المعارف في الصحف السودانية وترجم المسرحيات والأعمال الأدبية المهمة، عرفت أواخر صلة حميمة بين التلميذ وأستاذه، وصل عثمان وفيه لذكرى الدكتور أحمد الطيب، لا يفتأ يذكره ويكتب عنه عقب وفاته الفاجعة وإستطاع بعد جهود شاقة أن يجمع أعماله في «أصوات وحاجز» كما أسلف يقول، وبولاه لذهبت تلك الأعمال بدداً.

عندما تم إنشاء معهد المعلمين العالي بأم درمان لتخريج معلمين ومعلمات

يعلمون شعر الشعراء في أشرطة تباع كما نفعل لفريضة!! وكان أستاذي وشيخي الشاعر المحض محمد عبد القادر كرف قد تكرم عليّ بتسجيل شيء من شعره وقد جزء من أفضاله الكثيرة عليّ فاحترت راعته هي رثاء السيد عبدالرحمن المهدي ثم لجأت إلى شريط رائع يحتوي على مقامات المرحوم محمد حاح حسين وتلك تحف وروائع، ولكن أعجبها بحاح لحواش تشرح الأسماء والمسابقات والأحداث فاحترت طرفاً من مقامته (المعاش الإحتياري)، وكان بودي أن أنشر صفاً من مساجلات وقودة وود المادح ترى هل يعرفها جيل الطولات هذا؟! وتلك أروع المعارك الأدبية في تاريخ السودان المعاصر. هما المرحوم محمود الفكي وعبدالمحليم علي طه وكانا يتساحلان بالشعر القومي البجد مرقدة بتدلف مع (الأشقاء) ولأستاذ عبدالمحليم مع حرب الأمة. وكان بينهما ود يؤكد أن للخلاف لا يفسده ولدي قدر وفير من قصائدهما. ولكنها تحتاج إلى جهد كبير لإعدادها وحرّفي نفسي ألا أرفق في نشر بعض أعمال كثير من المدعين شعراء وكتاب لسبب أو آخر أحسن المرحوم الشاعر شيون - حجرة لشعب - كما أسماه صلاح أحمد إبراهيم»

حديثه هذا عن محاولاته لتحضير لعدد واحد حصص من محلته «أصواء» وهكذا كان بعض في كل ما يحاول من عمل كجمع وثائق أو كناية موضوع، أو كتاب مثله فعل حين جمع وحقق كتاب «أصوات وحاجر» الذي جمع فيه معظم أعمال أساتذته المرحوم الدكتور أحمد الطيب وسج قصة طريقة عن معاناته في سبيل جمع تدث المادة والتقى أشخاصاً عريبي الأطوار ممن كانوا ذوي صلة بالدكتور أحمد لطيف الذي كان كلماً بكل ما هو غريب واستثنائي. رسم لوحات ساحرة من تلك التجربة، ستكون موضوع حلقتنا الثانية من هذا المقال في الأسبوع المقبل حتى تسعد انقراء وتعكس شيئاً من الروح المرحية والمكاهة التي تميز بها عثمان

أصوات

وقد اشتهر عن عثمان بشاره لكتابت «الدراج منه والمادر والموثائق» التي طُبعت
بمهدى دار الوثائق منها المجموعة نلوا المجموعة من وثائق الحركة الوطنية وغيرها
التي كان يقب عنها ويرصدها ويعد إليها بعشق عارم سوطى وتاريخه وقد كرمته
دار الوثائق انقومية مراراً وفاء لما قدمه إليها وترس أيضاً لجنة الوثائق الأصلية
بتلك الدار

كان ذلك منسجماً مع شأنه في بيت يعص بالكتب والمعارف والذي كان
حرراً من الحركة الوطنية والعكرية التي انتصمت البلاد بعيد أحداث ثورة 1924
فقد كان أبوه وعمه حسين «الكده» في مقدمة المثقفين الذين أنشأوا جمعية
أبوروف الأدبية العكرية المعروفة، والتي ساهمت في ونظيرتها جمعية الهانصاب
في تشكيل الوعي المعاصر

كنت قد سمعت كثيراً عن عثمان وحمة ظله وحضوره المشرق من جبهة
الأبناء والمثقفين. إلا أنني انتمت مرة واحدة. وكان عائداً من إسطنبول في عام
1983، ودلت في مكاتب شركة الصمم العربي، حيث كانت تعمل زوجتي وكنت
محطوبين وقتئذ. كانت تلك الشركة في صفوان صرها وعافيتها بقودها مديرها
الهمام. الإدري الحادق والرجل المثقف عثمان محمد الحسن الذي حين
كان بطر بسعته الوقور وبشأسته لدائنة يشيع إحساساً بأن الوطن لا يزال في
خير. تعرف علي عثمان في لحظات فقد كان يجمع بيناً أصدقاء مشتركين
أبرزهم الأستاذ محمد ميرعسي بركة الذي زامله في ثانوية وادي سيدنا والذي
تشرعت بالتمند على يديه بمدرسة كوستني للأميرية الوسطى - رعياً وسقياً
لأيامها الباصرات الذاهبات - بدرسنا لنمعه للإنجليزية، وكنت جد مأخوذتين بأسونه
المختلف ومراجعته الذي كان يبدو حاداً وادي يبعث فيما شعوراً بأنه كمن
بتمص بالدروس عينا وذلك مع قدراته الواضحة التي لم تحطها عيوباً. كنت
بحشاه ونحبه ونسج قصصاً طريقة حول أسلوب حياته ستراف وأناقته المهرطة

أصوات

للمدرسة الثانوية التحق به عثمان وتحرح ليعمل معلماً للغة الإنجليزية، ومن ثمّ تمّ اختياره ببعثة دراسية في إنجلترا حصل فيها على درجة الماجستير في اللغة الإنجليزية بجامعة ليدر برسالة عن أدب الروائي السيجيري أشيمو أشبي وفي أواخر سنوات السبعين تمّ اختياره ليعمل محققاً ثقافياً بسفارة السودان بالولايات المتحدة ويرجع لعثمان بفصل في إنشاء جمعية الدراسات السودانية الشفنة في أميرك عاد عثمان إلى السودان في عام 1983 وانتدب سكرتيراً أكاديمياً في معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، ونتهى انتدابه في عام 1987 وعاد إلى وزارة التربية والتعليم.

وفي أثناء عمله في الملحقة الثقافية بوشطن بشر عثمان ببلوغرافيتين الأولى تضمنت الرسائل الجامعية التي كتبها سودانيون أو تلك التي بحثت مسائل تتعلق بالسودان في الجامعات الأمريكية، أما الأخرى فهي عن الأعلام الوثائقية والاثنوغرافية عن السودان ذلك بالإضافة إلى نشرته الثقافية «أصوات» التي صممه منتحات من الأدب والمعارف السودانية. انتقاه بدوفاً الرفيع بعينه إطلاعاًه لواسع العميق. كما صدر له كتاب عن الأستاذ إبراهيم أحمد، أحد أبرز المعلمين النديين درسو في كلية غردون ثمّ كلية الخرطوم الجامعية كما كان من أهم الشخصيات الوطنية التي ساهمت في تكوين مؤتمر الحريجين لعام والذي ترأسه في عدد من الدورات وساهم عثمان بعدد من الترجمات في مختلف المواضيع وقد توفعه الله في عام 1988، وكان لا يزال في انشائه والحماس مكي على خلقه النبيل وشخصه الودود ووطنيته المشبوبة وشعنه بالعلم والمعرفة به الرحمة.

فصص ونوادر مع «أصوات وحاجر»

كان انرا حل لأديب عثمان حسن أحمد يمرح بين الحد والهزل في كل ما يحاول تحركاته الديهيكية تلك كانت تتسم بالمكاهة والعبث ولكن إذا علمت أن محاولاته لجمع أعماله في كتاب «أصوات وحاجر» الذي تسمه بالثراء والسوء والمصعة الجريئة وصدر كتاب «أصوات وحاجر» الذي تسمه بالثراء والسوء والمصعة الجريئة والكتاب مقسم إلى عشر فصول تتناول الأدب والمسرح والمجتمع والتعليم وغير ذلك يروي عثمان أنه حين أرتأى جمع تلك الأعمال التي صممها الكتاب اعترم لارتباطه بكل من كان ذا صلة بالمرحوم حتى يتسنى له الحصول على أي أثر من آثاره ليتعرف على حياته وإنتاجه فلقى من بعضهم عوناً عظيماً ومن آخرين صد وعروق وكان البعض يراوغ ويماطل والبعض الآخر يدلي بأحاديث طريفة وأخرى موعلة في العراية

وبقي واحد مره في السوق واستوقفه يطلب ميعاداً ليقدم، إلا أنه انتهره قائلاً « انت مش حد أبد » و بصرف عه إلى سيرته عاصياً و اعتمر له عثمان ساحراً بأنه لا بد أن يكون محققاً فاستيقافه في الطرقات العامة أمر بقصه لللياقة والكياسة

ثم رآه صديقاً آخر وسأله عن إنتاج أحمد فقال له « إن أحمد لم يكتب كثيراً وحيث فعل كتب كتاباته محببة للأصوات ودون ما توقع الناس ألا تكرر مقالاته في «لأيم» عن الحصار والكلام العارخ» وذكر أيضاً أن أحمد كان كثير المشروعات يتحدث عنها ولا يبعدها وضرب مثلاً بموضوع الكتابة للأطفال

أَصْنَافُ

ثُمَّ قَالَ: «وَكَانَ مَرَّاجُهُ عَرِيباً فَقَدْ كَانَ يَصَادِقُ الْعَامَّةَ، وَأَذْكُرُ مَرَّةً أَنْ صَادِقِي وَاحِدًا ظَنَنِي أَسْطَى فِي الْمَنْطِقَةِ لِهَاصِعِيهِ وَكَانَ أَحْمَدُ يَرُورُ هَذَا الرَّحْلَ وَيَأْتِي بِهِ أحياناً لِأَصْدِقَائِهِ، وَكُلُّ مَا اسْتَهْوَاهُ فِي ذَلِكَ الرَّحْلِ هُوَ اسْتِعْمَالُهُ الْحَاضِيءَ بِلُغَةٍ حَاجِجَةٍ عَرَبِيَّةٍ عَرِيبَةٍ». وَهَذَا عِثْمَانُ إِذْ تَذَكَّرُ ذَلِكَ الرَّحْلَ حِينَ لَمِي سِرَّ الْحَتَمِ الْحَلِيمِ لَدِي حَدِيثِهِ كَثِيرٌ عَنْ أَحْمَدِ الْهَلِيبِ وَرَوَى لَهُ بِدَرَّةٍ كَانَ يَصْحَكُ لَهَا أَحْمَدُ كَثِيراً فَعَالٌ مِنْ عَادَةٍ بَعْضُ لِإِخْوَةِ الْجَنُوبِيِّينَ أَنْ يَتَنَاوَلُوا الْجَعَةَ الْمُحَلِيَّةَ فِي أَيَّامِ لِعَطَلَاتٍ ثُمَّ يَتَوَجَّهُوا لِزَائِعِ الْأَطْلَافِ أَوْ «أَنْصِلَافِينَ» فَيَقُولُ الْوَحْدُ مِنْهُمْ بِلُغَةٍ دِيمِي بَوْتِ بَتَاعِ بَقْرَةٍ وَ«الْبَوْتُ بِالْإِمْلَجِيَّيْ هُوَ بَوَّعٌ مِنَ الْأَحْذِيَّةِ» وَظَلَّ أَحْمَدُ يُسَمِّي لِهَاصِلَافِينَ بَوْتِ بَتَاعِ بَقْرَةٍ وَعَلَّقَ سِرَّ الْحَتَمِ الْحَلِيمَةَ عَلَى تِلْكَ الْحَادِثَةِ بِأَنَّ طَرِيقَةَ اسْتِعْمَالِ النَّاسِ لِلُغَةِ كَانَتْ مِنْ يَهْتِمَامَاتِ أَحْمَدَ وَمَصْدَرُ لِنْدَرِهِ وَصَحْحِهِ. يَسْتَعْدِمُهَا أحياناً فِي كِتَابَاتِهِ

وَالْتَقَى عِثْمَانُ بِالْمَرْحُومِ الْأَسْتَاذِ مُحَمَّدِ أَحْمَدَ عَمَرَ فِي دَارِهِ الَّتِي نَصَفَهَا بِأَنَّهَا كَانَتْ تَعِجُ بِالنَّاسِ مِنْ كُلِّ مِلَّةٍ وَدِينٍ.. وَكَانَتْ مُلْتَقًى لِأَهْلِ الشَّأْنِ طِيلَةَ رُبْعِ قَرْنٍ مِنْ لَرْمَانٍ وَقَدْ تَوَفَّاهُ اللَّهُ بَعْدَ أَنْ عَانِيَ مِنَ الْمَرَضِ طَوِيلًا وَوَحِيدٌ حَيْثُ انْفَصَلَ ذَلِكَ السَّامِرُ وَدَلَّابُ فَحَدَّثَ عِثْمَانُ بِأَنَّهُمَا كَانَا يَجُلسَانِ فِي كِسْبَةٍ وَاحِدَةٍ فِي حَصْبِ لِرِيَاصِيَّاتٍ بِالْكُتَيْبَةِ الْعَدِيمَةِ وَمَا كَانَتْ تِلْكَ الْمَادَةُ تَرُوقُ لِهَمَا فَمَا أَنْ يَبْدَأَ الْمُدْرَسُ بِكُتَاتَةِ الْمَسَائِلِ الْعُوبِصَةِ عَلَى السُّورَةِ حَتَّى يَخْرُجَ أَحْمَدُ دِيْوَانَ الْعَهْدِ لَدِي لَا يَهْدِرُهَا - وَتَرَاهُنَا عَلَى حِفْظِ قِصَائِدِهِ

أَمَّا الْأَسْتَاذُ بِشِيرُ مُحَمَّدِ سَعِيدٍ فَقَدْ حَدَّثَ عِثْمَانُ بِعَصَةِ لَا تَخْلُو مِنْ طَرَفَةٍ وَقَالَ «حِينَ كُنْتُ فِي لِمُدْرَسِ الْعَلِيَا كَسِبْتُ اسْتِثْفَلَ أَحْمَدَ الْبَرْمَلَاءَ وَأَحْمَدُ عَلَيْهِ وَأَتَنَاوَلُ بِالْمَدْحِ فَعَالَ لِي أَحْمَدُ مَرَّةً «مَا لَكَ تَشْعَلُ بِالْكُتَيْبَةِ؟» فَلَا رِيَّ مَلَا حُ ثُمَّ رَفِيعُهُ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ فَمَا لَكَ بِهِ..»

أَمَّا أَطْرَفُ هَؤُلَاءِ جَمِيعاً - كَمَا ذَكَرَ عِثْمَانُ - فَهُوَ شَابٌ قَلِيلٌ إِنَّهُ مِنْ تِلَامِيذِ أَحْمَدَ

النصب الذين أحبهم، وكان هادئ صامتاً لا يتحدث إلا قليلاً وفي صوت لا يكاد يسمع وكان وثيداً محصور ببطئته، يسكن في مكان بعيد ولكم أشقاء بملاحقته ومراوغته شيء لا تنهي. وظنه كان يصيق بيوم الجمعة فكلف لقيه سأل أن يلقاه بداره يوم الجمعة المقبل وعده بأشياء كثيرة من آثار المرحوم يحتفظ بها ولكنها تحتاج إلى بحث وثيق «حتى كأنها لبتروك» وما أن يقرع الباب إلا ويدب دبيباً ثم يفتح الباب في بطء وهذوء ثم يسلم عليه سلاماً طويلاً كثيراً لا حرارة فيه ولا جفوة ولكنه فاتر يلح عليه في الدخول ثم يصبر على تساوب العطور الذي يتأخر كثيراً. والرجل قليل الكلام، كثير السهو، برع في الترويع عن الموضوع الأساسي الذي من أجله أتى عثمان متمكن من خلق المعاذير لشي يرونها في قصص محبوبكة لا تمتلك إلا أن تصدقها يحكيها في ثؤدة الشيوخ ومبرهم وينقصي يوم الجمعة دون أن يبال منه إلا وعداً صادقاً بإيماء العهد في المرة التالية مشرب مقالبه وأكل فطوره جمعاً ومن ثم آدمس ريارته حتى رجل عن الدردوس أن يحصل منه على شيء غير وريقة رعم أنها بحد الفقيد إلا أن عثمان أعرب عن يقين أنها مرورة ولم يثبت أن رجل عن الدرد فحاة وانقطعت صلته به

ومن بلاميد الدكتور أحمد العيب واحد أكر احتفاظه بأي أثر من أعماله، إلا أن عثمان فوحى بأنه أعار مسرحيتين من ترجمة أحمد لظرف ثالث فأصبر حطة بعدها بحدافيرها فلما رُمع صاحبت السمر في بعثة فصيحة إلى الخارج أحده عثمان إلى المطار بيارته وودعه، ولما تأكد من معادته عاد إلى منزله وأبلغ روحته أنه يبحث عن أوراق تخصه فوجد أربع مسرحيات من ترجمة الدكتور في الدرج الأسفل من خزانته وأحدها وقصص منها وطره وأعادها وكان شيئاً لم يكن حيث إنه لم يمانعه في الأمر من بعد وعلق على ذلك بسخريته المبررة «فكلانا سارق وإن تعددت الدواعي»

أصوات

ذكر عثمان أنه كتب لأكثر من مئتين شخصاً تكريم بالرد عليه أقل من ثلثهم بقليل وراسل مؤسستين بريطانيين وكتب إلى أربعة من الفرجة فردوا عليه أجمعين ولم يسأل أن يعلق سائراً بقوله «والحمد لله الذي جمعنا من القوم المسلمين».

ونقل عثمان أطرافاً من الرسائل التي تلقاها فقد كتب الأستاذ عثمان سديمان - من تلاميذ ورملاء المرحوم - يقول: «وأذكر أنه كان يحاصر في يدي الكورسات محاصرته المشهورة عن (ماهو الشعر؟) فقال أحد الحاصرين معقلاً - لقد حانك المهيير يادكتور - فرد عليه في حياء وتواضع جم: ألسنت من البشر، فسيحان اندي وهب داؤود الحكمة وفصل الخطاب».

أما السيد إبراهيم نمر - محافظ بنس السودن الأسبق - والذي عمل معلماً بحسب الرضا في وقت سابق فقد كتب يقول عن أحمد الطيب: «إن روح الدعابة والمرح كانت متمكنة منه، فمثلاً عندما أجارت الحكومة مشروع المعونة الأمريكية ووصل ذلك في بشرة رسمية علق عليها بقوله «لنلعم والابتهاج» وكتب الأستاذ جمال محمد أحمد يقول: «وأعجب ما يجيء في البيان وأنا أكتب لك عن أحمد، هو ماذا كان أحمد؟» كان في تقديري رسولا هاتته الرسالة، لينة كان يعرف العصب، أدن لبقى معاً، رأيت هذه الحلة التي هوت عليها بعض الرسل ممن نقدر؟ حتى هذه كان حلواً منها».

واحتار عثمان جانباً من رسالة كتبها لسيد أحمد محبوب عن عجور إنجليزية توعدت صحتها به، وجاء فيها «صديقة أخرى - صاحبة المنزل الذي عاش فيه أحمد، ذهبوا أول ليلة على ميعاد لرى لحجرة وكان مساءً كئيباً لأنه كان ممصراً وبارداً مما زاد من بشاعة هدمام ومظهرها الخارجي، قابلتها مقابلته باردة وعلى مصص أعضت أحمد الحجرة، سكن معها وشأت بيما جميعاً صداقة قوية ووحدت تشابهها فكراً بينها وبين أحمد ما زاد الود قالت لي ذات مرة، بعد شهر

من تلك المقابلة المأثرة «إذا سئلت هل لقيت المسيح؟ لأجبت بلا يجب أجل أنه يسكن معي في داري، ولن أعمر لمسي مطلقاً موقفي مساء لقيتكما إذ جثتما لمشاهدة الحجرة»

ويستمر عثمان في مقاله ويقول إن قصصه وبودره مع كتاب «أصوات وحاجرة» إسمرت في امر حل التالية من طاعة ونشر وغيرها ويؤكد أن أعمال أحمد الطيب لا تزال في أيدي الآخرين لم يتمكن من جمعها رغم المحاولات التي بذلها والمثابرة التي لم تعرف الكلل وقد حصل على بعض المسرحيات التي ترجمها كالعاصفة، وهامد، ورومي وحوليت، والمملك لير، والأجواء الفكاهية من مسرحية هوري الرابع وروحيات ونسور المسرحيات - وكلها من أعمال شكسبير - ويحفظ شخص بمسرحية بير بادشوا، جان دارك، والعبث في العرب السج - وقد اشترك مع جمال محمد أحمد في ترجمة هاتين المسرحيتين وأشار عثمان إلى صديق يحتفظ بترجمة «عطيل» التي اشترك في ترجمتها مع الدكتور عبد الله عطي. وهناك محاضرات مهمة ألقاها في مناسبات متعددة لم يعثر على أي أثر لها. كما لم يعثر على الكراسات الصغيرة و(اسوت) سي كان يحضر فيها أحمد ترجماته ويكتب فيها حواطره وأراءه حيث تداولتها أيدي أصدقائه

ودهب بعض عثمان حسرت على الصحف التي كان يكتب فيها أحمد وصمم للناس بداعاته حيث تعاني دار الوثائق من نقص كبير في محفوظاتها من الصحف السودانية. وقد حاول عبثاً الحصول على صحيفة «الحادي» ومجلة «السور» التي كانت تصدرها وزارة المعارف وقتذاك، ذلك بالإضافة إلى مجلة «النبيان» القديمة التي لم يعد مكتب النشر يحتفظ بكامل مجموعتها - حتى قبل الحريق الذي انتهم ابقية من مجلداتها الحديثة - وامتدح عثمان لمباحثين - لاحظ أن ذلك حدث في يناير 1983 - الدكتور حسن مصطفى حسن، الذي

أصوات

وصفه بصديق انصبيان وحامي حماة حيث ظل يسعى للحصول على مجموعة مهابت لحفظ للباحثين والأجيان القادمة وأنشأ عثمان لترجمة بمسلسلة نكتب الصحافي البريطاني أنتوني من «حيث صحت القدر» والذي ناوون به بالقبح والسحرية لأوضاع في السودان عشية إستقلال البلاد واحتفى مجده نوفمبر 1954 الذي تضمن عدداً من تلك المقالات المترجمة من دار الأيام منذ منتصف الستينات كما أن مجموعة دار الوثائق المركزية نافضة وطن عثمان بعد أن صدرت لمجموعة الأولى من أعمال الدكتور أحمد لطيف، يأس هي لعتور على الأعمال المفقودة التي من تجد شخصاً مهماً مثله يستطيع أن يسعى للحصول عليها.

12 مارس 2002م

مسرح البسطاء

الدكتور أحمد لصيب



اعتادت امرأة ريفية عجزور على الحضور إلى مباني معهد التربية ببحث الرصد نهار
كن حبيب نضل من نافده غرفة مكتب واسعة تسأل بعفوية : الرسول يا عمي
الليلة ما عندكم رؤية؟ بصم الرأ تفصيد مسرحية يتسم الشاب الثلاثيني نجالس
مستغرقا في كتابة، يومين برأسه يجاب كان الدكتور أحمد لطيف قد عاد لواء-
في بداية الخمسينيات من إنجلترا حاملاً درجة الدكتوراه في المسرح العربي كأول
عمل أكاديمي من نوعه وتدرج من رئاسة شعبة اللغة العربية ليصبح نائباً لعميد
المعهد ثم عميداً له، وما كان أحمد سوى ذلك الفتى مفضود لحديث، الذي شارك
عبدالله الطيب في إنشاد قصيدته - والتي ترجمها أيضاً إلى الإنجليزية في تلك الليلة
السديية الباردة - كما ورد في حديثنا عن عبدالله الطيب - ولم كان عدد من القراء
الكرام قد أبدوا رهبة في معرفه تلك الشخصية لم نجد ماصاً سوى الإدعان لتلك
الرغبة

كان الدكتور أحمد الطيب أحب الناس إلى سكان منطقة الديوم وتم يكن احد

أصوات

يرتاد في أنه درة و rare المعارف و جواهرتها حيث تم يصح المعهد في خدمة و تدريب طلابه و حسب و إنما فتح أبوابه للبسطاء و كل سبيل إلى ذلك مسرح المعهد اندى ظل بعض بالانحسار من الدوام و يقرى المعجزة رجلاً و ساء و أطفالاً مساء كل خميس - يرين عليهم سكون عظيم لدى تقديم أعماله . لا تأمة ولا صوت

ترجم أحمد الطيب و سرود و أخرج عدداً من المسرحيات لشكسبير و شوسنج بلعه بسيطة سهلة مستعارة و حوار قصير العبارة يميل إلى الكاهة حتى دورة المأساة فهي مسرحية يوليوس قيصر وهو في طريقه إلى مجلس الشيوخ يبين اعتياله بقليل يلتفت إلى بعض العامة و يسأل أحدهم ما ساعتك؟ فيرد عليه معيب

شدوه و ركب في يميرو أب ليده

و تحكر قعد أدى الأيار حبه

و يردد الآخرون:

أهي بليلة العديل والري

الليلة العدينة يا وداعة لله

و كان أحمد الطيب دائماً يدعو لمسرح لا يكلف مالاً، فالملابس تصمم من قماش لدمورية و الأحذية من الورق المقوي و الشخصيات ترتدي ملابس موحية، عديمومة في «عطين» ترتدي فستاناً مرر كشا و حذاء بكعب عال و شعراً مستعاراً، و هارون لرشيد في «لعباسة» يتميز عن غيره بعمامة صحمه و حرام عريض ملون كما أن الحكاياح بسيط للغاية يتكون من الصمغ و ألوان البودرة و ما يسر لدى شعبه الصون.

كانت تجربة الدكتور أحمد الطيب في وضع أسس المسرح المدرسي جديدة بالاهتمام وقد شملت أجيالنا في مختلف المراحل التعليمية وذلك على الرغم من أن حدود المسرح المدرسي في السودان تعود إلى أوائل القرن العشرين حين قدم تلاميذ مدرسة العطية الأولية في عام 1908 مسرحيين «نكتوت» فوالمرشد

المدرسي» أخرجهما مأمور المركز المصري وبعض المؤرخين يعودون بجذوره
ثلاث إلى ستينيات القرن التاسع عشر في مدرسة الخرطوم الابتدائية التي أنشأها
الحديوي عباس

روى معاصرون للدكتور أحمد الطيب أنه كان يحفظ بدعائر عدة بهاتين
محلقة باللغتين العربية والإنجليزية يدون فيها ملاحظات مستمرة عن مسرح شو
وبرشت ويعقوب صوغ «أبو بصارة» وركي طليحات وجورج أبصر ولريحاني
وصديق فريد.

بدأت حياة الدكتور أحمد لطيب بميلاده في قرية كدباس عام 1917 وتلقى
تعليمه الأولي والأوسط بمدينة بربر، ثم التحق بكلية عردون وعمل محاسباً
بمصلحة الزراعة لسنوات، ثم عاد للالتحاق بقسم اللغة العربية بالمدرس العليا
وتخرج فيها عام 1942 وحتير للعمل بمعهد التربية ببحت الرضا ثم بعث إلى
بجنترا حيث قصى عاماً بمعهد التربية بجامعة لندن وبعد أعوام عاد ليعمل
الجامعة ليحصل على درجة لذكثور من معهد الدراسات الشرقية و لأفريقية

رأه الناس في بحت الرضا رجلاً بسيطاً رهاً وسعيداً يتلذذ البيئة الريفية التي
كانت أقرب إلى مزاجه من الخرطوم حيث طموحات الآخرين أيام السودنة
ومكابداتهم. وكثيراً ما كانوا يشاهدونه طلق المحيا يتأبط كبه متجهاً نحو مخيمات
الطلاب يتناول معهم وجبة الإفطار ولا يرب في أنه أحلص لوطه فدرس في
جميع المراحل بالمعهد وألف الصاهج وساهم في إعداد المعلمين ومثل
سودان في شتى مجالات الفكر.

كان يشر مقالاته في صحف «الرائد» و«الأيام» و«الحياة»، ومجلة «الصبيان»
و«الور»، وتفرغ فترة للعمل بدراً الأيام وترجم كثيراً من المسرحيات والأعمال
الأدبية أهمها «حيث ضحك العذراء» للكاتب الساحر أنثومي مان وصدر له كتاب

قصائد

«مختارات من الشعر القصصي» ومن كتب الأضواء «مجازفات هرقل، وشمس
لجبار»

بدل تلميذه المرحوم الأستاذ عثمان حسن أحمد جهوداً جبارة لجمع أعمال
لمبشرة وأودعها كتاب «أصوات وحاجر» ولا يرل لدي العديد من أصدقائه الكثير
من أيداعه المنشور والمخطوط

وبعد خمس سنوات من رحيله استكتب عثمان حسن أحمد السيدة ريموند وهي
مثقفة إنجليزية عملت بعد درس البسات ثانوية بالسودان حيث التقت بالدكتور أحمد
الطيب فوصفته بأنه كان غني الروح تألف الفكر جم الثقافة جريل العطاء في محادثاته
لثريه حتى ليبدو فقر الآخرين زاملاً لهم حين يتحدث، وأصقلت بحماسة «باله من
ذاكرة تستحق كل ثناء فقد كان يقتطف في حديثه من شكسبير وشيللي ووايلد وبيرون
وغيرهم - أعظم شعرائنا وأدبائنا وكتاب المسرح. ونم يكن أحمد مطلعاً على الأدب
العربي فحسب وإنما كان من الراسخين في معرفته وقد كان أطول ما باعاً في الدراما
الفرنسية على وجه الخصوص ولقد أرسلني إلى راسين وستند هول وإلى الفلاسفة
المحدثين أمثال شو وبرزنتي ورسل، وبحررت لسيده ريموند على عيانه بقولها لقد
ولد في وجه قل أوانه بسنة عام والسودان بحيرة قمر هير ولا حزاء له في عهده».

عاش الدكتور أحمد الطيب بحرية مريّة من رواجه بعثة إنجليزية أدقته الولايات
وتنقلت في تعديده مكتب وصفاً لم كان يلاقه منها في مذكرات له، كانت أشبه
بحجر مورس في رواية موسم الهجرة إلى الشمال بل هي هي حذوك العمل بالعمل
«السحة الأصلية» إلا أنه بعد مراجعتها اقترن بسودانية نعم معها بشيء من السعادة
حتى وافاه الأجل عام 1962 وهو في الخامسة والأربعين من عمره محلقاً طفليين
أحدهما صبي من البريطانية والأخرى بنت من رواجه الثاني

4 يوليو 2000م

صلاح بشري وكمال عبد الحليم



كمال عبد الحليم



صلاح بشري

حملت رياح أمشير ومهريزها الفارس في في ذلك الصباح الكتيب من عام 1948 بـأعاجع تسلل من لسجن إلى الجامعات والمعاهد والمصانع والبيوت درتعت مدينة القاهرة مات صلاح بشري الطالب سوداني في السجن صحية التعذيب وقسوة الجلادين كان صلاح طالباً بكلية الطب في جامعة فؤاد حين إقتاده البوميس السياسي إلى بربرين لم يكن قائداً سياسياً ولا رعيماً طلابياً، لكنه كان واحداً من آلاف الطلاب الذين انخرطوا في لسان لمشرك ضد الاستعمار وحلفائه المحيين أدى البرد والجوع وصوء المعاملة إلى إصابة صلاح بالسل الرئوي فصبوا عنه الدواء بينما كان يلفظ رثيه دماً نجيعاً.

كانت لائحة السجن التي وضعها المستر لوكس، أول مدير للسجون المصرية منع السجن من تناول أي طعام خارج السجن حيث توفر به السلطات نصف رغيف أسود مع قليل من الملح للإفطار ورغيفاً مع شيء من الفول أو العدس

قصته

معلوطاً بالرميل للعداء ورعيماً مع سائل لا نون ولا طعم يسمونه «اليمك» للعثاء ويمنع ساول أي شيء، يحتوي على السكر أو الحلوى رعي ظروف ثم فيها شيء، من الانعراج يروي أن سجناً رأى سجيناً يتناول قطعة من «العجوة» فصاح بأعلى صوته «دي حرت» ثم سقط معشاً عليه ذلك هو السجن لدي رح فيه صلاح بشرى فاصيب بالداء القاتل ثم قصي

ردد الباعى بأ وفاة صلاح فخرجت تظاهره صحبه عضبة من الجامعة وانضم إليها عشرات الآلاف من العمال في ميدان التحرير فادمن من شبر وحيوان والويلي والعباسية، يهتفون ضد الاستعمار والسراي، ثم توخوها إلى ميدان «الأوبرا» حيث أقيمت الصلاة على جثمان الشهيد في مسجد الكحي كان لعصب يد يستبد بالجماهير التي أحاطت بالجثمان تندد بالجريمة وتطالب بمحاكمة الجوبة ووجان المباحث

أعدت السلطات طائرة خاصة لنقل الجثمان من القاهرة إلى عطبرة - حيث تعيش أسرة الشهيد- واستدبت أحد باثونات العصر ليصحبه إلى هناك ليؤدي واجب العزاء إلى أسرته وإلى الشعب السوداني بياقة عن المثلث إلا أن لجماهير المصرية المحمية والطلاب فرصوا سفر أحد قادة انقلاب ليكون لممثل الشعبي لمصر في الشيع أفضعت الطائرة وهي لا تصم سوى بضعة أفراد ممثيين بعدد من الجهات ويترأس الوفد ذلك الباشا برأسه الصخم وطبعه لمتعالي كان يتحرك في تودة وصحر صامتاً قبضاً على سيجاره بحرك رأسه يمينا ويساراً وكأنه على وشك الاحتناق ترمماً تلك الرحلة التي فرصت عليه وبذلك لمجموعة البائسة المتواضعة من الناس التي لا ترقى لمستواه.

ولم يمر وقت طويل حتى استدعى الباث ذلك الصالب وسأله عما إذا كان مجيداً للخطمة ولما بقى له قدرته على ذلك أمره باحصر ورقة وقلم وكتابة خص لا لقائها على جماهير عطبرة وتتلخص في أن «الفاروق أعر الله منك، وحمي

عرشه، بعري شعبه هي السودان في وفاة ابنه صلاح» هبطت الطائرة في مطار عطبرة وكانت الزهور وبطاقات التحيات واتحادات المدارس والجامعات لاتزال عائلته بالصندوق الخشبي الذي حمله أربعة من الرجال حين يحاورهم الطالب المصري حارجاً من الطائرة ليحطب في الناس بأنفعال، طلاقة ثم يردد «يفط فاروق عدو الشعب» يسقط فاروق قاتل صلاح»، عبدالهادي كلب الوادي وانزوى الباشا كجرد جرفته السيول

كانت مدينة عطبرة قد خرجت عن بكرة أبيها لاستقبال الجثمان وتشيعه فرددت التهتات التي بددت بالقللة والاستعمار رغم إجراءات التحظر التي حاولت السلطات البريطانية فرضها وعاشت المدينة يوماً مشهوداً حمل بالتظاهرات والمواقف العاصبة التي استمرها حول الجريمة

صل كثير من الكتاب المصريين خاصة أنديين عاشروا تلك الفترة طلاباً يكتبون عن تلك الذكريات التي مضي عليها أكثر من نصف قرن والتي اقتربت برملاتهم السودانيين وخاصة الدكتور رفعت لسعيد الكاتب والمؤرخ المعروف، والدكتور يوسف إدريس - انروائي لبدع - إلا أن قصيدة الشاعر محمد كمال عبدالحليم تظل السمودح الأكثر سطوعاً في الوجدان والإحساس بمجئمة عثمان صلاح بشري الذي كان لا يزال في ميعة الصبا طلّت هذه القصيدة بعقود من الزمن يرددونها الطلاب السودانيون في أماسيهم معجبين، مستهلمين صور البطولة من تلك المأساة التي هزت وجدان الشعب السوداني

بين صخر وحديد وأحاصير وسل
وسدود وجسود قتلوا مناً بطل
حسبه سياوم حينما يدنو المصير
وجدوا حراً يقاوم وهو في الترع الأخير

أصوات

والشاعر المصري محمد كمال عبدالحليم - وهو قد تجاوز السبعين الآن - لا يزال حياً نبهاً مؤثراً أصمت ومجلاً بالأسى رعم جديلة صوته المذوي في سوات الأربعين من القرن الماضي - حيث كان مجرد الهمس جريمة وتعد المستنمر فوق عن الأمة. عثرت على ديوانه قبل فترة فكت كأي يد وقعت على كثر ثمين فأصحيت عندما طالعته، إرددت شغف بثلاث التجربة الشعرية التي لم نجد باقداً يصعبها هي ماهي جديدة بها من مكانه ولا يزال النقاد يتحاشونه كاليت لمسكون وما أصدق الشاعر السوداني الراحل صلاح أحمد إبراهيم حين أشار إلى المنظم لموضوع على اسمه كي تكتمل مؤامرة الصمت.. لأن ذلك الشعر يصنع كل إنسان أمام صميره أمس واليوم وعداء.

كنت ماسة الشاعر محمد كمال عبدالحليم في أنه قرع الأجراس بعف يقض المصاحج واستعجل الفرع بشعارات مذهية اس في بريقها الخلاص. ولكن جودة شعره وعموانه صوته وإحصاة العدة لريادة الشعر لحدث طلب باقية متعددة لا يسكرها إلا مكابر ماكان كثيراً على كمال حليم أن يرى فيه النقاد العرب - راء لعقل النقدي الأوروبي في الشاعر حررا بوند الذي ارتبط اسمه بمديح الفاشية ولا الشاعر سال جون بيرس الذي كان أحد أعمدة الخارجية الفرنسية أيام الاحتلال الناري وحكومة فيشي - بأن عنقوان مقاومة باريس - ثم يحد نقادنا العرب في لموقف من هذين الشاعرين لمتهمين في وطنيتهم وروبتهم للحق الصريح صريحا عدير في انصاف كمال حليم.

والشاعران العربيان رقم موقعهما التي اصطلحت بأمني شعوبهم احتلا مكاناً لايقا لقيمة لإبداع الذي قدماء - دع علف عيرهما من عشرات المبدعين الذين احازوا لنفس الفكر لدى ارتضاء شاعر - الذي كان حراؤه السبيان والحرمان من أن يتخذ موقعه الطبيعي في ريادة الشعر العربي.

مارلت أذكر حديثاً للشاعر المصري أدلى به لإحدى المجلات قبل سنوات

إخترق به جدار الصمت المصروب حول كمال ناصحاً القاد بأن يعيدوا النظر في مسألة ريادة الشعر الحديث بصمة عامة وبرى ليسجل موقفاً عجز عن إتجاده بقدة لشعر ويحرص السسة الذين يراوحوون بين يسمى نارك الملائكة ويدر شكر السب و أحياء لوسى عوص وأعرب عن اعتقاد حارم بأن هاك مبالغة في هذا الإدعاء باعتبار أن عبادة الشعر الحديث إنما سحت على متوال شارك في عرله أو سيجبه ثلاثة شعراء هم نارك الملائكة ويدر شاكر السباب وكمال حليم هدر والسباب أعصى المحيط والمفرل، أما كمال فقد أعطي اللون والرائحة، وأكد في حديثه الصاحب ذلك أن شعره هو الذي أعطى المصيدة العربية المعاصرة جوهراً الحقيقي.

كان كمال في غصارة الصبا حين ندر نفسه لشعر واستجوب سائراً بأقدام خافية فوق الأشواك والجمر فتعنى بالملاح والعامن ولحب المصادر مكلمات متوهجة لخصتها كاتبة مصرية دب حضور يقونها «حتى الهوى عنده لا يسلم من التوقد المشبوب من القوة والحيوية . قد يرق معموده لكنه لا يتمرع ولا يتهاون، بل يقول هي تنطف لقوه لادل الصصف فوره إطلاق لشياع ولكنه حرير»

صدر ديوانه الوحيد «بصيرة» الذي صودرت طبعته الأولى ولثالثه من أصل طبعاته الأربع بلمرة الأولى عام 1951 ويحتوي أشعره التي كتبها منذ عام 1943. لرى فيها «محله فصول» لصادرة في سير 1951 رؤية تجسد معاني القد الحديث حين أشارت إلى أن «الشاعر تحير لغة ممعة في المساطة ثم يعهدا اشعر العربي من قبل حتى لبحان القارىء أنها صادقة وطبيعية صدق الآمه الصادرة من المنسوع وحديد على الشعر العربي ألا يفف اللفظ مشراً يحجب المعنى وفي كنهه «شعراء العرب المعاصرون» الصادر عام 1958 لخص الشاعر الدكتور أحمد ركي أموشادي شعر كساب حليم في كلمات جامعته حين قال «كنا بهم بهد لشعر لا لمثالبته وحسب، بل لطافته الشعرية وروحه لتجديدية

إصرار

يُصبأ فكها تؤلف في طرنا وحدة فنية جميلة حذقة بالإعرار»

أما الدكتور انطاهر أحمد مكي إكتفى بالقول «جاءت البداية بعد شهر من انتهاء الحرب، وبالتحديد في أول يناير من عام 1946، أحياناً من الشعر يقرأها لمثقف عربي لأول مرة في مجلة «أم درمان» التي كانت تصدر في القاهرة، ذاب نعم حديد لم تعهده الأذن العربية من قبل وكانت شاب مصري، طالب في كلية الحقوق بالقاهرة وقعها باسمه الأول وتوجه بها للإنسان في مصر وأعطاها عنوان «إصرار».

قوهي الشاعر في وقت لاحق من كناية هذ المقال عبيه رحمة الله

31 يوليو 2001م

القدرات المتعددة وروح الإبداع

محمد أحمد محبوب



توجّه لمحبوب عندما كان طالباً بكلية عربى إلى مكتبة «سودان بوكشوب» ليشتري نسخة من كتاب «الشرق المتطور» الذي ألّعه الكاتب الإيجيپتي المعروف ح. أ. سبيلر بعد رحلة قام بها إلى تركيا ومصر والهند خلال عامي 1925 - 1926 وعندما وقف أمام البائع اليوناني ليسند ثمن الكتاب وهو يقلب في صفحاته دخل السير هارولد مكمايكل يسأل عن بعض لكتاب فاعتذر إليه السّاع في أدب جم وألّعه أن الصفحة الأخيرة اشترها الآن ذلك الشاب الواقع، فحده بنظرة حار في تفسيرها وقتذاك واستأذنه وأخذ يقلب في صفحات الكتاب ثمّ سأله بلهجة مأكرة مسكرة وأهل تقرأ وتفهم مثل هذا الكتاب؟ فلم يحبه المحبوب، بل أخذ كتابه وخرج في صمت.

كان المحبوب حتى عصر لإهاب لم يكن عمه العشرين بعد إلا أنه كان مولعاً بالقراءة ومتابعة ما يستجد من معارف وقد قرأ لكتاب وسره ما كتبه سبيلر فالرجل كان كاتباً وشاعراً من تلك الجماعة التي أطلق عليها مجموعة كيمبريدج

تألفت في سنوات العشرين والثلاثين من القرن الماضي وفي كتابه دلث أصف
رعماء الشرق الذين بررو عهد ذلك مصطفى كمال أتاتورك وسعد زعلول والمهاتما
غاندي، وأشار إلى الأدوار المهمة التي يصطنعون بها لي سيل بهبه بلادهم
وطبورها. أما مكمانكل الذي إسكشر الكتاب على المحجوب فقد كان أحد أهم
الإداريين الإنجليز الذين مروا على السودان وكان كانيا ومؤرخا ومدققا متميزا
بدكاء وقاد وقد ألفت كتاب «السودان الإنجليزي المصري» الذي استعرض فيه
تاريخ لسودان منذ أقدم العصور وتعرض فيه لحاضر الحكم والوضع السياسي
وحتى مستقبل البلاد حاوئ التكهّن به.

ولد المحجوب بمدينة الدويم عام 1908 ودرج في مراحل التعليم متوقفا حتى
تخرج في كلية علوم التذكارية مهندسا في أوائل عام 1929. وجاء في تقرير تصميمه
علقه في العمل أنه أكفأ وأقدر من قراءه السودانيين الذين يسبقونه في الخدمة
بخمسة عشر عاما، وأن عقله يتميز بسرعة التفكير وقد أنجز بعض المشروعات
الهندسية خلال الفترة القصيرة التي قضاها في هذا المجال.

قرر المحجوب فجاء أن يغير مسار حياته بالتحاق بمدرسة الحقوق في يناير 1936
ليتخرج وينتظم في سلك القضاء في نوفمبر 1938. ومنذ بداياته تلك كان مكتب
الأمم العام يتابع نشاطه مع غيره من كانوا في عداد موظفي الدولة ويتبعون
دراساتهم في كلية الحقوق وقد لاحظ المكتب تفرده في العمل على رؤسائه
وتردده على مكاتب «جريدة النيل» فاقترح إبعاده إلى الأقليم بعد التخرج. واتصح
من خلال تلك التقارير أن رؤسائه البريطانيين رغم تقديرهم لكفاءته كان يصرفهم
ما يصبرونه عاليا وإحسانا بالنفوق والاعتداد وتصممت التمارير أيضا أنه شخص
تملكه روح النفوق والمعربة وأنه معروف بأنه كاتب سياسي يبشر بأفكار متقدمة.

في عام 1941، نُقل المحجوب إلى دائرة شدي القصائية التي كانت تشمل مدينة

عظيمة وبرز نشاطه السياسي في هاتين المدينتين سافراً حيث ترأس مؤتمر الحريجين في شدي وفي عذبرة بصرف إلى إنقاء المحاصرات وعقد المؤتمرات وحلقات النقاش وفي إحدى هذه المحاصرات طرح فكرة قيام اتحاد عام لعمال السودان ليصبح قوة فعلية وجمعية تخدم مصالح العمال صادق المحجوب بلوطيفة وأحد يتوق إلى المحامدة ليجد هامشاً من القدرة والحركة في مجالات العمل الوطني الذي بات من الواضح أنه سيكرس حياته من أجله وعدم تمكن من ذلك تولى سكرتيرية الجبهة الاستقلالية في عام 1947 - وكانت مكونة من حرب الأمة وبعض المتعاطفين معه وذلك دون أن يكون عضواً في الحرب . وقد شارك في وفود الاستقلاليين التي طفت أوروبا والولايات المتحدة كما شارك في الجمعية التشريعية وكان من أعضائها البارزين الذين اعتمد عليهم الإمام عبد الرحمن المهدي . وفي الانتخابات الأولى - دوائر الحريجين - كان ترتيبه الثاني بعد مبارك زروق واحتارته المعارضة الاستقلالية رعباً لها في مجلس النواب حيث شارك رئيس الوزراء إسماعيل الأدهري في رفع علم البلاد صبيحة يوم الاستقلال ولعله من الأشياء الطريفة والمثيرة بدهشة الكثيرين أن المحجوب أصبح لحرب الأمة في ديسمبر 1956 ، وذكر أن سسه الرئيسي في ذلك هو «أنني كنت أريد بلحمة الاستقلالية وكان حرب الأمة آنذاك لوحده الذي تتفق سياسته مع قناعتي السياسية » وشارك محجوب في حكومة عبد الله حبيب الأولى في يونيو 1956 خلفاً لمناصفه مبارك زروق . وبعد انقلاب نوفمبر 1958 كان في مقدمة المعارضين الذين تمّ نفيهم إلى الجنوب إلا أنه بعد ثورة أكتوبر تولى الخارجية مجدداً ثم صار رئيساً للوزراء في يونيو 1965 بعد الانتخابات التي جرت في أبريل . وبعد انقسام حرب الأمة واتتلاف جناح الصادق المهدي وانحزب لائتلافي سقطت حكومته ليتولى الصادق الحكم ، إلا أنه عاد إلى رئاسة الحكومة بعد سقوط هذا الائتلاف وقيام حريين الحرب لائتلافي وجناح الإمام الهادي في مايو 1967

إصدارات

وظل حتى وقوع انقلاب مايو في 25 مايو 1969.

كان المحجوب من أبرز رموز ذلك الجيل وكان موهوباً متعدد الميول دا شاطر دافق واعداد بالنصي وكان يؤمن بدور الفكر والثقافة في بناء المجتمعات وقد ساهم في النشاط الأدبي، ناقداً و كاتباً وشاعراً وفي المجال القنصوي قاصياً ومحامياً وفي السياسة زعيماً ووزيراً ورئيساً للوزراء.

وقد استمد تلك لصدات من مثبته وإطلاعه الواسع ومكانته الإجتماعية المرموقة والتراث العسي لأسرته فهو من ناحية أمه، من الهشمتات الذين شاركوا في إحياء السياسة وإجتماعية خلال عهدي المهديه والحكم الثنائي، وكان جده لأمه الأمير عبد الحليم مساعد من أبرز أمراء المهديه، وقد صاحب الأمير أبر قرجه في ملاحقة حمزة هكس- والأمير عبد الرحمن النجومي في الرحف بحر مصر حيث إستشهد في بوشكي. وكان المحجوب معجباً بمراث أجداده هؤلاء، وكثيراً ما أورد أسماءهم في كتاباته كما كان لحاله السيد محمد عبد الحليم دور كبير في تربيته وتعليمه وتوجيهه للقراءة والإطلاع على عيوب الأدب وأمتهات الكتب.

تميزت حياة المحجوب بعناء فكري واسع فقد كان يشتر مقالاته في مجلة «النهضة» السودانية لصاحبها عباس أبو الريش ومجلة «الفجر» التي أصدرها عروص محمد عبد الله الذي كان يعاونه المحجوب وبعض أصدقائه في تحريرها، ثم وأصل إصدارها أحمد يوسف هاشم بعد وفاة عروص. وصدرت للمحجوب أيضاً كتب «بحر العبد» و«الحركة الفكرية في السودان» إلى أين نتجه؟ و«الحكومة المحلية في السودان» و«موت دنيا» الذي كتبه بالاشتراك مع أس حاليه ورفيق عمره الدكتور عبد الحليم محمد. كما صدر آخر كتاب له بعنوان «الديموقراطية في الميراث» الذي لحص فيه تحريته بشياسة وأودعه بعضاً من ذكرياته ذلك غير الدراسات والمحاضرات التي ساهم بها في إثراء الحركة الفكرية والثقافية

وكان المحجوب قد تصدى لتكوين جمعية القراءة بالهشحات والتي كان من بين أعضائها عبد الحلیم محمد وعرفات محمد عبد الله وأحمد يوسف هاشم ويوسف مصطفى التسي وعبد الله عشري الصديق وأخوه محمد وأمين بابكر والسيد العيل

نظم المحجوب الشعر منذ هجرة ناكرة واسمر ينظمه حتى أيامه الأخيرة وقد صدر له ديوانه الأول «قصة قلب» في عام 1961 و «قلب وتجارب» عام 1964، و«الأندلس المفقود» وهو ديوان صغير تضمن قصيدة واحدة عام 1969، ثم الديوان الرابع والأخير «مسيحي ودي» الذي صدر عن دار المعارف بمصر عام 1977

كان المحجوب محبباً بشعره مدلاً به وكان يسعده إشادة الآخرين به وإنشاده وفي حلال ريادة المشرق العربي الكبير جاك برك بلودان في أواخر ستينات القرن الماضي أقام له المحجوب مأدبة عشاء دعا لها عدداً من المثقفين والوزراء وقد أشاد لهم الأستاذ مكاوي مصطفى بعض من أشعار المحجوب ومن بينها «دات الرداء» بصوت أشجاء وأطربه فأحد يستعيد حتى طلوع الفجر وفي المسرات التي قصاها في سدن كان يلتقي بأصدقائه ومن بينهم الكاتب الروائي الطيب صالح وشاعر لسان التشكيلي عثمان وقع الله الذي كان يستجيد المحجوب إشادة بشعر ويصممه دائماً ألا يند شعر المسيبي قبل شعره حتى لا يفسده له ويحوله إلى كلام لا طعم له.

عاش المحجوب حياة عريضة وعبية ومتنوعة وكان شخصية جدانة مسقط إهتمام الناس في نطاقه المحلي وفي المحيطين العربي والأفريقي وكانت كثير من العواصم تحتفي بزيارته لها ويهرع إليه الأدباء والمثقفون يستمتعون بما يشبعه حوله من روح إبداعية شفافة وقدرة على التواصل الإنساني

«موت دنيا»..

جدلية الحب والمعرفة



د. عبد الحليم محمد

يقول أحدهما وأحده المحبوب - يقيماً هو - «يوانية حسناء في ريعان الشباب ممثلة أرونة وحناناً، ساهمة استمرات عسى وجهها سيماء حزن حفي حاولت كثير أن أدرك كنهه ونكبي ثم أستطع لك رموزه، وحصلات شعرها المرحلة الصيفة يداعبها السسيم وهي تموى ذلك الشعر مكانه بيد كنها العتة، وتحدث الإنجليزية هي عجمة حبيبة إلى السامع لا يسعه إلا أن يطلب منها المريد تلك هي يائعة الكتب في ذلك الحانوت الصغير، تلاصف هد وتجامل داك، وتطلع السليم إلى رب قصي لتأتي بكتاب وضع هاك، وهي في محمود، وهبوطها تبدو كل محاسن جسمها صدر بارز، وحصر نحيل، وساق فانس أهدود، وفستان يساعد كل ذلك الجمال على الظهور، فلا هو بحجب لصوامر، ولا هو بمقبل من قيمة المشرف، لا ولا هو بسائر الملادة تلك هي يائعة الكتب التي لغت أنطربا إلى المتجر وحفظنا مرتاده ولا نمل إرتياده، وهي نتي شأت يب وببها أول صداقة فكرية، قبل أن تألف صحبة المؤلفين والتحدث إلى الكتب

والاستماع إليها، ولحسبها في مدينتنا كل إجلال وتحليل مصت زهاء الحمسة عشر عاماً منذ أن بقيتها أول مرة، وبكس ما يكاد يعاد بعد ذلك إلا ويذكر أنها ابنة الملهمة، عبقرية الجمال التي تهدي الدس إلى شعاع العبقرية من أقدام الأجيال حتى يومنا هذا ولا يحو لصديقا عشري - يعني عبدالله عشري الصديق أو أحمه محمد - إلا أن بلغت نظري إليها كلما لقيتها في الطريق وأن يدكري بأنها أستاذنا الأول، وهن رضى عن بعير أستاذيه اجمالاً.

بعد لقينها في العام الماضي وراءها سرب من لأطفال يمتدون صفحة من ذلك اجمال والودعة، وأهمهم لم يقد شيئاً من رشاقتها ولا فتنها، غير أن الأيام قد جعلت ذلك لوحة الطيق ورسمت عليه سطور من حكمة الرمن، وبدأت شعيرات بيضاء ما وهناك في شعرها الذي طالما سوت به العسة، أنها كتاب من اجمال العبقرية، والكتب الجيدة الجميلة لا يدركها العسة تبقى على الرمن ترون حاليًا ويرأس يصي انطريق للسرين في مسالك المعكر.

هذا السر الابداعي الرفيع تصممه كتاب «موت دنياه» الذي ألفه محمد أحمد معجوب وابن حله الدكتور عبدالعليم محمد، كانا في ريق المصنوع عند ذلك في سنوات الثلاثين من القرن الماضي، أودعنا ذكريات صريرة وطباعات عن حياتهما التي ترافقت مع تحولات عيمة في سياسة، عاشها في كلية اردون - المرحلة الثانوية - هي سنوات بعشرين، وما تلا ذلك من مسير. كانا قد بهلا كثيراً من فيض الأدب هنرا على كبر من الكتب في دارهما بأم دروب وبأفرا بالمصاح لأدبي لعام الذي أحد بطبع حياة العاصمة بموسمه حين شأت جمعيات القراء والكتيب الداني وأحدث في الاردهار.

تعرفنا على الأدب والمسوعات العربية وشعنا بالتراث الإغريقي وملاعها سقراط بمثالية الفكر والاستعداد للموت في سبيل الاعتقاد وأعجبا بالوزير البريطاني درر ايلي الذي حفره الإحساس بالاصطهاد لبصل إلى مكانة ربيعة واستطاع أن

أصوات

نجسد تجاربه فيما كتبه من أدب رائع، كرواياته «هيفين جراي» و «كنجر بي» و «سبل» و قلبها في مختلف حقول المعرفة وبها من كل ما كان متاحاً لهما

كانت الصحافة المصرية تشكل راعداً أساسياً في شحذ الوعي لدى المتعلمين السودانيين فكلفوا بها أيما كلف . كما كان كُتّاب مصر وشعرها في تلك الفترة يمثلون دروة الدون الأدبي في الثقافة العربية . هه حسين واسماعيل المارني وعبدالرحمن شكرى، وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم وإبراهيم ناجي وعلي محمود طه المهدس . ودا تأملت ما اقتضاه في صدر المقال تجد تأثير هؤلاء الكُتّاب والشعراء واضحاً على مستوى التراكم والمعدات في ذلك النص . وتبدو حساسية المحبوب لشعرية بارزة بصورة عفوية حين يتحدث عن القانة اليونانية التي تسوي شعرها بيد الفتنة كما يتحدث عن «ساقها لأمدود» فيستدعي الشابي مثلما استدعى علي محمود طه . ولكك لا تحس بأيّ فعل لو تكلم لم تكن الرواية العربية قد برز بشكل مافر إلى الوجود مجرد محاولات حيية منعثرة ولكن المقال الأدبي وحسن لكتابة الشريه الإبداعية في المشاهدات والاطباها كان يجد حساساً لدى القراء والمنقمين ويشير المحبوب نفسه لمؤلف المصري «إبراهيم انكات» الذي يتعاهى مع النص الذي كتبه

كتب المحبوب عن صالون أدبي لميدة من سوء ذلك الرمن قطعاً ليسب دررور بعدها بسنوات - أطلق عليها أصدقائه اسم هدام دي باري . امرأة سودانية عادية هقلوا حبسها وشحدوا وعيها فياتب أدري الناس بإدارة التحديث وكيفية تناول القصص مع المتابعة الدقيقة لأحبر الطبقة المثقفة التي تتمتع بصلات وثيقة مع كثير من وحوها للامعة وصف المحبوب الصالون بأنه كان دار أيقه حسنة النظام تم عن ذوق وفن لم تكن للعبث والسجون وإنما هو صالون بكل ما تعني الكلمة . يدور الحديث فيه عن الأدب والفن والسياسة وتشد فيه الأشعار

شعب الكائن بالموسيقى وعرفا نهوض . وكانا يرتادان الأماكن التي تجمع

السحر والفتون فقد كان للأجانب عالمهم هي مدينة الخرطوم كانت لهم وحدهم دون أهلها من السودانيين إلا أنهما لا يلتبان أن يعودا بحثين عن العوصيق في بلادهما فيستعديان الفيتارة وما تثيره فيهما من أضغان ومسررات

كتبا عن امرأة السودانية التي جسدت نموذجها الفريد في تلك السيدة التي كانت تحمل إناء من الشريد والتطاهرات الحاشدة ترحم شوارع العاصمة فتقدم طعامها للجوعى هي ذات يوم مكتمر. ويتحدثان عن أخرى ويقولان «جئت عن أن تسمى» ويبدو أنها روجة برعيم عرفات محمد عبد الله، فيستوردان في الحديث «فرقت الأحداث بينها وبين بعلها وهو أنبل الرجال وأثبتهم على مصص الجهاد، فاحتملت كل ذلك في صبر وثبات، حايه على طفلتها الحبيبتين، تربيهما وتعلمهما وتعرس فيهما أنبل المقاصد والعقائد، وهما هي نقص عليهما قصة أبيهما، وكيف خرج من الحمى وتعرّس للصحاب والنسريد آونة، ونعم بالحياة والسجح أخرى، وتخفف عليهما حرمانهما حو الأبوة ورعايتها، وهي هي كل ذلك تتألم صابرة وترتقب عودة الرائد وهما هو قد عاد إلى الحمى وهما هو دا يقود القافلة ويحس الحذاء وهما يحس مصوي تحت لوائه، وسعد بالعمل معه ومشاركه التفكير في شؤون البلاد، وإذا بتلك المرأة السبلة تحدثنا حديث ذلك العم، وموقفها من ذلك «رجل المنتصح الأوداج الذي سم يبق مكاناً في الدار إلا تبشبه، ولم يبق إلا حدرها يريد أن يصل إليه، وهما أعطته الدرس الأول والصعقة القوية فخرج من لدار مطأطئ لرأس وفي عينيه دمة تترقق». هذا هو عرفات بعينه فقد كان أباهم الروحي وتلك هي زوجته التي لقت أحد صباط الباحث ذلك الدرس. «وقد أعمل الكاتب عمداً أن يورد الأسماء مما أفقد لص البعد التاريخي الذي كان يمكن أن يكشف كثير» ولواضح أنه أراد أن يكون نصاً أدبياً بحث شأن الرواية رعم واقعية الأحداث كما أن الكاتبين لم يحددا الحدود الفاصلة بين كتابتهما إلا ما يستطيع القارئ أن يستشفه من

طبعة الحدث. والأسلوب متقارب لدرجة التطابق، حتى تعد أن الصياغة
لهائية إنعرد بها أحدهما دون الآخر وأغلب الاحتمالات أن يكون هو
لمحمجوب. رغم المقدرات التي تميز بها دكتور حليم. فقد كان أدبياً مطبوعاً
قبل أن يهجر ذلك لمجال وينتجه للإهتمام بالرياضة التي أبدع فيها يمضي بث
لكتاب مبعوداً وهبوطاً ويناول صوراً شتى ومسوّعة عن الحياة السودانية خلال
لنصف الأول من القرن العشرين طلاب الكفة وما كاسوه إثر ثورة 1924 ثم
لإصرار لشهر الذي سئل أول انتصار لهم وتراجع للإدارة البريطانية.
لجمعيات الأدبية وهي تشق طريقها نادي الحريجين واحتفالات المتعلمين
بالمسابقات المختلفة صادح من الحكام ابريهانيين وسنوكهم تجاه الآخرين
ولعل أظرف ما جاء في الكتاب وصف البعض منهم الذين كانوا يتصرفون كأنهم
آله اليونان في جال الأولمب. هروى بريطاني لا يسمي لرحال ذلك السياسي
- يسحر منهم - قصة عن إمبراطور الرومان قال فيها «أقام الإمبراطور حفلة من
حفلاته الدمية لتي تدور حتى الحرب فيها بين الأسود الكاسره والمسيحيين
لأوائل. «قد تجتمع حوله رجال الدولة وأعيان البلاد، وجمي يرحل من أولئك
لمسيحيين المعديين وأطلق الأسد عليه، ولكه تمتم ببعض كلمات فوقف
لأسد حائراً لا يحرك يداً، وعصب الإمبراطور لذلك وأشار إلى أحد ورائه أن
يتحرى عن السبب، فذهب الورير واستفسر وعلم أن لرجل قتل للأسد «أنا أحد
رجال الملك السياسي في حكومة السودان» ولهذا جد الأسد عه وتساءل
لإمبراطور دهشاً عن السر! فقبل له إن الأسد لا يعرض إلا للأدميين فقال أليس
رجال الملك السياسي في حكومة السودان أدميين؟ فقبل له «عموك يا مرلاي
بهم أنصاف آلهة». كانت لهذه الدعاية أثرها في أوساط السودانيين حيث
تصمت كثيراً من البحرية والشمامسة على تعالي الإنجليز وحبسهم بالتمرق
سرعان ما تسبه السادة الإنجليز إلى ما يدور في أوساط المتعلمين السودانيين

من صيق ونسرم بأسلوب معاملتهم فأنحدوا سياسة جديدة بالدعوة إلى حفلات الشدي هي الدور الخاصة وهي سراي لحاكم العام التي قرّر السير ستيوارت سايجر فتح مياديهما لأبناء الشعب مرة كل أسبوع بترفيه عنهم وكان يدعو متعلمين وغيرهم إلى تلك الحفلات حسبوه ربما برعب في الحديث عن قصايا البلاد وهمومها وناقشهم معهم إلا أن للكلام كان ينحصر في أنواع الزهور التي تزين ميادين السراي وأنواع الطيور لوافدة من بلاد بعيدة والأحرف المستوطنة وأحياناً عن صيد السمك

صدر هذا الكتاب لأول مرة في أغسطس عام 1946، ثم صدرت طبعة ثانية خاصة في عام 1986 بمناسبة الذكرى العاشرة لرحيل الأستاذ محمد أحمد محبوب.

26 نوفمبر 2002

عمامة تحب عمامة

في ذلك الصباح البعيد إصطنعت آلاف الألوان أرجوانية يجعلها سواد اعتلت
كوكب في السديم إحتلجت وديان وتقبضت قسدت سهول وتيبست لحاء
لأشجار وتصوحت أوراقها.. حنت الموق وعاص الحليب في أحلافها ولقت
أصراش بفراشات بنفسها على بيران الرعه وأمسكت الطيور بيوضها كأنها
بانتظار لرل مدمر.. وراكست بقائق مدفع برثائها أمامها مدعوره عوب دتاب
وأجفلت وعول أررمت طبول وجاريت أهداؤها، فطائر التم هوى من عليائه
صريعا على الملوات. تمدد الشاعر ميتا تحيط به هالة من النين ررقاء بيضاء
تتلاها. قصي شهيد مابقيته وروحه اشمامة كان دلت في أوائل العقد الثاني
من القرن العشرين بمدينة الأبيض. إنتقل البأ الحريس من دغل إلى سهل ومن
سهل إلى دغل حتى ارتقى على بحر النيل مرهقا وانداح على صفعته الصقيله
ثقبلا كالرثق فاحتفت الأسماك وتمشى البأ في شوارع أم درمان فسيطر عليها
سأم كثيف.

كان لسوان الملكي عاصبا بالوراء والقصب والأعنان وكدر لصيف في العاشر
حاصرة دارفور والسلفان اشاب عني ديارين ركوب يجلس على سرير الملت
يحمه الجلال بعينه لواسعين المستديرتين يحدوان إلى الأمام نحو دلت
لرحل الوصيء الجالس في ثبات ويهظة تمان عن علو انهمة، والكل عارق في
لصمت، إلا أنهم كانوا يدركون أن الأمر لم يكن يتعلق بمحاكمة أو صدور قرار
قاس بقدر ما هو عتاب يوجهه السطان إلى صديقه الشاعر التاجر حامد ود محمد

الذي يغشى مدسة العاشر مرتس في العام فيسظره السطان عى ما هو آخر من
انجمر ويسمح له محلاً في محسه ويسمع بحبور إلى مغامره وأشعره وأحدر
«دار صباح» ولا يتركه يعادر المجلس إلا وهو محمل بكل ما هو عال ونعير
إعتدل السلطان في حسنه تتابعه انعيون انحاشعة ولمشعقة والتفت إلى حامد
الشاعر معباً فأما سمعت يا حمد من قبل أن هدايا الملوك لا تُرد ولا تُهدى
ولا تباع وأن قد اصطفتك دون سائر التجدر القادمين من «دار صباح» صعباً
ونديماً ولقد كانت قصيدتك الأخيرة في مدح أدرة ريت ساج ملوك المور لدا
اقتضت أريحيتمك فأنتك عن حدرتك في قول لشعر ومعرفة مكانة السلاطين
فلم أهديت كل ما صحتك إياه وعدت لا ترعى للملوك حرمة؛ لم يرد السلطان
إلا أن يندحت باقتصاب متحرفاً لأن يستمع إلي رد صديقه حب الشاعر واقفاً
بقومه السمهري الفارع يرد على السلطان حلاً لتقاليد السلاط التي يقتضي أن
يكون حب المرء جائب على ركبته. ثم يكن لحديث نثر وثق شعر تأتى عمو
الحاطر ببداية وحكام وتماثرت أبيات القصيد المعجمة تعدد مآثر السلطان
ومرسل الاعتدار إرسالاً يتهدى به وترفع تؤكد عليه لطبع وسحاء ليد ندي لا
تقيده أعراف ولا تقاليد

كانت عصبية السلطان مصرية لا تعرف التراجع ولا تميل الاعتدار حيث رأى
في موقف الشاعر بتوريعه كل هداياه عى فقرء مدينة العاشر إهانة لا تليق
بالملوك فأصدر أوامره الصارمة بمنع الشاعر التاجر من عبور دارفور مرة أخرى
أدعس الشاعر، لحلم أطرافه وعادر القصر ومن ثم المدينة التي طن يتحاشى
المروور بها خلال رحلته المستعصمة بين الأبيض ومناطق ودّاي وأفريق الوسطي.
وندي عودته من رحلاته المستعدة إلى مدينة الأبيض التي كانت ترتدي له
أعلى حبلها وحليها تموج بالطرب الحمي وتعدو أمامها أعياداً. وكانت داره واسعة
تحيط بها أشجار لدوم واندب وسيلان من الجرار الصحمة ملأى بأبناء

أصوات

لفراح لعصائب الطير والسابلة . ولأبواب ممتوحة في أثناء الليل وأطراف أسفار
تميم بالأصياح ودوي الحاجات وجماعات الواعين و بموائد مموطة ودماء
لدبائح لا تحف . وعندما يرخي اللين سدوله يخرج متكراً يعشى منازل الفقراء
من لا يستطيعون الوفود إليه . فيطرق الأبواب بورع الأموال صرة فصرة على
لأرامل ولأيتام والمرضى حتى لا يتبقى في يده شيء . حالة أقرب إلى الأساطير
ولكنها حقيقة .

أصبحت دارفور سلطنة مستقلة عندما جثم الاحتلال البريطاني، لأن ريفه ظل
يتحلب وهو يترب السوانح للوثوب عليها . كان المفتح الإنجليزي لمدينة
للهود في منطقة كردفان المجاورة يقعي على كرسيه الساعات الطوال ينسقط
نبيه دارفور ليدبج التقارير الواحد تلو الآخر إلى حكومته بانخرطوم، يمهّد
لسيل لعروة مرتقة هي تلك السنوات المليئة بالهوجس والإحتمالات . كان
حامد يروح وسجيء يقابله النخابة الصعيرة شق بعلوات . سحدر إلى دار
ويرتفع إلى تل ويمر بالهოდ في كل الأحوال . . كان تجار المدينة ووجهائها
ينقلوه بالبشر والرحاب مضطربين يسافرون على امتصاصه . وكان المفتح
الإداري الإنجليزي يتعرق لرؤياه عله يقتنص شيئاً من الشاعر الحصيف ولكنه
لا يلبث أن يرتد حائباً فالشاعر عندما يتردد اسم السلطان علي دينار يتهلل
وجهه ويمتدحه شعراً وثراً حتى عندما عاد معصوباً عليه ومطروداً من القصر
الملكي

ما كانت مخابرات الإدارة البريطانية لتعقل عن مثل حامد . يجوب لبلاد شرقاً
وعرباً كمن يعزل لسبيح جديد وفجر مختلف . فرصدته عيوبها صنته يرود دارفور
بالسلاح يحيى به من وداي وأفريقيا الوسطى - تلك المستعمرات الفرنسية
ولكنها ما كانت تستطيع أن تثبت ذلك فحرشت بقافة له وصادرت كميات من
لسخ وسن العيل كما صادرت مبرلاً نه بأم درمان .

أصوات

ساع في الأحام دأشني بطارد الأشدء من قطاع انطون هاربي أمامه وحتى لأن لا نجد ممأ ثرثاراً هي عرب السود ن حيث بلطولات مكان إلا ويحدث عن حامد أظمت مائل كثير، اسمه على أسائها يتمون أن يتجسد في واحد منهم يوماً ما رغم مرور عشرات السنين على وفاته هذا انقلب الصحري لم يتحمل أن يرد طالب حاجة قصده من بعيد فتوقف عن لحمها أي حيم أدرك حامد أنه لا يستطيع أن يمي بعرض صينه ويمسحه ما يتمه - صيق رات اليد - أسلم الروح كما طائر السم لذي يموت حاله يسقط في فخاخ لصياد فاكتملت الأسطورة

5 ديسمبر 2000م

قديسة سودانية عاشت في إيطاليا

جوريفينا بخيته



جوريفينا بخيته

يتعبر الدكتور منصور خالد دون معظم أقرانه من المثاليين السودانيين بعمق الرؤية وفحامة الأسلوب فأسر قارئه سوء أن اتفقوا معه أم حنلقوا ومنذ حوار مع الصغرة، ظل يرتقي مكاناته معروفاً من معين الأدب العربي القديم وماريح انقافة الإسلاميه والإنسانية ومركزاً على تاريخ السودان، يتوسع في طلب المعارف ويعوص ويأتي بجديد كلما كتب وفي يوليو الماضي حين شارك بكلمة ألماها بالبعة الإبحلمرية في افتتاح المؤتمر الذي عقد في مركز جامعة كمبودج بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين لرحيل الرحيم السيامسي والأديب الشعير محمد أحمد محجوب تناول القصاي الخلافية التي لا تزال تشغل السودانيين وفي مقدمتها مسألة الهوية وفي معرض حديثه عن الحصريتين السوبيه والمسيحية أشار لتجربة أسطورية لامرأة سودانية من دارفور حاملة الذكر تدعى جوريفينا بعيتة عاشت كرفيق في أواخر القرن التاسع عشر وحتى بها إلى الخرطوم بعد أن

أصوات

تعرضت معذابات مريرة على أيدي النحاسين وكان خلاصها على يد القنصل الإيطالي انعام في زمن الدولة التركية السابقة، الذي أحدها معه إلى إيطاليا حيث عملت وأدخلت الدين المسيحي وسميت جوريجيا إلا أنها أصرت على الاحتفاظ باسم نجدة. انصمت نجدة إلى «أخوات كابوسيل»، وأصبحت معروفة بالأخت السوداء.

وحلال الحرب العالمية الثانية قامت بأعمال إنسانية أثارت الإعجاب حين برزت بحماية سكان بلدة سنيو خلال عمليات القصف، وبعد خمسين عاماً على وفاتها وفي عام 1992 طوبتها الكنيسة وفي أكتوبر من العام الماضي سماها البابا قديسة لتتصم إلى قائمه قليلة اعدد من القديسين السود وقال الدكتور منصور خالد أن الكاثوليك لسود في كل أنحاء لعالم «ستهجوا هذه المناسبة إلا في السودان حيث تجاهل الإعلام الحكومي النبأ.

بدأ النشاط البشيري للكاثوليك خلال سنوات الأربعين من القرن التاسع عشر، بعد عقدين من الحكم التركي وتولى على الخرطوم منذ عام 843 مبعوثون كاثوليك من اسمساويين وإيطاليين والألمان البافاريين. وبدأت تلك البعثة إقامة مبس لها عام 1850 في الخرطوم، ومن ثم توسع نشاطها فأقامت محطتين بمنطقة البارية في بحر الجبل وفي بقعة ما بين شامبي وبور، ولكنهما علقيا بعد حين، وعندها عادت البعثة في عام 1872 إلى الخرطوم برئاسة الأب كمبوي افتتحت ثلاث محطات في بربر والأبيض والدلح بجبان السوية. فتت دا الملايا بسبعة عشر من أفراد البعثة فأحلت محطة بربر، ثم انسحبت نهائياً إلى القاهرة في ديسمبر 1883 بعد هزيمة حملة الجنرال هكس في براري كردوس. كان افتتاح اقبصلية النمساوية في الخرطوم يرتبط بأهداف البعثة لكاثوليكية. وكان أول نائب لقبصلها هو الدكتور ربر الذي وصل إلى الخرطوم في مارس

1851 وعرف بصلاته الواسعة مع الكثير من مشايخ العرب بمنطقة الخرطوم أما هانرل الذي شغل المصوب في عام 1853 وجاء لتدريس في مدرسة البعثة الكاثوليكية فقد امتدت إقامته حتى سقوط مدينة الخرطوم في يناير 1885 وقد ترك أبحاثاً قيمة في الجغرافيا والأنثروبولوجي مشرتها المجلات العلمية في النمسا وألمانيا. وكان رجلاً اجتماعياً يستضيف السائحين والمكتشفين في منزله، كما يتحدث العربية ولغة البارية.

ركزت البعثة الكاثوليكية على التعليم، وكانت ترمي بذلك إلى تنصير الأطفال الأرقاء. فأنشأت مدرسة صحتهم مع حصص للأطفال اليس والموسيقى، إلّا أنها لم تستمر طويلاً فأقامت مدرسة أخرى في عام 1850 بتدريس القراءة والكتابة والحساب والموسيقى والأشغال اليدوية واللغات العربية والفرنسية والإيطالية وبعد أعوام قليلة شهدت المدرسة تطوراً وازدهاراً فأصبحت مواد جديدة لمقررات الدراسة كالترجمة البدنية والصون الجميلة ولقاء كما ألحق بها قسم تجاري في عام 1859، والتحق حريجوها بتمصليح الحكومية وقد اهتمت المدرسة بالتعليم المهني فاستحدثت أقساماً للتجارة والحياكة ولحدادة وصناعة الأحذية بشرف عليها خبراء إيطاليون.

وكان المهندس سادا يدرس علم الميكانيكا للسلامية الذين يطهرون كفاءة ومهارة وكان هؤلاء السلامية يعملون في الترسانة بعد إكمال الدراسة، وفي السنوات اللاحقة توسعت المدرسة في قبول السلامية، ذكوراً وإناثاً، حتى بلغ العدد في عام 1878 ثلاثمائة ولد ومائتي بنت.

تعاخت البعثة الكاثوليكية مع الموقف العالمي المناهض بإبطال تجارة الرقيق واستخدمته لتحقيق أهدافها في تنصير الأهالي، فتوسعت في شراء الرقيق وتربيته تربية دسيسة للإستعانة به في التبشير بمصطفهم كما شجعت الرقيق على

لهرب وأنشأت من أجل ذلك ملجأ بدر الإرسالية لإستقبال الهاربين ويرغم لكونت الإيطالي لويجي ساري اندي دار المحرطوم قبل الثورة لمهدة أنهم يجتو في تحويل الرأي العام بالسودان ضد جدارة الرقيق

ومما لا ريب فيه أن البعثة الكاثوليكية دأبت على نصير المسلمين وقد تم لعثور على فتية وفتيات من تلاميذها تحتلظ أسمائهم الإسلامية بالمسيحية، وبعثة مثال وصح بذلك، كما كانت هناك فتاة سودانية تدعى كاترين ريس أجول استعادت بها البعثة في معرفة سمان الديك، ويبدو من اسمها أنها كانت مسلمة وتلصرت.

وقد برر من تلاميذ البعثة المس الديكاوي دانيال سرور الذي ألف أكثر من عشرين كتاباً عن عادات قبيلة الديكا لم يبق منها سوى كتاب واحد موجود الآن بمكتبة المخطوطات بمجمع أباء فيرونا ذلك إلى جانب التقارير والمراسلات والمذكرات التي أعده أفراد البعثة والتي ترخر بها مكتبات جميعات البعث لدية في إيطاليا وخاصة في ذلك المجمع وقد قام الأب الياس توفولو لدي بولى التدريس في كلية كيموس بالخرطوم مراجعة تلك الوثائق وادعها في محصوط بعنوان الأعمال الجغرافية وغيرها الخاصة بالبعث عن الاجندس لشرية التي قام بها مراسلو الإرسالية الكاثوليكية الأفريقية الوسطى (1846

1898). وتنصح أهمية هذا المخطوط فيما نصممه من الكشوف الجغرافية التي قام بها أفراد البعثة الكاثوليكية والتي لم تتعرض لها كثير من كتب برحالة التي تدوت هـ المجال وكان قد فقد الكثير من التقارير المهمة التي كتبها أفراد لبعثة من بينها تقرير كتبه أحد الآباء في عام 1848 عن حرية مسار.

السودان عرف المسيحية قبل كل مكان، وكان أول سوداني يعتنقها هو وزير حراة لكنداكة، ملكة مروي، حوالي عام 15م أي بعد عامين من وفاة السيد

السيح، وقد وردت قصه في مصر لوقا، وهي قصة شائعة أوردناها عدة مرات فيما كتبنا حول هذا السياق، ويذهب بعض المؤرخين إلى أن السودان شهد انتشار للمسيحية قبل أن يحدث ذلك رسمياً في المناطق الأخرى، وقد تم العثور على وثائق تثبت أن ذلك يعود إلى حوالي عام 450 م وفي أوائل سنوات السبعين من القرن الخامس تم اكتشاف لوحة حجرية هي البركن أقامها رجل يدعى يوانس وروجنه البصابت تذكراً لابنتهما نيوسيس المتوفاة، ويعود تاريخها إلى ما بين 300 و500 م ولما أصبح أن يوانس والبصابت اسمان مسيحيان من أصل عبري، أما الصورة الرسمية التي وصلت بها المسيحية إلى السودان، والتي ترددها كتب التاريخ، فهي مبادرة ملوك القسطنطينية بارسال وفود التبشير

واردهرت المسيحية في السودان وتجددت في مملكتي المقررة وعلوة ولكن لا يزال الغموض يلف الملابس التي أدت إلى روالها إلا من بعض الإشارات العابرة من الرحالة الذين راوا السودان في أيام اصمحلالها التدريجي حتى اجتماعها في الفترة ما بين القرنين السادس عشر والسابع عشر.

فقد كتب لقس البرتغالي انفارير الذي رافق إتيوبي عام 1250 م أنه عندما كان في بلدة عذار وصل بعض القساوسة والرهبان من السودان يرغبون في تعلم مبادئ الدين المسيحي، وقالوا إنهم كانوا يتلقون كل شيء من القسطنطينية ولكن بسبب الحروب وموت جميع رجال الدين انهارت المسيحية في السودان

وقال انفارير إن يوحنا الطرابلسي الذي كان يصحبه وسبق أن عبر مضيق بلاد النوبة شاهد أكثر من مئة وخمسين كنيسة معظمها مبنية داخل القصور وجدرانها مرسنة بصورة السيدة العذراء ولحواريين، وتلك الشهادة أثبتتها الآثار التي تم اكتشافها في النوبة أخيراً.

ومن عجب أن أحد المسيحيين في مصر كتب في عام 1742 أن بعض البربرة

أصوات

لقاديس من جزيرة تنفاسي، الواقعة تجاه دنقلا المعجوز التمسوه وطلبوا منه أن يعطيهم بعض الصليان بحماية أطفالهم ومن المستعد أن تكون المسيحية قد استمرت بعد سقوط دنقلا المعجوز في حوالي 1326 الرجح أن هؤلاء الناس كانوا ينحدون من الصليان ثمانم حسب معتقداتهم التي سبقت الإسلام ولا بد من التأكيد من أن المسيحية قد زالت من الوجود في اسودان ككنيسة منتظمة في أوائل القرن السادس عشر حين انتصر الحلف الذي قاده عمارة دنقس وعبدالله جماع على النوبة المسيحيين وسقطت مملكة سوبا في عام 1504م. وعندما مر الرحالة اليهودي دارد روبين عام 1526 على سوبا وجدها حراة إلا أنه رأى بعض سكانها يعيشون بين الأناص. واستمر اسم العاصمة المسيحية في بعض انقري الواقعة في منطقة ابروصيرهن كما أن هناك سوبا أخرى قرب «بوحماي» حيث يسكن بعض الهمج الذين احدث أحداهم من المدينة القديمة، واحتملوا باسمها وفيل إن بعضهم لا يرل يردد عبد القسم «أحلف بسوبا دار انجد ولحوبه اليطفح الحجر ويعص لكر كعوبه»

الفتى الذي فقدناه في ناشفيل

ريغو باولينو ديتق

مات هناك في رحاب الحرم حبيبنا
من الجنوب اسمه ميور
قرأ في الصباح كحبة الصباح
يدخل المبحر في الأمواج والسرور
موتلق لأسنان في إسمامة كأنها سرب من الإدر
انظمت مرقاً على صفحة من الحور»

الشاعر صلاح أحمد إبراهيم

سجّع عدد غير قليل من اللاجئين السودانيين في شقة السيدة فكتوريا في
مجمع سكني بمدينة ناشفيل في ولاية يسي. افترشوا لأحدهم والبطاطس
وأسدوا ظهورهم إلى الجدران كانوا حراس صامتين تنهم الكآبة والإحساس
المرير بالعربة وذلك خلال مشاركتهم تلك العائلة النحيفة أحرارها في وفاة
الفتى ريغو باولينو ديتق الذي لقي مصرعه على يد مهاجر لاتيني يدعى راول
كوباليس سيدما طعمه يسكيه حتى الموت. لم يكن ديتق قد تجاوز التاسعة
عشر. إلا أنه كان شهيداً كريماً ذا مروءة ومجدد وسعاد تحدث عنه أصدقائه
المهاجرون السودانيون لوكالات الأنباء فلو أنه كان أحياً لما وقف إلى جانب
وقدم إلى القضاء والكساء واستمرطوا في بكاء مرير حل ديتق ناشفيل قبل عام
ونصف العام بصحة عمت وعميه وجدته جاءوا من القاهرة حيث تركوا والدي

قصص

ديت هنالك وأقامو في شقة تتكون من غرفتين هي ديت المجمع السكني لدي صمهم مع مهاجرين لامييين يعتمد اللاخثون السودايون على مساعدات لأهل و لأصدقاء والعص الأخر يعتمد على المؤسسات الخيرية كد ديس يحلم بالحصول على صحة جامعة يوفرها له فريق كرة السلة الذي سينضم إليه وقد إنحق بالعمل بمدرسة هيلسبورو العيب لتطوير لعبه لإيجليرية ولكنه سرعان ما هجر الدراسة حين عثر على وصيفة ثابتة بدوام كامل بأحد المحاور التجارية الكبيرة. كان عمه في مرأب السيارات حيث يقوم بتنظيم حركتها وتوقفها المؤقت فيه إلى حين فراغ المتسوقين في المحرر كان قد شرب العراك بينه وس عورالس على مترين من الأرض في حين ترك حلقه مليوناً من الأموال المربحة هي مساحة ثلاثة التي صاق بها وسحروها، مسجدة أنه يكن يصدق أنه قد محا بجلده من حليم انحرط في الحبوب و اعتقد أنه حل بربوع ملؤها الأمن والطمانية والعيش الهني في بلاد « لعم سام »

وفي فبراير الماضي كانت قد وقعت حادثة راح ضحيتها فتى آخر هو حيمس مشر جيو لدي سافته المنية إلى ولاية أريزونا في إطار برنامج لإعادة توطين آلاف الأبطال ولماهمين السودانيين البتامي ممن نفذوا أسرههم في دولة لحرب النعبة حافلتان نصابتا في عرض الصريق فهوت إحداهما على حيو بواقف على بعد بضعة أمتار بانصد وسانبل النقل انعدم ليعود إلى شقته بعد عناء يوم حافل عقب بهية الدوم كان محملاً بالمواد العذبة والأطعمة التي يجلبها لرملائه. قبل وقوع المأساة كان قائداً لمجموعته ومستودعاً لأسرها واحتياجاتها وما يحصل عليه من أموال قليلة كان يسيّر مروح النصبم والمعونات العالية وعقب وفاته العاجلة حصلوا حباري نائس سألون عن سبب عدم اعتقال سائق مباشرة لإبرال العقوبة به وعن عدم السماح لأصدقائه بمرافقة جثمانه إلى مستشفى في سيرة الإصعاف، وعن عدم دفن جثمانه مباشرة بعد الوفاة وقد

أدرك مدير لجنة الإنقاذ الدولية بي هوينيكس رئيس دون ماركوس أسس حيرتهم ونسأؤلاتهم وأرجعها إلى أسبابها الثقافية حيث أنهم يعيشون في واقع معدير بقوانينه وأصاط سلوكة

في عام 1841 كتب المذكر المصلح والشاعر الأمريكي إيمرسون يقول «نم يكن لنظرية الإصلاح يوماً في تاريخ العالم ما لها في وقتنا الحاضر من مكان فإن كافة المصلحين السابقين كانوا يوقرون بعض النظم والمؤسسات الكنسية أو الدولة أو الماريج أو التراث بيد أن هذه جميعاً وكافة الأمور الأخرى المسيحية والقوانين والتجارة والحدوس والمرعة والمعمل - نسمع الآن صمير لصور «غير ربيث» فلهرع إلى الحساب - وما من مملكة أو مدينة أو شريع أو شريعة أو دعوة أو رجل أو امرأة إلا يهدده الروح الجديدة » كان ذلك الرمس الذي تحدث فيه إيمرسون رمس تدمر لا حدود له وأمل لا نهاية له بدأ توجه يصاً بهذه الدعوة لمواظبيه «حبس أن يعيد لنظر في كل بنيان الإجتماعية. الولاية والمدرس ولدين و الروح والتجارة والنعم وأن مستكشف أصول طبيعتها الخاصة »

كان ذلك رمس تحديات كبرى و جهت المجتمع الأمريكي الذي كان يعتمل هي حالة التكوين والمخاص العسير فهض المصلحون رجالاً وساء لتشكيل المجتمع المدني الذي يع لجميع ويحد من صراوة العلاء والمسدين وانصرفوا نشاط عارم وعاطفة صادقة حارة عر نظيرها في المريج وعكفوا على إزاله العفات ووجه إيمرسون وأصره إلى تحديد كنيسه من الشعب والفقوس ليعودوا بها إلى المبادئ الأخلاقية لعظيمه الكامة في قلوب البشر وعمدوا على محو الأمية وحل مشكلة تعليم لبسات وتجهوا إلى الصبة الصغيرة البراحة تحب بير الرأسمالية للرراعية والصناعية لبارعة وكانت امرأة مسحوقة مستصعفة فتكاثف عدد من المصلحين مع ساء جسورت وأطلقوا حملة من أحل حقوق النساء في المحاكم وفي السياسة وفي الأعمال والمدارس. وفادت

أصوات

دوروثيا ديكس حملة من أجل المصابين بالجرب وأنشأ عيها معهد بيركر
للعبيان وأقام توماس جالوديت مدرسة للصم وصور شارلر لوريج برس مأساة
لأطفال العشردين في شوارع المدن الكبرى

إقنع هؤلاء المصلحون بأن للإنسان قيمة لا حدود لها وعملوا على تحييه
ويلات الحرب وبادى أحدهم بأنه ما من حرب مشرقة، وما من سلام غير
مشرقة. تنصرت هذه مبادئ وحملت مجتعا متدسكا رعم تبين أعراة
وتقدمت هذه الأمة حتى بلغت صدارة الأمم ولكنها ما زالت تعاني من
الشبهات التي لا تقعد بها كثيرا حيث ما رت كثير من المصطهلين يودون بها
فرب من حعيم بلدانهم. إن هذه التحرية في طريق تقدم الإنسانية بحرية
بالاهتمام وهذا المجتمع المدني لا يفتأ يتماست رعم صراوة السلطة ونحو
لرئسالية المشرسة على مسيرة الحياة وأقدار الناس

نحن في السودان نرحب لمش هؤلاء المصلحين . لرجا يؤرقهم انظم
وتهرهم صور إهدار الإنسانية فلا محيد عن توقف هذه الحرب. فمن لا يريد أن
يقتل بعضا لبعض نحن نريد سلام وإذا كان هناك أمراء يدحرب أيا كان
جانبهم قدعهم شهباب التسلط وتركبهم برعات القتل والتدمير وفهر الآخرين
فليرفعوا أيديهم عن مستعبين هذا الشعب الطيب المسالم الذي تم تبق به
بحرب سوى لحقد والدمار وليهص الجميع من أجل قهر الحرب وواد العنف
ولتصمت المدفع ونعد الطيور ونفرع لفلول وبرفرق ريات السلام وفرح
لجميع ولنع السيدة فكتوريا عمة المعدور ريفو دولسو ديق من مساه في
دشغيل إلى قرينها في الجنوب.

7 أغسطس 2001م

مدرسة رمبيك..

حين جارف إلى الماضي والسلام



الطفل جابريل

اعتدنا أنا وجابريل على تسميتهما «الأستاذ والمهندس لأن الأول حصل على شهادة الدكتوراة من مصر والآخر لأنه أشرف على إعادة إعمار عدد من المباني ثم رُمى بعدة أيام وكان ذلك أمر غير عادي فقلدنا كشاهدتهما بنظام حول مباني المدرسة حيث كنا طالبين قبل سنوات عديدة وبعد عودتهما إلى رمبيك ظلا دائما يصوفان حول لفصول الحالية، يناقشان الكيفية التي تمكنهما من إعادتها إلى أحوالها السابقة ولما كنا «جابريل نعمى أن يكون طالبين في هذه المدرسة فقد كانت تسعدنا الأوقات التي تجمعنا بهما، وقد كانا لا يتخلان برواية القصص المتعلقة بـماضي المدرسة وكيفية سير الأمور في أيامي الحوالي، لذا فقد أزعجنا غيابهم غير العادي كان الأستاذ والمهندس مجبورين فقد مضى حوالي نصف القرن منذ أن كانا طالعين في هذه المدرسة استبد بي الفلق ودهست بي النظور إلى أن أحدهما أو كليهما سقط طريق المراض بسبب الحرص وأوعت في الغنى إلى

درجة القلق على حياتهما ولما مصت الأيام تعاظم الإعتقاد بحتمال وفاتهما وكثيراً من الأحباء كنت أجد نفسي مستلقياً وسط الحشائش في عانة أشجار التيك بصايفي حرارة الجو فأسرح بعبد بحالي حتى أسى وجودي بهذه الحالة، وكثيراً ما كنت أستمع لإحدى الأستاذ والمهندس.

كان الأستاذ يقول فيشكل عام والنساء يصعب من لرجاء، فإذا قتل طفل أمام امرأة فإنها بلاشك تفجر بالبكاء، ولكن الرجل لا يفعل، ويصف المهندس ليوم لدي عاد فيه إلى مدرسة رميك الثانوية بعد أن استعاد الجيش الشعبي المدينة من لقوات الحكوميه، كان المكان الأول الذي ررته هو صفي توجّهت إليه مباشرة وعندما وقفت أمامه انصهرت بأكيا

ولما إسعدت أحاديثهما تلك أحسب وكثّهما يحددان لي الكيفية التي يسمي أن انصرف بموجها عند سماع نعيهما، كنت أحس بالحرن الذي قد يفضي إلى بكاء ولكي كنت اتمسك وكان ذلك أمراً معقولا حيث إن عمري الآن يتراوح بين الخامسة عشرة والسادسة عشرة واتوقع أن انصرف كرجل أكثر مما فعل كامرأة أو طفل

قبل سنوات عديدة قرّر بريطانيون أن الحروب السوداني يحتاج إلى مدرسة ثانوية إلى جانب المدارس التبشيرية التي كان غرضها الأساسي الدعاية الدينية، ولما طرح النقاش لتحديد موقع المدرسة على مديري مديريات الإقليم اقترح مدير لاسونيه، رمك لإعترارات عملية من بينها أن موقع المدينة مناسب ويسهل الوصول إليه كما أنها تسطيع إمداد المدرسة باحتياجاتها المعدنية كما أوضح أيضا نوعية الهدوء المريد الذي تنعم به المدينة الأمر الذي سيكون مثاليا لتنقي الدراسة وهكذا تم اختيار رميك وتقرر إقامة المدرسة في أحد أطرافها قريبا من الطريق الرئيسي في نهاية الشارع الذي تحفه أشجار المانحو، وهي عبارة عن ثلث المباني التي تتدبر علوا واحفاص وفي هذا المكان في رأس شارع أشجار المنجو رأيت

المهندس يقف هناك بعد عيابه الذي استغرق عدة أيام ، كانت المسافة بعيدة لأنيسه بوصوح ونكني ثم أحطى هبته المحيلة، كان يقف ورأسه يرتفع قليلاً ليتأمل الكتابة الذهبية في أعلى المدخل الرئيسي للمدرسة. كنت معناداً على رؤيته على هذه الحالة وفي داخل المدرسة يقصّي المهندس وقت يتفقد المباني، وفي بعض الأحيان كان يحاور تقدير الأضرار التي لحقت بها ليري ما إذا كان هناك أمل في صيانتها ولكنه في معظم الأحيان كان يذكر تلك المباني في ماضيها الزاهر حين كان طالباً، وعندما تأكدت من وجوده تبدد محلوفي وسعدت بوجوده حياً ومن ثم توجهت إليه على الفور وعندما حطت قليلاً نحوه عاين لمكان سالكاً طريقاً قصير إلى الصاء الأمامي ثم انعطفت إلى اليمين ليحتفي حولي أحد الأركان، ثم أشأ أن أناديه تهديباً ومراعاة لمآثر السن يساً ولكني أسرعته المحضى وعندما وصلت إلى الصاء رأيت المنصة التي كان يقف خلفها بآطر المدرسة خلال الاجتماع الأسبوعي الذي يصم جميع الطلاب والمعلمين في اليهود الطلق كما رأيت عربة عسكرية من مافلات الجسد مفرعة الإطارات مفتوحة الأبواب. ولكني لم أقف على أي أثر للمهندس، وبدؤ أسى لم أسرع بصورة كافية فقد احتفي في أحد المباني العديدة أو المدخل التي تمكن من محاور الصاء كما لم أستطع أن أمير الطريق الذي سلكه

مدرسة رمبيك واسعة وصحمة وليس فيها ماء واحد بل عدة أمية يحيط بالفصول والد حليات التي كانت في يوم من الأيام تسع ألف طالب وتمتد المباني لتشمل صال المدرسين والموظفين والعمال والمأطرومات، ذئت بالإصافة إلى المرافق الأخرى كالمصاح وقاعات الضعم والحمامات وبيوت الأدب وبعدها تمتد ميادين النشاط الرياضي بمختلف أنواعه، وكانت هناك كبستان إحداهم كاثوليكية والأخرى بروتستانتية ولما كانت هناك عدة إتجاهات استطيع أن أسلكها إلا أنني احترت التوجه إلى الأمام مباشرة وكنت إنتقل من حل إلى مكان مكشوف حتى نرى لي مسجد كان قد شيده الشماليون بالطوب الأحمر وقف الأستاذ على بعد

عبدالله الطيب - أقال الله عشرته - في رثائه

عبدالرحيم فهد - مؤسفاً - أحبا المعارف والرأي الذي حصفا

اللودعي الدقيق الحس دا البصر اللماح والمثل العليا اتصفا

أما يوسف مصطفى السي فدارك قصيدته «في الفؤاد ترعاه العباة» تمدد
القلق السياسي وتشيع الاطمئنان كلما ألمت بالبلاد جائحة من الجوائح، ثم كان
هناك عبدالله عبد الرحمن نقد الله القيادي المدع وأنشاعر التحرير الذي حل
سحايأ آمنه ومواقفها في الشجاعة والذل وإباء نصيم، وعبدالله خليل عسكري
المتفقد والإنسان العامر بالخير والمودة - لم يمكن معاشرته من رؤية قدراته
الإسبانية حجبتها عنهم المكيدات السياسية، وهناك أيضاً أمين النور الذي
ضرب سهماً وافرأ في الاستقامة وحسن الحلول.

غير هؤلاء كثير - إذا أردنا حصرهم - عمروا المحافل بالمعرفة ولأدب وبيل
الأخلاق متجردين من الهوى متعقبين عن نغاعات الدنيا ما اغتصموا - حين
تسبوا المناصب - ولا مكوا أنباءهم من بهت ثروب البلاد ولا حكمهم في
رقاب الناس قضوا واحداً تلو الآخر دوماً صوخاء وتركوا حسن الأحداثة
الآن أنباءهم وأحفادهم متفرقون في شعاب الأرض يسمعون الرزق الحلال رغم
مؤهلاتهم العالية

مكتبه مصطفى سعيد التي ورد وصفها في روايه «مرسم الهجره إلى الشمال»
ما هي إلا مكتبة القانوني الصليح محمد صالح الشقيطي التي أهديت إلى
جامعة الخرطوم روى كاتب الرواية أنه رآها ذات يوم خلال زيارته لمزمل
الشقيطي بأم درمان فقل صورته كما هي في عمله لروائي، تنوع وعى في
المعارف ومحصولات نادرة من أن يجدها في مكتبات لأفراد حالها بعض المقاد
العرب أنها تعبر عن ثقافة الكاتيب وثرء المعرفة التي اعترف من معيها

أصوات

أما من عترتي لدهشة لمرآة مثلما حدث حين رأيت المهندس يقف تحت مدخل المدرسة وكان إلى جانبه جابريل الذي أميره قميصه الـ «تي شيرت» الذي يرتديه ويتدلى في جسمه لتصيل حتى يعطي سرواله القصير

كانا لا يتبادلان الحديث، فالأستاذ ينظر إلى مكان حلف المسجد، أما جابريل فقد كان يواجهني ولما كان المهندس قد صاع مسي أردت أن أركض نحو الأساد حتى لا يحتفي عن ناظري هو الآخر، ولكنني مرّدت فعند منتصف المسافة كنت هناك ثم مقبوضة ذات قوّة واسعة بين سيارتي وعميقة إلى الدرجة التي يمكن أن تعبها إلى الأبد، لقد تعاديت الركض في تلك المبطّة الخطرة، فإذا سقطت لن يكون بوسع أحد بمادي وفي خلال الممارك التي جرت في المدينة تلوث عدد من الأبار بالحدث التي أليت فيها، بدلاً من الركض لوحث لجابريل وضعت أنه إذا لوح بي أيضاً فإن الأستاذ سيطعت ناحيتي ويراني، وربما يكون سعيداً برأيتي كما تكون أيضاً صطرت لي فكرة أنه ربما يكون من وجهة نظر الأستاذ أنا هو المقنود خلال لأيام المصيبة، ولكن جابريل لم يلوح لي، ليس ذلك فقط، ولكن بعد لحظة تلويحي تحرك الأساد مثلما فعل المهندس وبعد ثوان قليلة كان قد اختفى خلف المسجد وتورى عن الأنظار.

عبرت الفناء حتى اقتربت من جابريل حيث استطيع أن أكلمه دون أن أرفع صوتي، فسألته عن سبب إحصاه عن الرد عليّ بالتلويح. ولكنه أجاب بكلمات غامضة ثم أردف قائلاً: «إذا كنت تريد انهم قد فقد لمحنته الآن يوحه بحرق عاب لطعام»

تحرك سويّاً حيث لم يكن لدى جابريل خيار أفضل من السير معي. لم أكن توقع أن أجد المهندس في قاعة لطعام، وكما أسلمت القول إن أهم الأساسي للمهندس هو صيانة المباني ولكن فاعات الطعام كانت نحتاج لما هو أكثر من ذلك. فقد كانت بلا سقف وجدرانها مدمرة تماماً وحتى إذا كان الحين قد استبد

بالمهندس فلم يكن المكان مناسباً لاجترار اندكريات أما الأرضيات فقد استخدمها الأطفال مكاناً لمصاء الحاجة فلا يستطيع المرء أن يتحرك دون أن ينظر إلى الأرض متمسكاً بهربته كما كانت راحة المكان لا تحتل وعندها وصل إلى قاعة الطعام كانت حالية، وكان كل ما يستطيع المرء رؤيته هي رسومات بالفحم لأشخاص يتبادلون انصربات بالكراتية رسمها جنود تمكنهم فيأس والصجر

هل أنت متأكد أنك رأيت انمهندس يسلك هذا الطريق؟ سألت جابريل فهر رأسه ولم يجب لأنه كان يعطي أنه وفعه يساعد تفادياً لذلك الراحة. فأعدت السؤال صجراً أنت لست متأكداً أنك قد أتيته؟، فأجاب رأيت شخصاً ونكسي ست متأكد ما إذا كان هو المهندس، ربما يكون شخصاً آخر»

تحدثت إلى جابريل بعدة، ولكن في اللحظة التي أكد فيها أنه لم ير المهندس رأيت الأستاذ لوهنة الأولى بدا شكله من خلال نافذة قاعة الطعام وعندها حاولت أن اقتضي أثره لم أعثر عليه كما أن الماء كان حاليًا وللحظة كنت فيها مصدب بحبة الأمل رأيت ظلاً يتسلل داحس يحدى الدحليات كان المدخل يؤدي إلى عرفة تمتلئ حذراني بالثقوب التي أحدثتها آلاف الطلقت، كما كانت أعلة الرصاص تنائر على الأرض.

خرجنا من العرفة وتحركنا قليلاً وبدأ يناسبي هاجس بأن ما شاهدته كان شعبي العجورين إلا أنني رأيتهم فجأة مرة أخرى يقفان سوياً ويتحدثان جيداًك لم أنمالك نفسي بركضت نحوهم، حاولت أن ألت انتباههما، يشدي شوق عارم إلا أنهما كنا مهمكين في الحديث، ولكن كان يكسبي من السعادة أنهما لا يران على قيد الحياة كان حديثهما يحصر في عبة التيك وكيفية إعادتها إلى وضعها الأول حين كنت ملاداً مفصلاً للطلاب أيام زمان يهرعون إليها بلمدكرة بتساو خلال أشجارها الوارفة. أما الآن فالألغام الأرضية نانت عانها وصحابها من الناس ير يدون يوماً بعد يوم وأحير، إفرقا، المهندس إلى مرله ليساوس شيئاً من الطعام

قصص

والأستاذ جلس على كرسيه مولياً وجهه صوب المدرسة يراقب مباتيها في سكون وصمت

نشرت صحيفة «الديلي تلجراف» هذه القصة في الأسبوع الماضي بعنوان «مدرسة رمبيك الثانوية» كتبها أحد الصحفيين يدعى أليكس جارلاند كان هو ومجموعة من زملائه قد زاروا جنوب السودان في أوائل هذا العام تلبية لدعوة يبدو أن الصحيفة تلقىها من الحركة الشعبية لتوقف على الدمار الذي لحقته الحرب الأهلية بتلك المنطقة. لم يشح هذا الكاتب البريطاني قصته بكثير من الدلالات السياسية أو الانحياز إلى جانب إتحد فيها منجى إنسان ودعوة المصموم تكمن في بشاعة الحرب وما تصنعه بالإنسان، ومنا ومكانه كما تكمن في الحنين إلى الماضي والأشياء التي ترتبط بالسهولة والسهولة لا ريب أن هذه القصة ليست من مسح حيال كانتها بل هي واقع راء وعاشه خلال تلك الولاية ومدرسة رمبيك احتلت جانبا عربيا في وادي حريجيها من إخوان الحبوبيين مثلما فعلت وادي سيدنا وحيتوب وحورطقت، وغيرها من المدارس لعريقة التي تألفت في ذلك الزمن السميد، في موسم خريجيها من الشماليين

الصحافيون البريطانيون الذين صمموا أليكس جارلاند كتبوا قصصاً ومقالات ثم جمعها لأن كما ذكرت «الديلي تلجراف» وصدرت في كتاب سيعود ريعه إلى أعمال الإغاثة في جنوب السودان.

13 نوفمبر 2001

موت خلم



جراهام توماس وزوجته الزماني

جراهام توماس رجل بريطاني شاعت طروقه أن تقوده يوماً إلى السودان كان
داك في أواخر أربعينات لقرن العشرين والبلاد في أقصى درجات مزاجها
الثوري تنهياً لمحاص عظيم بعد أن تراكت تجاريتها وصالاتها وبنات قاب
قوسين من نصر وشيك ويبدو أن السيد جراهام كان قد بعث مستشاراً لتعليم
محرم أمتعه ودلف إلى القاهرة ومن ثم إلى الخرطوم لاسيما تلك العاصمة
العربية الإفريقية ما دار بخلده أنه سيرى مدينة تمثل تلك الأبهة داخل القارة
بعد عاصمه المعمر مدينة جميلة نظيفة ومنظمة تتمتع بجميع الخدمات الضرورية
وأكثر أدهشه معدن أهلها، وخاصة تلك الطبقة الوسطى - وضعها بالمحلية
معجباً - والتي كانت مهمكة في تشكيل مجتمعا المدني ثم يجد صعوبة في
النزوح إلى مؤسسات ذلك المجتمع والاتصال بالقائمين عليه من شخصيات
إجتماعية وسياسية وثقافية - إلا أن ارتباطه الأوثق كان بالإمام عبدالرحمن

أصوات

المهدي اندي كان قد بلغ دروة تألقه وعطائه انعبداف. أحد يتردد على مجلسه العامر الذي صمّ الصعرة من كبار المتعلمين والمثقفين

كان الإمام عبد الرحمن مد يفاعته ولوعاً بالعلم والعلماء متصلاً ببقية الكرام ممن عاصروا الدولة المهديّة وعملوا في دواوينها كالشيخ اعطيب أحمد هاشم مفتي السودان وشقيقه أبو القاسم أحمد هاشم شيخ العلماء والشيخ محمد عمر البنا الكبير، العالم الشاعر والشيخ مدثر الحجر لقيه الثبت والعالم الحجة والشيخ بانكر بدري رائد التعليم المد والشيخ محمد الدوي

وقد صمّ مجلسه علماء وأدباء وشعراء وسجاء ومدو ليعملوا بالسودان من مصر والشام وفلسطين والعراق من نواحي الفكر والأدب كالإمام المراعي والشيخ ماضي أبو العرائم ولأستاذ فؤاد الحبيب والشيخ عبدالرؤف عبدالسلام والسيد سيم قلدي وغيرهم.

وحينما تحرّج الأحيال الحديثة في كلية عردوب التذكارية وجدت متسداً وترخياً بل واستقصياً لتلك المجالس كان يتوسم فيهم خيراً ويرى مستقبل الأمة رهن بطورهم فرعى البادي الذي أنشأه عام 1918 والذي قدّر له أن يلعب دوراً محورياً في الحياة الاجتماعية والثقافية والنشائية.

بر في صفوف الحركة لإستقلالية التي رعاها لإمام عبدالرحمن بعر عريز من مثقفي الأمة وقادتها السياسيين ما زلت أنعاسهم تعطر واقعا لجديب محمد أحمد محبوب تعددت مواهبه وقدراته فكان مهندساً وقانونياً وشاعراً ورائداً للديبلوماسية ورئيساً للحكومة، وعبدالرحمن علي طه الأديب والتربوي والوزير الذي لا تزال آثار صمته الإبداعية هي مجال التميم مائة في الشكون الوجداني لأبناء سبعة جيلاً بعد جيل وبطيرة المدرس اللامع والصحافي المجدد عبدالرحيم الأمين الذي يكفي ما قاله عنه صديقه الدكتور لشاعر

حجراته المرودة بالحمامات العصرية ووجدت في السيد الهادي شخصية ساحرة مولعا بالاستشهاد بشكسبير ووصفته بأنه كان أنيقا بخلبائه وعمامته وشديد الترحيب بصيوفه وتناول معهم وجبة الإفطار التي كانت سخية حسب الإعداد لولا أن أفسد رونقها إنتشار الدباب بصورة مزعجة أم وجبة العداء فقد رأت أنها لم تُقدّم بشكل حصاري لأن أطباق البورسلين الفرنسي الفاخر لا يتناسب وجودها مع الخل المعبأ في الزجاج كما شككت من حرارة الجو وعدم تشميل المولد الكهربائي إلا في المساء كما تصابقت من وجود نوع ضخم من الجراد وضعته وكأنه قادم من «حيال والب ديري» ولا بد أنه جراد «أم جركم» المعروف بحجمه الكبير إلا أنها في صباح اليوم التالي نعمت في وجراهم برحلة إلى حدائق طيبة الرقعة في الركن الجنوبي الغربي للجريدة حيث تساروا وجبة العصور تحت ظلال الأشجار الوارفة المثمرة وعرائش العشب التي ساروا تحتها مساهات طويلة وكان السيد الهادي في كل مكان يحظى بتحيات السكان في محبة واحترام. وعندما طافا بحوالب القصر أعجبهما متحف ملحق به شاهد فيه آثاراً من المهدية مثل حبيب بعض الأمراء وحرات وسبوح وسروج جمال وجرار ماء ووحدة تسجيل من نوع «أديسون بل» في حالة جيدة - لم تسر أن نعلق على ما اعتبرته معارقة وعندما زرر مدرسة لبنات فوجئت برمائي بوجود إحدى تلميذاتها من بين أفراد مجموعة المعلمات كانت قد بدأت حياتها العملية للتو، فسرها ذلك كما أعجبها وجود أشغال الإبرة وانتظير في أحسن مستوياتها في إصار المقرر المدرسي بشكل عام أعجبتها الحرية رغم ما وصفته بسرعة لتظهر ولأرثوذكسية، حيث لا يوجد أثر للسجائر والكحول وقد أكد لها السيد الهادي أنه لم يحدث أن شوهد أحد المواطنين يتعاطى التبغ لا في الشوارع ولا في الأسواق.

مد وصولهم إلى الخرطوم للعمل في حكومة السودان في مجال التعليم

أصوات

جراهم توماس نصل هؤلاء وعبرهم فامتدت تلك العلاقات حمس عاماً ما توقفت ثم عاد إلى الخرطوم عدة مرات زائراً وبات وشيخ لصله تطورات سياسة السودان حتى عهد جعفر الميري وجهود المصالحة لوطيه

أما فريسته السيد أزماني فقد حتمت بعلاقات ود عميمه مع سيدات بيت المهدي حيث عملت ناهرة لمدرسة أم درمان الثانوية للبنات وتخرجت على يديها فتيات ناهضت لعب أدوار ممدرة في الحياة الاجتماعية والسياسية في البلاد وكان من يسهر أرنل من التحق بكلية الخرطوم لجامعة جيباً إلى جنب مع رصفائهن الشيب كدكتورة خالدة داهر السادت وعاصمة طالب وحاجة كاشف وعبرهن

«موت حلم» هو عنوان الكتاب الذي أودعه ذكرياه عن السودان . وعبر فيه عن نوعه وجرته لصياح الصورة التي كان يتماها لمستقبل البلاد. لم أتمكن من قراءته إلا أني تصفحه بين سوت على عجل وما رالت بعض سطوره مطبوعة في لذاكرة.

قبل أسابيع رحل في صمت وكان السيد الصادق المهدي في زيارة لأبوصبي فسارع بالتوجه إلى لندن للمشاركة في تشييع جنازة الرجل الذي ظل صديقاً ومياً لجده ولأسرته ولشعب السودان.

وما كان وحده جراهم الذي ارتبط وجدته بالسودان بعد نهاية خدمته فمعظم البريطانيين الذي عملوا في -إن لم يكونوا جميعهم- ظل عشقهم له متقد وثابروا على صلات متنوعة مع أهله ما كان أبغ صلاح أحمد إبراهيم حين وصف شعبه كالبشري يقوده الصمير بالمعروف إما احتاح دق المتقا

هؤلاء لغير ما استطاعوا احتلال السودان إلا بعد أن نشوا فوق أجساد عشرة آلاف شهيد في معركة وحدة وواجهوا مزيداً من المقاومة طوال عهدهم إلا

أنهم تصرعوا على نحو معايير عديم علموا أن هؤلاء الرجال في تاريخهم كانوا يتقاتلون بهار ويتهادون لقرى مبلأ فاحتاروا لإدارة السودان أفضل لعاصر وأكثرها كفاءه ورودوها بالدرسات للارمه والنصائح لضروريه للتعامل مع هذا الشعب على نحو خاص لد تحد أسلافاً من السطء كثيراً ما كانوا يرددون في الأيام انقائمة الصعبة «يا حليل للإجلير»

20 يوليو 2000

يوميات إرمي توماس في السودان



إرمي توماس

هوحي لروحان نبريطانيان حراهام وإرمي توماس وهما حائسان في شرفه قصر سيد عبد الرحمن المهدي بالجريدة أبا بأصداء، لأنعام موسيقية مأكوفة بديهما تنهي من بعد فلم يصدقا أدانتهما فأحدا يثرنان بمقهما مستظلمان جده الأمر وقد عقدت لدهشة سائنتهما حتى قثرت عرفة مكوثة من ستة من الغيبان يعزفون موسيقى القرب الاسكوتسدية كأفصل ما يكون، وكاد لا يصدقان عيوبهما أمام ذلك المشهد العريد في ذلك العمق الأفريقي كانا قد عادا من جولة ممتعة شاهد خلالها إسطلات الحين يصحبهما سيد الهادي المهدي لذي إستصافتهما في قصر ولده ومن ثم فادهما إلى منزله المبحق بالقصر حيث إستصفتتهما روحته الشابة السيدة رقية عبد الله المعاصل التي وصفها إرمي بأنها كانت امرأة ذكية في الثالثة ولعشرين تتحدث الإنجليزية بطلاقة وقد رارم بجلنا قبل ستوت أعجبت لسيدة إرمي بهدوء قرية الجريدة أبا وم يبدو عليها من مظاهر اندعه كما هوجنت بفحامة العصر وحديقته الواسعة وتباع

أصوات

شاركت بالكتابة في الدوريات وقدمت أحاديث في لإداعة والتلفزيون عن النساء في السودان ومصر وأفريقيا وقد توفيت في عام 1995 ذكر زوجها جراحهم الذي حرر اليوميات بأنها حين عادت إلى السودان بعد عهدها حببت إرماني موحدهما رضوان الذي ولد في 25 مارس 1954 وفي أغسطس انتقلا إلى يروبي أما جراحهم الذي أصدر كتاباً بعنوان «موت حلم» قل سوت وأسهب في الحديث عن تجربته في السودان بمحبة واحتناء فقد توفي في العام الماضي وكنت قد كتبت مقالة عنه في ذلك الحين أما يوميات زوجته إرماني فقد صدرت في سسبيكس لا أدري قبل أو بعد رحيله بقليل ولم أسمع عنها حتى عثرت عليها في الشهر الماضي في مكتبة لحاصة بصديق الشاعر راشد سيد أحمد في لندن، وهي جديرة بالقراءة حيث تعكس حائلاً من واقع الاجتماعي والسياسي بعيون أنجية وذلك خلال السنوات لقليلة التي مضت بإعلان الإستقلال أنتمى أن تتم برحمة هذا الكتاب وبوريه بصورة يجعله متاحاً للقارئ السوداني

18 سبتمبر 2002

أصوات

أدى جراهام توماس وفرسه إرماني اهتماماً بالحياة السياسية وعقد صلات وثيقة مع عدد كبير من السياسيين والمثقفين وخاصة في أوساط حزب الأمة والتقى بالسيد عبد الرحمن المهدي الذي وصفت ريدرته وما صاحبها بالأبهة والافتخام التي يمتز بها الملوك وقالت إنه كان رجلاً أرستقراطياً يمتلك عدداً من القصور الواسعة وبلغ دخله السنوي مئوباً من الجنيهات كما التقت بابه الصديق عندما توجهت إليه هي وروحها لتنهضته بعيد الظهر حيث كان يستقبل رواده في قصر والده بالخرطوم في حجرة واسعة وصفتها بقاعة السلاء والدوقات الإنجليزية «إلا أنه رغم السجاد الفاخر المعروش كانت تقصر للإصداغات الضرورية كالنحف والدقة في تنظيم الأثاث» ولم تتحل إرماني عن سحربتها التي تصل أحياناً لدرجة الوقاحة حيث أشارت إلى أن هؤلاء لقوم كانوا قد عطروا على حياة بسيطة ولم يأخذوا بأسباب الحاضرة بقرية إلا مؤحراً وكثير ما يغمر إزماني في يومياتها الماضي الثوري لهذه العائلة وتداول من طرف حمي أن تقارب ما آل إليه الحاضر بعد خمسين عاماً من الزمان.

وتحدثت عن محمد أحمد محبوب الذي تم يكن قد انتمى لحزب الأمة بعد - ووصفته بالاشتركي الذي يصح لإشياء «حزب العمال السوداني»

وفي إحدى الأمسيات تمكنت إرماني وروحها جراهام من ريدة السيد علي الميرعسي - الذي تردد كثيراً قبل السماح لهما برؤيته - في منزله بالخرطوم بحري يصحبهما ميرعسي حمرة ووصفت إرماني لسيد علي بأنه كان رجلاً قصير القامة يعمل جسعه إلى الإمتلاء، إلا أنه شديد الحيوية سريع لحركات وكان يسعل بعصبية بسبب ما يعانيه من الربو

وقد تحدث إليهم في كثير من المواضيع الأدبية والتعليمية و ستمتعاً بتناول مشروب الليموناده والقهوة. وبعد فترة لبي السيدان محمد عثمان وأحمد الميرعسي دعوة موجهة من الروحانيين البريطانيين لساكن الشاي بصحبتهما ميرعسي

حمرة وأحد حلماء الحمية وكان اجو حاراً والصبيان يرتدبان جاكيتين طويلين من الصوف رصصا حلماهما رعم إلحاح مصصبيهما.

وصف إزمای السيد محمد عثمان الذي كان في السابعة عشرة من عمره، بأنه كان حازماً يتميز بوجه نحيف ويرتدي نظارات طبية ويتحدث الإنجليزية بطلاقة ويهوى التصوير أما السيد حمد لدي كان في الثانية عشرة من عمره فكان شخصاً لطيفاً متسماً بوجهه المستدير، ويبدو غموراً لا يشارك في الحديث وأشارت إزمای إلى أنهما كان يتعلمان على أيدي معلمين خاصين ويحظر عليهما الإحلاط بأترابهما من الصبيان الأمر الذي اعتبرته خطأ فادحاً

تحدثت إزمای عن ربارات كثيرة لعدد من بيوت السودانيين وحضرت حفلات للرفاف تماوتت في مستوياتها الاجتماعية وكانت تنتقد كل المظاهر التي لا تروق لها.

جاء هداي الروحجان البريطانيين للسودان في عام 1950 وبأشرت إزمای التعليم في كلية المعلمات بأم درمان ثم أصبح صابطاً لتعليم البنات والنساء في منطقة الخرطوم وأحببت اللغة العربية وتعلمتها بسرعة قياسية واستطاعت كثنائية امرأة بريطانية أن تجتاز امتحانها العالي وإلى جانب وظيفتها الرسمية شاركت إزمای في النشاط العام حيث سعت لإشياء أو ن ناد بنساء السودانيات كما حاولت مساعدته الفتيات المعاقات ودعمت مشاريع لصالح الصمم والبكم وفي عام 1954 إنتقلا إلى كيب حيث أمصيا خمس سنوات وبعد عودتهما النهائية إلى المملكة المتحدة عملت إزمای في عدد من مواقع التعليم حيث انصرفت إلى كلية سلاو للتعليم (الآن جامعة تيمس فاني) وفي عام 1961 شعلت منصب محاضر أول في تدريب المعلمين وظلت فيه حتى تقاعدت وبعد ذلك بدأت في تقديم محاضرات عامة وعملت مستشارة لمجلة عربية تصدر في لندن كما

أصوات

إجبارية . على الرغم من أنها أبدت تعاطفها مع انقضية المصرية

لَمْ تصمد الديمقراطية كثيراً أمام الطموح غير المشروع للعسكريين فأطاح
عبد المحكم لمدي وغير وجه الحياة السياسية ودخل السودان في ليل طويل
ابتعد عبد الفتاح المصري عن السياسة وأثر التقاعد في مررعة أخرى اشتراها في
بري استمرت الأحوال السياسية في التدهور وبلغت ذروة انهيارها في السنوات
الأخيرة لدكتاتورية نظام مموري فقرّر الولوجان المصري مفادرة السودان نهائياً في
عام 1984 م إلى إنجلترا وأقاما في بيوتن آيوت وفي عام 1985 م إنتقل السيد
عبد الفتاح المصري إلى رحمة مولا

24 أكتوبر 2000م

فيلينا. ممرضة بريطانية

روحة لأول رئيس سوداني

في أغسطس الماضي بحث صحيفة «الديلي تلغراف» وفاة السيدة فيلينا المعري عن عمر بلغ السادسة والتسعين أنفت خمسين عاماً منها في السودان بعد أن تزوجت من أول رئيس لمجلس «سيادة» بعد الاستقلال كانت هذه السيدة قد هاجرت إلى السودان في عام 1933 بعد عام واحد من إكمالها دراسة التمريض وكان الذافع لإختيارها لهذا البلد هي القصص الشيقة والمثيرة التي كان يرويها حالها الميجور مايكل بيور الذي عمل في الجيش الإنجليزي وشارك في حملة إحتلال السودان عام 1898م وبعد وصولها إلى الخرطوم بأربعة أعوام تزوجت فيلينا من عبد الفتاح المعري أستاذ مادة الرياضيات الذي كان قد تخرج في جامعة بيروت الأمريكية ضمن أول دفعة حكومية إلى لسان في سنوات العشرين من القرن الماضي.

يبدو أن صحيفة «الديلي تلغراف» كانت قد التفت بفيلينا قبل وقت وجيز من وفاتها وأحررت معها مقابلة تضمنت ذكرياتها في السودان فتحدثت عن روحها وحبها وطرقت للأمور معون أوروسية يبدو أنها لم تتأثر كثيراً بالواقع السوداني وأغلب الظن أنها كانت بعيدة عنه روحياً. إلا أنها لم تستقد أي مظهر من مظاهر الحياة بدا سلباً أمام ناظرها.

ولدت فيلينا لآنحستف كاستن في 25 فبراير 1904م وكانت الابنة الصغرى

أصوات

للضبيب نمارس في منطقة ساحم بفحم يدافيد في وست ريدج بوركشير قبلت بمدرسة سليد للعبون برئاسة بروفيسور هري تومكر - إلا أنها لم تواصل لدراسة وأثرت الابتعاد لتخفف الصعوط العالية التي كانت تسوء بها عائلتها وأنفقت عامين في التدريس ومن ثم التحقت بمستشفى سانت توماس في عام 1928م وبعد أن تم تأهيلها بمعهد ديتنجيل للتدريس أكملت دورة في القبالة بأديرة.

لم يمض وقت طويل بعد وصولها إلى العاصمة السودانية حتى التقت بالأسعد عبد الفتاح المصري الذي كان يعمل مدرساً في كلية عمردون التذكارية وذلك عندما توجهت إليه بطلب المساعدة في تلقي دروس في اللغة العربية وأقصت هذه العلاقة إلى الزواج في عام 1937م

كنا كثيراً ما نسمع ما يردده قدامى الحريجين بأن المصري كان ضمن أول بعث حكومية إلى الخارج واقسى أول مسيرة خاصة، كما كان أول من اقرب بالمرأة أوربية

تحدثت فليبا للصحيفة البريطانية وقالت إن محمد مصطفى المصري - والد عبد الفتاح - إحتاره الإمام المهدي ليكون رئيساً لكتلة عمالة دنقلا. إلا أن لحديقة عبد الله أمر بسجنه في أعقاب مريمة توشكي في عام 1889م ولم يستطع بمساعدة حريته إلا بعد أن مدح الحليفه بأربعين بيتاً من الشعر

في الفترة ما بين 1937 و 1948م إتحد عبد الفتاح بمصري وروحه فليبا منطقاً لحرب سكا لهما حيث أفلح في إنشاء مزرعة عمرة بأشجار انعاكه والحصروا وكانت فليبا تستمتع بقيادة الميمنة المحتملة بعف البرسيم متجهة إلى سوق الخرطوم تحت حررة شمسها اللاهبة وعندما تبلغ الحررة أقصى درجاتها خلال أشهر الصيف كانت فليبا تستجير بمياه النيل فتسبح في

معلقة رعمت أنها كانت تأوي ستة من التماسيح، لذا كان لزاماً عليها أن تتروحى الحذر الشديد، وهي تلك العترة قالت جدياً إنها كانت تعمل متطوعة في التمريض بالقرى المجاورة للخرطوم.

وأثناء الحرب العالمية الثانية أبدت فيليبيا استعداداً كاملاً للدفاع عن أم درمان من أي غارات حوية إيطالية محتملة كما التحقت كمرحضة متطوعة في عدد من المستشفيات ومعد سموات الحمسين البكرة، عتاد الروحان على قصاء عطلتها السوية في بريطانيا وفي معظم لأحيان كنا يستمتعان بقيادة سيارتهما يتحولان من منطقة إلى أخرى

وفي عام 1952 م عادا بالسيارة من إنجلترا عبر شمال أفريقيا من وادي في ديون حتى الشلال في صعيد مصر يامان داخل السيارة ويطبخان طعامهما في موقد هيرموس صغير.

وفي موقع معركة العلمين تذكر فيليبيا كيف تقاسما طعامهما مع كلة صغيرة أودعت جراحه داخل دابة محترقة وبعد إشاطين المخور مياه الفيضان قرب مدينة أسيوط اعترضتهما عصابة لصوص إلا أن المغربي تحلّص منهم بعد أن هددهم بأن السرقة من هذه السيدة البيضاء لن تمر بسلام

ومن خلال شاطئ زوجها وعائلته أصبحت فيليبيا وثيفة الصلة بالحركة الوطنية واستمدت بشكل جيد لتصبح زوجة رئيس مجلس قيادة البدي شمس المنصب لمدة ثلاث سنوات بعد إستقلال السودان وجدت فيليبيا نفسها سيدة أولى في القصر الجمهوري الذي تدفق نحوه سفراء عشرات الدول لتقديم أوراق اعتمادهم لرئيس الدولة الوليدة وفي أثناء حرب السويس في نوفمبر 1956م انتهت المشاعر الحرة وارتفعت الأصوات مددة بالعدوان لبريطاني - الفرنسي على مصر - كان موقف المغربي لا يخلو من حرج حيث كان متروكاً من سيدة

إليها من وقت لآخر حيث إكترى داراً في حي المربع كانت مهوى لطلاب الحاجات وللمساكين والباحثين عن تحديد ذواتهم بالدين والفكر ولا يزال كثير من أهل المدينة يرددون قصصاً أعرب من الخيال عن كرمه وإغافه وإثاره، الأمر الذي كان يعبر عن دحيلة تحررت من لداتي وسعت عن لمعات الدنيا ورحرها.

عاش الرجل عقوداً من الزمن مسجماً مع دأبه متوحداً.. بعد أن كدح في سبيل ذلك كدحاً يقدمه الرجل حتى استطاع أن يقهر النفس ويصل إلى حقيقة الأشياء.. كان لا يفتأ يرتقي ويدعو الناس إلى لباب الدين واقتناء أثر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم

بدأ حياته رعيماً سياسياً ثورياً منذ منتصف سنوات الأربعين.. كانت الحركة الوطنية في طفولتها.. بعورها الفكر وتنقصه سبل الرشاد.. بدأت بالكيد والسايد وفجر كثيرون في ممارستهم السياسية في محاولات للالتصير لدواتهم فأثيرى محمود بقدوم نموذج ويدرعو للجمهورية إلتف حوله عدد من المثقفين.. كثير منهم أدباء وشعراء.. أحببتهم أساليب الأحرار وصغارها بذكر منهم محمد المهدي المسحوب، ومنير صالح عبدالقادر، رأيس صديق كان يملؤهم الحماس فيروعون المشور ب السياسة ويحضون في الأدبة والمجتمعات.. وما لبث الحال أن أدرك الأستاذ محمود أهمية التربية لتقديم النموذج للإنسان من خلال فهم متقدم للدين وممارسة تسميها أخلاق النبوة بالإقداء بها

شرح الأستاذ محمود محمد طه فكره جديد أما أحوج البشرية إليه لأن في لبها الداجي هد في الأيام التي سقط فيها مشروع الإرهاب والمرييدات السياسية باسم الدين.

قبل حوالي أسبوعين تابعت برنامج «مواجهة» الذي يقدمه لمريون أبو طيبي

واقفاً تحت حبل المشنقة

وف رال يحدجهم بصرتة فيرتعدون



الشهيد محمود

«لا حصر أنعم من الرعية في التأمل للبرية

لا سما. أسطع من صاح يستطير العروة

لا سلام على الأرض إذا اعترقنا بحلالتين»

«بواب إيلوار»

حين جيء به يحيط به حراسه يوسف في قيوده مغمض العينين يسعى إلى المشقة بخطو ثابت وقامة منتصبة كان هناك حصاة من فضة مكورات وقفوا لتوهم لبشهود تنفيذ حكم الإعدام فيه أعلى العصاة هدرت الجموع تعالى التهدير صيحت من الحزن، من حاجر السجاء والمعتقلين السياسيين، كأنما كان يصدر من جهات الأرض الأربع.. «لن تترتاح يا سفاح». كشموا العطاء عن

قصائد

وجهه فطر إلى الجماهير المحتشدة منذ لصباح لساكر دت اليمين ودا
اليسار وابتسم ومن ثم ألقى بظفره على العصاة الوقفين في صف إلى جانب
لمشتقة قطاطوا رؤوسهم ونكسوها ما احتعلو نظره تلك وهو راحل عن
عالمهم الفني إلى رحاب الملود طاطأوا رؤوسهم وراحقوا وما رفعوها حتى
لأن ولا يعلم إلا الله ما كان يدور بأخلاقهم في تلك البرهة السارة في تريح
لسودان

بعد خروجه من المعتقل مباشرة في 19 ديسمبر 1984- أي قبل شهر من
إعدامه- أعلن الأستاذ محمود محمد طه موقفه بقوله «نحن أخرجنا من
لمعتقلات لمؤامرة نحن أخرجنا في وقت يتعرض فيه الشعب للإدلال والجوع
بصورة محرمة ونحن عبر تاريخنا عرباً بأننا لا نصمت عن قول الحق وكل ما
يحتاج أن يقال إليه في نصه قلناه، ونميوه تعرف هذا لأمر حق، ولذا أخرجنا
من المعتقلات، لتسوقنا مرة أخرى، ليس لمعتقلات أمن الدولة، وإنما لمحاكم
ناس المكاشفي، ولكن نحن لن نصمت»

في ذلك الضحى الرمادي الشتائي لأعر القادم من ظلمات القرون الوسطى
قيمت منسقة خصيصاً في قلب العاصمة الخرطوم ليتم تصد حكم الإعدام في
واحد من أشرف وأعظم المفكرين الإسلاميين لمعاصرين راحل ما عرف منذ
عصارة الصبا إلا بالخلق الكريم والذكر الحسن يذكره أضرابه طلاب كليه
غردون القديمة في استلابيات ويقولون إن سيجته كان محباً وسلوكه كان
مودجاً للآخرين ما عهدوا فيه برقاً ولا نواء وحيماً تخرج وعمل مهدياً في
مختلف أنحاء الوطن كان قدوة ومعلم وقائد وصديقاً للمفرد والمساكين وأبناء
السبيل والمراووش العبرين-

كنا نسمع عنه وراه في طفولتنا بمدينة كوستي كان يتردد عليها حيث عمل
لمرة من لرمز يحفظ مشاريع انقضى لواقعة جنوب المدينة التي صار يختلف

انصوات

بھدہ الذکریٰ یُلا فی لحرطوم حیث حانت السطات دون ذلك لأنه لا یرال
یحدجهم بظرفته فیرتعدون

لیس لندین ما مقدمه سوی أن سشد مع صلاح أحمد ابراهیم

ما انصحت قاماتنا من حمل اقتار الریدایا

فلما فی صدك الأهوال مسری وصرق

فإذا جاء الردی كشر وجهها معکبراً

عمرها فینا بسید دعوی وصرق

ومعیر ید قصصنا

سردد للعب اسفداً أو فرق

سرك الدبا وهي ذاکرة لسید لما ذکری وذكری

من فعال وحلق

وك اسرث من لحكمه والعلیر حب الک ذحیر

ولا حیما یکنز أهلید الأمبر

ولما فی حلعة الشعب عرق.

92 یدیر 2002 م.

أصوات

للدكتور عبدالصبور شاهين والدكتور سيد القمني كما صيفي الحلقة منيت
مسي بلحظت من امتعة الفكرية ولكن أمالي حابت فقد كانت المواجهه
شبه حوار لطرفين القصية كبيره والإثنان يمثلان امتيازات المتحاضمين
لأن وعبدالصور شاهين موقفه معروفة. خاصة فيما يتعلق بقضية الدكتور نصر
حامد أبو زيد وما تمحصر عن ذلك بموقف أقرب إلى تكفير الرجل والحكم
بالتهريق بينه وبين زوجته حتى اضطر إلى الهروب من مصر ولا تتجاء إلى أوروبا.

وسيد القمني يكتب الآن عن الإسلام في إطار ما يعرف بالسيار العلماني..
تمت لو كان لديه علم بفكر الأستاذ محمود محمد طه أو بو فراً الرسالة الثانية
ولخص حججه بالدعوة للإسلام الذي يسبق مع حاجة وتطورت البشرية
وفكرها وليس ما كان مطروحاً للممارجين من الجاهلية في أول القرن الهجري
تلك الدعوة التي يد استطلاع المسلمون فهمها وطرحها لهرعت إليها العصرية
لعربية التي تزدرى لمسلمين في هذه الأيام وما أراحوا بعده بدلاً.

ما كنت بعيداً عن الجمهوريين، في أيام نالق المفكره وعنواني وحتى الآن..
فقد كان فيهم أصدقائي الحلياء وجرء عزيز من عائلتنا. أباء عم أثيرون لدي
كنت احتلف معهم وأحد في الحوار معهم سعادة ما عليها مزيد وكنا نتبادل
كثيراً من الاحترام والمودة والمشاعر الطيبة. تأسري أرواحهم الجياشة وقلوبهم
لعامة وسلوكهم الحميم إراء الآخرين.. مروءتهم وسجدهم ونثر لسقوى البادى
على سيماهم. وقد حاول نفر منهم أن الحق بالركب وألا يفوتني ذلك العرس
لجليل كانوا يتحركون كالسحل السري يقدمون الشهد. شهد لمعارف بطوفون
لمدن والقرى والبرادي يحملون لكثيرات لتي تنصمن فكرهم ويحوصون مع
لباس مساجلات تثرى الحياه ونعمر الوجدان.

وقف الفكر الجمهوري تريباً يدحر فكر امتاسلمين. وأقام لمسير والأركان
وأرسي تقاليد الحوار الديمقراطي في أوساط الجامعات والأماكن العامة. وعدم

متحدثين محاورين بارعين أثلّفوا أعصاب ماثيهم بالحجّة نلو الحجّة فكأروا
يبحأوب إلى العف خير يحرون النقاش أمام لخاصرين السأخرين ويسكشون
جأهلين بقصأيا الفكر والدين

وفي بديأت تشكّل وعيباً وإهتمام بقصأيا وطنيا كُت بعشي السدوات
والمحأصرت يستهويأ اسفأش صحن راد، لقليل من الفكر، وكُت به جد
مرهوين متردّد على سدوات الجمهوريين وأحياناً بدحل في حوار مع الأستاذ
محمود محمد طه فوجد فيه روحاً متسامحة وصدر متعأ وكثيراً ما كان يرّدّد
قوله «نحن متفقون» مهما شجر لآلاف واستمر فقد كان فكره العميق ونظره
الشأمة لمحيطه يحاوران ما هو ثانوي فيرى ما لا يرى حيث تتوحد الرؤى في
أتحه خير الإنسانية. مرأ كُت حصور بدوة به بمدينة كوسني وأحشد بمهرجون
المتبعقون لمتطعون عارصون كان من بينهم أحد المدرسين قبل إنه حائر
الماجسير في اللغة العربية وكان ذا صلب وعجب بأسفس كبير وقف
يتحدث لا بأسلوب انصلاء ولعلماء وإنما بأسلوب السأحت عن نصر رخيص
أمام مؤيديه صأول أُن يقدح في عدم الأستاذ محمود بالمرأ الكريم وأراد أن
يصحح ما طه فكره لعاصر خطأ وعندما توقف عن حديثه الصأحت ذاك بهص
الأستاذ محمود بهدوته المتسامي بعد أراءه حتى تنأوب يدعاء ته بشأن اللغة
وبأحر في القول ما أراد بدلت أن يصحه ولكن علمه برفق ما فنته معرفته في
مأال تحصصه فأنفع الحصير وصفقوا طويلاً وطأطأ الأدعاء رؤوسهم حألا

قبل أيام مرّت لذكرى السأعة عشرة لأعيال الأستاذ محمود سدوات
ليست بالقليلة ونكها نَم مع ثر الهدمة بي أصأيت الحثفين بصفة حصة
وعأمة السأ في السوأل الدين عرفو قدر تلك الشأصيه التي سببي حأدة
إبي حأب شهداء الإنسانية الدين سعو نحو تشكيل عألم أكر وعياً وعدلاً
وإهتماماً بمصير الإنسان وأحتس كثير من المهتمين في كثير من مدن عألم

في الثقافة السودانية

الفتى ضمير المدينة

يونس الدسوقي¹



قصة لأصغاتي أهلال الملحة
ليونس الدسوقي - الفتى ضمير المدينة
يرأس الآل في معناه
كأسد الحيس بالقاهرة
ولأحمد إبراهيم المي - فقد ساقه في المعصية
وال من بطا يناص المظلومين
بحر العر ضحالات أمام المحكمات
للعيد عام وهو بحث ذكرانه
مقرته أمرهاني
بلمر باتحاد حقيقي للمزارعين
وصوته حذيفة في سيل الكادحين.

من قصيدة (وهاريد الغصن) لكاتب هذه السطور بمسبة تذكري الخمسين
لانتفاضة جودة فبراير 2006م

توفي بغير مرض بعد أن عمل من القاهرة في عام 2008

هؤلاء الرجال الثلاثة لذين وردت أسماؤهم في هذا المقطع من القصيدة هم أصدقاءني حقاً وليس مجازاً كما يتبادر إلى الدهن. لَمْ يصممي معهم تنظيمً سياسياً واحداً ولم تتوحد حول قضايا فكرية معينة إلا أنني سمعت بقربهم وبمودتهم وصدقهم وعظمتهم الإنسانية وحيرت معادهم في أبلى المواقف وأشرفها شاركوا ثلاثتهم بشكل أو بآخر مع من شاركوا في أحداث انتفاضة جودة لا يتحدثون عن أنفسهم بما فعلوا ولكن يتحدثون عن تصحيات الآخرين ويطولاهم عيب الموت بوس الدسوقي في نوفمبر الماضي فكان وقع ذلك علينا كسقوط حبال شسكيانج علي لصدور. كما عبر الشاعر القصبي كوميحو عن صديق له عظيم حنونه الرتي غاب بوس فاطوت صمحة مشرقة وعامرة بالمأثر الحيلة. وحياتك هذه قمر ساب ولا عراء لنا مي فقد.

قال إنه تسمى أن يرانا قبل الرجل أحس بأن أنامه أحده في الروايات أطلع به أشرف مأمون بذلك فمثل ليها الرسالة قررنا من فورنا زيارته وشددت إليه الرجل أسامة أبو قرجة من الخرطوم وأنا من أبوصبي كل ذلك في صيف عام 2004م أخبرته بميعاد وصرلنا إلى القاهرة فرتب شئون إقامتنا بمس السديق ادي كان يقيم فيه. كانت قد مضت حوالي عشرين عاماً منذ افتراسا في منتصف الثمانينات توجهت أنا للعمل بمنطقة الخليج ثم لم يلبث هو أن حذر القاهرة منفي به في أوائل التسعينيات حين جلب الفارعة وبيد شمل الجميع

بعد ساعتين من وصولنا دق جرس الغرفة، فاجأنا شيخ قد كف بصره وهذه المرص، يعمد على عصا ويسعى بخطوات بعينة عاجرة ليس ذلك الرجل الذي عهدته في عنوان كهولته قوي متماسك البدن. إلا أنه حل رباط الجاش، مشعل الفكر، منقذ الفؤاد قاصداً على أرملة الأمور، ماسماً ثم تفارقه روحه الوثابة ولا قدرته لتي لا تجاري في صمعة الكلام وربط معاصله بالحكمة ومأثور الحديث والشعر والمعنى الحصيف قصياً أيما لا تنسى في صيافته أشرف

عنى كل ما يتعلق بشؤوسا في الفندق رغم أحواله الصحية غير المستقرة. يدعو أصدقاءه المثقفين نريارسا ويعمرها بكرمه العياض محمود صالح جاء من أصيلة حيث حضر مع الطبيب صاحب المهرجان الشافعي السوي. حيدر إبراهيم علي عاد من باريس مصطفى عبادي من أثينا بعد نهاية دورة الأولمبياد ثم الدكتور فاروق محمد إبراهيم من الخرطوم، والدكتور أسامة عبد الرحمن البر من ليبيا التقيا بالمرحوم مبارك محجوب لقمم الذي دعانا لمأدبة عشاء محبة في داره بحدائق «نبة» حصرها لعيف من المثقفين في مقدمتهم المرحوم علي التوم ورحمة الله عبد الله وصالح أحمد محمد صالح ومحمود صالح عثمان صالح ومصطفى عبادي ولسر وعمر أحمد قدور كان يونس واسطة العقد رغم ضعف النظر والوهن الذي إعتراه. وقد دارت بين الحاضرين أحاديث عذبة لا يرون صداها يتجاوب في النفس.

أقام بوس في فندق هابتون حوالي خمسة عشر عاماً زاده القرية والتأمل حتى كف بصره وامتنع عنه الكتاب الذي ظل رفيق حياته لحرارة الثرية. لا من نر كريم من الأصدقاء يقرأون عليه من وقت لأخر ما يراه مهماً غير أنه لم يعتمد في أي لحظة من اللحظات لبيانته الفكرية وقدرته على المتابعة كان أصحاب الفندق من الأقباط تراءوا بوجوده وأحاطوه بكثير من الرعاية والاهتمام لم يفهم أن لاحظ أهمية الرور الدين كانوا يترددون عليه يفتحون العاملين يعطيهم الجريئة يعدون من مناطق الحبيح في عضلاتهم الصلبة، وفي مقدمتهم المناوي انصليح محجوب إبراهيم ومن السودن وعلى رأسهم الصديق شامي المحامي. يقبل الهدية الجمهوريون من الولايات المتحدة وكندا وأوروبا والخرطوم. يروون القاهرة ويتفقون أحوال بوس فقد كان صديقاً حميماً للأستاذ محمود محمد طه (وكل صميم لصميم بديل) كما عبّرود الرصي

كان واحة يستجير بها المثقفون عند احتدام الهاجرة وتعاقم العنف والاستبداد

انصوات

يتحدث إليهم بصوته انصاهي العميق يشتم أحاديثه الشجية بحمف كثيرًا من
علاء الحزن والمكابدة

ضن الكاتب الروائي النقيب صالح مند سموات يزور القاهرة من عام لآخر في
عطائه لشتوية إلا أنه بعد وصول يونس إليها بات يرورها سويًا بصورة منتظمة
يلقيه وقد صرح بذلك معتباً بثلاث الصحبة الفكرية التي لا يعود الرمان بمثها
كثير كان العاملون والعمالات بصدق هابتون يسعدون برؤية الطبيب صاحب
ويشعرون بكثير من الفخر ولا عتزاز لرباربه، أم هو فقد كان يعمر المكان بتعبيقاته
لذكىة وأوصافه الساحرة يرحبه همسا ليونس الذي كان مولعاً بكن ما هو
طريف.

عاش يونس تجوية الحركة الوطنية في يابها مند منتصف أربعينيات لقرب
بماضي انفل بها وانعس في حصنها وذلك بعد أن أعد نفسه بالقراءة
انصادة العميقة مستمرة فقد كان عمامياً ثم من من التعليم النظامي إلا
مراحلته الأولى ولكنه عدا موسوعياً جم المعارف كدت تشده الثقافة لريجة
والأدب العظيم ويحتمي بالتاريخ بوطفه في تطورات الحاضر

انتمى بيسار وعمل في وسطه مند بواكير الخمسينات وحتى السبعينات في
أم درما وكوستي إلا أن طبعه لمتورد وفوره من الانصااص الحزبي جعله يأنى
بوعاً ما عن التنظيم، وإن ثم يفارق انجماعه، شغل منصب السكرتير للجهة
بمعادية للاستعمار في مدسه كوستي وقال مؤرخو تلك لعتره إنه عنى لرعم
من صغر حجم الحرب الشيوعي إلا أنه عدا اصحماً مهيباً لارباطه بيونس كان
يصيق درعاً ويتبرم ببعض قيادات حربه من القاعدين ومحدودي الدكاء
والمفكرين بسعة الخيال فيتصرف بما يمليه عليه دكاؤه وعطرقه اللماحة

عاش يونس حياة لم تنح له فرصة لإطلاق افكري والسياسي التي تناسب

قدراته وعلى الرغم من أنه تفتح في زمن التحولات في الحياة السياسية والاجتماعية إلا أن تعليمه المحدود وقف أمام طموحاته في الرعاية ورعيته في العطاء تروح مبكراً وعص مع والده في التجارة التي لم تتوسع فتحد من شهرته بشرة والإصلاح فكر في الهجرة إلى السعودية في عام 1955 وتعاقب مع إحدى الشركات الحجازية وكتب رسالة لوالده في هذا الشأن إلا أن تلك البرعة لم تتحقق لأمر لم يدركه ولم يتحدث ساعه حتى ولو بصورة عارضة ولكنه توجه إلى مصر وقام فيها مدة من الزمن وربما كان ذلك في بدايات النصف الأول من القرن العشرين. كان أحياناً يتعرض لتلك التجربة ولقاءاته مع المثقفين اليساريين المصريين كما يبدو أنه قد قرأ كثيراً هلك وعاد ممتك بالثقافة والفكر وقد وضعه لي أحد أصدقائه الذي إنقيت به في تدلتي بأنه عاد شخصاً آخر في ما يتعلق بالتوجهات الفكرية والسياسية

قل أن يتفتح وعيا في مدينة كوستي رأبها رعيماً حمائرياً قائداً يتقدم التظاهرات وينحط بطلاقة ما عهدناها في غيره ممن كانوا يعدون خصبهم ويقرؤون على المناس ما يكتبون كان حرارة صدقه وحرأته وسعته لمهيب يحرك لمشاعر فركص حلف موكبه وهو يتعل سيارة جب معكاً بمكبّر لصوت لم يكن يعينا ما يقول كُأ برى أماماً بطلا صارم القسعات يتطير شعر رأسه بفن الريح من يصفي عليه معبراً أحاداً كأحد أبطال الأساطير لإعريمية، كما رسمهم هوميروس كان خطاً معوهاً سطع القربى حين يخطب بتدعي حياك مارس بوثر أو ميرابو أو تروتسكي أدياً ممكماً من القول، مؤثراً، صاحب قصية كوية ولا ريب، أركانها لحق واعدل والحرية وكرامة الإنسان كان رجلاً قوي الشكيمة، صعب المراس، سمحاً، كريماً، متلاف لا يحسب للأثام حساباً ولا يدحر مالا لعهه يتعامل مع الحياة اليومية وكأنه مسافر أبدي لم يكن يابه كثيراً لتحديث النظري والصوص كان يطرح طرحه الخاص، ثقافة مهصومة يعيد

أصوات

إنتاحها بأسلوبه الساحر نفريد إستخدمت إحدى الشركات لمرآة تلاميذ المدرسة الصناعية الوسطى بكومستى - بتوجيهات من السلطة الحاكمة - لجنى القطن في أحد مشاريعها الزراعية في العطلة الصيفية لأحد أعوام استين وقد وقع حادث مؤسف لإحدى العربات التي كانت تقلهم مما أسفر عن مصرع تلميذين صغيرين وإصابة آخرين بجروح كُتبا صبية صغاراً بالمدرسة الوسطى ولكل شاركنا في تشييع الجثمانين حيث خرج المدينة بأسرها فقد هُرم الحادث وُدعى قلها وانتلاميذ كانوا غرباء عن المدينة يقيمون في السكن الداخلي تحاكم العسكري بجسورته وما يحيط به من مظاهر لقوة كان في مقدمه الجميع، ونظام عبود في أسوأ مراحل تسلطه واستبداده وبعد أن فرغ أساس من دهر حشمانى الصميرين برر يوس من س المشيعين عاصياً محرم العيبين، ممسكاً بمكبر للصوت إعتلى سيارة واقفة وبدأ يحطب في الناس ويبدد نظام الحكم جهرة غير هياب ولا وجل حاش كثير من المشيعين من هول الموقف إستموا سياراتهم وتسللوا عائدتين قبل أن يشهدوا عملية الإعتقال في نفس اللحظات، الأمر لدى كان يتوقعه يوس بطبيعة الحال ذلك مشهد واحد من سلسلة مشاهد وقع عليها في حياة يوس في تلك المدينة التي باتت صميراً لها كان حيراً عارفاً بأفرد الرجال نهرو سيرهم ونشجه وكان يكن إعجاباً خاصاً للإمام محمد أحمد المهدي. أذكر مرة كُتبا تحدث عنه وأُثرت في سياق الكلام إلى أن المهدي رجل وهو في الثانية والأربعين من عمره فانتصص وبهر وجهه وانتص إلى محتجاً وكأني قد رتكت خطأ، يد كيف يستطيع شاب في مثل هذا العمر أن يقدم شعباً كشعب السودان ويقوده في أكثر السمفونات حنكة في تاريخه فيوجد البلاد ويقوم دولتها الوطنية. وحسب راجعته واقتنع روبر رهرة عميقة وانتص قائماً وعادر مجلس عاب عاً أياماً وعاد ليخبرني بأنه لم يسم ليلتها كان حينذاك يثرث من استين ما عاته ذلك إلا أنما راعه حملاً هو مصي

العمر قل أن يحرز نصر أرعم الأمال التي كانت تطوي عليها نفسه لتمرعه بروح
البرعمة

تمتد علاقاتي إلى زمن بعيد كنت أراه في مأتم والسي - عليه رحمة الله -
وأنا حدث يافع يحضر يومياً ويضيئ ساعات خالسا بين المعربين كتب أعجب
لذلك الرعيم اليساري يريه لأفريقي ويتوسط شيوخ لأنصار رل العجب حين
كبرت وعرفت منه الصداقة التي جمعت بين وادينا منذ يو كبير ثلاثينيات
وكثير ما كان يروي قصص السدفة التي أهداها وادني بوايده ويردد - حتى أحر
أيم حياته - أنه سيعيدها إليّ بعد خمسة وسبعين عاماً - تحفة ثريه قرين
صالون مرلي. وتلك السدفة قصة جذيره بأن تروى في يوم من الأيام.

في صغولتي كنت «المكتبة الوطنية» بصاحبها مصطفى صالح هي الوحيدة في
مدينة كوستي. تطلب في أسواق من مكان إلى آخر حتى إستقرت قرب مكتب
البريد ثابرا على انتردد عليها لافتناء مجلات «الصبيان» و«السبادة» ثم «سمير»
والمصنص التي كان يصدرها «مكتب النشر» وتلك المجموعات التي كانت تغد
من مصر ثم لم يلبث الحال أن افتتح يونس «مكتبة الفكر لحديث» - لا أدري
في أي عام حدث ذلك - وحدا فيها حالتا من الأدب الإنساني فقد تجورا
مرحلة الطفولة في أول مدارج المرحلة الثانوية وسعت اهتماماتنا بانقراءه
وبانت أكثر عمقا وتنوعا هي ذلك الوقت توطدت علاقتنا به نحن مجموعة من
طلاب الثانوية الباحثين عن المعرفة والحقيقة، فوجدنا فيه أبا برأ وأخا كريما
وصديقا محلصا عاملا كأنداد به وسمعنا بالإحلاف معه بكل سماحة
وأريحية رعم طبعه لحد في مواجعة السدح والمسطعين. وصلت كلما نقدمت
السون تردد علاقاتي نوهجا وبريقا يريها حضوره المشبوب وتدفعه المفكري
السي لا يغيب

قل مسودت ونحن بدولة لإمارات أهدي إليّ صديق لطريق الأستاذ مأمون

أصوات

محمد عيسى المحامي نسخة من رواية لعدنان رحمن مهب بعنوان «عروة الرمال»
سامي» سؤل فيها سيره صديق له من اصنافيين الموريتانيين، تنقل ما بين
ناريس وبيروت مدافعاً عن قصايا المغرب الكبير وخاصة الجزائر رأى فيه مأمون
صورة من يوس لجرأته في إقحامه للمعائن وشجاعته وبروئه وتعامله المختلف
مع الناس والحياة ما أحوجا الأنا لكتاب عن هذا الصبي المديبة لدي
كان يحتل نكوب في حياياه ويمشي في شوارعها

أمبراطورية رابع فصل الله

مارالت كتابات الأوروبيين تلميح بالمرارة حين يتحدثون عنه عاطفهم أن يقف قائد أفريقي حجير عشرة أمام محاولات توسعهم الممحموم في أفريقيا وكذا أن يصعد عليهم ما قرؤوه في مؤتمر برلين لعام 1885 بشأن تقسيم القارة التي حسيوها حلاء ففوجئوا بوجود جيش منظم وشجاعة لا تأبه بتموق الأسلحة الحديثة . وعندما احتدمت المعارك واشتد أوارها انسحب البريطانيون والألمان أخلو الساحل لقوات الفرنسيه تقاى ربح فصل الله عكر مراجهم وباد فيالقهم ومشى على جثث جودهم حتى ارمى الأخير من حياته . رمي معركة لأحيرة لم يشأ أن يموت وحده فقتل الجنرال لامي قائد القوات الفرنسية الذي فاصب روحه بعد ساعات قلائل من موت رابع على صعلاب بحيرة تشاد في لثاني والعشرين من أبريل 1900 ثم استطاع الفرنسيون هزيمة رابع إلا بشراء مررة سلاحين باقيرمي ووداي (تشاد) السابقين . وبعد مصرعه لم يدفوا طعماً للراحة أفنقهم إبه فضل الله الذي قاد حرب عصابات لمدة عامين حتى لقي مصرعه.

في كتاباتهم وصفه المؤرخون الأوروبيون «ببانيون الأسود» و«نابليون الصحراء» إعتبروه عارياً نجساً جاء من سودان الميل إلى تلك البقاع التي أطلق عليها الجغاريون أفريقيا شعل حط لاسوء . نضوا عليه بطولاته سموها معارك عسكرية مثلب من الميل حتى حوصر بحيرة تشاد الضموا من عاطفه عربية هوجاء ما هي إلا إمتداد لرؤية الاستشراق إلا أن مؤرخين أفرقة محدثين يحاولون جادين أن يردوا بلقومية الأفريقية إعتبرها فحالة رابع نموذج سامع لما يحاولون

أصوات

نحن في السودان مازلنا نجهل الكثير عن رابع لاندكره إلا حين تحدث عن الربير في الوقت الذي لا تزال آثاره ومدرسه قائمة في دكوه عاصمة مصراتة بصحة أنني شملت بلاد نرو وناقيومي وجرءاً من شداد دكوة هذه مع جنوبي بحيرة تشاد والاس في تلك المناطق لا يزالون يتحدثون عن شعاعه الأسطورية وعدله وصرمته

ارتبط اسم رابع بالربير باشا فقد كان واحداً من قادة العسكريين بل كان أثرهم وأكثرهم مصء وعزيمة صحبه إلى بحر عزال بعد مجازب عسكرية سابقة. وقيل إن أباه كان حدياً في الجيش المصري بالسودان وعمل هو بفرقة بحالة بمصر يعود إلى السودا ويعمل أيضاً بالجيش. وتردد بعض الروايات مشاركته في الاستصحة العسكرية التي قادها الجنود السودانيون في حامية كسلا في عام 1865 بسبب الطعم وتأخير المرتبات. وشهد إعدام عدد من رفاقه في سلاح وسجن الكثيرين بعد إحاطة لاتفاضة وبات أحد الماحين القلائل من تلك التجربة

وبدأ ربح في عام 1840 وأعلن انظر أن يكون ذلك قد حدث في خدمة لملوك حيث كان والده يعمل في صناعة لطوب بعد بركة الخدمة العسكرية. ويبدو أن عائلته انحدرت من سلالات الموج أو الهمج لقاطين بمنطقة حبال. درس الوافعة في لجنوب القصي لمنطقة الحرية أدخل ربح الخلوة فحفظ شيئاً من القرآن وبالن قدرأيسير من التعليم.

في لتاريخ السياسي للأمة السودانية نعت اشاعرب واساء دوراً لم يجد حظ في البحث والتوثيق فالحاحه بت ميمس نطمت قصائد عنائية تحريرية ترحر بصور في عاية لبرعة ولايداع هي أيام الحكم لتركبي وإبان ثورة بمهدية إلا أن ثلاث من أبيات الشعر حاظيت بها الربير باشا في معطف

تاريخي مهم نالت أشبه بالمانفيسو السياسي - حدثت وعياً غلب حتى عن
الربير نعمه الذي لم يدع بالأمور إلى درجة قصف ثمار إنتاجاته وإعلان مناطق
بحر العرال ودارفور دوله وحده - بعيداً عن سلطه الأراك - فذمها بالحدوي في
طبق من ذهب في حالة من العقلة الثاسية دفع ثمنها عالي باحتجاره في القاهرة
لأكثر من ربع قرن.

قالت بت مسيمس:

جك ثلاث ورققات جسدك

صقور الحو حلق قور عدك

يا منيع الكاشدات لي جدهن

كان العود الركي لم يبلغ بحر العرال بعد وكانت الشركات التجارية
الأحبية ترتع بلا رقيب وتعمل في تجارة لرفيق ومن المين وريش انعام . وكان
الربير جزءاً من هذا الواقع إلا أنه استطاع أن يتجاوزه ليخلق قوة عسكرية
تحدث سلطة الحرطوم حينما هزم قوات ابلالي وهران الرريقات وأحير أسقط
أقدم مملكة في المنطقة وهي مملكة العور ووقف حائراً أمام تلك التطورات فقرر
الذهاب إلى القاهرة

بات الربير مغيماً في مصر، وترك وراءه سليمان به الذي كان في لحادية
والعشرين عاماً، قليل التجربة وإن كان إلى جانبه فادة عسكريون ذوو تجربة
وقدرات وفي مقدمتهم رابع فصل الله.

كان عدد الصامعين في إرث الربير كبيراً فأوعروا صدر غردون على سليمان
فمن على إصعافه وتقسيم جيشه وعين إدريس أبتو مديراً على بحر العرال . علم
يجد سليمان متاعب من قتاله، وهكذا إرتلق في سلسلة من الاشتباكات قادت إلى

أحداث

يستسلم الأمر الذي رفضه رايح وباشده مباشرة عاطفية حارة للعدوان عن موقفه
لدي أسفر عن مصرعه وتشتيت جيشه.

توخى رايح جنوباً عبر دارفور يقود ألفاً من المسلحين، الأشداء إلى بلاد البربر
فتحها وأسس إمبراطورية واسعة شملت بلاد البايرمي وجزءاً من تشاد ولما
ندبت الثورة المهدية في السودان في عام 1881 كتب إليه الإمام المهدي
يدعوه للعودة إلى بلاده إلا أنه تردد كثيراً... وكذلك فعل الحليفة عبدالله لكنه لم
يستجب، ورغم ذلك رفع رايح المهدية في جميع معاركه واعتبر المهدي إماماً
ومرححاً لشأبه. وذكرت المصادر الأوروبية أنه كان يتبادل بعض الرسائل مع
لوبيز باشا في منفاه بالقاهرة.

وبعد هزائم مريعة تجرعتها العرب العرسية جرد الكويت لامي حملة عسكرية
صد قوات رايح مرودة بالأسلحة الثقيلة والمدافع وخاص معها معركة عنيفة كانت
لأخيرة أبلى خلالها رايح وقواته بلاد عطيماً إلا أن قواته انهزمت وتبدد شملها
بعد مقتله وبقي ابنه فصل الله يقاتل الفرنسيين حتى قتل أيضاً.

لا أحد يعرف شيئاً عن مصر من تبقى من قوات رايح من السودانيين الذين
خرجوا معه فقد صحبه عدد من أسماء الجعليين والتعابشة والهماسة الذين
رفضوا الهزيمة وخرجوا من البلاد وقد رحل المؤرخون العرسيون عدداً من
هؤلاء لقدرة لذين حكموا تلك الأقاليم الأفريقية وهوتهم عياهب النسيان

أدهشتني كثيراً الصور المتنوعة التي تصورها كتاب لمؤرخ فرنسي يدعى
(هلم) ذهب إلى دكة - عاصمة رايح - ووجد مصرء الذي لا يرون شاحصاً كأن
لم يحن من أهله كتب عثر على مواقع المعارك الحربية وبعضاً من آثارها التي تشير
"شجان المهسين بتاريخ السودان وعظمة بظاله

17 أكتوبر 2000م

من العفاض الى براغ

إبراهيم ركريا.. رعيماً لعمال العالم



كنت جالساً في صالة المسافرين العابرين بمطار إسطنبول بسيطر عليّ سأم
كثيف فهذا الانتظار سيدوم خمس ساعات جعلت أقتب كتباً بين يدي . كيف
صنع القرون العشرية لروح حارودي مترحماً إلى العربية كنت في حالة لا
أصبر فيها لقراءة ولا أحتمل دويها . والأرائك ليست بوثيرة، تؤلمك صلابتها أني
انكأت عليها أقبل رجل ورجلته عجورون تجاور السبعين وربما إقتربا من
الشماس إلا أنهم كائن متماسكين جلوا غير بعيدين مني فبادلنا الطرقات التي
تحولت إلى ابتسامات وإيماءات بالحية.. ثم لم يلبث الرحل أن تسور الكتاب
الذي وضعته جانباً وسألني بأي لغة يكون ولما أحبته شعب الحديث بيت وأدرك
من أي بلد أنا فبعثني بالسؤال، اهل تعرف إبراهيم ركريا، ثم ألتق بسوداني إلا
وسأله عنه . وأخذ يتحدث عن الرجل الذي ظل شاحص في ذاكرته لأكثر من
أربعين عاماً قال إنه لم يلتق في حياته بكثير من الرجال في هبته المتواضعة
وبساطته وعلمه بغير حوادث الحديث وقدرته المصنعة كان الرحل دبلوماسياً
شاباً بوررة خارجية بلاده حين رارها إبراهيم ركريا في أوئل سنوات الستين من

أصوات

القرن انماضي فتم تكبيمه مرافقته لمدة سبعة أيام بمسح خلالها من السجود
والصفات ما أدهشه فحدث ذكره حية متقدة لم تنبها السور كان إبراهيم زكريا
عهد ذلك شاباً أيضاً يعمل في سكرتارية إتحاد العمال العالمي

كان الرجل سعيداً حين ودعي هو ووجهه ليلحق بطائرتهم فيتحقق حلم حبيبتهما
بريدة بعض مناطق الشرق الأقصى أما أنا فعدت ولم يقارني صدي حديث
الرجل إبراهيم زكريا سمعت عنه الكثير كأحد أبرز الشخصيات السودانية التي
عملت في المنظمات الدولية ووفقت في محاضراتها بحمد الوقار والرأي السديد كما
إني ستقيت بعدد من أقاربه أهالي قرية العاصم وبعضهم أصدقائي في مقدمتهم ابن
أخيه الطبيب الجسور الصادق زكريا من واحسا أن كسب عن إبراهيم زكريا وخصرائه
من الدين رفيع هامة الوطن وقدموا نموذجاً رائعاً للشخصية السودانية.. مهما حسنا
أو انقمنا مع ما رأى أو اعتمد

عدت أبحث عن كتيب أصدره إتحاد النقابات العالمي في الذكرى الثالثة لرحيل
إبراهيم زكريا جاءنا مديحه من الخارج ليس من، ومن حق الأجيال الجديدة أن
تعرف شيئاً عن عظماء يعيهم الجهل السائد الآن حيث يفسون لإدعاء والتضع
والسلط وتحبو العظمة الإنسانية وتراجع

كتب الكسندر جاريكوف السكرتير العام لإتحاد النقابات العالمي يقول إنه
إطباعاته عن إبراهيم زكريا ليست مسمدة من لقاءات أو اجتماعات عرسية قصيرة،
ولكنها مسمدة من علاقات تطورت بثبات خلال فترة طويلة حافلة بالأحداث
ووصفها بأنها أقرب إلى المفصلات لسيماية في الأفلام التاريخية التي تعص
بالذكريات. تبدو فيها أشكال معينة بعيدة في لأهل كالصور الظلية التي تقترب
تدريجياً حتى يتبين العراء قسمايتها. يظل اشكر مائلا هبة قبل أن يحرف بعيداً
فيحلفي مخلف وراءه انطباعات قوية ثابتة في الدهن يدفع لمره لأن يذكره مراراً حتى
يستبين التفاصيل التي تصح في لنهاية جزء من الإنسان نفسه

قال جاريكوف إن إبراهيم زكريا كان يسحر كل من يقترب منه بشخصه البسيط في مظهره وبطورته وسلوكه بعطافته الحالية من التمثل والتكيف تلك لبساطة كانت من أجل أدرك لقيم الحقيقية للحياة فعاش وفق ذلك رجل استطاع استيعاب التجربة التاريخية للبشر فأحد يدرك نوعي عميق أفرح وأترجح الواقع وأمرسل جاريكوف في حديثه الذي لا يمل عن عظمه ذلك الرجل فقال «لَمْ تكن هناك حاجة للاستعصار عن انحناء الثقافة والتعليمية بمثل هذا الشخص واسع المعرفة. لقد كان يشعر بالراحة والصداقية سواء كان في رفقة العمال العدديين أو في رفقة رؤساء الدول وكان قادراً على المعالجة العميقة لأي مشكلة يمكن تصورها. بدءاً بالعقبات الصغيرة وانتهاءً بالتطورات الدولية الأكثر تعقيداً. لقد كانت أبعاد ذهنه واسعة بدون حدود سواء تمتعت معه أم لم تمتع. أحببته لم كرهته إن كل من لفتني به لا يمكن أن يساء فشخصيته لرفيعة مهيبة ومحبة» ظل جاريكوف يتحدث بحرارة وصدق يصف جوانب العظمة في ذلك الأفريقي المهيب القادم من قرية نائية بالسودان إلا أنه يعود فيقول إن حديثه ليس من باب الإذلة والمغالاة فقد كان زكريا يعامل مع الناس بروح متساوية فلا يسره ذوو المناصب ولا يستأثرون باهتماماته أكثر من البسطاء فقد كان ينجس دائماً للمحتاجين للمساعدة والذين أصبر بهم واقع الحياة المرير وصعب أيضاً فقال إنه كان رجل مباديء ومبادئ، كان العمل معه سهلاً حيث لم يكن يلقي بالاً أو يشغل بأي نوع من المماورات أو التأمير. يستطيع المرء أن يعتمد عليه في كل الظروف فقد كان ينأى بنفسه عن الحيانة والحقاق والرياء ولكن بحكيالين وحتم حديثه بقوله «وفي الواقع إنني مقتنع بأن شخصية وظاهرة إبراهيم زكريا الذي يصنف بين أعظم البشر ستظلان بيما إلى الأبد»

كان إبراهيم زكريا أحد قادة نقابيين شباب تخرجوا في مدرسة جييت لصناعية وعملوا هيس وعملاً مهرة في ورش مصلحة لسكة الحديد السودانية بعطرية وقد أظهروا ميلاً نصائياً إبان عصوان الحركة الوطنية في أواسط سنوات الأربعين ولم

أصوات

يلت هؤلاء الشباب أن التقوا بصلاب قادمين من مصر وموظفين صغار ومتقنين فشكّلوا تنظيمًا يساريًا عُرف في البداية باسم لحركة السودانية لتحرير الوطني وفي أوقات لاحقة أصبح الحزب الشيوعي السوداني كان من بين هؤلاء النشطاء الشباب إلى جانب إبراهيم زكريا، لشعيع أحمد الشيخ وقاسم أمين وأجروا معيد وأحرروا أصبحوا وهم في باكورة شبابهم قادة أساسيين في الحركة المناهضة السودانية وعبّوا دورًا مهمًا في تنظيم الحركة العمالية وانتصروا بتظاهراتهم وإصرارهم عن العمل على الإدارة الاستعمارية وترفعوا بعترائها بحقوقهم في التنظيم، كما انتزعوا قانون العمل الذي صدر في عام 1948 تمّ فصل إبراهيم كريب من مصنعة النسكة الحديد بسبب نشاطه السياسي والنقابي وعمل لفترة قصيرة في مصنع أسمنت عطبرة الذي فصل منه أيضًا لنفس الأسباب، صرح بالعمل الحزبي سكرتيرًا تنظيميًا للحركة السودانية لتحرير الوطني. كان ذلك في عام 1950 ولم يكن قد تجاوز العاشرة والعشرين من عمره وفي بداية عام 1956 تمّ إخميره ممثلًا للحركة النقابية السودانية في اتحاد النقابات العالمي حيث بات منظمًا دوليًا، ولم يلبث أن أصبح أحد سكرتيري الاتحاد وفي عام 1978 تمّ انتخابه سكرتيرًا عامًا مساعدًا في المؤتمر التاسع في براغ وبعد عامين أصبح السكرتير العام بالإذابة وبعد عامين آخرين انتخب سكرتيرًا عامًا في المؤتمر العاشر الذي انعقد في هافانا وفي عام 1990 انتخب إبراهيم زكريا رئيسًا لاتحاد النقابات العالمي ليصبح أول نقابي عربي-أفريقي يتقلد هذا المنصب الرفيع المستوى

متطاع إبراهيم زكريا خلاله عمه النقابي على مستوى العالم لأكثر من ثلاثة عقود أن يحقق نجاحات واسعة لهذا التنظيم الدولي المرموق الذي يضم أكثر من ثلاثمائة مليون عامر في مختلف بقاع الأرض، وذلك بتركيزه ومثابرة في إختيار أفضل السبل لتوحيد المنظمات النقابية بسيادة لنعاهم والتعاون وانجولة دوا وقوعها في محاح الحرب الباردة بعد جاء في كلمة له حول الحقوق النقابية

ومكافحه البطالة «عندما تصبح انصابل بدلاً من فرص العمل، وعندما تُمنح الأولوية لمجموعات الصناعة الحربية دون تعدية ملايين الأطفال الجوعى في لعانهم، يمكننا أن نتصور ما هو نوع المستقبل الذي يقدمه لنا رأس المال الكبير والشركات المتعددة الجنسيات»

هذه الكلمات تكتسب اليوم مريداً من التوجه بعد أن انكشف حقيقة الحشع الكامن في سلوك الدول لكبرى والشركات المتعددة الجنسيات، وبعد أن بات واضحاً تدهور لأحوال الإقتصادية والاجتماعية والصحية في جميع دول العالم الثالث واتسعت الهوة بصورة لا تسمح بمجرد الأمن.

كان إبراهيم زكريا مشعلاً على الدوم بقضايا العمال في دول العالم الثالث، وبصمته عربياً وأفريقياً عمل على تطوير العلاقات الأخوية بين إتحاد نقابات العمال العرب ومنظمة الوحدة الإفريقية، وانهضت المنظمات الثلاث في تحرير انتصاض العالمي ودعم لحقوق الشعب الفلسطيني واستحاب إسرائيل من جميع الأراضي العربية المحتلة والصلال من أجل التحرر الوطني في بنميبيا وأنحولا وموريشيوس وبلدان أفريقية أخرى ودعم للصلال ضد لعصرية وحكم الأقلية البيضاء في جنوب أفريقيا وكان إبراهيم زكريا يدي إماماً كبيراً بالمصيبة الفلسطينية ويقدم المساعدات للعمال الفلسطينيين ويحيطهم بروح التضامن كما أتاح لهم مسراً دولياً مناسباً لدعم ومساندة قصيتهم المعادلة وبالطبع لم يسر وطيه رغم سين عربته الطويلة فقد كان حاضراً دائماً في فكره ووجدانه كان يوظف كل مقدراته لتوقوف إلى جانبه حين بدلهم ليه ويحذق به الحظر بتولي العسكر لمسطة ومصادرة الديمقراطية وكبت الحريات، وطالما تصدى إبراهيم زكريا للديكتاتوريات وقصع طبيعتها، فقد عصر التجارب الثلاث.

وكب لدكتور خالد المبارك عن إبراهيم زكريا يقول إن الكثيرين لا يعرفونه فقد غادر السودان وعمل لعشرات السنين في الإتحاد العالمي لمقابات العمال برئاسة

أصوات

في براغ درس في مدرسة الصنائع الشهيرة في جيتس بكني أوربا فجرت طاقات دكانه الوقاد فالتحق بمختلف الدراسات التي لا تستلزم تعرجاً وصار عندما التقيه مصفاً بالإنجليزية والتشبيك والفرنسية والإنجليزية وذلك بالإضافة إلى أنه مات حياً في الشؤون العمالية العالمية والأجور وقوانينها بمستوى رفيع ومن المعارف أن رئاسته الحزبية التنظيمية كانت داخل السودان، لكنه كان في مواقف كثيرة أقرب إلى السوفييت الفرنسيين والإيطاليين والإنجليز الليبراليين لدرجة أنه لم يؤيد الغزو السوفيتي لبراغ عام 1968.

ولد إبراهيم زكريا في قرية المعاصم شمال السودان في 17 مارس 1929، وكان والده يعمل ناصر محطة في مصلحة السكة الحديد السودانية. وحصل زملاؤه في المدرسة اوسطى ببورتسودان ينوهون بدكانه واجتهاده وبروره في النشاط المدرسي بمختلف خبرونه وكان شقيقاً لثلاث بنات وثلاثة أولاد يسقطون مع والدهم من محطة لأخرى، إلا أنه حين اشتد عوده أحد يعود لقرينته في الشمال يساعد عائلته الكبيرة في أعمال الزراعة إلى أن تخرج من القسم الثانوي بالمدرسة الصناعية وبعد أن تخرج وبدأ العمل كوكب جمعيه لأبناء المعاصم، يجمعون التبرعات بانتظام لصالح قرينتهم

وفي عام 1964 تزوج إبراهيم من السيدة فاطمة العيم التي عرفت كقائدة طلابية في جامعة الخرطوم وعصوة نشطة في الاتحاد النسائي فاجباً حبيل - الذي توفي فجاء قبل عامين لو ثلاثة - ولميس التي أظن أنها لا تزال تقسم مع والدتها في براغ. وقد توفي عليه رحمة الله عام 1993

22 أكتوبر 2002م

مدرساً بجامعة الخرطوم

إحسان عباس



كانت محض صدفة تلك التي أتاحت لسائق العربي المعروف إحسان عباس أن يعمل مدرساً للغة العربية بكلية عردون التذكارية فقد قدم له صديقه محمود الغول طلباً للعمل تلك الكلية التي لم ترح أن عدت جامعة الخرطوم خلال سنوات فلال من إقامته، ولم يكن يعلم أن الأستاذ أحمد أمين مساعد الأمين العام للجامعة العربية بشؤون الثقافة والذي أحقق في تعيينه بالجامعة قد رشحه لتلك الوظيفة من خلال تلميذه الدكتور محمد السويهي الذي كان يشغل منصب رئيس قسم اللغة العربية بكلية عردون في الخرطوم تلم الأستاذ إحسان برفقة من المستر بل وكيل حكومة السودان بعصر يفسره عن قبول العرض بالعمل في الخرطوم فوافق واتفق معه على موعد السفر إلى العاصمة السودانية تعادل إحسان خيراً عندما قبلت السلطات السودانية جوار سفره الصادر من حكومة عموم فلسطين بالقاهرة - ذلك الجوار الذي كان مرفوضاً لدى الدول العربية لأخرى.

وصل إحسان إلى محطة السكة الحديد بالخرطوم بعد رحلة استغرقت بهارين ولتس نصحه زوجته وحذّاه في 18 يناير 1951. وكان في طريقه إلى الخرطوم بحري حيث سكنه الذي استأجرته له اكلية في سيدة للأجرة حينما بر له ثلاثة من زملائه لأساتذة بقسم اللغة العربية هم محمد السويهي وعبدالمجيد عابدين ومحمد عبدالعزير إسحاق بسياراتهم لثلاث. قصى إحسان بقية العام الدراسي حتى مارس حيث قام بتدريس التاريخ الإسلامي وهي العام الدراسي الجديد إنتقل إلى منزل بحي المطار وصغره بأنه كان دائرة جميلة حولها حديقة تضم أشجار الموز واللباي واليمون والليم وغيرها

سجل لأساد إحسان بطبائعه وذكرياته عن المرة التي قصده في السودان في كتاب له صدر عام 1996. بعنوان «عربة الراعي» وهي لا تخلو من طرفة حاصة وقد كتبها بعد خمسين عاماً من تلك التجربة قال إن الدكتور السويهي كان خريج مدرسة اندراست الأفريقي و لشرقية بلندن وقد نال منها شهادة الدكتوراه في موضوع «الحيوان في الشعر الجاهلي» ولذلك كان مجازاً تدريسه بمئات محاضره من اشعر الجاهلي وقد نشر فيما بعد حصيلة دروسه في هذا الموضوع في جرائد وكان قد تروح من امرأة أحسبه واكتسب ابدقة في المواعيد والمفرد من امسالعة في القول وكان حارح لعمل انجاءمي مهم بإلقاء محاضرات أكثرها عن المرأة وحقوقها وعبر إحسان عما كان يعتريه من دهشة لإحتيازه هذا الموضوع لأنه يعلم تمام العلم أن أمام المرأة السوداية - التي كانت لا تزال تحصص للحفاص الفرعومي - مراحل كثيرة لا بد لها أن نقطعها. وأن الرجل السوداني كان لديه وقتذاك من المشكلات ما يستهد جهده كله ليال حقوق الإنسان في مجتمعه وكان إحسان يلاحظ أن بالخرطوم مجموعة من المثقفين العميقي الثقافة الذين يعرفون شؤون بلادهم أكثر من السويهي يتحدثون عن موضوعات تهم مستقبل بلدهم ولا يعرضون لها يتحدث عنه السويهي ويتخذ مجالا لنشاطه العسكري. لاحظ إحسان أن كلية عربون كانت

تشبه الكلية العربية بالقدس إلى حد ما حيث يتم اختيار طلابها من انجبة في المدارس السودانية، ولذلك كانت مهمة المذارس أكثر صعوبة وأكثر مسؤولية وأكثر امتعاً ولكن الفرق الأساسي بين الكليتين هو انتماء الطلاب السودانيين في العمل السياسي وبعد طلاب كلية القدس عن الانتماء السياسي، وبوه إلى أن الحرب الشيوعي في السودان كان قويا وحسن التنظيم وأن العمال فئة بحسب حسابها. بينما استطاع تنظيم الإخوان المسلمين أن يستقطب عدداً غير قليل من الطلاب وأشار إلى حادثة - لم أسمع عنها من قبل - وهي أن الأستاذ محمد عبدالحريم إسحاق تورط في حديث عبره الطلاب مما بالعهيده فثاروا وحركوا الشارع السوداني في يوم الجمعة التالي بعد الصلاة حيث تظاهر الناس وطالبوا برأس «الأستاذ الردي» وعصمت إدارة الكلية لهذه الثورة وأُعلنت لأستاذ مدم تجدد عقده في العام المقبل

لم يس الأستاذ إحسان ساعات الدوام التي كانت تبدأ في أسبوعه السابعة صباحاً حتى التاسعة حيث تناول الإفطار حتى العاشرة، ولم يس طبق العون الذي كان يعاينه مع جمال محمد أحمد ومحمد الدين فوزي ووصف الأول بأنه كان من أكبر أدباء السودان والثاني في طليعة المفكرين السودانيين درس في جامعة لندن الاقتصاد وتمكن من التحصيل العلمي وأعجبته ساعة المثقف السوداني الذي لا يترفع متعالياً عن واقع الناس البسطاء

قال الأستاذ إحسان إنه وجد إنتاجاً أدبياً غريباً في السودان وخاصة شعر إلا أن الدرامات حوله كانت شحيحة للغاية فأحد يكتب لبعض المجلات لتعريف بالأدب السوداني ولم يكن يعلم بأن بالأستاذ عبدالمجيد عيسى كان يعد كتابه «الثقافة العربية في السودان» الذي لم يلبث أن صدر للناس. وروى إحسان أنه أحد بشجع نشر الشعر السوداني والعصاة القصيرة في بيروت. وكان من ثمرة هذه الجهود ظهور ديوان «عانة الأبوس» لصالح أحمد إبراهيم ومجموعة «البرجوارية الصغيرة»

أصوات

انفصالية لصالح وصديق علي المثلث، ثم «عصبة الهبائي» لصالح - كتب ذلك دعم أبو ديوان «عصبة الهبائي» صدر عام 1960 بعد معادته إحسان بالحرمطوم، إلا أنه ربما اطلع عليه من خلال صلاته بالشاعر انني استمرت لوقت طويل، وديوان «لصمت والرماد» نكجراي وعندما أصبح محمد إبراهيم أبو سليم أحد طلابه مسؤولاً عن المحفوظات والوثائق السودانية تمكن إحسان من خلاله من الإطلاع على كثير من الوثائق الحصرية بتأريخ المهدية وسع كثير منها لدراسة أسباب الكتابة في ذلك العهد.

كان إحسان يشارك في النشاط الثقافي بادي انتظم العاصمة ويرناد معصم لأندية في الحرمطوم وأم درمان والحرمطوم بحري يقدم لمحاضرات إلا محاضرة واحدة كان مُقررًا إقامتها في يوم انقلاب 7 نوفمبر 1958 حانت لشرطة بيته وبين الوصول إلى مكانها.

صطفى إحسان أربعة عشر طالباً كان ملقى بهم في درره أو في درر يتعد الطلاب ليتحدثوا في شتي الموضوعات على ابرعم من سماء بهم المختلفة، فمعصم من ايساريين وأحروب من الإخوان المسممين وكان الحور يخدم بينهم وترتفع درجه إلا أنهم يعودون إلى صفاتهم أحياناً ولا حظ إحسان أن هذه الظاهرة شملت السياسيين في البلدان الذين كان يشتد أوار معاركهم خلال الجلسة وبعدها يحرجون سريراً كأصدقاء ولقد أعجب هذا لسلوك الحصري إحسان وكان يردد «حقاً إن الديمقراطية تلبق بهم»

في خلال اسبواب العشر التي قصاها إحسان بالحرمطوم حدثت تطورات مهمة في المؤسسة الجامعية حيث تغير اسمها إلى كلية الحرمطوم الجامعية عام 1954 ثم أصبحت جامعة الحرمطوم عام 1956. ورافق ذلك التطورات سودنة المناصب لإدارة بالجامعة حيث استقال السويهي وحققه الدكتور عبد الله انصب وأصبح نصر الحاح

في الثقافة السودانية

عني مديراً للجامعة كما انضم إلى قسم اللغة العربية مصطفى عوض الكريم ومحمد المجذوب نصبح جمال محمد أحمد وسعد الدين فوري صديقهما إحسان بالحصول على إجازة السودانية إلا أنه اعتذر ولم يرد أن يافس أهل البلاد في مآصهم

وصف إحسان الحياة في الخرطوم خلال تلك السنوات بأنها كانت مريحة وتتميز بالنظام في جميع الشؤون والمجالات ويتوفر سمره كل ما يحتاج إليه من لباس وطعام ودواء «إعداد جمعني إلى ذلك لطف شعب السوداني ودمائة الخلق لدى أبنائه وصدق العلاقات بين الناس كنت تصف جواً مثالياً للعيش» هذا الجو الإجماعي المثالي وتلك العلاقات الودية دفعت الأستاذ إحسان لأن يحكي خبر معادرتة النهائية للخرطوم بعد أن رفض تجديد عقد العمل مع الجامعة بشروط ولم يرد أن يشير بسمره جواً عاطفياً لم ير مبرراً له

بدأ الدكتور إحسان عباس نشاطه الأدبي مبكراً فكتب الشعر، إلا أنه عُرف بكتاباتة النقدية وخاصة تناوله للشعر العربي الحديث حيث كان يركز على تجربة الشعر العراقي الحديث وقال إنه تسلم ديوان «أباريق مهشمة» لعبد الوهاب البياتي في عام 1954 في الخرطوم وأحد محاضرة حوله حشده بكل مكائده المعرفية والثقافية في ذلك الوقت ولا يزال بعد خمسين عاماً من تلك المدايات يساهم الدكتور إحسان بكتباته النقدية العميقة والثرية دعم بلوغة شتاين فقد أصدر خلال السنوات الثلاث الماضية ثمانية مؤلفات هي تاريخ سعد الأدبي عند العرب، بحايات الشعر العربي المعاصر وعد سعيد بن يحيى الكاتب والوزير المعربي أبو القاسم الحسين بن علي وتاريخ الأدب الأملاسي في (حزمين) ومن الشعر ومن السيرة.

نوهي في وقت لاحق من كتابة هذا المقال عنه رحمه الله

17 ابريل 2001م

ابن عمر التويسي.. وناريخ دارفور

في مشهد أقرب إلى مشهد قصص ألف ليلة وبيلة وقف فتى توسي في حوالي أربعة عشرة من عمره حزيناً يائساً أمام رحال قافلة من لحجيج لسودانيين أخذوا العريضة وأخذوا يتهاون للعودة إلى بلادهم فأحصرهم البصائع وأعدو الركائب. فسألهم عن والده الذي انقطعت أخباره في السودان منذ سنوات كان ذلك في بهار يوم في أوائل القرن التاسع عشر. ولم أفصح عن اسمه فاجأه صاحب القفلة لتاجر السوداني الشيخ أحمد الدوي بمعرفة لوالده وما بينهم من صداقة وتعهده بصاحبه إلى دارفور حيث يقيم والده. كان ذلك لوالد قد جاء إلى السودان أيضاً بحثاً عن والده الذي وعد إلى مملكة سار. وطالب له المقام بعد أن تزوج من أهل البلاد وأنجب عدداً من الأبناء.

أقام «الغني محمد بن عمر لتوسي» منذ عام 1803 في إقطاعية بوالده في قرية «أبو الحبول» بدارفور حوالي سبع سنوات كأول رحالة عربي. وأتيح له الإلمام بأحوال السلطنة الاجتماعية والاقتصادية وبظمها السياسية والإدريّة والحربيّة وعلاقاتها بجيرانها. وبن مؤلفه «نشيد الأدهان بسيرة بلاد العرب والسودان» أهم مصدر للتعريف بأحوال ذلك الإقليم، الذي يعتبر حلقة في سلسلة «ممالك الإسلام» السودانية التي امتدت من البحر الأحمر شرقاً إلى المحيط الاطلنطي غرباً. وشملت ممالك سنار وكردفان ودارفور ووداي (نشاد الحالية)، وباجرمه، وبرنو (الكام)، وممالك الهوسا، ثم مالي.

كانت المعلومات عن تاريخ دارفور قليلة وحسبت أساساً على الروايات لشاهية التي أخذ يتداولها الناس قصصاً جيلاً بعد جيل كدأب لا فرق شعبة

دارفور هم أهل البلاد الأصليون ويسكنون لمنطقة الجبلية وخاصة جبل مرة وقد وفدت عليهم هجرات القبائل العربية الرئيسية من مصر وشمال أفريقيا عبر سهوب والبراري الواقعة بين تنوبة وإقليم تشاد. ورغم هذه الهجرات يثقلها النقص لم يصبح الإسلام لدين الرسمي بالسلطة إلا حين تولى سليمان صوبون عرش دارفور في عام 1640. وذلك بعد أن تسلس الدم العربي للبيونات الحاكمة.

لَمْ يشهد دارفور رحاله أحناب كثيرين كما حدث لمناطق السودان السيلية وكان أول من ودره الرحالة الإنجليزي براون (دبليو جي براون) وذلك في عهد السلطان عبدالرحمن الرشيد وقد سلك براون في رحلته إلى دارفور طريق درب الأربعين من أسبوط إلى العاشر - وأقام في دارفور ما بين 1793 و1796، لا أن السلطان ارتاب في نواياه كأوروبي مسيحي ولم يسمح له بالتحويل وجمع المعلومات كما أنه لم يعثر على تاريخ مدون له جاءت معلوماته سطحية ومضطربة وفي لفترة ما بين 1849 - 1855 قام الرحالة المعروف هري بارت برحلته المشهورة من طرابلس الغرب إلى بحيرة تشاد ورتاد خلال هذه الفترة المنطقة بين تمبكتو وياحرمه إلا أنه لم يقم بزيارة دارفور أو وداي ولكنه استطاع أثناء إقامته في برون أن يجمع بعضاً قبيلاً عن تاريخ هذه الأقاليم معتمد على بعض الروايات الشفهية وكتابات بعض المؤرخين العرب القدامى.

وفي عام 1874 رار الرحالة الألماني جوستاف هاجينجال دارفور عن طريق بحيرة تشاد وبجرمه ووداي وجمع معلومات عن المنطقة بمساعدة السلطان إبراهيم محمد حسين (إبراهيم فرص)، الذي كانت دويته هي "ياها الأحيرة حيث سقطت في يد النيرير رحمة في العام التالي ودخلت دارفور في نفوذ الأتراك حتى إصلاح الثورة المهدية.

كان محمد بن عمر توسي لأب مصري الأم أمهاتته عرويته في كتاب ثقة واحترام لسان في دارفور تقائلها العربية وثقافتها الإسلامية فاحتضنته رهأت به مكنه مرموقة واسطاع بقلبه الفداء ودقة ملاحظته وبعماسه الثام في انحية الاجتماعية أن يقدم صورة متكاملة لما رآه وقدر له أن يصف معظم مظاهر الإقليم وخاصة حين مرة فكتب عن جغرافية المنطقة بتفاصيل مذهلة، وسين كسب العيش فيها وعددت ساس وأحلاقهم وثقافتهم بمختلف طبقاتهم الاجتماعية ووصف مجاس السلطان ورثه وعاداته ونقائده حكمه، وقوة شوكة وسلطانه المطلق فهو لأول والأخير لا يسأل عن قرار تحذه ولا يراجع إلا من قبل الشفاعة ويحد من المعظم والإحلال ما لم يحط به الملوك الآخرون مسطاته تحيط به تراقب في حشوع جميع تحركاته وتلدي الإسمداد اسم لإظهار كل مظهر التكريم والوقير وحسما يكون في مجلسه يهرون مراوح ريش النعم فوق رأسه وإد حرج للصيد بطلونه بشمية وأربع مراوح كبيرة من الريش مبهمة بالجوخ الأحمر وتشير أمامه سجادة يبيدها العلماء ومن مظاهر تكريمه أنه إذا جمع جواده وألقى به أرضا يبقى الجميع بأنفسهم من على ظهور حيادهم على الأرض وإذا جلس في ديوانه للحكم لا يكلم الناس مباشرة، إلا من خلال سبعة من التراحمة - يسموهم حشم الكلام - يصطفون من بين يدي السلطان حتى يصل أحدهم لدى أصحاب الدعاوى ولعساكر حوله والناس جاثون على ركبهم وضعين أيديهم على التراب يترقب الناس يوم خلوس سلطان في الديوان في لباس حش أنمي الكماكلة (المستشارون) والعقدة (ولاة الأقاليم) والأمراء بمختلف طبقاتهم والقضاة وأشراف الناس والعلماء والتجار يجلسون تحت طلاب أشجار السيل الوريث ويحرج «حشم الكلام» من خلال سلم من دح البيت ليجلس على مسطبة أعدت له حصيصاً ومن ثم يفتح المجلس قائلاً: «السلطان يسلم عليكم يا أهل العاشر، السلطان يسلم عليك يا قاضي، السلطان يسلم عليكم يا علماء»، وهكذا يمضي في حديثه.

ووصف التوسي عادة السلطان حين يخرج مرة في كل عام سدر الدور في ممرعته الخاصة ويخرج في معيه انجوارى انجسان قريمن الحلى ويحملن الأواني المملأى بأنواع الخضام الفاخر ويمشي خلفه جوفة موسيقية وانجوارى يعين بأصواتهن العدة ومن أطرف بطانة السلطان التي وصفها التوسي جماعة من المهرجين يطلق عليهم اسم الموحية يلبسون لباساً خاصاً أقرب برى المهرج التقليدي ويعتصرون عصاة تحدث ريباً موسيقياً وهم لا يتخرجون من الحديث ثم السلطان ويتحدثون ما شاء لهم أحاديث موحية لفت نظر السلطان لما يسعى أن يعرفه عن خاصته وكبار المسؤولين في دولته وما يجري فيها.. وأحياناً يتولون قل من يرعب السلطان في عداوته بعون ويرقصون ويملأون ساح الكلاب وأحياناً مراة القسط وحين يركب السلطان في حالة لمر أو الصيد يكفون عن الغناء ولكن يصدرون صيحة عظيمة في وقت واحد بقولهم «يا» وهكذا يفعلون ما دم السلطان راكباً

وكتب تونسي عن امرأة في دارفور ومكانها ومطوتها ومساركنها للرجل في العمل والحياة الاجتماعية وانحراب التي تشتمع بها وأشار إلى مجموعة من النساء المسبات يكون طائفة عظيمة لهن رئيسة تسمى «ملكة الحبوبات» يشاركن بطقوس معينة في تنصيب السلطان

وكان من أعرب الطواهر التي تعرض لها التوسي في مؤلفه معرفة بعض الناس بالمشعر واستجدامهم للجن وروى بحارب دابة في غابة الغربة وقد قرأت قل سواب كيف أن هذه الطواهر التي أوردها التوسي في مؤلفه الذي ترجم إلى اللغة الفرنسية منذ منتصف القرن التاسع عشر أثارت اهتماماً بالها لدى الأوساط العلمية في باريس.. الأمر الذي دفع بمجموعة من الطلاب الجامعيين وبعض أساتذتهم لزيارة تلك المنطقة لتقصي تلك الطواهر بعد أكثر من مائة عام من صدور الكتاب

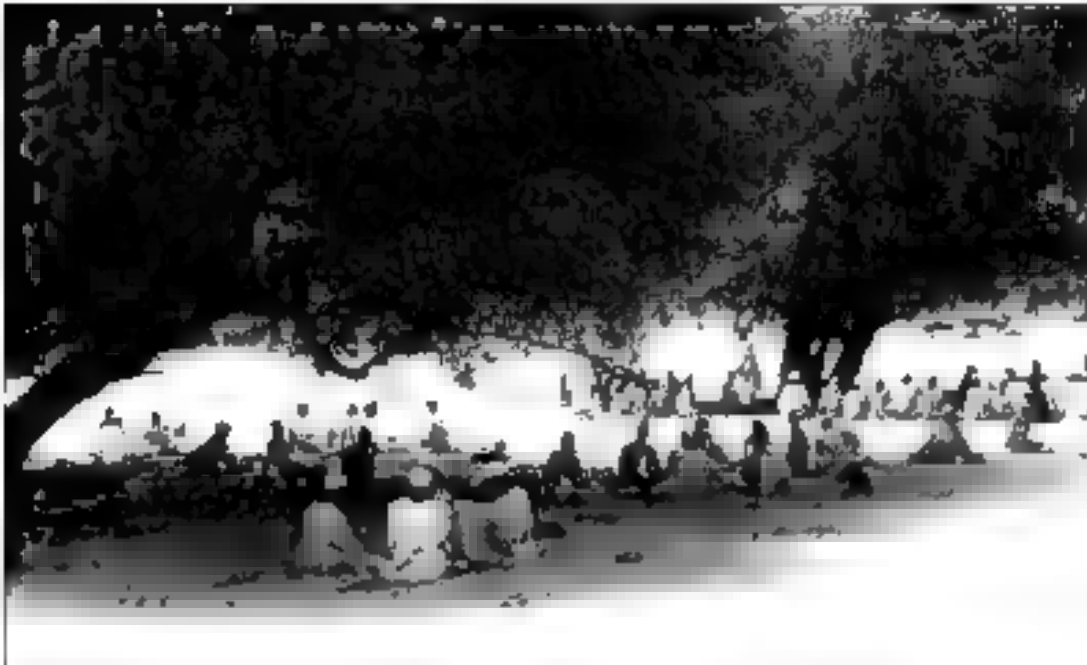
حين أقام محمد بن عمر التوسني في دارفور كان يتولى العرش السلطان محمد
العصل الذي حلف أباه لسلطان عبدالرحمن الرشيد وكان لا يزال حدثاً صغير
السن فاستأذنه التوسني للسفر إلى تونس وسافر عن طريق وادي التي إصصر
للإقامة فيها حوالي ثمانية عشر شهراً ولما وصل إلى تونس في عام 1813 لم يقم
طويلاً وتوجه إلى القاهرة حيث التحق بخدمة الجيش المصري في وظيفة واعظ
بإحدى فرق المشاة التي شاركت في حرب النمورة في عام 1827 ولما عاد منها
اشتغل التوسني بمراجعة الترجمة العربية لكتب الطب التي كانت تدرس في
كلية البيطرة بأورغيس وهناك التقى بالدكتور بيرون الفرنسي الذي أخذ يتلقى
عنه دروساً في اللغة العربية، ولما علم الدكتور بيرون برحلته إلى بلاد السودان
شجعه على كتابة مذكراته، وقد كان ولما تم تعيين بيرون مديراً بمدرسة الطب
بالقصر العباسي عام 1839 أوصى بتعيين لتوسني كبيراً لمراجعين فيها فأناحت
له هذه الوصفة فرحة الإسهام في خدمة اللغة العربية في عصر الترجمة بمصر
في منتصف القرن التاسع عشر فإنه فضلاً عما قام به من تصحيح الكتب
المتروجة إلى العربية، أو الموضوعه في العلوم الحديثة ساعد على استخدام
كثير من المصطلحات العلمية المتعلقة بعلوم الطب والنبات والحيوان

ومن مؤلفاته في هذا الشأن «اشذور الذهبية في المصطلحات الطبية» وقام
بمراجعة وتحرير «الدر اللامع في اسباب وما فيه من الخواص والمنافع» و«كسور
الصحة وبواقي الصحة» و«دروحة لساح الكبرى في العلل الجراحية
الصغرى»، و«الدرر العوالي في معالجة أمراض الأطفال»

وللتوسني فصل في مراجعة بعض المؤلفات العربية القديمة التي صغت في
مصر على عهد منها «مهمات الحريري» و«المستطرف» للأشبيهي، ثم أنه
أشرف على طبع «نقائس المحيط» لعميرور أنادي ودأب في أحرفه أيامه على
إلقاء دروس في الحديث بمسجد لسيد ريس في يوم الجمعة من كل أسبوع

حتى توفاه الله في القاهرة عام 1857 وهو في السبعين

وكان الأصل المعتمد لكتابة «شعيد لأدهان بسيرة بلاد العرب والسودان»،
هو النسخة المطبوعة بالحجر التي كتبها لمستشرقين يبرون بخط يده ونشره في
مارس عام 1850 وللتوسعي كتاب آخر حول رحلته إلى وادي قدام يبرون أيضاً
بترجمته إلى الفرنسية ونشره في عام 1851، إلا أن النص العربي ظل مفقوداً
حتى الآن ولا يعرف أحد عنه شيئاً



محكمة السلطان تحت ظلال الأشجار

نعوم شقير.. كما رآه أبو سليم



د. أبو سليم

علّ كتاب «تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته» لمؤلفه اللباني نعوم شقير رعم مرور الزمن وتقدياته والمعتبرات التي طرأت على أساليب البحث وتقديم الدراسات السودانية، مرجعاً رسمياً ومهتماً تداوله أيدي الباحثين والمهتمين وذلك بغرارة معلوماته وشموليته وناوله لتاريخ السودان منذ أقدم العصور حتى نهاية القرن التاسع عشر. كان للصدفة دورها في توجّه ذلك الرجل لكتابة التاريخ حيث توفرت لديه معلومات سياسية واقتصادية وجغرافية تمّ جمعها كتقارير لخدمة المخابرات في سعيها للتنميط لعرو الدولة المهدية التي انتصرت على القوى الأحبية وأقنعت كيائها الوطني. كان ذلك الأمر متراباً مع صدور عدد من الكتب التي جرى تأليفها على عجل من أجل لدعاية وتبرير العرو.. كشف رجاء مورتورون تملكهم مشاعر الحقد والصعوبة فتجاوزا الموضوعية في جميع الذي تناولوه. أمثال سلاطين المساوي وأهرومندر الألماني وريحاندر وبت ابريطاني وكان نعوم أحد موظفي المخابرات. لم يكن مؤرخاً إلا أن وهرة

المعلومات دفعته لأن يكون كذلك وبما أنه شرع في الكتابة عقب سقوط أم درمان وروال العدو باتت كتاباته أقل مردرة واستفاد من كل ما تم جمعه من مادة عن تاريخ السودان قديمه وحديثه واستعان بإهداب من ألع اشخصيات السودفة والمصرية التي كان لها دور مباشر في الأحداث أمثال الربر رحمة باشا، ولأمبر عثمان دقة، وعبدالقادر حلمي باشا أحد أهم العسكريين المصريين والذي عمل حكمداراً للسودان بأك اندلاع الثورة المهدفة

ولد نغوم شقفر بالشوبعات في لسان عام 1864 وتخرج في الكلية الإنجليزية السورية عام 1883 والتي حُرمت فيما بعد بالجامعة الأمريكية ببيروت وقد تخرج فيها للمصادفة في أوقات لاحقة المؤرخ انسرداني اللامع مكى شبكة والرئيس إسماعيل الأرهري وغيرهما من شخصيات سودانية كان لها دور بارز في الحياة السودفة في القرن العشرين هاجر نغوم بعد تخرجه إلى مصر شأن جماعات أخرى من الشوام عارضوا انحكم العثماني فوجدوا مستقراً في أرض الكنانة

وبعد وصوله إلى مصر بقليل التحق نغوم بخدمة الجيش الإنجليزي في 20 سبتمبر 1884، في الوقت الذي كانت تنهأ فيه الحملة البريطانية لإنقاذ عردون بالتحرك نحو الخرطوم التي حاصرها ثوار المهدفة أحفقت الحملة في مسعاها حيث وصلت بعد أيام ثلاثة من سقوط المدينة همدت أذراجها حيث تمت تصفيتها ليحل مكانها جيش لحدود الذي إتحد من أمور مقراً لقبادته وقد أسدت قيادة هذ الجيش لنجرال جرانفيل وكانت مهمته حماية حدود مصر الجنوبية ريثما تكتمل الأسباب للوثوب على السودان

بدأ نجم نغوم في المصعود بيد التحاقه بمعاربات الجيش بقيادة «ووجت» وبات يصحب انسردار جرانفيل في معظم رحلانه التعمدفة لمساطق الحدود ولمدينة موكن. ولما توسى ونجت قيادة الحملة على طوكر في فبراير 1891 رقه نغوم

أصوات

وشاركه الإهتمام بالوثائق التي تم العثور عليها في معسكر الأنصار في عفايت بعد الواقعة كما اشترك بعوم في الإعداء لهروب سلاطين من أم درمان الأمر الذي شكل انتصاراً بامراً لإدارته المخاضات فأعزم عليه برببة البكوية التي لا يحصل عليها موظف إلا بإيجار كبير

وحصر بعوم سلسلة المعارك التي حاصها جيش الاحتلال مد تحركه في عام 1896 نحو أم درمان حتى معركة كرري التي وقعت في الثاني من سبتمبر عام 1898 والتي يورد بعض مشاهداته الخاصة بها وأحد يتردد على السودان في عدد من السرات حيث أصبح رئيساً لقسم التاريخ بوزارة بحارات التي بعيت رئاستها في القاهرة

وبعد سقوط أم درمان شرع وبحث بعوم في جمع وثائق المهديّة، مثلما فعلا خلال المعارك التي سبقت ذلك وقد تزايد إهتمام وبحث بعد أن بلغه احتفاء خاتم الإمام المهدي من محفوظاته فخرج يرافقه بعوم لوضع الوثائق تحت لحراسة بعد جمعها من منازل مدثر إبراهيم الحجار، وأبو القاسم هاشم، وأمير يعقوب - شقيق الحلفاء - وست الأمانة وتم حفظها بمصر الأمير يعقوب الذي تحول إلى قومندان.. حيث عثب في ركائب ووصعب داخل أخرج الصمع ومن ثم نقلت إلى إدارة البحرية بالقاهرة.

اعتمد بعوم في مؤلفه عن تاريخ السودان على مرجع قديمة عربية وأجنبية كالموسوعة البريطانية والتوراة وتواريخ هيرودوتس وديودور الصقلي واستربر ويوسيفوس والمسعودي وابن الأثير وس حلدون وابن ياس والمقريزي وأبو لعد . وغيرهم كما اعتمد على مصادر سودانية كمخطوطي إبراهيم عبدالدافع، والبربر ود صوه، وقرئ مؤلفي إسماعيل عبدالقادر الكردفاني «سعادة المستهدي بسيرة الإمام لمهدي» ود الضرار المقفوش بشرى قتل يوحنا منك الحبوش»

واطلع على دفتر وفائع عثمان دفنة إلا أن لبروفيسور محمد إبراهيم سليم يرى أن معرفته بمطبوعات المهديه كانت ضعيفة، كما أنه لم يشأ أن يستفيد كثيراً من الوثائق التي أتتحت له، حيث إن تركيزه كان على الرواة في تناوله لسلطته درفور إعتد على رحلة انتوتسي في نضها الفرنسي وعسى كتاب «السيف والدار» في السودان» لحولقه سلاطين وأحد من رواة آخرين منهم على ود الحبير، ومحمد الطيب التسنكي الملاوي وفي كتابته عن تاريخ المهديه إعتد على ثلاثة أنواع من المصادر والمرجع فنقد بوعزت له مؤلفات تكلمت عن المهديه مثل كتاب «لمهديه والسودان المعصري» لريجالد وبحث، و«عشر سنوات في الأسر» لأهروفلدر، و«السيف والدار» و«تاريخ الحملة السلية» للكولوس كولفل، و«تاريخ الحمية السودانية» لجراثيل حداد، و«تاريخ مصر الحديث» لجورجي ريدان.

ويذكر عموم بعضاً من الرواة الذين أخذ منهم من أمراء انمهديه وأعيان السودان والصباط والعساكر والأعيان بمصريين الذين كانوا بالسودان وهم عيدياتاد حلمي باشا، ومحمد نصحي باشا، وحشم الموس باشا، ومحمد بك السيد «شايهي»، وعثمان بك لطيف، واليكباشي أحمد أفندي الحلوي، ولأستاذ محمد شريف نور الدائم، والمصوي عبدالرحمن، ومحمد حدام (شيخ قبيلة الأحمر)، وإسماعيل الأهرري (القاضي وحل السيد أحمد الأهرري) ولا حظ أبو سليم أن جميع هؤلاء الرواة كانوا من المعارضين للمهديه، الأمر الذي ضعف صوت المهديه عند عموم، وذلك رغم الأهمية القصوى لرواية الأشخاص ذوي الشأن والإرتباط لحماض بالأحداث

وقد أشار أبو سليم في مقالته لواردة في مؤلفه «أدباء وعلماء ومؤرخون في تاريخ السودان» إلى أخطاء فادحة وقع فيها عموم فيما يعلن بتاريخ السودان وحدد تلك الأخطاء التي أوردها بالتفصيل وقام بتصويبها ورأي أن عمومًا لم يكن مؤرخاً

لَمْ تَلْبَثْ لِأَحْدَاثٍ أَنْ تَلَا حَقَّتْ فِي تِلْكَ ابْتِغَاةَ نَفْسِهَا حَيْثُ أَعْلَى الْمَهْدِيِّ ثَوْرَتَهُ فِي الْجَرِيرَةِ أَبْ وَهَرَمَ أَوَّلَ حِمَّةٍ عَسْكَرِيَّةٍ لِلْحُكُومَةِ وَغَدَاةً ابْتِغَاةَ عِبْرِ اسْمِهَا مَتَوَجِّهًا عَرَبٌ يَصْحَبُهُ بِصُحْبٍ عَشْرَاتٍ مِنَ النَّاسِ وَفِي حَالٍ عَامِينَ وَعَقَبَ ابْتِغَاةَ اسْمِهَا اسْطُورِيَّةً عَنِ قَوَابِ الْحُكُومَةِ اشْأَى بِجَيْشٍ لِحَبِّ سَحْوِ الْحَرْطُومِ بِخَتْلَفِ الْمُرْجُوحِينَ حَوْلَ عَدِيدِهِ لَا أَنَّ يَوْسُفَ مِيخَائِيلَ اسْتَطَاعَ أَنْ يَجْسُدَ صُورَةَ حَيَّةٍ بِضَحَامَةٍ ذَلِكَ الْجَيْشِ سَرْدَهُ الشَّيْخُ بِأَحْدَاثِ الْيَوْمِيَّةِ لَتَحْرَكِهِ فَاسْرَابَ الْعُرْلَانِ وَالِدَجَاحِ الْبَرِّي لَا يَجِدُ سَبِيلًا لِلْعُرَارِ فَأَيُّمَا نَتِجَهُ سَقَطَ بِحَتِّ الْأَقْدَامِ فَتَحَطَّمَتِ الْأَيْدِي وَنَسَارَعَ إِلَى دِيحِهَا وَالْأَسْوَاقُ تَقْدَامُ كَمَا أَوْقَفَ الْجَيْشُ تَقْدَمَهُ.. وَعَبْرَ ذَلِكَ مِنَ الصُّورِ التَّعْصِيبِيَّةِ الْمَادِرَةِ.

تَحَوَّلَ يَوْسُفَ مِيخَائِيلَ مِنَ مَسِيحِيٍّ فَنَصِيٍّ إِلَى أَنْصَارِيٍّ مَتَحَمِّسٍ وَأَبْدَى رُوحًا رَعَامِيَّةً أَهْلَتَهُ لِأَنَّ بِنَالِ رَحَا الْحَلِيقَةِ وَيَصْبَحُ مَعْدَمًا عَلَى تَهْمَةِ الْأَقْبَاطِ وَمَسْئُولًا فِي دِيْوَانِ الْأَمِيرِ يَعْقُوبَ - هَذَا الْمَوْقِعَ أَتَانَحَ لَهُ فُرْصَةُ التَّعَرُّفِ عَلَى الْأَحْدَاثِ وَمَجْرَبَاتِهَا فَكَتَبَ عَلَيْهَا كَمَا رَأَاهَا وَفَهَمَهَا مَوْلَاهُ مَا كَانَ يَنْسَى لَهُ أَنَّ تَعَرُّفَ الشَّيْءِ الْكَثِيرَ عَنِ الْوَقْدِ الْأَثْيُوبِيِّ الْأَوَّلِ لَدَيْ رَارِ أُمِّ دِرْمَانَ لِلْإِعْرَابِ عَنِ الصَّدَاقَةِ وَصَوْنِ حَقُوقِ الْجَوَارِ فَاهْتَمَّ الْحَلِيقَةُ بِذَلِكَ وَأَمَرَ بِاسْتِقْبَالِهِمْ وَمُرَافَقَتِهِمْ فِي انْهَرِيقِ خُسْوَ وَصُولِهِمْ إِلَى أُمِّ دِرْمَانَ حَيْثُ أُنْزِلُوهُمْ فِي دَارٍ لِلصَّبَاقَةِ وَبِتِ أُمِّسَ بَيْتِ الْمَالِ إِبْرَاهِيمَ رَمَضَانَ مَسْئُولًا عَنِ إِكْرَامِهِمْ وَتَوْفِيرِ أَسْبَابِ الْمَرَاخَةِ لَهُمْ وَكَانَ الْوَصْفُ قَدْ اشْتَمَلَ حَتَّى عَلَى أَرْبَعِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَاسْلُوكِ الَّذِي أَبْدَاهُ أَمَامَ الْحَلِيقَةِ

لَا تَحَلُّوْا كَمَا يَوْسُفَ مِيخَائِيلَ مِنَ سَخَرِيَّةٍ وَخَاصَّةً عِنْدَمَا بَدَأَ قَوَابِ لِإِحْدِلَالِ فِي الدَّخُولِ إِلَى الْمَلَادِ وَحَطَّ السَّكَّةَ الْحَدِيدَ بِتَقْصُفِهَا.. وَكَسَّ الْعَشِيرَ لِنَدَاشَةِ أَنَّهُ مَعْدُ بِهَآيَةِ الدَّوْلَةِ الْمَهْدِيَّةِ تَوَجَّهَ إِلَى مِصْرَ وَقَبِلَ كِبَارَ أَسَافِقَةِ الْكَيْسِيَّةِ الْقِطْعِيَّةِ وَمَسْئُولِينَ مِصْرِيِّينَ وَدَفَعَ حِينَ افْتَضَى الْحَالِ عَنِ الْحَلِيقَةِ عِبْدَاللَّهِ وَلَمْ يَعْمَلْ كَيْ اتِّعَادَاتِ وَجَّهَتْ إِلَيْهِ - وَمَعَى ثُمَّ عَادَ إِلَى السُّودَانِ.

انصاف ہے

متخصصاً بحكم التأهيل الدراسي وإنما إنجبه لكتلة التاريخ بالهواية واعراء
لمعلومات التي توفرت لديه وقد فهم التاريخ في إطاره العام من حيث تسجيل
لنشاط الشري واعتبره قارئاً جيداً بحسب عرض ما يتوفر لديه من معلومات
ومحرساً في الكتابة بورد ما يصل إليه من معلومات بأمانة ودقة ولا يمكن لأي
مصحف أن يعطيه حقه في الجدارة ولا أن يحاور مساهماته في كتابة التاريخ
ولاحظ أنه يميل إلى التاريخ السياسي العام ولا يحمل بالشاهد الاقتصادي
والزراعي والفكري والعمراني ولا يمر خلال ذلك إلا عابراً وفي إطار التاريخ
لعام. ومن بين ملاحظت أبو سليم أن عموماً لا يكاد يدرك الحضور الإسلامي
في قيام سلطسي القويح والفرور ولا تأثير العرب بينهم ونفوذهم الإجماعي ولا
يدرك أثر التجارة على السلطنتين وعلاقتهم الإجماعية وكان كل ما يعنيه فيما
يكتب هو وصف الحوادث في حدود ما وقف عليه في سياق سردي دون
لبحث عن الأبعاد الاجتماعية والسياسية التي تقف وراء الحوادث

وفيما يتعلق بتاريخ نمهديه ثمّ يستطع نعوم النقاد إلى حوهر حقيقتها بل عسر، بكل بساطة خروجاً عن الصريق القويم وأن نحاحها ما كان ليحقق لولا الإحفاق في إتحاد الإجراءات السليمة ونظر إلى الأمور بنظره هي عاية السطح فلم يشرع إتشاهه إحراط مئات الآلاف هي الدعوة ويستعددهم الحراهي للتصحيه والإستشهد ولمّ بهمهم نعوم النعوم الديسي للثورة ولا الأبعاد الشياسيه والإحتماعة للأحداث. وربما يكون لإعتقاده الديسي بإعتباره مسيحياً دور في صباية الرؤية لديه ذلك بالإضافة إلى أنّه عمل مع الأوصاط لبريطانية العاجرة بحكم موقعها الشياسي والديسي عن الرؤية الموضوعية لصيغة الثورة

كتب نعيم عدة مؤلفات تناولت موضوعات محلله كالتاريخ والجغرافيا
بمعينيهما، طبيعى وليشيري الشامل واللغات واللهجات والأمثال والعادات
والحرفات والمعتقدات والصناعات والحرف، وهو يتجه في كل ذلك إلى

التعريف الشامل متتبعا كل التفاصيل المتاحة له مع توشي الموضوعية والإبتعاد عن التأثير العاطفي أو الإتجاه الخاص فهي جغرافية السودان وهو جزء من مؤلفه الشامل - تناول عموم حدود السودان السياسية والمعالم الجغرافية والطبيعية كالسبل وروافده، والأراضي، والمعادن، والطقس، وحالاته، والأمراض، والنباتات، والحيوانات وتناول سكان السودان أصولهم ومواطنهم ثم مديرياته ومحافظاته ولغاتها ولأديان والمعارف والحرف. وهي حديثة عن الإسلام قدم بيانات طيبة عنه وعن قواعده وأركانه ومذاهبه وطوائفه ونظمه السياسية

ويقول عموم أنه فرغ من تأليف هذا الكتاب في يوم 27 أكتوبر عام 1903 بعد احتبار نحو عشرين سنة في السودان وأنه وقصاه جل ساعات الفراغ النقية خلال سبع سنوات متتالية في جمع مواده وتمحيص حقائقه وسنة ونصف السنة في تبليغه وطبعه.

ومن مؤلفاته المهمة والمعروفة كتابه «أمثال العوام في مصر والسودان ولشام»، الذي أشار فيه إلى أنه بصدد طبع كتاب بعنوان «مراة الأيام في مصر والسودان والشام» ويندو أنه لم يوفق في طبعه ولده أيضا هي تاريخ سياء وجغرافيتها» الذي طبع مرة واحدة عام 1916، ونوجد من كتاب الأمثال نسخة واحدة بمكتبة المتحدي الماحي بجامعة الخرطوم. أما كتابه عن تاريخ السودان وهو أشهر مؤلفاته وأكثرها أهمية - فقد طبع مرة واحدة أثناء حياته، ثم أصدرت «دار الثقافة» البيرونية طبعة ثانية في عام 1967، ثم طبعة مصورة في عام 1973، وأصدرت «دار الحيل» البيرونية طبعة محققة في عام 1981

مؤرخاً بمحض الصدفة

يوسف ميخائيل

كانت تلك سانحة مدرة الحوادث أتاح لنا فرصة الوقوف على معلومات تاريخية واجتماعية مهمة ولولاها لذهبت أذراع الرياح يوسف ميخائيل المصري لسوداني الذي ولد وعاش بمدينة الأبيض قدر له أن يشهد فترة عاصمه من التاريخ لسوداني امتدت من أحرىات العهد التركي لشمل الثورة المهدية نهايتها بسقوط دولتها وعلى الرغم من أنه كان شاهداً ومشاركاً في أحداث تلك الفترة إلا أنه لم يفكر قط في أن يزرع لها وهي أحرىات حياته أدار هو وأخوه إسحاق مصحة بلحوب بالأبيض ودأب إدري برضائي شاب على رباتهم في المصحة يلتقي يوسف لدي وصفه بأنه كان حياً وأهل البدن وأبيض الشعر - ليحدثه عن تاريخ امدينه قتل الإحتلال البريطاني

وفي ذات مساء من حريف عام 1924 كان المستر أليس نائب معش المركز عائداً من مهمة حارح امدينه فدلج إلى مكتب البلاغات وحراس الشرطة ليماجا بوحود صديقه يوسف ميخائيل وروخته فيكتوريا معتقبين في الحراسة بتهمة صناعه «العرقى» - حيث كانت اقوايس مشدده فيما يتعلق بالحمور ابلدية - يعني أنهما كانا صحيانين بعمدية «كنية» حسب التعبير المدلول في أيامنا هذه كان دفاع السيدة فيكتوريا وأهياً حيث رعمت أن «العرقى» دواء ناجع للأرمة (الربو) الذي يعاني منها روحها - ساء كانت تصعه ورعم وساعة لجلالية انقبضية والشوم المسيحيين لموجودين بالمدينه إلا أن لحكم قد صدر بإدانتهم - هي بالسجن مع وقف التنفيذ، وهو بقضاء شهر كامل في لحبس أشفق المستر أقلين على صديقه يوسف ميخائيل وحشي على صحته الواهية من أعباء السجن فقرّر استبد لها بقدم وصاهن

وعدد من الدفاتر يحكي قصة حياته المليئة بالأحداث وقد فعل . لصبح مؤرخاً لمدة ثلاثين يوماً وليقدم أعرض خدمة لبلاده.

كان يوسف ميخائيل ملماً بالقراءة والكتابة على حد معقول ويبدو أيضاً أنه كان قد تفرغ على قراءة الكتب المتاحة لأمثاله في ذلك الوقت كـ «ألف ليلة وليلة» و«أبوريه الهلالي» و«الأميرة ذات الهمّة» يتضح ذلك من أسلوبه والتعبيرات التي كان يفحصها أثناء عملية السرد وجمعت لعتة بين المعصحي وعامية أهل كردفان بجماليتها وشفافيتها وقصر عباراتها ومجارج ألقاها العبدية (أشد ما أحشاه اندثارها ببدأ)

وكأي كاتب محترف ربط يوسف ميخائيل بين الأحداث اليومية وتفاصيل حياته وحبابة أسرته والأحداث الكبرى أو التحولات التي شكلت مستقبل السودان الشمسي في أوقات لاحقة ونذكر في أوراق يوسف ميخائيل هذه برواية صبرت أخيراً للكتاب لاسياني أنتونيو عالا «المحفوظ لقرمري» التي تناولت فترة إهيار وسقوط عريضة مع التحفظ على الأسس النقدية لأوجه المقارنة.

كانت مدينة الأبيض قد استوت بدمراً عامراً واسع الأطراف لما تبوأته من مكانة تجارية وإنتاجية، وكانت مصدراً أساسياً لعمليات تصدير المحاصيل من حبوب وصمغ وریش معتم حتى مدحها محبوبها من العربان القاطنين من حولها بقومهم «الأبيض أب قبة محل الديوم» كان ذلك حين تفتح وعي يوسف ميخائيل فتى على أبواب التخرج من كتاب الأقباط بالمدينة وأحد في التدريب على الأعمال الكتابية ليحتل وظيفة في ديوان المدينة ويبتعد حين رار الجبرال تشارلز جوردون المدينة في إطار مهمته الأولى (1877 - 1879)، فوضعها في مخطوطه وصفاً بديع في إصار رؤيته الخاصة المحتملة عما جاء في كتابات المؤرخين، ووصف ترح المدينة لإستقبال المسؤول البريطاني وتمردهم على عريف الكتاب المصري الذي حاول معهم من الخروج لمشاهدة لإحتفال فأمسكو به وأوسعوه علاقة ساحة، وتعرض

أصوات

الكاتب إلى ما رافق الريارة من مظاهر ذات مدلول عميق حين وصف تذايق العربك
أبراز حين تحت نير الظلم وبداحة الصرائب لكتابه انعرائص وشيوخهم الذين أقاموا
أحياء في فناء المديرية لمناظرة المسؤول الزائر.

وساونه لبعض الأمور التي تبدو هامشية أتاح لها فرصة التعرف على بعض سمات
الحياة الاجتماعية، فأحوه جورجيس الموظف الحكومي المرموق بع هجياً جميلاً
للمسلمات لإرساله إلى عردون الذي عاد إلى لحرطوم وكان الهجين بمثابة السيرة
في ذلك الزمن، فتعت به فتيات المدينة المرحات

كبير جورجيس أبو عردة

جورجي الصوف مشور

خمس مزال فهو في المخلوف

هذا الهجين يستحده عردون في رحلاته يجوب لبلاد طولاً وعرضاً وفي نهاية
الأمر تم بحب المثال المعروف للرجل راكباً فوق ذات الهجين كما أكد يوسف
مبحاثين لم تمص بصعة شهر عني ذلك حتى رار الشيخ محمد أحمد والإمام
المهدي الأبيص وأقام لغرة في إطار اتصالاته الواسعة برعمه القائل والمشيخ
ورجال العرق الصوفية وممارسة نشاطه التصوي الذي كان له أبلغ تأثير في تحرير
الدعوة وتوسيع دعائمها تمهيداً لإعلان الثورة.

استمع يوسف مبحاثين كفتي عزيز لم يشتد عوده إلى ما تنقله الألس عن
دروبش شاب بهي الظلمة وسيم المحيا وعذب لحدث وصل إلى المدينة يصحبه
عدد من تلاميذه يقيمون الليل بالأدكار ويطوفون أحياء يرددون قولهم «الدايم هو
الدايم الله» ثم يعوبون إلى حيث يقيمون في دار السيد العكي أو لدى آل سور
الذهب

أمهاتنا اللاتي نقلنه عن مصدره الحقيقية جداته شهود العيان ومارلت أذكر أن المؤلف من تلك الأحداث كان يملأها رعباً وأسى في تلك الأماسي البعيدة، وما يدعني لأن أكتب لأن عن تلك الحكاية هو إحساس عميق بالتصغير صل يلازمني نغته طويلة من الزمن . ذلك أن مثل ذلك الحدث كان سبب عن ذاكرة التاريخ إلى الأبد إن لم يكن هذا التنازل ألم يقل المؤرخ لدكتور محمد سعيد النقال، «إن تاريخ السودان لا يزال في صدور الرجال»

قرأت ما كتبه شيخ المؤرخين الدكتور محمد إبراهيم أبو سليم حين تناول سيرة الكردفاني وتحدث عن بهيته في كلمات قليلة جاءت بهذه الصورة «ويقال إن مرفعياً احتطعه وهو ملص على عنقريه لا يستطيع حراكاً من الجوع ولكن أقرباءه، ينعون هذا الوجه من بهيته» ألا وني لأعجب لمنى عائلته لتلك الحادثة لأن الأمير أبو فرجة الذي تلقته العناية الألهية وخرج من هذا المعنى بعد سقوط لدولة المهدية كان أممه طريقان للعودة إلى أم درمان، إما طريق ساحل شرق أفريقيا حتى السويس أو اتوجه غرباً من حلال أو عدا و لكونغو وأفريقيا الوسطى ووداي «تشاد» ومن ثم الولوح إلى دارفور فالتوجه إلى أم درمان، فاختار الطريق لثاني إلا أن السلطان علي دينار احتجره حتى عام 1907 وعندما انطلقت قافلت لهصيرة في ذلك البعد شرفاً دلف إلى الأبيض حاصرة كردفان - قبل أن يواصل رحلته وحل صيفاً على السيد المكي الشيخ إسماعيل بولي.. وهو حال إسماعيل الكردفاني ولا بد أن يكون قد روي له النهاية الفاضحة لابن أخته.

تلمى إسماعيل الكردفاني - المولود بالأبيض عام 1844- المراحل الأولى من تعليمه في غلوة جده الشيخ إسماعيل بولي ثم اصطحبه حاله أحمد الأهرى إلى مصر حيث مكث هناك سنوات بضع خلالها شاع ربيعاً في السجاية والدكاء وبرع في الأدب العربي ونظم الشعر وحظي بمقام رفيع إلى جانب علماء الأهر وبعد أن أكمل دراسته عاد إلى بلاده في صحة قافلة تجارية وبقي ترحيلاً في



غردون على ظهر هجين جورجيس (المثال)

مأساة مؤرخ.. اقترسته الذئاب

إسماعيل الكردفاني

تقع ثلث الجزيرة محاذية لجبل الرجاء لبركاني في المنطقة الاستوائية بحوض السودان. فكانت كأنها أبقاها الزمن مودحاً للحديقة الأولى معج بحياة أسنورية وكائنات وسائط عريضة وأدعال يتعدى احتراقها فالتماسيح ترحم شطائها لا تترك موضعاً يقدم.. نهاجم كل من يقرب منها وتسمى أحياء لعرايسها من البشر في مراقدهم.. ودناها تعوي في رائحة النهار وأفراس النهار ترتع بلا توجس أو وحل تتفاد صغارها من حولها. وجموع الحبل تشكل سحباً داكنة لا تلبث أن تبتدئ لسجّع من جديد. ولبعوض يموج ليلاً ونهاراً يشرداء الملاريا القاتل والحيات تطلق صيحها من بين أعصاب الأشجار والعهود تترصد للإمصاص بين حين وآخر والسلاحف لعملاقة تتراكم في تكسل في الأجسام والمطر ينهمر بلا انقطاع ليرفد المستنقعات بصريد من المياه والرطوبة تتمدد وتتحلل العظام فتريد من أوجاعها والظلمة تنف لمكان الحرامي التكوين

في هذه القصة التي تصاعف الرعب فيها لهرات الأرضية بفعل المركب في حبس الرخاف إختار الخليفة عبدالله الذي أودع فيه عدداً كبيراً من معارضيه السياسيين ضد معجرات الخلاف بينه وبين لأشرف، ذلك غير التصفيات الدموية التي راح صاحبها عدد كبير منهم.

هذا ما تواتر عن روايات سماعية جسدت صورة الجزيرة في أحيات القرن التاسع عشر، إلا أن المؤرخ محمد عبدالرحيم الذي عمل موطعاً في مناطق

قصص

لجنوب في سواب الثلاثين رأى انحرية من بعد توصفها في محطوطاته بعبارة مقتصة قال بها تبدو كحديقة ملتفة الأشجار

لثم يكن يحظر بال المؤرخ إسماعيل عبدالقادر الكردفاني أن تكون أيام لأخيرة ونهيته المأساوية في تلك الجزيرة البعيدة العارقة في رعب الضيعة لبكر وهو لشاعر والكاتب لدي أنفق زهرة شبابه في تحصيل العلم بفاخرة لمر - أيام عرها وترجها في عهد الحديوي إسماعيل - فتهدت أمجاد العديم وتوقه في دراسة كان إسماعيل صحية للمكابد والدساتن التي جعلت بها الأيام نتي بطش فيها الحليمة بالأشرف فتم اقتياده مسفياً إلى لجنوب ومعه عدد من الأسرى في مقدمتهم الأمير محمد خالد رقل تحت حراسة قوة بقيادة الأمير عربي دفع الله الذي وصفه المؤرخون بالشراسة والوحشية وكانت المهمة الأساسية لعربي هي إعتقاد الأمير محمد عثمان أبو فرجة الذي كان يمارس مهامه عاملاً للمهدنة في لمناطق الاستوائية، من إستدراجه بها تبعه في مارس 1893

في أواخر عام 1893 أقيمت أكواح صغيرة على عجل من أعصان الأشجار والحشائش في طرف الجزيرة وأدخل فيها الأسرى مكبلين بالقيود، كان أبرزهم الأميران أبو فرجة ورقل والشيخان إسماعيل شحر الحيري وإسماعيل عبدالقادر الكردفاني

وفي مساء يوم حزين - بعد ثلاث سنوات من انبوهل - رحف الأسرى كعادتهم نحو كوخ الأمير أبو فرجة - حيث كانوا قد فقدوا البعيرة على المشي نعمل العيود - وبحلقوا حوله بعد أن أوفدوا نارا بطرد التاموس وطلب للدفء. كان أبو فرجة يحفف عنهم ويبت الأمل في نفوسهم التي أمصها العذب وأرهقها المصمى والعرب لموحشة والإحساس بالظلم العادح

تناول الأسرى ما تيسر لهم من طعام وفضلوا عائدين رجعاً إلى أكوأحهم قبل أن تحول دونها قصعان الدقاب، إلا أن الكردوسي الذي ظل متجدد لأحرار كثير المحنين إلى أهله فأحر قديلاً يتجادب الحديث مع الأمير أبوهرجة ويبيته شوقه لعائلته معرباً عن يأس مطلق وإحساس مرير بحياة لأمل أحد بوقرحه يواسيه ويدعوه لتتمسك بالصبر والاعتماد على الله وحده ولكن الأسير انتعيس كان متصيراً دنت المنيء مسسلماً نبأس يعالب الدهوع والعبيرات زحف نحو كرحه ببطء بلتمت بين الحين والآخر يترود بأصداء الكلمات المشجعة «احتما يعود يا إسماعيل إلى بلدك وأولادك بعد هذه الحالة» إلا أن القدر كان يحبيء به مصيراً آخر حيث ترى به ذئبان غير بعيدين عن كرحه فأسرع راجحاً إلا أنها مكاثرت وأحاطت به وأحد يتناول ما يصادعه في الأرض من أعصان بجاعة يمارب ردها . حتى بلغ كرحه بعد مشقة فافتحمته عليه وأنست أظفارها في جسده لحيل فواحته الموقف بشجاعة وثبات، وأخذ يردد الشهادتين بأعلى صوته ويلعن جلاديه متوعداً ياهم بيوم الحساب . نبيه رفاقه في الأسر لمحتته مد أن بدأت الدقاب في مساوشته وسط لأكواح وجميعهم مكببون بأصعد يبرءون تحت ثقلها . فأخذ بعضهم يشح بالبكاء تحرقاً لجده وأحرون يصيحون لذي مروءة ونكن لا صريح والحراس جميعهم كانوا يقصون الليل خارج جريرة المصلى شق الأمر على الأمير بوقرحه وهو طريح «عقريه» مفيداً بسبع من «المككي» فحاول ليهوض رعم دنك، وهو الذي ثم يقف على قدميه مد يوم إعتقاله فانكسرت قوائم السرير وعاص في كومة من الحبال والحرق بيالية .

ولما أيقن الجميع أن ربيهم في الأسر بات في بطون الدقاب أحذوا في الكبير والسهيل بأصوات وهمة ورموا أكوأحهم ثلاثة أيام ما انتفوا حلالها . حدث ذلك في أوائل عام 1897 .

كان ذلك جزءاً من التاريخ الذي ثم يجد من يكتبه حتى الآن وهو ما روى لنا

والثقافي ومختلفة في أساليب الحياة

وروى يوسف بدري أنَّ الحياة في الكلية كانت تبدأ بجرس الصباح للهوض والتوجه إلى الحمامات والتعام للتأكد من أنَّ الجميع غسلوا أجسادهم بالمياه المندفعة من الدش وحدث خلاف ما تعودوه في مدارسهم الريفية ثمَّ يتوجهون إلى عرقة الطعام (السفرة) لساول الشاي ثمَّ أداء الجمار بالحصص الأولى والثانية وبعدها ساول المقصور واستكمال الحصص الست وفي المسحة الثانية تخرج على كل طالب أربع ممرات وهم وقوف في طابور

أنقضا يوسف بدري بإنضباطاته عن الإصراب الشهير الذي نعده طلاب الكلية عام 1931 احتجاجاً على قرار الحكومة لقاضي بتحصيل مرتبات الحريجين من ثمانية جنيهات إلى خمسة جنيهات ونصف الجنيه، وكان ذلك بسبب الأزمة الاقتصادية وما رافقها من سياسات تقشفية ارتأتها الحكومة إلاَّ أنه من الواضح أنَّ الأمر كان يعطوي على أمر سياسي وأسلوب للتعبير عن إمكانية النمرد على السلطة بعد أن ران على البلاد من سكون وعيظ مكبوت نتيجة لقمع والإرهاب، كانت القصيدة وطنية بلا ريب «فرد كاتسا بالحديث عن بعض التفاصيل لذلك الحدث الماد، موصف اجتماع السيد عبدالرحمن المهدي بالطلاب في محاولة لإثباتهم عن الإستمترار في الإصراب حتى لا يجد الإنجليز فيه ذريعة لإعلان الكنية وحرمان الطلاب من التعليم في هذه المؤسسة احتشد الطلاب البالغ عددهم خمسمائة وخمسين في غرفة الطعام، حيث لم يكن هناك مكان آخر يسعهم ودخل السيد عبدالرحمن مفرداً وجلس على كرسي وضع فوق إحدى الموائد وأحد يتحدث عن التعليم وضرورته ومحاولة فصله عن الوظيفة ولما أحسَّ أنَّ الطلاب مصرون على موقفهم أدعى لف ارتأوه بروح ديمقراطية وأبوه كانت محل تقدير الجميع

لم يكن عربياً أنَّ يرد اسم السيد عبد الرحمن لمهدي في عدد من صفحات

سلطنة دارفور وعلم عدداً من لطلاب، ثم واصل رحلة العودة إلى كردفان حيث أصبح المصفي سلط الديار وأقام حلقة تدريس وعنده اندلعت الثورة المهدية أثر لإصماف إليها حيث كان حاله السيد لمكي من أبرر معاصريها ومن ثم اتخذت حياته مسارات أخرى قربته الحبيفة عبدالله إليه وأسد إليه وظائف قضائية مهمة، إلا أن المهمة الكبرى التي أوكلت إليه كانت كتابة تاريخ المهدية فأنجزها بصورة لا تزال تدهش المؤرخين المعاصرين بدقتها ولعنيتها العية لباحثة، ولا يزال كتابه «سعادة المسنهد في سيرة الإمام المهدي» والطرار المسفوس بشري مقتل يوحنا مدك الحبوش» مصدرين أساسيين للباحثين في تاريخ المهدية

لَمْ يمض وقت طويل على إنجاز هذا العمل الذي نال رضا الحليفة حتى سعى الناشون إليه بما أسقطه على الكردفاني فأمر بنفيه إلى الرجاء واحراق كتبه، وقد بقيت نسخة وحيدة من كتاب السيرة يمكن حوم شقير من شرائها في مصر هم 1895- كم روي، إلا أن ذلك يبدو في إطار نشاط المحابر البريطانية حيث حصل عليها ريجالد ونجت بعد ذلك ومن ثم وجدت طريقها إلى مكتب الدراسات لشرقية بجامعة درم ولا تزال هناك، وهي التي تم الاعتماد عليها في إصدار الكتاب.

كتب كثيرون عن إسماعيل الكردفان وعن نشاطه الفكري والأدبي ووجد تقديرًا عظيمًا لديهم حتى أن بعضهم وضعه في مصاف مؤرخين كبار الأنير وأبي الهدا وابن خلدون والمقريري.

2 أكتوبر 2000م



الأمير أبو قرجة

من البداوة إلى مظاهر المدنية

مذكرات يوسف بدري



تؤج العميد يوسف بيكر بدري حياته المعقدة بأفضل ما يمكن أن يقدمه أصرا به من عطاء مذكرته كان لا بد له أن يفعل ذلك فقد كان والده رائد في هذا المجال حين كتب سيرة حياته منذ تجربته في الرصاعة حتى أيامه الأخيرة. فأصبح «تاريخ حياتي» أحد أبرز المؤلفات حول الحياة الإقتصادية في السودان. كان الرجل شخصية ديناميكية فاعلة. جريئاً مفعلاً بما حوله. كما كان صريحاً في الحديث عن تجاربه وتجارب الآخرين. صراحة ما تعودها السودانيون. وقيل إن مذكراته هذه أزعجت الكثيرين رغم تعرضها للحذف في مواضع كثيرة. بيكر بدري وُلِدَ في العهد التركي وحين اندلعت الثورة المهدية كان شاباً في العشرين. رآى لإمام المهدي قبل الدعوة في ردة، الأمر الذي ترك انطباعات عميقة في نفسه شارك في حصار الخرطوم وما تلا ذلك من أحداث حتى تم أسره في حملة ردة الجرمي بمصر. كتب عن كل ذلك وأطب في الوصف ودم عملاً مدهشاً جديراً بالثناء. كما كتب عن تجربته الفريدة في التعليم والتي

أصوات

بدأت منذ السنوات الأولى للقرن العشرين حتى بعد منصفه بفيل وبات ذلك
السمر مرجعاً لكل المهتمين بالشؤون الاجتماعية والثقافية السودانية

أما ابنه العميد يوسف بدري الذي رحل قبل سنوات قليلة فقد كان إعتداداً
لحببه والده . حلمه في نشاطه التعليمي وحافظ على تراثه وقد عاصر أحداثاً
مهمة حيث وُلِدَ بعيد الاحتلال البريطاني للسودان بأربعة عشر عاماً شهد
التحولات التي مرّت على البلاد في تلك الفترة ركتب أيضاً وفقاً لرؤيته الخاصة
وقد استأثرت تجربته في تطوير المؤسسات التعليمية التي تركها والده بمعظم
المذكرات . إلا أننا نجد في كتابه ما كتبته صوراُ جديدة بالتأمل عن الحياة في
السودان خلال العقود الأولى للقرن العشرين

قدم يوسف بدري من رفاة بصحبة والده إلى أدمان التي لم تكن قد حلمت
عبر رداءها الريفي كان ذلك في عام 1920 ولا يزال اليمانية الوافدون يحملون
قرب الماء على ظهورهم بوزعوي على المزار كما كان المكارية يتولون نقل
الأسس بحميرهم وقد إتخذوا رياً موحداً حسب ما ارتأت سلطات لمدينة لتظيم
عملهم ولاحظ أن بعض المظاهر لحصارية التي تميّزت بها أم درمان كانت
تفتقر إليها بلدة رفاة . ونمّ يعمر زمن طويل حتى تمت إقامة كوبري اسيل الأبيض
الذي ربط بين أم درمان والخرطوم وأصبح الترام كهربائياً بعد أن تحلّى عن
البخار . كما تمّ توصيل المياه بالمواسير إلى المنازل

الحق يوسف بدري بالمدرسة الأولية - أو كتاب الطين - التي كانت مشيدة
بالأجر واتخذت موقعها غرب المدرسة الأميرية الحالية بطريقها مد ذلك
الحين وكان جلوس التلاميذ لا يزال على البروش في تلك الفترة وقبع
أحدث ثورة 1924 وشارك فيها التلاميذ بهتهم كما يفعل الكبار فتحيا مصر
ويحيا سعداء وكنت الشرطة تكتفي بتفريقهم برشهم بالمياه من حراسهم كانت

تجرها عربات الحيل وعدم إنتقل إلى المدرسة الوسطى وجد باظرها معلماً مصرياً يدعى مصطفى السيد يرتدي البدة والطربوش وكان يظهر في المناسبات كما وجد معظم المدرسين مصريين والملة من السوديين الذين كانوا يرتدون «جبة والقمطان» رغم تخرجهم في كلية عردون - المدرسة النظامية الحديثة - وكان من بينهم إسماعيل الأرهري . ندي كان يدرس الحساب - كان ذلك قبل «بعائه إلى بيروت ليدرس في الجامعة الأمريكية ويعود مدرساً بالكلية» كما كان هناك عوض ساني ومحمد أحمد مختار اللذان كانا يدرسان الجغرافيا والملة العربية إثر أحداث ثورة 1924 تم نقل المدرسة الوسطى - التي كانت ضمن مباني كلية عردون - إلى رفاة فعاد يوسف بدري إلى مراتع طفولته الأولى وقضى أوقاتاً مستمتة وذكر بالخير عدد من المعلمين السوديين السابقين والجدادين وتواء معلمهم العزيز وخفقهم القويم أمثال علي حسني، وريث العبددين الطيب، ويعقوب أبوريث، والشاعر عبدالله البنا

كان التطلع إلى كلية عردون محط آمال السابقين من تلاميذ المدرس الوسطى الشغالي المورعة في مختلف أنحاء السودان - باستثناء الجنوب في ذلك الوقت - وهي مدارس أم درمان و لحروط وعطبرة وحلما والأبيض ومدني وبورتسودان ورفاة وكانت الكلية هي المرحلة الثانوية والأخيرة في السلم لتعليمي وكانت تسمى بالتجهيري - أي التي تقوم بإعداد الموظفين الذين تحتاج إليهم مؤسسات الدولة.

وكان يتم توزيع الطلاب في أول السنة الثانية إلى الأقسام المختلفة، وكان قسم المعلمين من نصيب يوسف بدري كانت الوظيفة أملاً وحلماً بالوضع المادي «مربح» ولإحتماعي المرموق. وكان العامة يملكون عليهم «الكليات» في مهابة وإحلال. كما كانت الكلية نفسها انتقلاً لمستوى أرفع من التعليم حيث «الأساتذة الإبحليز والشوام والاندماح في مؤسسة رهيبة المستوى لإجتماعي

أصوات

فيما يسهم ويشتركون في نأديب الصغار ورعايتهم وسدعون حياة جديدة شكلت جماع وجدان لأمة لسودنية الحديث وناثت نموذجاً يحندى في جمع أقاليمها.

نظر الصا إبراهيم مصححي - المولود في العباسية عام 1930- بعينين تشكيليتين وتحسرو على أديم أم درمان رمان ووصف وسطها في حور مع محبة كتابات سودنية انطلاقاً من العبطية (مركز الشرطة) حيث كان يقع تمشا سلاطين باشا والمدفون، وقال إن الشوارع والبيوت كانت في عاية النظافة والأناقة والطاعم مثل المطاعم الأوروبية ولم يس مصمم الأعراس الذي كان - جرسوناته- من اليونانيين يرتدون بدلاً سوداء وأحذية نصف ربط نفس اللون

ووصف المقاهي بأنها كانت مثل مقاهي باريس ترر منها العويعراوات الكبيرة (أبوسماعة) وأصحاب المقاهي حائسين مثل المعلمين في المقاهي المصرية وتذكر المحبة الوسطى بمكانها واستراحاتها المرودة بمقاعد مطوية باللوب الأحصر وتحدث عن ناس والأماكن بعواطف سحية وقال: «إن كل ذلك صاع لما رآه من تبدل في الأحوال قبل سنوات قليلة عندما رار أم درمان».

بعد مرور عقدين من احتلال البلاد وسنوات عجايف ران عليها صمت كثيف افصح نأدي الحريجين في عام 1988 وديت فيه حركة أدبية وألحقت به مكتبة عامره. وكان لشعر دور واضح في تعبئة بواكير الوعي الوطني. وبر في النادي شعراء أمثال عبدالرحمن شوقي وأحمد محمد صالح وعلي نور وعبدالله محمد عمر الساء. وتبع ذلك حركة نقدية كان في مقدمتها الأمل عبي مدي الذي أثار معارك أدية حادة تصمصها كتابه «أعراس ومآتم» لم تلت أن بررت مدارس فكرة احتصنتها أحياء أم درمان هاهمت جماعة الأبروهيين بمطبوعات (نادي الكتاب اليسري) ومشورات الجمعية القابية والأدب الإبحيري وقرأوا برناد شو وناقشوا

الكتاب فقد كان المؤلف، كما كان والده وأسرته من العائلات الأنصارية العريقة التي انخرطت في الجهاد بصدق وإيمان، وقد رحلت العائلة بكاملها في حملة الأمير عبد الرحمن النجومي المتجهة إلى مصر ومرب بتحارب فاسيه ومريه وقتل عدد من أفرادها في مشاهد ملأوية، وظل الشيخ يابكر بدري وثيق الصلة بالسيد عبد الرحمن وأحد لأعضاء الأساسيين في مجلسه، وقد وصف يوسف بدري ذلك المجلس بأنه كان يجمع بين الجد والإحساس بالمسؤولية وبين الظرف والفكاهة وكان من أبرز لظرفاء الذين يصحهم المجلس الأستاذ عبد الله بشير صادة والشاعر المشد حامد العربي، والسيد أحمد حصيدة المعروف بالرعي

روي يوسف بدري تجربة سفره إلى بيروت للدراسة في الجامعة الأمريكية بصحة إبراهيم قاسم محير، وأحمد المرحى جارة، وعبد الحليم علي طه بالإضافة إلى مكى شسكة، ونصر الحاج علي، اللذين كانا قد سبقاهم في الدراسة بلبان وكان الأربعة الأخيرون مبعوثين من مصلحة المعارف لإعدادهم كمعلمين يحثون مكان المعلمين المصريين الذين كانوا يعملون في كلية عردون بعد إحلتهم في عام 1924 وكانت الدفعة الأولى تسمى عصمان عبيد عبدالور، وعبدالرحمن العربي، ومحجوب الصوي، ثم إسماعيل الأهرى، ومحمد عثمان مير عبي شكاك، والنصري حمرة وأشار إلى أن واسطة العقد بهذه المجموعة من الطلاب كان عبد الحليم علي طه لما يرويه من قصص طريفة عن الريف والبادية ولما يشده لهم من الدوييت

عاد يوسف بدري صيدلياً من بيروت في يونيو عام 1937 يشده حين عمر لبلاده بعد أن أدر ظهره للعاصمة اللبنانية التي استمتع فيها بكثير من مظاهر النهز إلى جانب التحصيل العلمي الذي أهله لبل شهادته الجامعية عمل في مستشفى ود مدي براتب قدره إثنا عشر جنيهاً في الشهر، وسكن في منزل

أصوات

حكومي هو وموظف آخر كان لكن واحد منهما حادته الحاص بالإضافة إلى
لصاح لمشارك وكانا يستطيعان في كل أسبوع شراء سلال من الفاكهة
لمسودة كالبرنقال والنجاح والكمثري، ويسمعتان بسهرة مساء كل خميس
زاخرة بكل مالد وطاب

وصف يوسف بدري عربة المتعتم السوداني، وتأثره بالفكر الأوروبي واللغة
الإنجليزية وتحدث عن الانقلاب الذي حدث لحياتهم وكيف أصبحوا بعد
لتخرج في كلية عردون يتناولون طعامهم على الطاولة ويسكنون في الغرف
المبلطة ويسهرون تحت ضوء الكهرباء ويغتسلون بالماء المبتق من الحائط
ودلت بعد أن كانوا يلتصقون بالصوت من فانوس الجاز والماء من الأنوار العميقة.
ووصف بدين نبيهم حيث لبسوا «الشورت» والفاقة في «شباط الرياضي»
ولبوا أزياء أخرى للدرس ولثوم، وذلك بعد أن كانوا يرتدون حتى وقت قريب
لعرافي والسروال، وذكر كيف أن أنواع اللعب تغيرت أيضاً بعد «شليل»
«حرت»، و«العيتوبة»، أهدوا يلعبون كرة القدم والتنس والبولو مع «المفتشين»
والمديرين وغيرهم من زملائهم البريطانيين

وهكذا بات الأعمدي مرتبطاً بالإنجليزي صياعاً في المكتب وبعد الظهر في
لملاعب يتبادلان الحديث باللغة الإنجليزية «فري مأمور المركز والباشكانت
والطبيب ورئيس الحسابات «متكربين» بينما «لقاضي الشرعي يباظر المدرسة
نراهما محضمين أو متكربين، ويجمع لكل في المساء بدار ناديهما وبدأ قصص
لتدر وعبارات السحرية التي تصل إلى حد الترائق وفي الصباح يرويه زميلهم
الإنجليزي، كأنه قد رأى وقد سمع أم أن للحيطان آناً؟»

أم درمان، صبيه بين المدائن



لا يأتي الحديث عن المدن حتى يلوح قول أبي يزيد البسطامي حين مثل
عن أي المدن تلك التي أحب فلم يرد قوله عن «تلك التي فيها من احتلف
قسي»، وهذا حديث عرفاني نتجمل به عند الحديث عن مدينة أم درمان التي
تكشف في كل يوم عن جمال حيء طوان قرون من الزمان ويريد، تردهي
تريحها المثير وترهو تلك الدبالي المجللة بالفخار والمرمر بالمجد الأثني
حطت أساسها نسمة الريح وأظلت بيومها السيوف الرائعة عداة انتصار
أدهشت كل العالم وماهنت عاصمة الشعب وملهته التي احتضنت جميعاته
السياسية السرية ورعت بداياته العسكرية والناعية وبلورت رؤاه الفنية وصقلت
ملكاته أبائه الشعراء والغرفاء والعلماء والرعاة السياسيين.

أصوات

عندما شئت العنة بالشاعر حليس مريح وأحس بقرب نهايته طلب من أصدقائه أن يطلوه به مديسة أم درمك ففعلوا تجولوا في حياتها وأسواقها وامتلأت عيبه ممراتها للمرأة لأحيرة قبل أن يعود إلى مستشفى الخرطوم ويلفظ أنفاسه بعد أيام قليلة. تلك المدلة التي تمسها - وهو بالماهرة - حافٍ مُعلقٌ شعر رأسه - من فيج للخور للمعالي حتى علايل أبوروف للمرالي بانصريو الشافيه المرم

عندما برل فيها إسماعيل باشا بن محمد علي راحماً نحو سار كات أم درمك قرية صغيرة ببعض انصيادين وبما أسس الأتراك عاصمتهم في الخرطوم طلت أرضها حلاء لا تؤمها سوى القوافل التجارية القادمة من الغرب ريشما تعبر إلى الخرطوم. وفي أثناء انحصار شيد فيها عردون طابيه طلت تقاوم قوات الأنصار حتى ركروا عليها بهجوم فاستسلمت قبل سقوط العاصمة، وعداة انتصار الثورة إتحدوا للإمام المهدي عاصمة وبات الخرطوم مدينة مهجورة

أم درمان اسمها قديم ورد في وثائق متممكة الموج وورد ذكرها نصاً في «طبقات ود صيف الله» لدى الحديث عن الشيخ حمد ود أم مريوم. وبعض الرويات تذهب بها إلى زمان «العبح» وتقول إن امرأة من سلالة ملوكهم سكنت فيها مع ولد لها يدعى درمان، أقامت مراً مبياً من الحجر محاطاً بأسور متين قبل أن أثاره كات لاتران شاحصة هي حيي «بيت المال» إلى وقت قريب. ولا يزال كثير من الناس يذكرون التقيبات الأثرية في «خور أبو عجة» حيث كان يتم تعثر على مؤوس وسهام ومعدات حجرية تعود بالمأكية إلى العصر الحجري طلق عليها المهدي اسم البععة وعرفت باسم دار الهجرة وهو الاسم الذي نقش على العملة التي ضربت أثناء حياته.

بعد فتح الخرطوم بأيام قليلة يتمم الإمام المهدي إلى أم درمان وأرحى رسر نافته حتى مركت في المرحص لدي عليه لقة لأن فأقدم يه وشيد خلفاءه وأصحابه الكبار مزلهم حوله وأقام الأهلون مزلهم بالنش والحد ولشكاب

حتى تحول المكان إلى معسكر كبير وفي عهد الخليفة استمر توسع المدينة وأُحْدِثَ المئذنة المبنية بالطين والطين الأحمر والحجر تحل مكان المئذنة القديمة. اهتم الخليفة بالمعمار وشأ مؤسسة سماها «مصلحة العمارة» أشرف عليها مهندسون محترفون ذكر المؤرخون منهم إسماعيل حسن ومحمد حمد حسن وحامد النور وبترو نعدوا مبانيها مثل بيت المال، وبيت الأمانة «مخازن الأسلحة»، ومسجد السائر وممرل الخليفة نفسه بطابقيه وسور المدينة وقبة لإمام المهدي وممرل الحلفاء والحرس والمصالح العامة كما تم إنشاء المدرسة الوحيدة فوق مستوى الحلاوي.. وكان يدرس فيها بحساب إلى جانب العلوم الدينية وكان مشرفاً عليها عثمان فريد - جد آل فريد الموحودين حالياً بأم درمان - استخدم الخليفة شبكة التلغراف للاتصال من مرمرل بمختلف المصالح كالترسانة وكارة لجهادية وبيت لعمال العمومي كما شيد مصنعاً للصابون وآخر للبارود بالحلفاية وكان هناك مخزن كبير لبارود في جزيرة توبي

وعندما رر مراسل صحيفة «التنمر» أم درمان في عام 1901 انتقد سلوك كثير منهمجي عندما حطم الفة وحول المسجد إلى ملعب رياضي واتهمه بمحاولة القضاء على ملامح القومية السودانية

في مذكرات له وصف القس الإيطالي روربيرلي الذي كان أسيراً مكان أم درمان في أول شأنتها بأنهم كانوا من مختلف العصور والقبائل التي يعرفها السودان بالإضافة إلى المصريين واليهود والعرب الحجازيين والشوام والاعاريق والإيطاليين والترك والانيوبيين وقال إن ألوان البشر كانت تتدرج من السواد الشديد حتى الأبيض وهناك السمودح انسامي بالأف لمديب واللحية الكثيفة إلى حوار الرنحي اوسيم نجسعه القوي وأنه لأفطس وشفاهه العليظه كل هذه العناصر مصت إلى سبيدها في الانصهار على مر السنين واندمجت في عائلة كبيرة واحدة في سلوك اجتماعي فريد يعتمد الحياة الجماعية.. يهدون الطعام

شديد محترقاً سكة العرصة حتى يبيع موضعها وهو راكب على عجيبه ويمر أمامه الأنصار عائددين في اتجاه المدينة في مقدمتهم الراية الرقراء بطبولها المحمولة على الجمال وهي تدق بعف شديد تليها الراية الحصراء للحليفة علي ودخلوا ثم الراية الصفراء للحليفة محمد شريف حامد

وكان من انموذج المهمة ذلك اندي يقدم عند خروج جيش كبير إلى أحد الأقاليم حيث يورع الرايات والسلاح من ييب الأمانة، ويقوم كاتب الأمير بصرف أنوات الكتابة يسما يقوم وكيل الجيش بإعداد دواب النقل والمؤن وعدة استكمال الاستعدادات بتحريك الجيش إلى الجهة المقصودة، وإذا كانت شرقاً عسكرت القوات قرب دبة الشيع حوخلي وإذا كانت شمالاً عسكرت في الهجرة في الطرف الشمالي، وإذا كانت جنوباً تجمعت قرب شجرة المهدية، ثم يخرج الحليفة في مركب مهب تحيط به مطامر السلطة ومعه قائد الجيش حتى المعسكر عبودع القواب وشارك مساهداً وهي حالة حضور جيش كبير أو أمير مهم كان الحليفة يستقبله بعرض كبير خارج المدينة ثم يعود معه.

إحتفي المعون والمغنيات الذين عمرو الحياة الاجتماعية في الخرطوم في العهد التركي فقدمت سيمان وشريفة بت بلال لم يعد أحد يسمع عنهما لم تجد مكاناً في العهد الجديد. فالحماسة الدبية والرهة والتعهر نسود المدينة.

وبدأ الناس وخاصة الأعيان يحيون لياليهم وأفراحهم بالمديح السوي هالشح أحمد أبو شريعة وإبراهيم كرع لعممة وعلي طلبة وغيرهم من المادحين كانت تتلقاهم الدور حمية مرحبة في تلك الأيام إلا أن المدينة لم تحل من العائشين الساهرين يحتلسون جلسات خاصة في منازلهم بعيد عن الرقراء يحتسون فيها ما يسر لهم من مشروبات. وقد كانت بحرية يوسف ميخائيل والأمير نور عقره طريقة معتمة يسهران في العشيات نديمين نثرارين معارضين لمظام الحليفة

المثل العليا والأخلاق وكان من أبرزهم حسن أحمد عثمان «الكدا» وشقيقه حسن وإبراهيم يوسف سديمان وخضر حمد وغيرهم أما مجموعة الهاشحات فقد صمت محمد أحمد محجوب وعبدالحليم محمد وعرفات محمد عبدالله ويوسف مصطفى الشبي ومحمد عشري لصديق وعبدالله عشري الصديق وغيرهم كما كان كبار طلاب المعهد العلمي يعتقدون بذوه أدبية في منزل الشيخ إبراهيم أبو انور بحي «السوق الكبير» وكان الشعراء أبناء المعهد العلمي يتحلون من دار خلوة الكتّاب مبراً لهم وهم التجاني يوسف بشير ومحمد عبدالوهاب الفاصي ومحمد عبدالعادر كرماء قبل أن ينتقلوا إلى الأديرة.

أعلن سلاطين عندما دخل مع الجيش العازي وأصبح مفتشاً عاماً بسودان أنه سيملاً مديّة أم درمان بالعناصر المميّة قلياً.. يري أن عدم الانتماء القبلي يعبرها عن القصايد الوطنية . ونكى بحلول عام 1921 بدأت لحركة انسياسية بأمر درمان تتلمس حظاها سرّاً فشأت (جمعية الإتحاد السوداني) ثمّ اللواء الأبيض التي قادت نضالاً عبقاً ضدّ قوات الإحتلال حتّى بلغ درجة الصدام لمسلح وحاب ظلّ سلاطين فقد كان معظم هؤلاء الرعماء ممن ظلّ أنهم من يشاركوا في القصيدة الوطنية وصلت هذه الوقفة البسلة جرة عريّة من تاريخ الوطن والهامة عظيمًا لوقفاتها اللاحقة.

يسبق مؤتمر الحريجين كحقيقة كبرى في فبراير 1938 ليتوح كل هذه الجهود ويصبح المسير الوحيد المعبر عن الأماني الوطنية واستقبلته البلاد بحفاوة بالغة لحصنها علي نور شاعر المؤتمر بقوله

كُنّا نسميه سرّاً هي جونا نحنا حتّى استحال إلى الإجهار والعلل

أم درمان.. صبية بين لمداي - ٢

لَمْ نجد الحياة الإجتماعية بأم درمان أيام المهديّة عند المؤرّحين كبير اهتمام وثقّفها. فالأحداث السّياسية العاصفة ولاحقة طيبة فترة الثلاثة عشر عاماً التي تربّع بها الحكّيمة عدنانة على دسّ الحكم لَمْ تترك مجالاً للاهتمام بالتجليات الأخرى كما كان لأسلوب الحياة الذي وسعته النّزعة الدّينية والعنوّ والتطوّف أثره في تحويل لمدينة إلى ما هو أشبه بالشّبكة العسكريّة.. إلّا أنّ السّبيح الإجتماعي الجديد الذي صنّعه المجموعات الأثنية كان قد بدأ في التّشكل وبرور القسمات.. وفي فترة وحيرة أحدثت المدينة تبرر عمرها وبشأ مركز السلطة في وسطها. فحول قبة الإمام المهديّ بنّي لحديقة مرّلة وشيّدت بصفاته من الأمراء وبنّاءة من ذوي قرابته مدارئهم، وفي الجانب الشماليّ قامت مدار الحيفتين عليّ ودخلو ومحمد شريف حامد وعذد أحرار من الأمراء وعلية القوم إتحدت المجموعات القبليّة أحياء خاصة بها وبشأت المصالح الحكوميّة حول منطقة السلطة وأهمّها بيت المال الذي كان بمثابة وريرة الماليّة ومخازن الدولة كان موضعه قرب النّهر ليسهل نقل البضائع الواردة بالسّفن والسّراكب وكان أهمّه في بيت المال مصنع سكّ العملة ويقع جنوب بيت المال العموميّ سوق الرقيق المشيد بالضّوب الأحمر ومن الضروريّ أنّ يعرف أنّ لحيف كان قد حظر بيع الدّكّور من الرقيق إلّا لدولة ييسر حصر قصه بشكل بدت ومع تصديره للخارج.. كما كان هناك بيت مال خاصّ بالملازمين وشيّدت منازل خاصة بكتبته قريباً من المكان.. ومن المصالح المهمّة بيت الأمانة لحفظ الأسلحة والسّلاح

(دار الرياضة الحالية) والقرب منه مبنى دائري صغير تحفظ فيه رايت انجيش وعبولة، وإلى جانبه مصنع الدخيرة والأسلحة الخفيفة وكانت لمدينة أم درمان محكمة خاصة هي محكمة السوق التي تخصصت في نزع البيع والشراء وقضايا الأسواق وكل ما هو واقع تحت سلطات ما يعرف بالمحتسب في النظم الإسلامية - أما غير ذلك من القضايا فكانت تُنظر في محكمة المسجد وكان الأمير محمد حسين وهي مكلفاً بأمر لمديته ويتركز نشاطه في السوق والأماكن العامة بقوة يبيع عددها 25 جهدياً وإلى جانبهم مجموعة عرفت بالمبشرين مهمتهم شبيهة بما تقوم به قوات النظام العام التي يتدعنها سلطة «الانقاذ» الحالية - فكانوا يلاحقون المشننه بهم سياسياً ومعاظي الحمور والمميك أما الأمن في الأحياء السكنية فكان يقع على عاتق أهل الحي الذي يتولون الحراسة ليلاً كان تجار السوق يعلقون محالهم عند العروب فيعدو ساكناً مهجوراً إلا من الجهادية الذين كانوا يتولون حراسته . وكان محظوراً على الناس أن يوقدوا النار أو يحملوا المشعل فيه

كان الإمام المهدي قد أتم بعض المؤسسات الإباحية والمحيرة التي تعلقت بمصالح الناس كعصارات الريبوب والوكالات والعيان وحدائق المبري وأطيان الأجانب والمشارع العامة «المراهي» الهريفة كما احتكرت الدولة صناعة الصابون والأسلحة وسك العملة والصناعات الخفيفة المتصلة بالمجهود الحربي كالسيوف والحرب والصناعات الحديدية كسروج الدواب وأعماد السيوف

تنوعت أشكال المعمر بالمدينة وكان الحوش هو السمة المشتركة في منازل الأهالي والمصالح العامة فتجد انكروك «المبسي» على شكل طهر الثور» واندانة وهي الحجرة المشيدة بالجائوس والمنظية والراكوبة وكانت دور الأعياء وعلية لقوم محاطة بأسوار من الطين والأحرق أحيطت بررايت من لأعصان الشوكية

أصوات

برر الحليفة عبدالله كرجل دولة لا يمكن التخلي عن شأنه محكوماً بفروقه التاريخية وإمكانياته الشخصية وفدائاته ودرجة الوعي التي توفرت له استطاع أن يؤسس دولة مركزية مرهوبة الجانب ضلّت القوات البريطانية تتربص بها عدد الحدود الشمالية ثلاثة عشر عاماً قبل أن تتمكن من الانقصاص عليها رصدت محارباتها كنّ نامة وصوت صدرت من أم درمان حتى عدا رصيدها من المعلومات التي استقتها مؤلفات ومراجع للتاريخ مثل جغرافية وتاريخ السودان لعموم شقير تجربة جديرة بالاهتمام رغم ما أحاط بها من سلبيات أعلتها ضرورة الظروف في معظم الأحوال فالحليفة قد أقام دولة لا يستطيع أحد أن يسكرها إذا بحى المرء العواطف جانباً وأحهد بعينه شيئاً ما بقراءه ذلك التاريخ.

حدثني مرة شيخ المؤرخين البروفيسور محمد يريم أبو سليم أن صله بالمهدية كاب وامية جداً . حيث أنها لم يبع موطنهم الحدودية في أقصى الشمال في كل الأحوال ولم سألوا بها إلا أن عمله في دار الوثائق أتاح له فرصة القرب منها والتعرف عليها وأكد أنه في كل يوم جديد يرداد إعجاباً بتلك التجربة التي نجح رجالها في توثيق أحداثها بشكل ماهر الأحداث

كانت مدينة أم درمان تتربص وتزغل في أبهى حللها في أعينها اندسية وترجع الربات وتخرج قواص الحيش للاستعراض وتدفق الطبول ويخرج الحليفة في موكب عظيم وكان في أول عهده يستخدم إحدى مركبات الحكماء التي أتت إلى الدولة الوطنية بعد سقوط الخرطوم . وبكمه لم يلبث أن يستبدل ذلك بركوب الجمل أو الحصان وبداي خروجه في موكبه الرسمي كان يحيط به كدر رجال الدولة من الحنفاء والأمراء والقضاة والقواد، ويسير خلفه حرس الحافس (الملاحون) في أعداد كبيرة. ويمشي أمامه محمد بشير كرار لعبادي قائد حافلة البريد - ممسك بحربة كبيرة في يده يمسك بيده سقاً كبيراً يتدنى من جاسه بالشمال ويبدأ الموكب مسيرته من بيت الخليفة ويمشي ببطء

أصوات

يسيرهم وسكاكينهم الطويلة ولما هبطوا عليهم تخطفهم كالطير . وصف المراقبون فنكهم بهم بأنهم كانوا كمن يعرضون في الحلبة حتى أفنوا حابياً كبيراً منهم أعادوا تجارب معاركهم معهم في شرق السودان حين كسروا لأول مره في التاريخ مربع الفرساں وحس دحل العراء أم درمان لم تستقبلهم بالحصوع والاستسلام بل واجهت لقله القليلة الباقية العدو ببسالة وإقدام ، لا أن يبراه أسكتت تلك الانتفاضة لبائسة وبما سنبهت المدينة وقف الرجال أمام بيوتهم يدورون عن أعراضهم وممتلكاتهم وقتل منهم الكثير ولم تصع قيادة العدو وقتاً جمعت من تبقى من الأمر ، والمادة وقصت بإعدامهم فاقيدوا عرب المدينة - موقع ميدان الريح الحاني - وتم التمهيد .

حين عاد لشاعر المادح أحمد أبو شريعة من ميدان القتال توجه إلى بيت الحيفة وهناك علم بحروجه من أم درمان فأخذ بشد الشعر واندفع تنهر من عيبه «السادة الحيرة فاتوني . وخلوني هي حيرة» كلمات عبرت عن حانة الصياع التي إكتفت ببلاد والمجهول الذي باب يتهددها وصف المؤرخون الحيفة في تلك اللحظات بأنه كان ثابت الجان لم يهتز لما حاق به من كوارث إلا عندما بعه بأ مقتل أخيه يعقوب وكان مشرفاً على سير المعركة ومجريات الأمور لصيفاً بتفاصيلها لم يهرب ليجو نفسه كما عبرت حوري المدينة في أغانيهم الشامة لما قلنا الحليفة بفر أوقف الحدود يا سعادة البراءة والليله هي قلوبها مركبة ود نورشين سرد رقدوا الملامية وإنما كان حروجه حيدراً وقرراً إتحد في اللحظة الأخيرة بعد أن كان لاتجاه انساك هو البقاء داخل أم درمان للدفاع عنها . وفي رقبته الأخيرة بأم ديبكرات وموته الرابع لم يملك عبوه اللدود رجبالد ونجت إلا أن يقول دمهم كانت نظرتنا للحليفة فأنما لامتك إلا أن معجب بميتته الشجاعة

تدافع الناس للحروح من المدينة بحفاة دخول الجيش وما بعد ذلك بساعات

أصوات

يتحدثان في السياسة ويشعان لسلطنة.

من المؤكد أن درة الحبيفة تدخلت في حياة الناس الاجتماعية وألعب كثيراً من العادات التي رثأت أنها تجاهي الذين ومن بينها أنها حدثت المهر للبكر والثيب. فإسماعيل عبدالمعين كان يردد في ألحانه الرجزية « لمهدي جاء من دقلا قال الفتاة بعد ريان والعرباء بانفاته » وفي مذكراته « تاريخ حياتي » يروي الشيخ بابكر بدري تجربة روجه من السيدة بصمة « أم أحمد » وكيف تصرف كأنصاري مترم واصف نفسه بالحسلي المتصرف فحاول أن يسكت معبة عمياء ورفض حضور حفل الرقص التي أقامتها النساء وحدهن دون حضور أي رجل آخر إلا أنه أصدق العروس أربعين ريالاً قرضياً ونذم جهاز من الحلابس بعنية والعطور.. كان ذلك خلال السنوات الأخيرة لعهد المهدي.

14 نوفمبر 2000 م



بوابة عبدالقيوم

أم درمان.. مأساة الفنح



ظُفِرَ مساءً أم درمان لسبع نبال مسابغات يستلزل مملغعات بالصبمت والغلام
ناكلات بالصبمت مثقلات بالمحائع.. والمدينة يلغها الردى ورائحة الدماء وابارود..
وأحدية العراة الثقبة الجهمة لا تزال شاحصة في أرقا لعديبة وشورعها بعد أن
أسبيحت ثلاثة أيام بلياليها وتعرُصت بلقصف بحوالي ثلاثمائة دابة من عيار
خمسين رطلاً - وهي مكتظة بالمعديين حالية من الحدود - خلال يومي الخميس
والجمعة الأول والثاني من سبتمبر 1898م. وكانت النساء يحمطن الراد والماء
يخرجن في جماعات صغيرة يقصدن ساحة المعركة في كرري يتعقدن الجرحى
يواسينهم ويصمدن جراحهم وينزلن شفاههم بمطرات من الماء.. كانوا لا يرالون
أحياء يتمددون بين آلاف النجثت المكدسة للمرقة برصاص «دم. دم» المحرم

أصوات

استخدامه دولياً. كان الجبرال القاتع عاصماً من سلوك الحرجى حيث كان الواحد منهم في أعقاب المعركة يهب من رفته وهو في الرمي الأخير يسدد ضعه أو يصوب طلقه إلى صدر جندي العدو ليحسب بعدها راصياً بـ أمر الجبرال بتصفيتهم لا يفلهم للعلاج - كما تقتضي العهد والميثاق - كب أمر بتصفية الأسرى أيضاً ذلك الأمر الذي أثار ثائرة الصحف الأوروبية رأت فيه وحشية وبربرية لا تناسب إستهلالات القرن العشرين كانت مساء أم درمان أيضاً يحاول التعرف على الجثث لدفعها فقد كان الرجال أرواجهم وأبدعهم والمرحبات تردد صدى شيوخهم المكتوم في ليالٍ مفعمة بالأسى والموط ونعاقم الإحسان بتفاحة الحياة

عندما حسم معركته مستخدماً أحدث منتجات مصانع بريطانيا من الأسلحة . تلك التي استخدمت لأول مرة في كرري على أساس التجربة ومن ثمّ كانت الأسلحة الرئيسية التي تفوقت في الحربين الأولى والثانية توجّه الجبرال المعازي جنوباً - تحيط به كل مظاهر المطرسة والعرور - عبر شارع أم درمان الرئيسي (شارع الهجرة) وطوال خط سيره كان انمشهد وحداً لا يشعر الجثث والأشلاء ونات الحرجى ورائحة الموت فالحوانات من كل الأنواع والبشر من كل الأعمار كانوا مستلقين في شمس الظهيرة اللامعة وهم في الرع الأخير. كان كثير قد حلف وراءه في ميدان الغنال عشرة آلاف شهيد وصف حالهم المرسل الحربي لشباب وستون بشرش بقوله دوحت سقط العدو ومن مكن هناك مراسم الدفن والموسقى ولا الإحتفالات التي سمجد عظم الرجوة الصامدة ولكنهم كانوا أشجع من مشى على وجه الأرض، دُمروا ومن يهروا بقوة الآلة ثم تكن معركة أم درمان بالنسبة لبقائد مجرد برهة فقد رأى هو والمراشد والمراقبون العسكريون رجالاً يندفعون نحوهم للاستحار وأيديهم خالبة من السلاح

كثيرون طهوا أن الدرع عن أم درمان كان يدفعه أحرق نحو جيش العدو المعري انتقدوا لهجوم لهدري رأوه مجانباً للحصص العسكرية في مثل تلك المعارك . لا أن الواقع الذي محصه اسطللون العسكريون من وطيس وأحاط بدحص ذلك الرعم . محطة الدرع عن أم درمان كانت دقيمة ومحكمة وتشكلت من مرحلتين إلا أن تنفيذها تعثر في الواقع كما أن ، لأسلحة الحديثة الجبارة - والتي إستحدثت لأول مرة في تلك الحرب ما احتلت حيزاً مناسباً في تقديراتهم ورسم ذلك ألبت قوات الدراع السودانية بلاءاً طل حديث الصحف العالمية لفترة من الزمن وبت حراً مهماً في التاريخ العسكري جسّد جسارة الرجال واسترحاصهم للموت في سبيل الوطن كتب ستيفسون يقول «والتدو» لقد حار هو شرف اليوم .. وحصل رجالنا درجة انكمال إلا أن السودانيين عاقوا حد الكمال لقد كان ذلك أعظم وأشجع جيش حاض حرباً ضدنا، وأيد وقتل جوده بشجاعة جديرة بالامبراطورية الهائلة التي أقاموها وحافظوا عليها طويلاً أحاط الموت بحملة بمدفهم من كل جانب وهم يجاهدون عتاً لإطلاق دحيرهم القديمة والرديئة عديمة الأثر في وجه أقوى وأحدث أسلحة التدمير مرّت لحظات في جانب من المعركة كان هناك ثلاثة رجال يعملون الراية الرقاء ويتقدمون بثبات نحو سعة آلاف جندي مدججين بأحدث الأسلحة، كان المدافعون يتساقطون حول الراية التي أصبحت هدفاً واضحاً ليران العواة ومن ثم مصيدة للموت وهي تعرف عالياً حتى سقط آخر من كان يحملها بعد أن عرسها على الأرض . كانت ساحة المعركة واسعة مثالية ليران العدو المتقدمة ومدافعه بعيدة المدى ولحقائلون السودانيون يحاولون جاهدين الوصول إلى صفوفه لاللتحام بها لتحقيق عدالة الرجال ولكن كان ذلك بعيداً واليران تحصدهم حصصاً وتريحهم بالمئات من على وجه الأرض حتى بلغ عدد انقتلى عشرة آلاف قتيل عشان دفنة وحده الذي شفى عليه باستدراج قوة من فرسان الجيش البريطاني إلى حور شمبات حيث كان يقع رجال الهديرة الأشداء

بتجاربها الثرية، وقدمتهم عصرة إلى العالم فريزوا محافلهم، فبراهيم ركريب - التي
مقدم من قرية المعاص - أصبح رئيساً لاتحاد نقابات العالم. كل العالم
والشعب يحتل منصب نائب الرئيس. وقدمت عبرهم من شارك في إثراء
الحجبة في بلاده وعلى مستوى العالم

عظيمة الآن لا تستجدي أحد أن يرد إليها بهاءها وتاريخها ولكنها تدرج أهمية
السكة الحديد كمؤسسة قومية ذات ضرورة قصوى للقل في بلد شامع مترامي
الأنوار قدره أن يعد برامج مكثفة للتنمية لتهوض من كبوته. ومارت السكة
الحديد رافد حيوياً لاقتصاديات الدول التي تعمل جاهدة لتحديث قطارات
وتطوير أدائها بعيداً عن عوى القوم والمصطلقات الداتية، فأساطيل النقل التي
يمتلكها المحاسب يحتكرون بها الحركة ويحاولون لا تستطيع أن تعوض
فائد نشاط السكة الحديد وقد رتها العالية

12 سبتمبر 2000



أول قطارة متجهة نحو السواكن إلى الفتح

واتجهوا جنوباً وأُعلتِ الظنُّ أنَّ هؤلاء كانوا من المنصدين بالسلطنة والذين تحوّلوا من إلتحاق الجيش المعزّي كانت أبرر المجموعات مجموعة الحليفة شريف- الذي ساهم في المعركة وقيادته الجيش رغم معارضة السياسة، ومعه أبناء المهدي ومعظم الأشراف الذين توجهوا إلى أم عيم ثم العشائرية التي عبروا منها إلى الجزيرة اب تلتها مجموعة كبيرة من الفور والريقت في طريقهم إلى دار فور ليلتحقوا بعلي دينار كما خرجت مجموعات أخرى وأغلبهم من أبناء العرب لدخول بالحليفة أو العودة إلى أوطانهم سيصل هذا اليوم محموراً في ذاكرة مدينة أم درمان فقد كان مليئاً بأحداث لا تتكرر كثيراً هي تاريخ الشعوب

12 نوفمبر 2000م

عطبرة مدينة الحديد والبار

«بأعطبر» - هل ذهبي مثل أمس من حديد»

من قصيدة لصالح أحمد إبراهيم

جلس الملازم البريطاني جروارد في حبيته بوادي حلفا داب يوم من عام 897 بعد قائمة شاملة بالاحتياجات اللازمة لإقامة حط الصحراء الحديدي لنقل لجمود ومدافع المكسيم إلى أم درمان. كان الهدف قهر قوافل الحليفة عبد الله وإزالة دولته الوطنية التي شكلت معوداً مسموماً يعرف حركة النوشع الاستعماري في العرة. كانت القائمة طويلة والمشروع مشكوك في جدواه. قدّر البحراء أنه قد يقود إلى كارثة إلا أن البحراء كثر قائله قوت الفتح أصراً على تهفده في عدد وبعث جروردي إلى إنجلترا لشراء لوامره من الماطرات والعربات وقطع العيار وما يتعلق بإنشاء الورش الحديدية وهكذا بدأ العمل في المشروع الذي ظل مؤحلاً منذ عهد الحكم التركي السابق. كانت بداية العمل منعثرة بلا شك. موظفون يتم تدريبهم تحت طلال النحيل، وعمال غير مهرة من مختلف الجنسيات يهملون في صناعه الآله التي حملت الموت والتمسك، فقط كانت لحرب حرب نقل في المقام الأول وقد هُرم الحليفة على السكة الحديد كما عثر وستون تشرشل في كتابه «حرب النهر».

بعد إستقلال السودان ظل الإداريون البريطانيون الذين حكموه يتعاجرون بثلاث مؤسسات أقاموها، مشروع الجزيرة، والخدمة المدنية، والسكة الحديد، وقد حق لهم ذلك فنلت المشروعات التي لم يكن لها مثيل في أفريقيا حاق بها

الدمار نتيجة لما فعل السعهاء من أعمالهم فيها فزوسهم بعد أن عبهم الهوى السياسي وأعمى بصائرهم وحتى الآن ما اعتدروا لشعبهم عما اقترفوا ولا أحسوا جرمًا وكان لدكتاتوريه مايو بصيبيها فيما حدث من دمار وحاصه في السكة الحديد التي أصبحت ورشها وفطراتها وعرباتها جائحة دون حراك يعونها صبدأ كثيف كأنما هي كانت حرافية باقية وأجهر لباقون على ما بقي منها وظلوا صادريين في عيهم يتمنون خصصتها لتعود ملكاً خالصاً لدوائهم العامية ما راعوا في ذلك مصالح الوطن

ما تشرف برؤية مدينة عطبرة من قبل إلا عبوداً بمحطتها نحو مصر في ريارات خلال سنوات الدراسة، ولكن حين رأيته في أغسطس الماضي أحسست كأنني أقمت فيها لألف عام.

كان الطريق إليها من الخرطوم أسعلتيا جديداً ممهداً وناعماً لا يقترب من بحر النيل ولا يبتعد، ولكن خضرة الصفة اليمى كانت تتراءى بابعة عميقة ومحضلة وكما أوعلا في الشمال تتابعت صور الماضي البعيد بعهوده المختلفة فهن يا ترى مر غيرانا الإمبراطور الأنوبي من هذا بطارد فلول النوبة الحمر كما سجل في لوحة انتصاراته؟ وهل هذه الحبرة الداكة شي تلون الحمى صحور بركية تفتت أم بقايا قطع الحديد التي حلفها حصارة مروي القديمة في أيامها الزاهرة؟ ومن أين توجه الملك عمر بعد قتله إسماعيل، وأي طريق سلك تساؤلات تترى وما من مجيب.

بعد الفتح إمتد حصور السكة الحديد شرقاً وجنوباً حتى أواسط المعطر ثم بعد ذلك إتجهت غرباً وأصبحت مدينة عطبرة واسطة العقد تنافس كروالبريطانية صحت رئاسة المصنعة وورش الصيانة لصنعة وتكاثرت أعداد لعمال والموظفين من مختلف الأجنه وتشأ مجتمع حديد أقرب إلى الحداثة من الجماعات الحضرية الأخرى ذات الطابع الريفي لعبت لسكة الحديد دورها

أصوات

لجند في نقل المسجونين السوديه وخاصة العنصر بمصانع لاكثر ولسوء معاليمه وشطت التجارة وترعم وعي حديد بالواقع عدته أحداث القرن العشرين بعبء وامتلا حقه، وبرر دور العمال يصابون بتحسين ظروفهم المعيشيه وبإثاء تطلعات خاصة بهم، وشاركوا في كثير من الأحداث التي أعقبت الحرب الأولى وخاصة خلال ثورة 1924 وما رافقها من تطاهرات بمختلف المدن

كان لمدرسة لصايع دور بارز في مجمع مدينة عطبرة فاثرت سلطات الاحتلال بها إلى حيث لتكون بعيداً عن تطورات الأحداث إلا أن حريحيها يدين عادوا يعملون في مرافق لمصلحة المحتل ما يشعرون أن مصيرهم إلى تنظيمات لأولية لمؤتمر الحريجين في أوائل سنوات الأربعين وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية وما رفق ذلك من هبوب الرياح العاتية لحرية التي أصبحت مطلباً حيوياً لجميع المستعمرات نصحت لحركة لبقابية واشتد ساعدها وأحدث مجاهر بمطالبها السياسية والاقتصادية وشكلت ثروة قوياً للحركة الوطنية

حين جلست ألقى العراء في وفاة صهري بإحدى الروايات بحري الحصاية في عطبرة كان المحسن عامر بعض ناهل لمدسة عمالاً وموظفين جاءوا من كل حدب وصوب يحملون رادهم على دراجاتهم الهوائية تدور عليهم الساحة والتصميم وروح التضامن التي ظلت تقفياً مجيد يربن مدينتهم ما لمسب فيهم صعباً ولا يستسلاً ما رعم قسوة الظروف وشطت العيش بحسبهم أعياء يتسربلون بالعنف ولاياء

كان من بينهم نايون ددامي يتوسطهم شقيق الفقيد وهو القائد النقابي لمحصرم تاح السر حسن آدم يحتشدون بالتجارب والذكريات، يتحدثون عن فاسم أمين، والشفيع أحمد الشبح، وبرهيم ركرب، وغيرهم يملؤهم الصخر والاعتزاز، يودون ألا يتقطع الحديث عن هؤلاء الذين نخرجوا من مدرسة عطبرة

«كفاح جيل»

أحمد حير المحامي



في كتابه الذي احتل موقعا متميزا في أدبيات تاريخ السودان الحديث «كفاح جيل» قدم أحمد حير صورة قلمية نادرة ووصفا أدبيا مؤثرا لشأته مؤتمر الحريجين فقال: «جاء المؤتمر كالطفل العنيد في أسرة عريقة الحسب موهورة السب محرومة من الذرية والولد فأولاه جميع الحريجين عطفهم وحنوهم وحماسهم. ومن فرط الحب والحنان إحتلوا في فجر حياته حبالا كبيرا على أمثل انطرق لتشتته وتهديه وتمريه حتى يتم إعداده واستعداده لتقيام برساته لخصيرة على حير الوجوه وأتمها ومن فرط حبهم للولد ورعبتهم الصادقة في عمل كل ما يحقق مصلحته ثم يتعد أحلامهم طور تبادل الرأي والاقناع فقد رعب فريق أن يتهج على سس المؤتمر الهندي، فبدرج الويد السوداني في أسلوب نقابة للموظفين، تعني بمصالحهم وشؤونهم ومن ثم بدلف بعد أن يشتد ساعده ويقوي رده، إلى ميدان المصال الوطني وأهل فريق آخر أن يقهر هورا إلى مكانه لوفد المصري في أوليات أيامه ويكون مؤتمر السودان و تهج فريق ثالث موقعا

مسح الطغاة اللئيم

في تدمير تربية والتعليم

جسدت الحرب الأمريكية ضد العراق ذروة الراجعية العربية، وحدثت الأحداث تأتي في كل يوم بجديد يكشف عن أزمة الأنظمة الإستبدادية والشخص الفادح الذي تدفعه الشعوب ولا شك أن الدعشة قد إعتزت الدين شاهدوا لافتات المساهرين العراقيين بعد الحرب مرفوعة فوق رؤوس رعمائهم باللغتين العربية والإنجليزية تفص عباراتها بالأخطاء التي يجب ألا يجوز خُص على الصبية لأحداث مستوى يسم عن خلل جسيم وما آلت إليه أحول المعيم في بلاد أبي عمرو الجاحظ ومهد دار الحكمة. فقد إرتدت إلى الأمية أحيال من العراقيين خلال الأربعين عاماً العجفاء وكان ذلك عين ما يريد الطاغية ويستفيه. هالمة التي يعيب وعيها الجهل تكون أسس قيداً من تلك التي يسيحها الوعي والمستوى التعليمي والثقافي المتقدم. وكان هدف الطاغية منذ البداية أن يصيب العرق في كبده فبدد شمل عمدائه ومشعبيه بالقتل والتدمير والمهر والتشريد. وفي أربعة عشر عاماً هلك بغداد لمئات السنين عاصمة الثقافة في العالم والحاورة لسياسية والاجتماعية الأولى بلا مراع فرغت في كل صروب الإبداع، وحاعت نكل من مستطرف وفريد كان يرفده تاريخها القديم الذي حمل بحصارات الإنسانية الأولى من فوق العمارة التي تجلت في حدائق بابل المعلقة، وفي انقوائين التي تحفظ حقوق الإنسان تعثلت في شريعاب حمراي، وفي لكتبة الحسمارية التي قد تكون سابقة بلهروعلمية.

ها هم سادة الدنيا قديماً يعودون ليحطون رعمائهم السياسيون اليوم في هجاء

المعقدة، وفي اختيار العبارة المحكمة الصحيحة التي تشف عن مواقفهم وذلك بعد أن نفذ صدام حسين برامجه في احتثاث المعرفة لتي كانت تترك مصجعه وب كان فاده البعث بمن فيهم صدام نفسه أكثر علماً واقتداراً حين دهمتهم القارعه فاكشرو كمجموعة من الجهة المستبدين

وحتى في سودان لم من ذلك نصيب وافر وبمر على نفس الطريق منذ أن شمر نظام مايو عن أظلاله واقتحم مسودع الحرف، كان نظام التعليم في عصفوانه ونورته التي تعجرت في بحب الرصاص، أحدثت توتّي أكدها وما كان يتعين علينا سوى أن نراجع ونشوي لروم تجويد، أقول ذلك بعد أن تلقيت رسالة ملتعة من قرني سوداني كنت كل كلمة فيها تعبر عن عمق المأساة وهون العاجمة احتدر فيها كاتبها الذي أكمل دراسته الثانوية -وقد بلغ الآن الثالثة والثلاثين- عن أخطائه النحوية والإملائية وعن ضعف قدرته على التعبير عن رأيه تلك المرحلة الثانوية التي طلت عندما ممثلة في كلية عردون حتى سنوات الأربعين مصنعا يتحرج فيه أقداد الرجال كانت رسالة القدرى عاصبة عاتبة عليّ لآسي كتبت عن الإنجليزي برامبل الذي كان مغشاً لمركز أم درمان -طن-ويا للرثاء- آسي أكتب عن الإنجليزي معجباً وأتجاهل الثقافة الوطنية حتى القدرة على التمييز عند قراءة افتقدها فمن لا يحسن القراءة لا يحسن الكتابة.

وأحد يكبل السباب لجيل الإنجليزي لذي حسبي منه، ويؤد بما وصفه بالحسين إلى الماضي، والخرطوم في أيامها الراهرة، إلا أنه لم يستطع أن يوضح ما يريد. وقد كان شجاعاً ومذكراً بصورة سببية لما هو فيه ولأرمة جيله أولئك الذين ولدوا منذ مطلع سنوات التسعين.. أرضعتهم مايو من عثائها وتنضعها وريف شعاراتها وأجهرت عليهم «الانقذ» بتكريس النصيحة بينهم وبين المعرفة بصورة منهجية وسافرة أصرمت البار في عشرات الآلاف من الكتب - ليس مجازاً وإنما حقيقة يعرفها كل الناس، وأعققت البلد في وجه الكتب ومنعت

دحولها وصارت ما كانت تجده في حقائب المسافرين. وثبت عيوبها في الجامعات ولعماد تئد كل ما تراه يعبر عن بؤ كبير وعي واستنارة. حسبته لا يسجم مع «عشروع الحصري» والمدارس نفسها حلت من المعلمين الأكفاء ومن المصاحح المجودة والمحرونة التي كانت تعقد حولها ورش الترويض الشقات.

جرع القارئ في رسالته من الديمقراطية القادمة وكأنها حطر داهم وتوجس منها، وبحث بعير «الاستبداد الديمقراطي». - لها من جسارة- وما أدرك أن السبب في كل ما حاق به وبجبله هو عياب الديمقراطية الراشدة المستتيرة والصاخ الحر لمعاني وسيادة الرأي الموحد الإقصائي الذي يودري كل المعاني والقيم التي ر كمتها البشرية خلال مسيرتها الدامية انطوية.

م دفعني للإعتقاد بأن كاتب الرسالة من جماعة «الإنقاذ» رغم بفيه اثبات لذلك لانتماء حرأته هي الباطل والانتهاكات المعددة والجاهرة دون سدد من معرفة، ومحاولات لسين والاتفاص مما يعتقد الأحر بعلامات الاستهغام والقوسين والتضيي حول كلمات معينة يفعل ذلك ويعتذر عن ما يسميه بتخطي حدود اللياقة والأدب. يقول ما يريد ويدرك عدم موضوعيته فيعود ويطلب لسمرة يدفع ويترجع هـ السلوك لا يحصى على أحد هـ سلوك جماعة الإيحاد شوهت أصابت عقول ووجداد كثير من أبناء تلك الأجيال. صاعوا وسط الهرطقات والسفسطات والوعود الرلفة، والأمال الكاذبة وهما هو المعبد يهار على رؤوس الجميع

ومن المؤكد أن هناك إستثناءات باردة من هؤلاء الشباب -ولكنها قليلة- إلتعب بمدح منها فعمرتا بالدهشة ولإعجاب شباب صهرتهم تحارب القهر والعب وحفاف الحياة ونصوب يلبيعها فتجاوزوا محبتهم وطورو دواتهم ونهزقو في كثير من المجالات لم ينتظروا حتى بأنبيهم رُخاء، أبحروا في مختلف الانحباب وأحرزوا كثيراً من النجاحات.

رددت على صاحبي لقارئ رسالته بصورة حاسمة وحارمة ومترفة فتنبت منه أخرى اعتذر فيها وأكد عدم صلته بالإماديين وأعرب عن حب عميق لبلده ولوطنه وعاش بمساعدته ذلك الجيل الذي أصابعه الأهواء السياسية إن حارنا لا نعوض في تلك الأجيال التي حارت عليها سلطات الاستبداد وأحلت بظلمها تعليمية وحرمتها من الحرية والديمقراطية



مدرسة سنار الأولية في عام 1908

أبله السمعة كالقرد الصغير

في منتصف سنوات السبعين وعال الضام المايوي عنى جبين الشعب اندفع جنود محمورون من حامية ريك انقريبة من مدينة كوستي يظلمون البار عنى الناس. فأصابوا بعضهم وريما قتلوا وحداً أو إثنين فزارع السلطة القصائية هي كوستي صباط حامية ريك تريد اعتقال الحية لتحقيق والمحاكمة والصباط يصرون على الاحتياط بهم في حر ساتهم. بثأت أرملة وصلت أباؤها إلى الخرطوم وسمع الأستاذ أحمد خير وكان شيخاً قد تجاوز السبعين ولكنه تحشم مشقة السفر إلى كوستي بلقوف على حدة الأمر وللدفاع عن حق الصحايا ولما دخل مكتب القاصي، عبدالمحمود حاح صالح، وجد المحامين والصباط جاسين يبحثون كمية الخروج من لأرملة، فسلم على المحامين وتجاهل المكربين وامتنع عن مصافحتهم ولما حاول القاصي أن يهه بلطف بوجود الصباط اعتذر بقوله: «يا سي لقد كبرت وكل مصري ويت لا أرى الكاكي»!!

28 مايو 2002

وسطاً ورأى أن يستثير بالمريخ ويهدي بالسوايق دون أن ينفيد بها، والعبرة بنظام هيئة تصمم لحريجين أما المستنسل فهو من شأن الأحيال اللاحقة»

كان أحمد حير هو صاحب الدعوة لتأسيس مؤتمر لحريجين في السودان، ولم يعتبر دعوته هذه ناتجة عن فكرة عنصرية أو إلهام. وإنما هي محصلة طبيعي لما تراكم من نشاط وتحارب أسهم فيه المعكرون والكتاب والشعراء، كما لم يتجاهل التأثيرات الإقليمية كالحركة الشعبية في مصر والشرق العربي وحركة «حرر العالمية» وهي مقدماتها «المؤتمر الهدي». كانت دعوته لهذه المؤسسة «في لعيت دوراً حطير وحاسماً في تشكيل مستقبل البلاد قد ظهرت لأول مرة في يونيو 1935، على صفحات جريدة «السودان» في خطاب مفتوح إلى «طوبجي» - خضر حمد - من أحمد حير لكنها لم تثر اهتماماً في أوساط المهتمين و«فادى الرأي» ولكنه عاد وطرحها مرة أخرى على صفحات مجلة «العجر» في مايو 1937 في محاضرة قدمها في نادي ود مدني عن «واجب سياسي بعد المعاهدة» يعني بها معاهدة 1936 وفي هذه المرة لقيت استجابة واستعداداً من جانب أعضاء المدارس الفكرية التي كانت تقود الرأي العام في مدن العاصمة ومقدو اجتماعات وبحثو المشروع حتى برزت الفكرة إلى الوجود

يسرعى انتهاء قول أحمد حير «إن الوطنية والأدب متلازمان» وهو قول دقيق من الناحية التجريدية عميق من الناحية الموضوعية حيث ظلت الثقافة والمعرفة - والأدب جزء من ذلك - عنصرين أساسيين لتطوير الوعي بالذات والإحساس بالمسؤولية تجاه الوطن والإنسان وقد تميز قادة الأمم والشعوب عبر التاريخ بالإهتمام لعميق بالثقافة والفكر وحركة التاريخ

كان أحمد حير أحد الأعضاء المؤسسين لجمعية ود مدني لأدبية التي شأت في صيف عام 1936 بعد أن نقل تجربته مدرسة أبوروف الفكرية عدد من أفرادها

أصوات

لموظفين الدين نقلوا إلى تلك المدينة شأت في قلة محدودة كأنها مجموعة من الماسونية كما وصفها أحمد خير وكان هدفها الأساسي هو انتشيف الذاتى ونهوير ملكات لكتابة ولخطبه وتحديث وتم يلبث لحال أن اردهرت وترددت أصداء بنائها في الصحف والأدبة الأخرى وياتت محدد لأنظار وموضع الإعجاب من جانب المشتغلين بالأدب والنصاي العامة كما أصبحت مصدر عرار ومحرر لمدينة لا يعمل عن زيارتها كبار المسؤولين والروار إلا أن السلطات البريطانية رأت فيها حمراً فعمدت إلى احترائها لتلمس الاتجاهات العامة وقيس درجة الوعي فكتمت صابط التعليم بمراقبتها فكان يصيق درعاً بمناقشة الشؤون المحلية والنظريات السياسية كالشيوعية والفاشية والديمقراطية ومن أهم إنجازاتها التي باتت جزءاً من التاريخ الفكرى والثقافى في القرن العشرين أنها أقامت مهرجاناً أدبياً كان بمثابة العيد القومى للبلاد فاردحت مدينة ود مدني بوجود الأدباء المشركين والأعيان لرائزين من الشيوخ والشباب وانتهالت برقيات التهنيت من بينها برقيات من السادة رعماء الطوائف الدينية. واندفعت سلطات المدينة مهروزة حتى لا يفوتها شرف المشاركة في ذلك للمهرجان وطلب مدير المديرية أن يبقى خطاباً خلال حفل الافتتاح ووصف أحمد خير ديث المهرجان بأنه أصبح عيداً وطنياً وصارت شعلته مثل شعله الأولمب عند قدماء اليونان تنتشر من مدينة لأخرى ومن ود مدني إلى أم درمان ثم الخرطوم فالأبصر وعطرية من هذا المناخ الفكرى العام والوعى المتعاظم بقيمة الثقافة انطلقت الدعوة لقيام مؤتمر لحريجين

صدر كتاب «كفاح جيل» في عام 1948 بعد أن حاض أحمد خير تجربة مؤتمر الحريجين كاملة حتى قيام لأحزاب لسياسية ولقي الكتاب رواجاً وإستقبالاً حاراً فلعبته كانت ملتزمة وعبارة مصادمة لا تساووم وقد شئ فيه هجومياً عاصفاً على الطائفة وعلى رعيميه . وعلى شيوخ الأهدية الذين شككوا التيار المعتدل.

ولم تصدر للكتاب طعة أخرى إلا هي عام 1970، إلا أنه ظل بغية السحير والدارسين المتخصصين وحديث الناس في المجالس وإن كان معظمهم لم يحصل عليه لندرة نسخته وصعوبة التوصل إليها

يعتبر أحمد خير أحد أعلام الحركة الفكرية والوطنية في السودان كان ذكياً عظيماً ذا عقيدة منقذة وعاطفة حارة وحماسة صادقة دفعه لأن يدحر السحر مرات أثناء فترة الاحتلال البريطاني. وقد ولد بمدينة ود مدني في نحو عام 1905 وتخرج في كلية عردون مترجماً في عام 1925 ولما افتتحت مدرسة الحقوق التحق بها بعد أن تقدم به العمر قليلاً وتخرج فيها عام 1944 واشتغل بالمحاماة وكانت أحمد خير من الرواد الأوائل بين الاتحاديين الذين إتحدوا اسعافاً مع مصر وسيلة لتحقيق الإستقلال وظلوا يباثون الإستقلاليين الذين كانوا يتشككون في نوايا السياسيين المصريين وشعار وحدة وادي النيل تحت الناح المصري ولم كان أحمد خير مردي لربعة متميز الشخصية حاد الطبع لم يستمر ملتزماً بالعمل في صفوف المجموعات الإتحادية فصار إتحادياً مستقلاً يحاصم المعسكرين مستخدماً قدراته الفكرية والسياسية. وقد صدرت به سلسلة مقالات شهيرة انتقد فيها الإدارة البريطانية ثم جمعها فيما بعد في كتاب سماه «أساسي لإجلاء في السودان» بقيت حدى في الأوساط لوطية إلا أنها كانت تنعى عليه مظاهر العودية وحدة لمراج وقد حال ذلك لاطباع دون مشاركته في الحكومات التي أمقت لإستقلال والتي استورر فيها من هم أقل منه قدرة وتصحية وإسهاماً في الحركة الوطنية.

وعند وقوع انقلاب نوفمبر ثم إختياره وزيراً لخارجية النظام الجديد الذي بات صديقه محمد أحمد أبوربات رئيس القضاء عرابه ومهندس القانوني رأى الوطنيون في شعله لهذا المصب خاتمة محزنة لتاريخه ووضحة في سجله الوطني، خاصة بعد مصادرة الحريات وملاحقة الوطنيين ونكهم الأقواء واتحاه

جميع القوى السياسية لممارسة نظام عرود

وبعد وقوع مأساة الكونغو واعتقال لوممبا وفتتاح موقف حكومة عبود المحري وجد الأستاذ أحمد حير نفسه في موقف لا يحسد عليه، كأحد دعاة الحرية والمناخير عنها وقد لخص الشاعر صلاح أحمد إبراهيم غصبة الشعب السوداني على هذا الموقف في مقدمة ديوانه «غصبة الهبياني» بقوله «أما من غصبة هربت إسانية أفريقيا وإسائها، وأقلقت ضمير الحرية ووجدتها مثل مقتل لوممبا وامتحن الكونغو ونحن في السودان نعرف كجوع بطوننا الحياة اسافرة التي رتبتها باسم حكومة التأمير العسكري من حدلان للوممبا باسم الأمم المتحدة ومحاصرة لأنطوين حيرنجا باسم الحيات إن لنا قصص من العار ومسؤولينا هي كل شعء مر به الكونغو وكل شعء جديد، في كل دم يسفح وكل حياة تظهر، نفذ أحرا قصبة الحرية في الكونغو، أحربها أعوان وأعوانها بما فعل عبود وأحمد حير وحسن بشير وبقية ألسه والانكشارية يبادق الأمريكان سيدكر سا التاريخ بالحري والنبه مع جنودنا لرئيس وزراء بلاده الشرعي من مخاطبة شعبه بأمر همرشولد وسيدكر سا التاريخ صديا للوممبا عن المطار ومعاندته باسم الأمم لمتحدة وسيدكر سا التاريخ إمسلا ما الحقيق الجبان لموبوتو هي متادي وسيدكر كذا التاريخ حبس الدرب وقطع خط الشمال - خط الإمداد الوحيد حتى ماتت حكومه ستانليبييل صرأ وفي إحدى لوممبانه يقول

العام الدبلوماسي الأنيق

يدبر الهمة في كوم من اللعظ رشيق

راحقا عن قولة الحق التي تمعد شعبا

في نيويورك صمير «العالم الحرا» الدس

في نيويورك التي ردت لوممبا

وحمت - فيمن حمت من قل - دنبا

ومما لا شك فيه أن مصر ظلت مهداً للحضارة طيلة عشرة آلاف سنة بينما كان بقية العالم يرحل في عذابات الوحشية والعباء البدائية ورغم ما تعرضت له من عمليات احتلال متتالية إلا أنها صلت لأمد طويل بلقش شعوب المتوسط من أعريق ورومان مبادئ التنوير الحضري.

ودكر فيحاك شاموليون أبو علم المصريين « أن القبائل الأولى التي استقرت في مصر - بين شلال أسوان والبحر - جاءت من الحبشة أو سار، وكان قدماء المصريين يتمرنون إلى جنس بشري مشابه تماماً لذلك الجنس الذي يعيش حالياً في النوبة. ونشير الكتابات الترحيحية إلى أن الموبيين هم أسلاف معظم سكان القارة الأفريقية»

وحاء في تاريخ ديودور الصقلي أن السودانيين يقولون إن الآلهة كانوا عليهم على تقواهم باستيازات عظيمة وجبتهم السقوط في أيدي العراة الأجانب، محافظوا على حرمتهم بمفصل الوحدة العظيمة التي سادت بينهم دائماً وقد فشن قمبيز الفارسي في عرو السودان وهلك حيثه بالكامل - فيما هو أشبه بالأسطورة - وبجاء هو من الموت بأعجوبة والملكة سمير أميس المشهورة بدكايتها ومضاء عريمتها توحشت شراً حين وطأ أرض كوش وأحببها من ثال متعاه صاحب أدراجها ورب كان إمتناع الأحياء عن عرو النوبة ناتج عن مخوف من قوتهم - فهم رماة الحدي - أو تقديراً لتقواهم فقد جاء في اليادة هوميروس أن أجوبيتر اليوم ، وبرفقة كل الآلهة يتقبل العرايين من الكوشيين فوجه فيها أيضاً وبالأمس ومن أجل زيارة كوش المقدسة إنتقل جوبيتر إلى شواطئ المحيط ومن فرط إعجاب الأقدمين بهم إعتقد ديودور الصقلي أنهم لم يأتوا من أي جهة أخرى وإنما سبغوا من الأرض قبل بقية البشر لموصيهم الحاشر تحت مسر الشمس.

ويعتمد المؤرخون أن كوش كانت مصدر لرجال يتفوقون على بقية الجنس البشري بارتفاع قامتهم وجمال تقاطيعهم وإمتداد أعصارهم، وقال المؤرخ النصفي « لا يوجد

البارية ورثة لحضارة اسودانية قديمة

«وبالأمس... ومن أجل زيارة كوش

المقدمة، إنتقل حوريش إلى شواطئ المحيط»

"إليدة هوميروس"

وصف الرحالة الألماني الجنسية فريديماند فيرن أفراد قبيلة نارية في جنوب السودان حين زار مطلقهم في 20 سابر 1840 مرافقاً لسكاشي المصري سليم قبودان في حملة لاستكشاف منابع النيل - وقال «إن ملامح هؤلاء النارية كانت لطيفة بصورة ملحوظة للظر وأنهم طوال لقامة أقوىاء السبة، أنوفهم عريضة بعض الشيء ولكنها ليست مفلطحة، بل على العكس من ذلك مرتفعة قليلاً، كما هو ملاحظ في أنف رمسيس الثاني، وأنهم كبير ممتلئ بمثل أفواه قدماء المصريين كما يبدو في تماثيلهم، والجبهة عريضة وعقوسة، والعيون بريقة صغيرة» وكشف فيرن عن مواهب الحياة التي كان يحياها هؤلاء البرية وأزوجه النشاط الاقتصادي التي كانوا يمارسونها، وأشار إلى حسن استعمالهم لموارد بلادهم الطبيعية المعدنية والنباتية والحيوانية وقال إنهم كانوا يتحرقون الحديد لحام من المرتصات ويصهرون ثم يكوونه في كتل متوسطة الحجم على شكل كرات - كما كان يفعل أهالي كردفان في غرب السودان ومن هذه الكتل كانوا يصنعون الآلات القاطعة والمعدات التي يحتاجون إليها في كدسهم اليومي وقال فيرن إن هؤلاء البرية كانت لديهم علاقات تجارية واسعة النطاق مع القبائل والشعوب المجاورة ولاحظ أن الدين والمعتقدات الدينية

لا تشغل حيز من تفكيرهم، إلا أن علاقاتهم ومعاملاتهم تقوم على أسس متينة من المحبة والإحياء والتعاون وسموك الرافي ورأهم يقبلون بعضهم بعضاً في مختلف الظروف والمناسبات، وتجدهم الواحد منهم يأخذ بيد الآخر عند صعوده انصار أو عند نزوله منه، ووصف الرحالة الألماني لقاءه مع سبها لبارية بقوله «وقد حصر السلطان لاكونو لمقابلة سليم على ظهر اسفينة تصحبه زوجته السلطانة أشوك وبعض أفراد حاشيته، وفرقة من الموسيقى ظلت تعرف حتى وصول موكنه إلى اسطاطي. وعند وصوله أصغت سبي الحملة مدافعها بحية للصيف الكبير وكان السلطان يردي قميصاً طويلاً واسعاً من القطن أرق اللون وبه أكمام واسعة طويلة، وهي وسطه حرام من القماش الأبيض والأزرق وحول رقبته عقود من الحجر الرحاجي وطواق من الأسلاك الحديدية الرقيقة ويصنع في قدمه حذاء من الجلد السميك أحمر اللون، وهي أصابعه خواتم من الحديد اللامع»

لم تفرق مظاهر العر والسلطان ولأنه الحقيقية عاهل النوبة لحظة، فقد جلس إلى مادة البكبشني سليم قبودان يؤاكلة متحدثاً أنى أنواع السلوك الملوكي والرفع متمسكاً بأداب المائدة ومتعاملاً مع حاشيته أثناء ذلك نوع من الاحترام والمطع والتقدير.

هد جزء من كل هؤلاء لم يكونوا حرية مسخرة بحصاريتها وإنما يجسدون حالة تاريخية تجاهلها الأوروبيون حين عروا العار. رعموا أنهم وجدوا شعوباً بدائية رعم ملاحظتهم بقايا حصاراة راقلة نبت في السلوك الإنساني الراقي ونظم الحكم المتقدمة التقو بموك رعاة وليسوا طعاة أنكروا ذلك كله ورعموا بوسائل الدعاية المختلفة أن أفريقيا بحاجة إلى مدينتهم المعروضة بالحديد والمار. وسعوا لنشويه شخصية لأفريقي المعنوية واستعداداته العسكرية لتبرير عدوانهم عليه.

للاقب دلائله - فما تقدم من حدث - وصف فيرن هؤلاء النوبة وشيخه ياهم بالمراسة، وليس هذا معرب على كليات امؤ حين الأقدمين، فقد ذكر الحزرج

أصوات

اليوناني ديودور الصقلي «أن السودانيين يقولون إن المصريين من بين جالياتهم التي أقامها أوريريس في مصر، بل أنهم يرعمون أن مصر لم تكن هي بداية التاريخ سوى بحر عمرة على إثيوبيا ندي جرفه النيل وحونها إلى جزء من القارة»

ويقول ديودور الصقلي «إن السودانيين يرعمون أن أبناءهم المصريين ملأوا عنهم حانبا كبيرا من قواصمهم وأنهم تعلموا منهم تبجيل الملوك كآلهة ودفن موتاهم في إحتفالات مهينة واد النحت والكتابة شأننا لديهم». ويقول الكاتب السعالي شبح أنثا ديوب في كتابه انشير للجدب «الأصول البرجية للحضارة المصرية»، إن المصريين والسودانيين إن لم يكونوا من نفس الجنس الأسود لسوء المؤرخ القديم ديودور باستحاله إغتنار المصريين من جالياتهم أي سودانيين إسبقوا في مصر فكانوا أسلافا للمصريين»، وكشاهد عيان أفادنا أبو التاريخ هيرودوت أن المصريين كانوا أفرقة سمر الألوان ثم أثبت بعد ذلك سراحة نادرة (وهو الإغريقي) أن اليونان أخذت من مصر كل عناصر حضارتها بما في ذلك عبادات الآلهة وإن مصر هي التي كانت مهد الحضارة.

إن تاريخ مصر بأمره يدل على أن اختلاط السكان الأصليين مع عناصر مدوية بينهم من العراة والتعذر كان يتر يد أكثر فأكثر كتب أقتربا من نهاية التاريخ المديم وجاء في كتاب «أبحاث فلسفية حول المصريين والصيبين بعلم م. دي بو أن مصر كانت مكتنزة في العصر المتأخر بجاليات أحسية من الأجاس البيضاء، فالعرب كانوا في قفط ولببوت في موقع الإسكندرية واسبهود على مقربة من مدينة هر كليس والبابيون في منطقة المحاجر الكبرى الواقعة شرقي النيل والكاريون والأيوبيون عند فرع دلت النيل الشرقي، كما كان هناك الطرو ديون الهاريون وقال دي باور إن هذا العرو السلمي بلغ أقصى مداه حين عهد الفرعون بسامتيث إلى ورق أحسية ومرزقه يونانيين مهمة الدفاع عن مصر» وبعد فتح لأسكندر لمصر اتسع مدى انصهار اليونانيين اليقضى مع المصريين السمر ليأخذ شكل سباسة إسيعف في عهد البطالسة

الموظفين السودانيين يعد مفتش المركز البريطاني.

ومن الطرائف التي أوردتها السيد عبد الرحمن عبد الله في كتابه ديث احديث المشاعب للسيد محمد محمود الشايقي وكين وراة الدحلية في عام 1954 للدعة الجديدة من بواب المامير - وكان من بينهم كاتباً ابن القاضي الشرعي - فقد حذرهم من عبأ بضرورة اتحاد الحبيطة والحدر عبد التعامل مع القاضي الشرعي الذي وصفه بأنه كفاء وقوي الملاحظة، ولكنه دائماً ما يكون كثير المطالب فيما يتعلق بصيانة الممر أو رعاية حديقته أو تسهيل مأمورياته، وكانت النصيحة باحتصار أن يندوا له بد العود وأن يحذرو في الوقت نفسه من مواجهة مشاكل إجتماعية¹¹

لا شك أن كاتباً قد نعم في طفولته بحياة سعيدة مسوعة كإبن أحد كبار الموظفين فقد ركب العطار - الذي أحبه - في زمن مبكر في الدرجتين العاهرتين « الأولى » و« اليوم » واستمتع بتلك الخدمات التي كانت تقدم في قمار ذلك الزمن الاستثنائي وأنحب له ظروف النقل أن يرى مداً كثيرة وصف العصار وصف محب كانت الدهشة تملأ أقطار نفسه العصة. راح له أن يعمل ذلك فقد كان العطار يشكّل عالماً محتلماً في ذلك الوقت.

وما دلت أذكر القطار وهو يمر أمام دار بمدينة كوستي حين تهدأ سرعته شيئاً عشياً محبي الركاب ملوحين بأدراج الحبة وبركض حماة مافات تطول وتقصر في موازته حتى يبال مأ التعب لقد ملأ عالماً في الطفولة وكان يستحرد عبي جرد من حياتنا اليومية رائحاً وعادياً. رأياً من حلاله وحوها وسحنات رجلاً وساء وأطفالاً أعرضاً ودهوقاً وعاريد ووهيات وساء فاكلات. وحلاباً يهتفون متظاهرين قادمين في إصرابت من حورطقت أو العاشرة أو عاندين في الإجازات في جمعيات مسرحية وموسيقية أو فرق رياضية وأياً جنوداً عاندين من عطلائهم ومباجين يتم بحويلهم إلى سجون أخرى كان يسعدنا حين يحمل إلينا أحياناً بعضاً من أفراد أسرنا وأهنا ندين بعملوب في مناطق العرب، وما ولما يعيش في ذكرى أسر ذلك

أصوات

موقع آخر في العالم عبر كوش صادق فيه حصارة بدت لنا مسيرتها مؤكدة ومحاطة
بمعالم الأسقية التي لا نزاع فيها، لأن معاصريها أفادونا حتى بمحاولاتها الأولى
ونظورها ونصوحها!

فالملوك الذين طردوا مفتصي عرش مصر اللبيين في عهد الأسرة الخامسة
والعشرين في حوالي عام 750 قبل الميلاد كانوا بالفعل ملوكاً سودبيين فقد إعتلى
شاباك عرش مصر بعد أن طرد بوحوريس العاصب، وقد استقبله الشعب المصري
بحماس باعتباره منهم وبعث للتقاليد المشتركة في إعمار تلك القرى التي جمع بين
الشعبيين، ونقل هيرودوت عن الكهنة لمصريين قوبهم إن من بين الفراعنة الثلاثمائة
منذ عهد نعرمر (عب موحد القطريين) حتى لأسرة الثامنة والعشرين كان ثمانية عشر
مزعوماً من أصل سوداني، وقد اعتبر المصريون دائماً بلاد النوبة وأعواد أفريقيا أرضاً
مقدسة جاء بها الأسلاف - وذكر ديودور الصقلي أنهم كانوا يحرقون كل عام تمثال
أمون ملك ضيعة باتجاه النوبة (أي السودا) ببضعة أيام ثم يعيدونه بعد ذلك للتدليل
على أنه عاد من النوبة.



إنسان من رعاء ابيارية في منفلا عام 1926

الشفافية وأنفاس الحكمة

عبد الرحمن عبد الله



كتب كثير من القيادات السودانية الذين تنوؤوا مواقع في العمل انعام من سيرهم الذاتية وعبروا عن رؤاهم وقرأنا جن ما كتبوا لمعرفة حقائق تجربة بلادنا وأسباب الإخفاقات التي لا نبي تحاصر حاضرها وبهدد مستقبلها إلا أنني ما فرأت تجربة إنسمت بالشفافية ووضوح الرؤية مثلما لافيت في مؤلف السيد عبد الرحمن عبد الله «للسودان الوحدة أم المرق» والرجل عالم داري بارر وخير دولي مرموق المكانة تسم عدة مناصب في بلاده وعلى الصعيد الإقليمي والدولي وهدم نموذجها متماسك لقدرات العثقف السوداني في المشاركة والكبح لمعرفةي بدأ مؤلفه بموحر عن جغرافيه وتاريخ السودان بصورة مكثفه مكثرا شككت حلقه متسقه مع السياق الأنبي والواصح أن لرجل قرأ كثيرا جدا قراءة عميقة صبورة مأنية شملت صروبا شني من المعارف قبل أن يمسك بالقلم ثم تكن قراءة ليله رضحها ولا اعطوقا للشدة وإنما إستيعاب مهصوم لقارئ كادح لا يصن بفسه على السهر الطويل. شك

أصوات

بالإضافة إلى تجربته الغنية المتنوعة في العمل الإداري في الدحل والحارج
إستشهد بمن كتب عن السودان وأورد مواجر جامعة تنم عن حسن إختيار وتصر

قال في شفافية نادرة - حلت معها كتب لآخرين - في حديثه عن الديمقراطية
وهي أي محاولة لمنح الديمقراطية فرصة حقيقية بأن المهم أساساً هو إدراك أنه لا
يمكن أن يكون هناك مجتمع ديمقراطي من غير ديمقراطيين فإن ذلك المر ولا
استثني كاتب هذه السطور - الذين قدموا يد المساعدة بتقرير أو إسمرار حكومات
غير ديمقراطية مهما كانت أهدافها وانجارتها ينبغي أن يتحملوا المسؤولية التاريخية
أمام ما لاقى ويلاقى شعبهم من قهر وتحلل يكتب ذلك بالشفافية، والتي هي نطق
محض إبتدعه حورباتشوف بديلاً للتعبير الطبيعي التنظيمي الصارم «السعد والسعد
الذاتي»، يشير إلى تحريره دون ريب.. فقد كان أحد المسؤولين الكبار الذين تقدره
مديرة وزارة مهمة في نظام سيري جاموانه من موقع لإداري الحادق وموظف
الخدمة المدنية الكفاء طاهر اليد وبنسان، ليسهم في صنع سودان جديد آمال
قعدت بها إمكانات الرعيم المتواضعة وأهل الباص الذين احتوروه حارب مقدمة
انكتاب لصيغه وجداية رنتها عدوية الحكي ورصانة الصم فتحدث من طعوتته ومراج
صباة بشوق وتحنان، فقد كانت ثرية متنوعة في كيف والده العالم الإسلامي
والقصبي الشرعي مولانا عبد الله أحمد يوسف الرطاطبي الذي قرأت عنه في مؤلف
الذكور محمد إبراهيم أبوسليم «أدباء وعلماء ومؤرخون في تاريخ السودان»، ما كتب
أعلم أنه والد السيد عبد الرحمن عبد الله وقد كان الرجل أدب قارئ بهما وممد
بمادته اشتهر بين أقرابه في الدراسة به «المحتصر»، ربما كانوا يعملون «محتصر حليل»،
وقد ألف كتاباً موسوعياً عن «نحيل» أشد إليه أبوسليم أيضاً وأسهب في وصفه وقد
تخرج في كلية عردون التذكارية من قسم الشرعيه في عام 1916، حين كان حريجو
دلت ائسم يفصلون على أقرانهم في الأقسام الأخرى ويرمقهم المجتمع السوداني
بسطرة فيها كثير من التوفير والإعجاب وكان القصبي الشرعي وأمامور من أبرز

للسودان حروب لموارد واهوية



د. محمد سالم

«الحرب القادمة ليست بالحرب الأولى
فقد سبقتها في التاريخ حروب وحروب
انتهت الحرب السابقة، بمنصرين ومهزومين
عند المهزومين جاع عوام الناس
وجاعوا أيضاً عند المصيرين»

مرتوت برشت

ترجمة الدكتور محمد سالم

أصوات

لفطار الهدر الوفور وصهارته التي تعبو عبد المسحى متجها نحو صحفة

حين بات على أبواب التحرح في مطلع الحمسينات كان يدعيب السيد عبد
لرحمن عيد الله حلم العمل في لإدارة الميدانية الذي كان حلم طفولته نسبة لما
كنت أشاهده من مميزات يتمتع بها الإداريون وأما رفي والذي، موظف الخدمة
لمدينة الذي عمل في عدد من المواقع المختلفة وكان هناك مرل لمأمور التوسع
الأرجاء بأشجاره الوارفة والخدم بحبوب أنحاء و لمساجين يعتنقون وحدائقه ورجال
الشرطة وموظفون آخرون بملابسهم الرسمية يهرون وراءه في كل مكان، أما
لمعشش الإنجليزي فهو دينا كانت قائمه بداتها، يعيش في عزلته المحتارة في مرل
فسيح في طرف المدينة وكأنه إقطاعي كبير

وقد رصد في حديثه عن تاريخ الإدارة في فترة الحكم الشائي تجربة المعشش
الإنجليزي بني لا يفتأ كثير من السودانيين يذكرونها كلما التفتو وأو حيشا جرأراً
من الإداريين اليوم يتراحمون في الحصول على الامتيازات والمميزات والرفقات
يجمعون كثيراً ولا ضحاً يرى ولا عبار دقيق يذكرون المعشش ذلك الشاب
لإنجليزي الصارم النظرت الذي نه في كل مشهد حضور وهي كل موقف رأي
قاصع يوجه المحاضر ويعد المحاكمات ويمس الحضورات بحسب البودي
ويتنقد الأسواق غير أنه لما يلاقي من ساعب وما يعيشه من رهق وكأنه بطل العرب
لأمريكي الذي لا يقهر ولا يموت.

التقى الإداري الشاب بعدد كبير من نظرائه الإداريين الذين سبقوه في الميدان
وتركوا لديه إطباعات عميقة لا تزل وقد استأثر حسن دفع الله وداؤود عبداللطيف
بكثير من إهتمامه. وقد وصف داؤود بحدة الذكاء وسعه الإطلاع وروح المرح
والدعابة والحسكة في العمل وعدم الالتفات لأساليب الميروقراطية وقال إنه أعلمه
مره على خطاب سري تلقاه من زميل له رفيع المستوى في الرئاسة يأمره فيه بنهج
عبيدة بعدم مراسلة وكيل وزارة أخرى مباشرة. وكان رد داؤود الساحر أنه روى له

كف كان ذلك الرسل لا يستطيع إلا الإمساك بالسديّة رأس على عقب خلال التدريبات التي سبقت التحاقه بالعمل الإداري وقال إن داؤود كان يصف حاكم المديرية العسكري المعين آنذاك بأنه «العسكري الحكيم» سحر وصجراً كما علق على شكوى من موظف صغير ضد مساعد له لا يحبه أحد بقوله بلهجته البوية الفريدة «إنه مرؤوس جيد ولكنّه رئيس رديء».

كانت تجربة عبد الرحمن الأوسى بعد تخرجه في لجامه عام 1954، في مركزي الرنك ومينال بمديرية أعاني السيل ثم في فحاك وسط فيلة السور التي أحسها وظل وب لعدد من أفرادها حتى بعد أن عاد إلى مناطق أخرى ولم يكن بعيداً عن مشكلة جنوب السودان وظل لصيقاً ومادياً لتطوّراتها، كما ظل يؤمن إيماناً عميقاً بوحدة بلاده وإمكانية حل النزاع إذا تمّ احترام حقوق الإنسان الأساسية من خلال الممارسة الديمقراطية الصحيحة وفتسم لسلطة ويرى أن العوامل الرئيسية التي تبدو شاحصة للعيان وتعرقل الوفاق هي بالضرورة عوامل عدم الثقة والجهل وضعف الإرادة السياسية لحل الخلافات ويدرك أن موضوع حق تقرير المصير الذي بات مركز اهتمام متزايد لا يمكن تناوله باستخفاف أو سبغه من خلال إنفاذ حرية أو حلول قصيرة الأمد قد تشق صفوف السودانيين ويؤكد أن حق تقرير المصير قضية بالغة الأهمية ليس من حق أحد سوى الشعب السوداني بأنجمه، أن يقرها أو لا يقرها، بصرف النظر عما يصمره العيب وبقدّم رؤيته للنزاع الذي يعصف ببلاده ومقدراته بعمق وحكمة وبساسة حالة من لتفعل ولتصير لأخوف ويرى في الدماء التي سالت وهرعن لتي صاغت أساساً بوحده مجملته . فمحرو الحوييين بوسعهم نحو الشمال وانتشار التعليم قد يحقق من انغلاء ويدفعان نحو لوحدة والاستحجام ويرى ضرورة أن يهتم السودانيون بجوانب اتّوحد وليس الانقسام وأن تتركز الجهود الفكرية على تشجيع التفاعل الإيجابي وديناميكيته من أجل صير الأمة.

كتب السيد عبد الرحمن عبد الله مؤلفه باللغة الإنجليزية تعجاء نصاً ممامكاً

أصوات

عشود العري محدّد لكساب و لأهداف مما انعكس إيجاباً على الترجمة التي
اصطلح سميتها أستاذ المنتدب الفائح التجاني فأحسن الأداء

25 يونيو 2002

الكتاب الذي صدر أخيراً بعنوان «السودان - حرب الموارد و لهويته» لمؤلفه المفكر والمنعقد الموسوعي السوداني الدكتور محمد سليمان يصح جميع السودانيين أمام مسؤوليتهم التاريخية في هذا المنعطف لحادث الخطر إنه صبيحة من أجل وقف الحرب وتحقيق السلام. ليس سلام التسويات المؤقتة والترصبات الفردية إن السلام المقام على العدل وتوزيع الثروة والسنطة وهو يحاول تقديم رؤية تحليلية جديدة غير ما ألقا من أفكار السائدة التي تتناول طبيعة اسراعات المسلحة والحروب الأهلية التي إستشرت في بواحي السودان . كما أنه انسم بالفعل التوثيقي لينحاور القاص الذي صاحب المرحح التي فصلت بالمحنة التي تهدد كيان السودان ووحدته كما نعبر لأول من بوعه في مجال علم الأيكولوجيا السياسي

تدول المفكر محمد سليمان قضايا انصراع في السودان في بساطة وبسر وأعادة إلى أسبابه الحقيقية وطالب أبناء شعبه بالتأمل فيها ليخرج من دوائر الموت التي لا تسمى قنداح وتنتفع لتبتلع حيرة الشعب وتكرس مردياً من المحن والصعائش وترزعزع الأمن القومي وتمرد لسيج الاجتماعي، وركز المؤلف جل اهتمامه على الإنسان السوداني وأبرز مصالحة لاساسية وحقوقه المشروعة . كما طالب مثقفين وطنه أن يصنعوا على عواتقهم واجب إزالة علامات شعبهم والمساهمة العملية في الخروج من دائرة الحرب والتخلف دون الإيعاس في التصورات الأكاديمية المنجدة أو لانكفاء على الذات في الأبراج العنجية

قدم المؤلف صورة يائسة وواقعاً مضطرباً ومجائع مائه وأخطاراً اقتصادية واجتماعية وثقافية وبيئية نانت تمرر نتائجها السلبية المدمرة، في كل معصف وتتحلي في كل مظهر من مظاهر الحياة اليومية.

وقف الدكتور محمد سليمان في عدد من المسابر الأكاديمية ذات الاختصاص في العواصم والمدن الأوروبية خلال السنوات الماضية - وهو الخبير في شؤون الأيكولوجيا السياسية ومدير مركز لبديل الأفريقي في لندن منذ عام 1990 -

يتحدث عن محنة بلاده ويساهم بفكره في كيمية الحروب من هذه الأمانة ويدعو للتفكير في إمكانية إعادة ترتيب أجددة الحرب والسلام في السودان عبر قراءة جديدة نبواتها وتجلياتها في ضوء معايير تختلف عما هو متداول

سأول الكتاب بشكل عام العوامل السياسية والاقتصادية بمعطيات الرايات والصراعات الأفريقية والمفاهيم السائدة لتفسير بواعثها وربط ذلك بأبعاد الواقع السوداني- كما أبرز آليات الصراع الاجتماعي الناشئة عن تلك التعيرات، وتحدث أيضاً عن مبركات الواقع السوداني واندياحه على الأصعدة الإيكولوجية «البيئية» والاقتصادية والاجتماعية والثقافية كما ألقى الضوء على القوى الاجتماعية المستهدفة من تأجيج نار الحرب الأهلية.

واشمل الكتاب على الملامح الرئيسية لمسار عمليات الحرب والرايات المسلحة في الجنوب وحيال اسوة والأنقسا وشرق السودان ودارفور وأثار تلك الحروب والظروف انماحية وما نتج عن ذلك من «قتلاع» وبروح مجموعات سكانية كبيرة متبانية في حتمياتها الثقافية والاجتماعية لذلك يعتبر هذا انكتاب محاولة لفهم السرعات الدموية بين لجماعات بشكل عام بتجلياتها الأفريقية من خلال تفصي مظاهرها في بعض مناطق السودان، وليست هذه المساهمة سجلاً كاملاً لحالة الحرب والسلام في السودان وإنما تسعى لتحديد السمات العامة للظاهرة في كل جزء من أبحاثه مع توثيق بعض الأمثلة المحددة ويحاول لكتاب في الوقت نفسه أن يوجه كثيراً من الإهتمام للأثر الاجتماعي الذي يشأ نتيجة لتحويلات السلبه التي تتعرض لها اسينته الطبيعية مما يشكل عاملاً مهماً لتأجيج الصراعات الدموية، ويرى أنه ما دام الترددي البيئي وشح الموارد يؤثران بصورة فعالة على طريقة حياة الناس وعملهم له فإنه من الضروري معالجة الشؤون الاقتصادية والقرارات السياسية ذات الصلة لتقويم أثرها على العنف في المجتمع

وبظل أنص من احتوى عليه هذا الكتاب القيم هو التركيز على مأساة الريف

أصوات

السوداني الذي أريست عابته وتدهور العطاء النباتي فيه نتيجة لتوسع الجائر في الزراعة المصرية (18 مليون فدان زراعة آلية مملوكة حوالي ثمانية آلاف أسرة مقابل تسعة ملايين فدان زراعة تقليدية يمتلكها أربعة ملايين مزارع صغير) وأكد الكتاب أنه بحلول عام 2002 ستعرض كل العيادات المستندة في شمال السودان ست مرات مساحة فرنسا

وكشف الكتاب أن السودان فقد 17 مليون هكتار (40 مليون فدان) نتيجة لتعرية التربة جراء الزراعة المطرية الآلية -التي تتسم بالهيب وأنصحى أكثر من سبعة ملايين شخص يعيشون تحت خط الفقر حتى بالنسبة للمقيمين السودانية، بينما فرح حوالي أربعة ملايين شخص من مناطقهم إلى أواسط البلاد حيث الأمن العدائي أفضل نسبيًا، بالإضافة إلى ثلاثة ملايين شخص فقدوا رؤسهم بسبب الحرب والمجاعة وجاء في الكتاب أن الحكومات المتعاقبة منحت ملايين الأفدنة للصفوة السودانية وشركائهم الإقليميين والعالميين على حساب سكان الريف، وذلك في شرق السودان وجنوب النيل الأزرق وجبل النوبة وأعالى النيل وغيرها من المناطق في حزام السافانا الواقع بين خطي 7-15 شمالاً، ودون صحيح تقوم حكومة الجبهة الإسلامية بتوزيع ملايين أخرى من الأفدنة على مؤيديها، وأورد مثالا لشخص واحد منح حوالي نصف مليون هكتار (1,040,000 فدان) بل وفي مشروع في حبر ماء جونغلي بوقت طويل كلمت الحكومة شركة هولندية بإعداد دراسة جدوى اقتصادية للتخطيط الزراعي لمنطقة السدود مما أثار لمحاووف لدى السكان المحليين الذي حملوا لسلح لحماية بيئتهم من النهب والتدمير وصمان بقائهم فقد بدأت بحرب الأهلية الثانية بالهجوم على حصرة قناة جونغلي وبصرب مشأا شركة شيمرون لاستخراج النفط فهل لحرب التي تدور حالي هي صراع بين العرب والأفارقة وبين المسلمين والمسيحيين أم هو نزاع على الموارد في المقام الأول؟! إن هذا الكتاب الذي يفض بالمعلومات الموثقة يؤكد أن الأسباب الحقيقية لإمتداد

هذه الحرب هو الصراع من أجل الأرض والنفط والمياه ويقول إن عائد النفط أهم عند حكومة الجبهة الإسلامية في الخرطوم بما لا يماس من دحرج آلاف الجنوبيين الإسلام ولم يعمل الكتاب دور الهوية في الصراع حيث لاحظ أنه يتعاضد مع استمرار التناحر والقتال فكلم طال أمد الحرب كلما أحدث قصايا الهوية مكاناً متقدماً في وعي وإدراك المقاتلين من الجانبين

قدّم للكتاب باستهالة هادية الدكتور صلاح آل بدير- مدير مؤسسة المجتمع المدني السوداني بمدينة كيمبرج بالمملكة المتحدة وأثره بالشروحات والحواشي كمساهمة رائعة في هذا العمل المختلف

2 يناير 2001م

حروب الموارد.. المؤلف

لَمْ أجد موعداً للاستمرار في عرض لكتاب القيم «السودان حروب الموارد والهوية» مما أوردته في الأسبوع الماضي يكفي فلس في حالة عرض لمحتوياته والمهتمون بسارعون لافتتانه باعتباره وثيقة لا غنى عنها. احتوى أحداثاً متلاحقة لا تملأ تترى ويطل الجرح مفتوحاً عميقاً ناراً ومائلاً لا يعري حتى السطح بسببه كما أنه من الصعب حترانه لأن كل سطر فيه بل كل كلمة حديده بالتوقف والتأمل فالصراع المسلح المرير والحرب الأهلية العاشمة تمتد وتشعل مناطق واسعة من بلاد السودان ترافقها المحاجات وانتشار الأوبئة والأمراض والتفكك لأسرى والمرارات التي تشكل موعداً من تفلح سموت طويلة من السلاء في إراتيه هذه الكتاب يؤكد أن كثيراً من المثقفين السودانيين لا يمعن لهم جس ولوطن يواجه خطر السمق والجرثة وإن كان هناك م يحمي لهذه السوء العجاف التي احتشد بالأهوان ولأحدث الثقال هي البقطة التي انتظمت قطاعاً واسعاً من المثقفين فكتبوا ووثقوا وأعادوا النظر في كثير مما كان يُعد صرياً من استسلمات وقدموا مساهمات جليلة من شأنها أن تشكل أساساً راسخاً لإعادة بناء لوطن وكانت اندكور محمد سليمان واحد من هؤلاء وإن لم يعب عن ساحة العمل الثقافي والفكري والسياسي حيلة لعقود الأربعة الماضية أي مد أن كان في عصارة الصب ونصح الوعي هي تلك لسوات العاصفة سوات برشت الذي ترجم أشعاره هو من الألمانية.

وردت المدن زمن الفرص

حيث نفشى فيها الجوع

وعم القحط

وحشت الناس أوان الثورة

زمن السخط

مسحطت، عصبت وإياهم

أعلنت الرقص

وأكرب فساد الأحوال

في هذا الدرب، وعلى هذا الموال

قصبت الوقت الممروح إلي على ظهر الأرض

وبد الدكتور محمد سليمان بأم درمان في نفس العام الذي شهدت فيه العاصمة الوطنية نشأة مؤتمر الحريجين العام. تلك المؤسسة التي لعبت أحضر دور في التاريخ السياسي المعاصر بالسودان. كانت تتويجاً لكل ما اعتُمل في القوس منذ دخول نعرأة البريطانيين فاتحين. ثم تزامنت مرحلته مع تطورات الحركة الوطنية ومناخ الحرب العالمية الثانية، وما استق من أحداث وتطورات دستورية واحتدام الحركة الوطنية التي أفضت نتائجها إلى إستقلال البلاد

كانت قد هبت رياح جديدة عدة الحرب ووقدت أفكار مختلفة مع تصورات السوفييت في ستالينجراد ودحرهم بلنارية وتشكل وعي حديد عبر لذي أُلغته الجمعيات الثقافية التي تشكلت من بواها لأحزاب السياسية ونشأت حركة نقابية عامرة

كان محمد سليمان في تلك السنوات طفلاً عرياناً يقضي أوقافاً جميلة في عبة المسط معجورة للحي بعرب أم درمان - كما تناول ذلك في كتابه معجسد النعيرات

أصوات

الإيكولوجية العميقة التي هزأت على أسلاد يطارد الحيوانات الصغيرة ويجمع
أشجار البرية والحشرات الملونة ويعود إلى مدار يطلع من أثر طعاب لأشوك في
باطل قدميه الحافيتين يرعبه غوء الصباغ اندي يتحارب قبل لمعيب

عندما التقيته في العاصمة البريطانية في صيف عام 1999 فاجأته بأنها كُنْ تعرفه منذ
سنوات ندراسة الثانوية في مدرسة المؤتمر بأمر درمال حيث كان شقيقه الأصغر
الدكتور فتحي يتفقدت بعامين وكيف أنه نتج من كنور مكتبته التي تركها بالسودان
أيام دراسته بألمانيا ورويت به كيف تملككت لدهشة وانعجب ونحن نطالع لأول
مرة - أشعار ناظم حكمت وريس آر جون وديويروود وبول إيلوار وولت ويتمان ونبي
اسر إيسون وميكوفسكي وعد الوهاب الباني ونذر ضاكر الباب وبسد الحيدري
ومحمد صائح بحر العلوم وعبد الرحمن الشرقاوي وصلاح عبدالصبور وتاج اسر
الحسن وجبني عبد الرحمن ومحمد انصيتوري وكنابات إريست هيمحواي وعمرانو
كافكا ومكسيم جوركي وشايبك وريشارد رايك، وغيرهم كانت تجربة ثرية ملائمة
وقدراك بالرهو والإحساس باملاك الحقيقة ما أن انتهيت حديثي حتى تصل
اندكور محمد سليمان بشغفه فتحي المقيم بالمعات وسادس معه بعض من دكرير
تلك الأيام

كُنْنا مجموعة من الأصدقاء، حين لبب دعونه لعشاء في داره العامرة بالكتب والشعر
وحب الآخرين كان المطر يهمني حين استقبل بمودة وحرارة وجلس يتوسطنا
مشيع جواغب بالألفه والصدافة كان يقضي فترة نقاهة بعد صراع مرير مع مرض
لنيم قدومه بروحه المقدامه ومؤامرة أصدفائه الذين لارموه في كل لحظة وأحد يقرأ
عليها بعض أشعار برنولت برشت التي ترجمها إلى العربية وكانت قد صدرت لتوها
كأنفس ترجمة للشعر لأجبي ترجمة لاتماهي مع النص وحسب وإنما نكتب
روحاً خصوصية متولبة صادرة من ذات شاعرة ومبدعة كانت تلك الليلة ليلة للشعر
والمطر والأصدقاء الثالث الذي يسعد نكاتب.

بقي محمد عليه الأولى والأوسط في حي العرب بأم درمان والثاني ما بين وادي سيدنا وخور طقت أما تعليمه الجامعي فقد تقاسمته جامعتا الخرطوم وفريدريك شوبر بألمانيا، وقد حصل على درجة الدكتوراه في الكيمياء الفيزيائية كما حصل على درجات علمية في التعليم واللغات التي يجيد منها العربية والإنجليزية والألمانية والعربية والروسية وعمل محاضراً ثم محاضراً أول ثم أستاذاً مشاركاً في جامعات الخرطوم وحوبا وألمانيا وإنجلترا. وله ثمانية مؤلفات وقدم حوالي خمسين ورقة علمية (ركان مؤلفه الأول قد صدر عام 1961 باللغة الألمانية والأخير عام 2000 باللغة العربية) ويجري الآن أبحاث حول الصراعات المسلحة في منطقة القرن الأفريقي حيث يعمل مدير المعهد الدبيل الأفريقي منذ عام 1991 ويعيش الآن في إنجلترا مع زوجته الدكتورة فاطمة بابكر محمود ووحيدتهما صر لهي تدرس الصوت التطبيقية في جامعة بيرمنجهام. كرس حياته للعلم والمعرفة والدفاع عن قضايا أمته. ولم يؤثر حياة الدعة والراحة في بلاده أو في العواصم الأوروبية ولكنه ابصر يقاتل دون ما يراه حقاً للمستضعفين فدفع ثمن ذلك عالياً سجوناً ونهباً وتشريداً

احتتم مقدم كتابه الدكتور صلاح آل بدر ذلك الاستهلال بقول رائع «أم المساهمات الرصينة مثل ما يقدمه المفكر محمد سيدمان في هذا الكتاب فهي كعملية السمو الواعدة الصابرة، رغم شاطئها العائق لا صوت لها ولا يحس بها إلا القليل، فمن سمع يا ترى صوت سمو الشجرة السامقة لوارفة الظلال»

9 يناير 2000م

في حكايات كانتربري السودانية

برامبل.. المستبد العادل

كان الإعجاب برجال الخدمة المدنية والعسكريين البريطانيين قد بلغ دروه مع بلوغ الإمبراطورية شأواً لم يسبق أن حدث مثله في التاريخ وقد تضمن كتاب «فيكتور يون مالمون» مؤلفه ليون استراحي أربعة معادج ماطعة عبرت عن تلك الفترة المهمة في تاريخ بريطانيا. كان الجنرال غردون أحدهم وقد أضاف استراحي الثناء عن حقيقة تلك الشخصية التي جمعت بين القسوة والتمسك وإن لم تحل من روح الأخلاقية المسيحية التطهيرية. أما برامبل فقد كان طاعية صغيراً لم يتألق إلا في حدود مدينة أم درمان التي لا تزال تذكره. حكمه بيد من حديد كان رودولف سلاطين قد سبقه في الشهرة في تلك المدينة التي عاش فيها سنوات أسره ثم إتحدتها مقراً له حين عاد مفتشاً عاماً للسودان. إلا أن برامبل ترك بصمات أكثر عور في قصبات المدينة، الشارع والسيما ودكربات سلطه وعدنه وموكبه انصباحي في أحياء المدينة والسوق

أسموه برامبل به - هكذا أطلق عليه بعاقة إجلالاً ومحبة رغم قسوته وتشددّه في سبل تطبيق القانون وحرص النظام مات كل الذين رأوه وكانوا راشرين، وحتى إذا بقي منهم أحد قد لا يستطيع أن يقدم صورة كاملة عن ذلك الرجل الذي شغل ناس أم درمان لعدد من السنوات. إلا أن مسر إليوت بالفور - مفتش المركز السابق بحكومة السودان - قدم به صورة حيّة وكافية عن شخصية برامبل الذي عمل معه فترة بمرکز أم درمان. قال بالفور إن برامبل كان يعمل في البحرية الملكية حتى وصل

إلى رتبة رائد، ولكنه نسي معظم سنوات حياته العملية بعيداً عن الررتين العادي وكما حدث للجنرال عردون فإن اسمه قد سمع في لصين حيث كان يعمل وربما كان قد جاء عن طريق الجيش المصري حيث بدأ خدمته في السودان بين قبيلة النوير وأو عذم عرقته كان يعتبر ملكاً غير متزوج لمدينة أم درمان وكان أهلها يحبونه ويعدونه لأنه على الرغم من ذلك القناع لمشدد كان هو وروجه قد ندرا نفسيهما دون حدود بتحسين أحوال الرعية كان المستر برامبل يهتم حقيقة بالحرف المحليه وسبح فعلاً في تطوير أعمال العصبة والجلود إلى مستوى ما كان يمكن تحقيقه يدرك الأمر للمعهد المحلي»

ووصف بانفور الموكب اليومي لدلت المفضن معينين بريطانيين لا كما كان يراه السودانيون بالطبع. وقال إنه في تمام الساعة السادسة صباح كل يوم كانت تحتشد أمام منزل برامبل مجموعة من رجال الشرطة بزيهم الأبيض المصنع، وبعض الموظفين السودانيين يدين يعتطون الحبول كالمأمور وصابط الشرطة بالإضافة إلى عدد من شيوخ لحارات يركبون على الجمير وعندما تعلن الساعة السادسة تماماً يرحل برامبل منتظاً صهوه جواده ومرتدياً خوده «برلي» التي وضع عليها شعار المديرية رأس بل من الفصه على أرضية حمراء لامعة، وجاكتة من الجردين مع أشرطة الرمة على الكمين، والحداء المبدائي والمهماز. كان هذا هو الري الرسمي المحصن لحولة المدينة وكان يفرض أن يكون بالفور دائماً مرتدياً نفس الري ينتظر برامبل مع الآخرين ولكن في أحد الأيام وصل متأخراً فبادره برامبل بقوله «أب يا حبيب الجحيم، لديك زرار فاتح»، ومد تلك اللحظة لم يصل متأخراً، وروى بالمر أنه قد حدث مره في إحدى الجولات بسوق المدينة أن مروا بمجموعة من النسوة اللاتي ما أن رأينهم حتى أطلقن برعاريد وتكرر المشهد ثلاثة أسابيع متتالية وما كان الأمر ليبتلي على برامبل ندي أوقف حصانه في المرأة الأخيرة، ونادى «يا عوض الكريم» فأمرع إليه الباشجاويش عوض الكريم نريه الرسمي الكامل

أصوات

وسيفه يصل على حاضرة المرس فأمره برامبل بالقص القص على النسوة وأخذهن إلى المركز ولما عاد إلى مكتبه وقدم إليه استطاع أن يستريح عتافهن بأن الجرارين قدموا حمسه قروش للوحدة منهم حتى يصدرون تسبيها بالرعايد مدى مرور موكب لعقش ليستعدوا بتعطية اللحم بالعود حتى لا يصبح هدفاً للدياب ولكن قد دعين في البداية بأنهن يرعدن إعجاباً به وبعده، إلا أن ذلك لم يقع الرجل الداهية

وقال بالفور إن لغة برامبل العربية كانت محدودة وكثيرة الأخطاء، إلا أن ذلك لم يؤثر على رباطة جأشه حين يتحدث بالأحري، وكان يذبح ثلاث عبارات مفصلة يستخدمها دائماً «دا مموع» «مش ممكن»، «وأنت محبوس هسح» أما إذا استدعى الأمر الإسمرار في المحادثة فينادي مترجمه هاشم ويقول له «كلمه يا هاشم كلمه»، فيتولى هاشم الترجمة سبيل من الكلمات العربية، فيقول برامبل «أتمم» فهت الأله أذهب بسلام»

وروى مستر بالفور أيضاً أنه حين انتشر مرض الجسري ذات عام بأمر درمان كان ليس يتهربون من التطعيم. وحدث أن احتشد جمهور عظيم في هدء المركز بمتابعه إحدى القصص الملهمة، فما كان من برامبل إلا أن أمر بإغلاق أبواب المركز واستدعى ممرضين من المستشفى على عجل ومعهم معدات التطعيم وعلى الرغم من الحاجة التي كان يمكن أن تؤدي إلى نوع من الشغب إلا أن الجمهور استقبل الموقف بصحاح يشوبه برع من الكأبة ومدوا أذرعهم جميعاً للتطعيم.

التقاء بالفور بعد فترة من نقله من مدينة أم درمان حيث عاد إلى العاصمة لأداء امتحان اللغة العربية بدي تعبته الترقية، فقال له برامبل أنت تحتاج لكلمتين عربيتين فقط فتوقع أن يسمعه عبارتي «دا مموع» و«مش ممكن» إلا أنه في هذه المرة قال له «الشدة مع العدل»

احتشد كتاب الحكايات كاتريري السوداوية بأكثر من عشرين رواية لمربطاسين

في الثقافة السودانية

شغلوا وظائف في مختلف المهن بالسودان وقد صدر في مركز عبدالكريم ميرغني الثقافي بأم درمان في ضبعة فاحرة تسمى الشمس وتسعد القلب ويعم الروح جمعها وحررها دونالد هولي -الإداري البريطاني السابق في السودان- وقام بترجمتها الأستاذ محمد أحمد الحضرة التوم فألى وأحسن.

حدثت جميع من كتبوا بحب نادر وأعجاب شديد بالسودانيين وأكدوا أن السموات التي قصوها بالسودان كانت من أسعد فترات حياتهم وقدموا لنا بحارب ناصحة وصوروا نادرة عن سودان ما قبل الاستقلال

27 مايو 2003



سلاطين مرتدياً ربي الأنصار بعد هروبه إلى مصر

الأميرة نصره وحوريات ماربحة

ما كان بدور بجلدنا أن قرية السورية الواقعة بالقرب من مدينة ود مدني كانت محتضنة قصرًا متيناً شُيِّد على طراز أحد المعابد القديمة يربطه لأثاث والرياش الفاخر وبعض بالحواري الحسناء ونقدم فيه أطيب أنواع الطعام التركي كان ذلك قصر الأميرة نصره بنت عدلان سليلة ملوك سمر الدين هوى سلطانهم بدخول العرة الأتراك في عام 1822 كانت الأميرة نصره قد تجاوزت الأربعين بارة انجمال داب بشرة صفراء تشوبها حمرة ذهبية أحادة استطاعت بسهولة ويسر أن تتسجم مع نظام الحكم التركي الجديد وتنفصل سديته في مقرها وتقيم مع بعضهم علاقات تجاورت كل الحدود هي واسته رعم أنهما كانتا مفترشتين برجلين من كبار الأعيان الذين تعاونوا مع الأتراك وفي ذات ليلة قصص خمسة من الأوروبيين كانوا يقبضون بؤ مدني قصر الأميرة وبمجرد بؤهم من الخيول أحاطت بهم الحواري الممسات يحملن آية انقرع الجمجمة المربية بالمقوش والملاي بشراب الأبري وقدمها وفقاً لطقوس معيته وكانت الحواري يربدين الرحط وهي سيور كثيفة من الجلد تسر ما بين السرة والركبتين وكى يدين بالأسورة والحجوة وعقود ذهبية من الحرر وتدللى من رؤوسهن على الوحوه ميداليات ذهبية رادتها رونقاً وجمالاً. ولما حن الليل حاولت الأميرة نصره أن تبغ بالأوروبيين اثنين من هؤلاء الحواري الممونات إلا أن الصمفة لم تتم لأسباب مالية خاصة بالروار وفي ماربحة كانت أيضاً الأميرة نصره تمتلك منزلاً يحيط به حديقة صغيرة بالإصافة إلى عتبة من أشجار السط الكثيفة المحصره تصمي على المكان منظرًا خلابة وفي مشهد آخر دخل بعض الأوروبيين تلك العدة ملاباً للصيد فمادتهم الصده إلى شاطئ ليل ليبدأوا بعد من الحواري المرححات يربو على المثبتين يسبحون ويفسلن الملابس وينوثن في الرمال وبعضهن يتنقن

حلف الأشجار مثل الحوريات كانت تلك الثبت من جوازي الأمراء التي يبدو أنها احتفظت بحر الملك والسلطان حتى في ظل تلك المحاولات الاستعمارية العميقة.

استطاع رحل أوروبي مجهول الهوية أن يسجل تلك لمشاهد من الحياة السودانية في النصف الأول من القرن التاسع عشر. ما كنا نستطيع الوقوف عليها نولا العنور على مخطوطه الذي قام بترجمته من الإيطالية إلى الإنجليزية ريتشارد هيل وإلى العربية الأستاذ عبد العظيم محمد عكاشة فبحس ما رلنا نتوق لمعرفة المزيد عن التاريخ السياسي والاجتماعي للأمة السودانية ويبدو أن المؤلف الإيطالي الجسيه عاش بسيف بين الناس مد وصوله إلى السودان في بداية الفتح التركي عام 1822 م ولم يتأثر بأوساط السلطة الحاكمة في رؤيته لتلك الأحداث التي صاحبت الفتح ومحاولات تجسيد عرابه فوصف رجال قبائل الديك والثلث بالشعب في مواجهة الجيش الغاري الذي ظل شى عارته لصد لرقيق وانتقد سرورية مهادج أخرى من السودانيين الذين تدافعوا بالسكاك للحصول على الرخصة وكسب المال بالتعاقد ومعالجة الحكام الظالمين الذين وصفهم بالفسوة والسيطرة والاسياد تناول المص أيضا الوفة الأسطورية لأبناء شرق السودان أمام القوة التركية الغاشمة التي حاولت إحصاعهم بأخط لأساليب كم تناول تمرد عرب رفاعة أبوروف والشيخ أبو ريش (عرب نحمدة) كم تطرق مؤلف لوصف عادات السودانيين ومعتقداتهم وقول الطبخ لديهم وإكرام الصيف.

ومن المعروف ثا لا يمتلك إلا معلومات عامة عن الانتفاضة الشعبية المعروفة التي حررها السودانيون ضد العرب لأتراك عقب مقتل إسماعيل باشا بن محمد علي في شدي ولا يعرف سوى حادث الحريق ووصول المتمردين من كردفان ليثار لصهره وليتارد الملك مر إلا أن الواقع أن الانتفاضة هذه عمت أرجاء السودان وكادت أن تقضي على القوات العربية لولا عياب القيادة المركزية الواعية باستطاع الغاري أن يستفيد من العولة التي صاحبت ذلك التحرك. كما استطاع الكاتب أن يمدد

معلومات ذات أهمية عن تلك الأحداث. وفي مشهد ثم يكن معتاد في السودان كما أن كتب التاريخ لم تتعرض كثيراً بسوجه، وصف المؤلف الإيطالي موقف الشيخ رجب ود يشير العود (أحمد شيوخ الحمد دلعيش) في مواجهة الإعدام بالجلوس على السحار ودلث في عام 1836 وكيف ودع أهله في هوء وشجاعة وأبدى ثباتاً مذكر أمام حمهرة من النساء ثم إتجه إلى أنة الإعدام العجبه. وقبل السعيد ندد بسطة الأترك ودع الناس للإطاحة بها وتناول الكاتب سيرة أحد الأقباط والذي كان سكرتيراً للحكماء، حورثيد ناشاً إلا أنه كان مرباً مه وداعود كبير استطاع من خلاله أن يمثل في سار داراً فحمة نعص بلحشم واحدم من الجسسين وكان من من هؤلاء الخدم حربة شركسة أحصاها من الحكماء لأنها من حسنه إلا أنه اضطر بعد أن انكشف سره إلى الروح منها بعد أن أعلن إسلامه وسمى نفسه محمد نور الدين والطريف أن سلالته لا تزال تعيش في مدينة الكاملين ومعروفة بأولاد الأقباط السحر الكائن ما راء في قرية صيبة بالحريرة حيث كان الشيخ أحمد التريخ الوسي المعروف ووايد الشيخ حمد النيل يتمتع بمرته كبيرة ويتراحم الناس لتقبل بده رأي الكاتب أن الشيخ التريخ كان يتكلم بعاشة وإيواء الأسر الفقيرة في القرية الواقع أن التكية ظلت مكاناً معروفاً لإقامة الحيران واستضافة المريدين لدى معظم مشايخ الصوفية في السودان

ووصف المؤلف مدينة ود مدني نتي يبدو أن العاصمة إنتقلت إليها من سار في تلك الفترة بأن رؤيتها كانت تنعذر بمقادم إليها بسبب العايات الكثيفة وقال إن مبابها شيلت دور حطوط وية لا شيء فيها يسترعي لانباء سوى الشكبات العسكرية وكذلك مرل قائد لفرقة الثامنة الذي تم بساؤه من طابقين بجدران صلبة ووصف المستشفى وأقسامه لمحتففة حتى عرفة العمليد والحجرات المحصنة للمرضى والممرضين والطبيب المناوب والكاتب والأحرحانة ثم المطبخ وفن إن سوق ود مدني كان بشكون من محمرة من لأكواح أقيمت على حطيس متوازيين ونم

دلت بالإضافة إلى الاهتمام بأنواع الرياضة كالبولو وسباق الحيل وكرة التنس وهي أيام أعيد الميلاد ورأس السنة يحد المزارعون والعمال مدة دسمة للحدوث عن حملاتهم البادحة عندما يترشحون سكارى ويبعب بعضهم عن الوعي ويحتفظ الحاصل بالنس كانت تلك الأعمار بقل تفاصيل السواقين والمراسلات وكان يأتي بعد الإيجير في المرتبة الباشكية والمحاسبون المسؤولون عن مسك الدمار وحسابات المزارعين وصرف مستحقاتهم وكانوا جميعهم من الشوام ولأعاريق والأقباط مازلهم أقل درجة بكثير من مازل المفتشين وليس مسموحاً لهم مشاركة الإيجير في أنديتهم فيتجمعون في مازل عربهم للسهر والمصاهرة، وكانوا يرتشون ويعرضون أتاوات بأشكال مختلفة على المزارعين كتزويدهم بالعنف لحيولهم ولأبقار لدس وغير ذلك من فعل الباشكاتب القطبي رياح عبده الذي قرر أن يبيع بقرته عن طريق البانصيب (الكرتلة) ليقتبس ثلاثين جنيهاً بينما قيمتها الحقيقية ثلاثة جنيهات فقط وكان المفتشون الإيجير تسرهم هدياً وديوك الرومية التي يقدمها بعض المزارعين في عيد الميلاد ويعكس ذلك في معاملتهم لهم والظن بعين الرضا.

كان المزارعون رجالاً وساء يعملون في الخيط ويوجهون الكثير من الصعوبات إلا أن مجتمعهم في المشروع برز متعاسكاً وذلك رغم اختلاف أعراقهم فكانوا يجتمعون في أوقات صرف الأرباح والملاوات ويناقشون المشاكل العائلية والإجتماعية والاقتصادية التي أفرها قديم مشروع بالمطقة

كان لمسر ربيي آخر محافظ أحبي لمشروع الحرية - يتحدث مع مساعديه حول مستقبل المشروع بعد عيابه إذا تسلمه نائبه السوداني مكي عباس كان يتوقع له فشلاً قريباً فقد لارمتهم النظرة الدولية للمعصر الوطني. إلا أن عالماً هوسدياً إعتاد ريادة المشروع مسوياً ليتفقد بعض التحارب التي أقيمت بالحريره كتب عن مستقبل المشروع بقول: إذا أطلنا لتعكير في مستقبل مشروع الحرية بعد بعني السريطاسين عنه تبادر إلى الأذهان ما سيجمع عن ذلك من مشكلة جهل تلقى القول بأن في

يكن فيها سوى بعض الأقمشة ذات الألوان اسعقة بالإضافة إلى الأحذية والحرر والسكر والبن والبهارات وغيرها. وأفضل ما في السوق كان ذلك المقهى الذي يحتل ركنًا ضيقاً على نهابة أحد الصيغ ووصف المؤلف المدينة بأنها كانت قدره لدرجة الشاعرة بشر فيها الأمراض والأوبئة بسبب مياه الأمطار الأسنة المترائمة كما أشار إلى عدم وجود دورات المياه والمرحيض الأمر الذي يضطر السكان إلى قضاء الحاجة على صفة النيل مما يحرم الناس فرصة السرة على الشاطئ

أعجب المؤلف ببلدة لمسلمية التي طلب مرهرة ومركزاً تجارياً تتدفق إليه السلع من الحبشة ومصر والحجار ويرحر سوقها الذي يقام في يوم الثلاثاء من كل أسبوع بأنشطة الموسويين الهندي والمستحجات لأوروبية وغيرها بالإضافة إلى لبصائع الواردة من مختلف المناطق السودانية إلا أنه تهم بعض تجار المسلمين بأنهم كانوا يستخدمون قاطمي الطرق لقتل ونهب التجار الغرباء العابرين وقال إن عدد من المتهمين ومن بينهم الشيخ مدني شنبول شيخ المنطقة قد أوقفوا لمدة من الزمن قبل أن يطلق سراحهم أما في سنار فقد لفت انتباهه أن الموسرين كانوا يمتلكون مساحات شاسعة من الأراضي بعيداً عن النيل ويعوم بملاحتها الأرقاء الذين يعيشون في قرى أمة مع أسرهم ويعدون رعاية إنسانية من مالكيهم الذين لا يحرمونهم أطفالهم عن طريق البيع وعكس ذلك حمل المؤلف بشدة على الأوروبيين الذين كانوا يعملون أروءهم بمنهوى لفظاً ويسومونهم سوء بعداً إلى درجة قتلهم لأنه الأسباب الحقيقة أن تلك الفترة كانت من أسوأ المراحل التاريخية التي شهدتها لـ سودان حيث كانت أهداف محمد علي تتجسد في صيد الرقيق لاقتيادهم لمخدمة العسكرية ونهب ثروات الوطن وخاصة الذهب وقد وصف زيارة محمد علي الكبير لسودان وتلهمه للحصول على اندهب إلا أن محاولاته بهت بالفشل ولم يستطع أن يحصل على ما كان يتمناه وترامى إلى سمعه من وعده وقد أسهب المؤلف الإيطالي في وصف حملات صيد الرقيق التي كان يقوم بها لأراك

أصوات

والقسوة المتناهية التي تلازمها، إلا أنه أكد أن الأمور ما كانت تتم بسهولة لأن حيرة رجال القنائل وشجاعتهم وندرتهم على تعف القوادل وتلقيب المعتدين بروس لا تسي بعد تحليلهم ذويهم

كان هذا الكاتب المجهول جزءاً من مجموعة لأوروبيين الدس وفدوا إلى السودان لتنفيذ مشاريع محمد علي وكان منهم لأضياء والصيدلة والبيطرة والمهندسون، فرنسيين وإيطاليين ويونانيين وإنجليز وغيرهم جاءوا من أخصا الطبقة الوسطى الأوروبية مشحنين بحرج حروبها وهزائمها وإحفاقات انتفاضاتها الثورية جاء بعضهم بحثاً عن المال والبعض الآخر عن المعامرة وإثبات الذات وهناك فرنسي آخر تعرّض لنفس تجربة نظيره الإيطالي وكتب نصاً عبارة عن يوميات ينقي لصوره على تلك الفترة التي لا يعلم عن تفاصيلها الكثير ولجأه أن يحملان هواد دعوى نخوم العالم الإسلامي حقة من تاريخ السودان 1822 1841

لكارب.. وقصة مشروع الجزيرة

عرف السودان القطن من قديم ما جاء به مشروع الجزيرة في القرن العشرين
 كان يسمونه في تلك المنطقة وخاصة على صدف النيل الأبيض وكان من الصادرات
 الرئيسية في عهد الفونج القطن والدمور كما عرفت مناطق في الجنوب أيضا وقد ذكر
 بيركهارد أنه في خلال وجوده بشندي عام 1814 رأى المسوحات القطنية آتية من
 سار كانت منطقة الجزيرة امتدادا واسعا تكثر العباب والحشائش الصالحة للمرعى
 من مشارف الخرطوم حتى الحدود الأثيوبية وعرفت المنطقة بجزيرة سار، وجزيرة
 الخرطوم، وجزيرة مالك ود أبوروف رعين قبيلة رفاعة الهوي التي كانت قطعها
 هي وغيرها من الفائل تحوب تلك المنطقة في رحله موية من أقصى جنوبها حتى
 الخرطوم ومن المصاع أن بجزيرة كانت في الأمان الموعده في التقدم جردا من
 الحصار بالسودان فلا يزال اساس مكتشفون بين وقت وآخر آثارا تدل على ذلك

ظهر فكره زراعة القطن بالسودان لأول مرة في مذكرات كسها الرحاله هولويدي
 عام 1839 حين مر بالجزيرة في طريقه إلى كردفان وفي عام 1904 عقب الاحتلال
 البريطاني للسودان بسواة قليلة بدر سير وبيام حارستين بمستخدم بوردة الأشعل
 المصرية بشر تقرير عن مبيع انيل العليا نصح فيه بشدة بضرورة شبيد حران أوقاص
 في منطقة سار على النيل لاررق لري جزء من أرض الجزيرة. وأخذت الحكومة
 البريطانية تفكر في تنفيذ المشروع بجدية بسبب صعوبات أصحاب مصانع العزل
 ملاكشير الدين "نجهوا إلى تجارة العزل بلقص الساعم تدريجيا وبما كان يتاح النص
 المصري طويل انيلة يتعرض للاختفاص إتجه لسكير لإقامة المشروع

أصوات

وفي عام 1913م بحث مجلس العموم البريطاني لقرض المدي كانت مطالب به الإدارة البريطانية في السودان لتأسيس مشروع لجزيرة ووافقت حكومة لندن على العرض مدي كان مقدراً بثلاثة ملايين من الجنيهات

وفي عام 1911م عكزت حكومة السودان في بحريه انري بالجزيرة فصلت من الشيخ عبد الباقي العركي أن تبدأ التجربة في قريته (طية) التي زودت بوابور كبير لري الأراضي الزراعية الأمر لدي أحرر نجاحاً أقصى إلى نتائج عيوت من واقع المنطقة ومن ثم تصورت الإمدادات بعد التجربة الاستطلاعية الأولى في حبة تشمل مناطق أخرى باري بالظلمات كالحاج عبد لله وبركات وبدأت الحكومة في تشييد الحرائ عام 1914م ولكن لعمل توقف بنشوب الحرب العالمية الأولى يستأنف مجدداً ويكتمل في يوليو 1925م

وتدرج العمل في مشروع الجزيرة عبر تجارب عديدة ومسوعة حتى أصبح الركن الأساسي لانتصديات البلاد وحتى مات يعرف بالمشروع الأكبر من نوعه في المحيط الإقليمي العربي والإفريقي

في بدايات العمل لم يكن حظ السود يبين في العمل بالمشروع وافر، وكان حكر، للأجانب مع السيرة سامة للعنصر البريطاني. وكان السود يوب الأوتل الدين يحرقوا في وظائف بسيطة بالمشروع فنية ثلاثة أكبرهم في بدايات العشرين من عمره وأصغرهم لم يجاوز لسادسة عشرة وكان عمر محمد عيد لله الكارب أحدهم وجدوا أنفسهم في محيط راحر من الأجانب بريطانيين ويونانيين وشوم ومصريين كانوا غريب في وسط بلادهم إلا أنهم صمدوا وحملوا المشاق والمكاره ومصايبه وعثرة الآخرين بدأ نكوب مراراً عادياً ولما يزل بالمرحلة الوسطى وعند تخرجه منها التحق بالمشروع موصفاً صغيراً وتدرج حتى أصبح نقلاً لمدير العام وأحياناً عضواً في مجلس إدارته.

أصدر المستر آرثر جيتسكل - وهو شقيق أحد أشهر زعماء المعارضة في بريطانيا - كتاب في عام 1959 بعنوان «الحرية - قصة تنمية في السودان»، وُرسل نسخة منه إلى الكارب وسمح له بالرجوع إليه في حالة كتابة مذكراته عن تجربته بالمشروع، والتي تناولت الأحداث التي مرت به طوال سني خدمته.

كان امستر جيتسكل قد انضم إلى خدمة مشروع الجزيرة فور تخرجه في جامعة أوكسفورد في عام 1932 وعين مفتشاً صغيراً بأحد فئاتش الميط بالمشروع وراول عدة وظائف قبل أن يصبح مديراً للمشروع في عام 1945 (في عهد الشركة الزراعية) ثم صار بعد ذلك محافظاً لإدارة المشروع بعد تأميمه في لأول من يوليو عام 1950 واستمر إلى أن تقاعد في عام 1952

كتب السيد عمر محمد عبد الله الكارب مذكراته بعنوان " الجزيرة - قصة مشروع ورحلة عمر " مرج فيه العام وانحاض بشكل محلف فتعرض تجربة المشروع منذ قيامه في بد حل تمتع مع سيرته الذاتية واهتم بإرفاق وثائق في عاية الأهمية تجعل من الكتاب مرجعا إقتصاديا واجتماعيا لا غنى عنه.

وصف الكارب الحياة الإجماعية في المشروع بأنها كانت تعصر بالطرائف والمقارقات والمرارعون كانوا يظرون إلى الموظفين الإنجليز كحكام وكانوا يطلبون منهم المساعدة في حل قضاياهم أمام السطات، الأمر الذي كان يثير كثير من امتناع الحكومة المحلية إلا أنهم كانوا إذا أحسوا بأي نوع من الإذلال لا يخشونهم ولا يتورعون عن منازلهم. وكان بموظفين الإنجليز وضع متميز تخصص بهم منازل مفروشة ومزودة بكثير من الضروريات، وخاصة الهاتف الذي يتم توصيله عبر امتلام المدن من لمقاول مباشرة وكانو يسحبون طليعات شراء الحبوب التي كانت تستخدم بدلا عن السيارات التي تم بكن قد عرفت بعد وأقيمت لهم لأدية الخاصة المجهرة بكل أنواع التسلية والترفيه وكميات من الكتب التي ترد من إنجلترا مباشرة

أصوات

النهائية لحلاء القرات راندع بعضهم متهاقين يفحصون لموجودات بل تسافوا لبحر المكاتب أثناء سير المفاوضات وافق الأرهري على مقابلة المستر راو كأحد بحبراء الدين عماد حماد توفيق إني الاستعانة بهم إثر زيارة له ليودلهي وقبل لحضت من معارثهما - هو وبحيري - لمكتب رئيس الوزراء طلب المستر راو من الأرهري هجاء أن يادن له ليقول كلمات قليلة مخاطبه «يجب أن يعلم صباط الجيش ويدعوا لتحكم التنظيم السياسي المدني وهذه كانت واحدة من بصارات الرئيسية في الهند عندما حصد على الاستقلال إذا سم يحدث هذا الأمر سيأتي يوم يتحرأون فيه عليك ويلقون بك وبورارنك في السجون» صحت لأرهري صحنكة وثقة مميرة وانتهت المعايبة ولم يلبث أن مصب سوات قليلة حتى ألقى به المسكريون في السجن مرتين. لم يتحمل قلبه المهانة والقهر في لمرأة الأحررة فأقسم الروح

كانت تجربة الهندية على الدوام نصب أعين الحرجيين السودانيين الذين تحموا عنه البصاال الوطني، حتى أن مؤسستهم الأولى أطلقوا عليها اسم «المؤتمر» تيمناً بالمؤتمر الهندي، وكانو يتابعون بانبهار واحجاب حركة الشعوب الهندية ونهضاتها والتعقيدات الإجرائية التي صاحبت محاصر الاستقلال والتجربة الهندية الآن رغم ما تواجهه من عثرات شأن دول العالم الثالث أثبتت رسوخاً ونجاحاً ومريد من الإيمان بالديمقراطية كما أحررت انتصارات في مجالات الصناعة والإنتاج لم تعد حافية على المراقبين أما نحن في السودان فعارالت جراحنا نازفة بما فعل السوءاء بنا.

قصة المستر راو مع الرعيم الأرهري وردت ضمن مذكرات السيد مأمون بحيري التي صدرت أخيراً في الخرطوم بعنوان «المحات» من محارب رحل خدمة عامة من جبل الرواد السودانيين». وبحيري رجل خدمة مدنية معروف واقتصادي مرموق مدرج في السلك الوظيفي بوزارة المالية وتولى مناصب مهمة

استطاعة القائمين بالأمر الآن الحفاظ على نفس المستوى من حيث الكفاءة والمقدرة؟ لا يخفى جازاً على من نشأ في أن السيد مكّي عباس الرئيس الحالي موظف من انطرز الرفيع، وهو في رأي كسب صحيح لأي مؤسسه دويّه إنّه عملاق الروح والبدن . مردد حامي الطاقة متدفق الحماس ثاقب النظر سريع الفهم حاصر لبدية لا يحار في الإجابة مع ثبات القوّة شخصية طاعية مهيمنة وهو في نفس الوقت رجل مهذب من قمة الرأس إلى حصى القدم هكذا وصف العالم الهولندي مكّي عباس الذي تسمّى منصبه في عام 1956م

وبدأت عمليّات السودنة بشمل وظائف المشروع وأثبت أولاد اليد جدارتهم وكفاءتهم قبلع الأداء في المشروع ذروته في الحركة والنشاط والمقدرة والحماسة، حتّى اعترف المسير جينسكل بعظمة المستوى في أول رياره له يعدّ سودنة الوظائف وعند ريارته الثانية عند قيم مشروع المناقل .

استمرّص انكارب عددٌ من الشخصيات التي عملت بالمشروع وما قدموه من جهود وانتهت مدّة خدمته في أواخر أبريل عام 1964 بعد أن أمضى 35 عاماً في رحلته بدأه في صبحه التاسع من يناير عام 1929 عندما حصر إلى المشروع باحثاً عن عمل منقطياً ظهر حمار والده وأقيم له حفل شاي صحم يعيدان مكتب لرئاسة ببركات تعددت خلاله عدد من المسئولين وقدمت له الهدايا وفاء بما بدله من أحلّ المشروع الذي ألقى فيه رهرة شبابه وهكذا استطاع هذا الرجل العصامي أن يمدّم لوطه خدمة لا تقل عن مساهمته في تلك المؤسسة النامية بكتابة تلك المذكرات الثمينة . وبعل ذلك يكون باعاً للقائمين على أمر المشروع الآن لانتشاله مما أكل إليه من تدهور وأحوال تفرق الحاديين على مصلحة البلاد .

لقد أحس مركز الدراسات اسودية بمؤسسه الدكتور حيدر إبراهيم على شر هذا الكتاب في إصدار مجهود ته الرائمة في لتوير وإشاعة الوعي



التجهيزات الأولية للشبيبة خزان سدر

مأمون بحيري والخدمة المدنية



في ذات صباح قبيل إعلان إستقلال السودان بقليل، كان الرعيم إسماعيل الأرهري رئيس الوزراء ووزير الداخلية في أول حكومة وطنية مهمك في وضع الترتيبات النهائية المتعلقة بجلاء القوات الأحسية من السودان. وكان ينظر تقرير عن سير المفاوضات مع قيادة الحاميات البريطانية التي كانت تقيم في ثكناتها سري حول تسليم الموحودات غير العسكرية وعندما حمل مأمون بحيري التقرير بكثف من وزير العاليه حماد توفيق رافقه المستر راو. أحد كبار موظفي الخدمة المدنية في الهند والذي كان في زيارة للسودان كان ذلك المرحل يبدي رغبة غارمة في لقاء الأرهري مد وصوله إلى الخرطوم وكان يشكو بكياسة ولطف من التأخير في تليه تلك الرعة ولاحظ مأمون بحيري أن مستر راو كان يكثر حبره ثرية تشير الإعجاب عندما كان يتحدث عن التجربة الهندية في استلام الحكم من البريطانيين وقبل السماح لهم بالدخول إلى مكتب الرعيم الأرهري علما أن لقيادة العسكرية السودانية كانت قلقة بشأن الترتيبات

أصوات

بختياره في مهمة دولية دعا إليها السكرتير العام للأمم المتحدة المستر د ج همرشولد، وكانت تلك المهمة عابدة ومهمة شاركت فيها مجموعة قليلة من أشهر وأقدر الاقتصاديين عهد ذلك، من العرب والشرق ودول آسيا فقد كلّفوا بالقيام بتقدير العوائد الاقتصادية والاجتماعية التي تعود للبشرية من جراء نزع سلاح، فأنهوا المهمة بنجاح وفي الوقت المحدد وأكدوا أن نزع سلاح يعود على البشرية بعوائد اقتصادية واجتماعية تمّ تحصر على ليلال كان ذلك في مقر للأمم المتحدة بنيويورك في عام 1959.

21 مايو 2002م

وقد عمل وزيراً لمالية والاقتصاد خلال فترتين للدكتاتورية العسكرية (نوفمبر وديسمبر) حيث كان يتوهم أن نظام «المستبد العادل» هو نظام مثالي للسودان إلا أنه توصل إلى قناعة نهائية بعد كل هذه الاستبداد العسكري الذي محق كل أوجه الحياة في السودان أن الديمقراطية هي الحق والمسطق ولتاريخ مهما تعامى الطبقة وأرحف المرجفون

ظل مأمون بحيري لمدة خمسين عاماً معاصراً للأحداث والمعطيات حيث برزت مؤهلاته وقدراته على المستويين المحلي والإقليمي والمستوى العالمي أحياناً وعندما وجد وقتاً كافياً ليكتب في الولايات المتحدة التي ذهب إليها مستشفياً لم يحاول أن يدعي بطولية أو يرين موقفاً، وأحد يتحدث عن تجاربه في العمل بروح المجموعة أو الفريق، وانرحل ظل محمود السيرة لم يتورع في شهرة ولم يؤخذ عليه ما يشين تاريخه كان يعمل بما يراه نافعاً لبلاده ويتصرف دائماً بروح موظف الخدمة المدنية التي نحاس تجربتها وهي في دروة تألقها وعظمتها وعندما استشرى الفساد في سلطة مايو وأحكم لمرجون الطوف حول بحيري ورسوا له كل قبيل وأوهمره بالعصمة والحلود وديرو، مكائد سياسية وأبرمو صفقات أودت بكل مكاسب للوطن كان الرجل بعيداً عن طبعه لم يكن يؤمنه للحوص في ذلك حتى وصفه أحمد سليمان المحامي بأنه كان «كالأطرش في الرفة»

والخدمة المدنية لا يذكرها السودانيون إلا وتغمرهم مشاعر الأسى والقسوة لا لأنهم فقدوا بها هيب الدولة وخصايها وحسب ولا الخدمات التي كانت تحرص على تقديمها.. ولكن لارتباطها بوحدانهم لأنها كانت الحاصنة التي برزت منها الطبقة الوسطى، شريحة الأمدية المتميزة التي ظلت أملاً للأمة وملاّت فراغ القيادة في المجتمع العربي السوداني وأجرب كثيراً ما يعتمد عليه الآن

أصوات

كان أول الدروس في انصباط الخدمة المدنية التي تلقاها مأمون بحيري حدث عند تعيينه لدى عودته حريجاً في أوكسفورد للعمل بالسودان عام 1949. كان قد درس الاقتصاد والعلوم السياسية والفلسفة فتقدم بطلبه للالتحاق بمصلحة المالية ورغم الحظوة والرحيب بمقدمه من جانب إثنين من كبار موظفي المصلحة بريطانيين، إلا أن تعيينه لم يكتمل لأنه كان أول سوداني جامعي يتقدم للعمل وليس هناك وظيفة «على مفاص» أو اعتماد مالي متاح لشغل مثل هذه الوظيفة تنصحه الميراثية بالتالي

لم تكن مصلحة المالية حالية من لموظفين السودبيين الأكفاء، بل كانت مع بالعثرات. لا أنهم جميعاً كانوا قد تخرجوا في كلية عردون التي لم تكن سوى مدرسة ثانوية عليا (تجهيزي). ولما كان التعليم لجامعي قد أحد في التبور خلال تلك السنوات إلا أن كلية لاقتصاد لم يتم إنشاؤها إلا في عام 1959 كما كان هاك تعير واضح بين البريطانيين والسودانيين في الوظائف ومحاصاتها وكان الإنجليزي يبرون هذا الميراث بأن السودانيين يخدمون بلادهم ولهمهم النصحية. وهو متظن يعتقر لليافة وروح العدل.

استقر رأي المسؤولين في مصلحة المالية على أن يلحق بحيري مؤقتاً معلماً بمصلحة المعارف إلى حين إكمال إجراءات تعيينه في المالية بعد إعداد الميراثية الجديدة فتوجه إلى المعارف حيث استقبله وريها رحل التربية والرعيم السياسي عبدالرحمن علي مه مرحباً وأحاله إلى مدرسة حنتوب الثانوية وهناك استقبله مستر براون الذي كان أحد نظار المدرس البريطانيين المتميزين والذي عمل لفترة طويلة في السودان مدرساً للعلوم وسره البقاء الودود وروح الصداقة الذي تعبر به لقاءه مع برون الذي كلفه بتدريس التاريخ الإسلامي. تاحت له هذه الفرصة لوقوف على الحياة في مدرسة حنتوب الحبية وهي لا تزال في عامها الرابع مرهقة بكوكبة من المعلمين الأفداد ذوي

المستويات الرفعة كنصري حمرة، وعد لحليم علي طه، وهاشم صيف الله، وغيرهم من الأئمة المؤهلين، كما تميز طلابها عهدك بالتفوق الأكاديمي والاجتماعي والرياضي وعلى الرغم من ظهور الانحيازات السياسية في المدرسة إلا أن الانسجام كان تاماً والهدوء سائداً

كان مأمون بحيري محفوظاً حين قدر له الالتحاق بكلية فكتوريا في مصر، التي كتب مدرسة ثانوية رفيعة المستوى تفيل أبناء الأعيان والأسر الكبيرة وتمثل نمطاً إنجليزياً طر متوارثاً منذ العهد الفيكتوري ستكثرها عيه مفتش إنجليز في حديث مع والده قائلاً: إن تلك الكلية خاصة بأساء الباشوات والعقبه الارستقراطية، ولكن بحيري الأب أصح المفتش بقوله «وهل نسيت أن ابي هو حميد السلطان علي دينار، آخر سلاطين لغرة، وبعد ذلك التحق بجامعة أوكسفورد التي برزت كإحدى أعرق الجامعات في العصر الحديث، وما كان ذلك التأهيل لتوفر مأمون بحيري لولا أن والده كان أحد اصراط هي قوة دفع السودن الذين تم إحقاقهم بوظائف إدارية في الحكومة.

بات مأمون بحيري أحد الكفاءات المدرة في الخدمة لعامة بالسودان وساعدت شخصيته لديناميكية في تربيته وتنسبه كثيراً من انجازات لعليا واستطاع عدة الإستقلال أن يسهم في تأسيس النظم المالي للدولة الوليدة وإدخال عملة وطنية للمرة الأولى وإنشاء بنك مركزي بكل ما يتطلبه من إدارة جديدة تتمتع بالكفاءة اللازمة، ذلك بالإضافة إلى تأسيس البنوك الحكومية المنحصصة وسوك القطاع الخاص لأول مرة، على الصعيد المحلي أما على الصعيد الإقليمي فقد برز لمرجل دور فاعل ومساهمة رائدة في تأسيس أول بنك عموم أفريقيا، الأمر الذي دفع القارة لأن تشرفه سكينه العيام بمسؤوليه أول رئيس لثلاث مؤسسة لوليدة وأعيد إنتخابه لمس الموقع بورتين

وعلى الصعيد العالمي كان بحيري نجماً لامعاً في المصدا الاقتصادي حتى تم

أصوات

هذا المعهد فمكتب النشر ومجلة الصبيان احتلا مكتباً صغيراً ببحث الرضا قبل أن ينملا إلى المحرطوم وفكرة تعليم الكبار بدأت في قرية أم جر القريبة من مدينته اندويم تحت إشراف بحث الرضا

هذه التجربة التربوية تجاوزت حدود السودان لتشمل لمصطفين العربية والأفريقية ففي عام 1939 زار بحث الرضا الدكتور أحمد عبد السلام الكرداني بث رئيس رابطة اتربية الحديثة بمصر وأعجب أيما إعجاب بمهجه وأسلوبها العلمي ونقل التجربة إلى بلاده حيث أنشأت الرابطة مدرسة أوسه ريفية في قرية المس حارج القاهرة

كما دعت الحكومة لمصرية عدداً من أساتذة بحث الرضا وفي مقدمتهم الأستاذ عبد الرحمن علي طه الذي حاصر عن «بحث الرضا» وأسلوبها ومراميها وكان موضعاً للإعجاب والتقدير. كما اجتذبت التجربة أبناء حصر موت وعدن «ودنداك» والصومال وييجيريا فهرعوا إلى السودان طلباً للعلم

كان أنواع وطباً مهتماً بالشأن السياسي منذ عصاره الصبا وانضم لحزب الأمة عام 1949 ودخل الجمعية التشريعية بحكم منصبه البراري وكان موضع ثقة الإمام عبد الرحمن المهدي ومستشاراً له كما سترك في جميع وفود حربه للمفاوضات التي دارت بمصر وإنجلترا بشأن الإستقلال.

وعندما تولى الأستاذ عبد الرحمن وزارة المعارف اهتم بوضع سياسة ثابتة للتعليم في الشمال والجنوب قائم على مبدأ الإنصاف وتوفير الإستقرار للمعلم وتوسيع قاعدة التعليم مع مراعاة الكم والكيف. وفي أحد مواقفه الجهرية تقدم بإسقاطه من المنصب البراري لحاكم العام البريطاني احتجاجاً على عدم الموافقة على سودة منصب مدير التعليم بتعيين الأستاذ عوض ساني فيه، فتراحت الإدارة البريطانية وأدعت لموقفه

وُلد لأسناد عبد الرحمن علي طه في أول القرن العشرين -1901- في أسرة

التربوي المؤسس الأديب الشاعر والزعيم السياسي

عبد الرحمن علي طه



«أفت علمشي السياسة والشعر»

علي نور - شاعر المؤتمر

صُلّت حناجر الأطفال اعصمة تردد لأكثر من خمسين عاماً بشيلاً عدواً شجياً
هي كلٌ لمدن والقري وأنبو دي السودانية ترده بحماس وعبطة وحبور في احر
كل حصه بجعرافيا هي لسه الثالثه لابتدائيه . كان هذا الشهيد الذي شد ياط
الفلوب - بأوس . لا تر تحي - بكل بقاع الوطن من القول ختى يامبو ومن محمد
قول ختى ببوسة وفعل هي الحوس فعل البحر ولا يرال يتوهج فيا بحس الكبر
بعد مرور عشرات السنين ويبعث حبيب وروحاً وطنية مأججة في كل لأحيال
كان هذا الشهيد قد ألهه التربوي لمؤسس والأديب الشاعر عبد الرحمن علي طه
الذي حمل عنه تربية الشء في السودان الحديث - هو وكوكبة من لمعلمين

أصوات

الأعداد. كانت مادتا الجغرافيا والتربية الوطنية قد وصفت بحت إشراعه المباشر في معهد التربية ببحث الرضا، فأعد كتاب «سبل كسب العيش في السودان» الذي لا يزال يدرس بالمدارس الابتدائية مع تعبيرات طبعه وقام برحلات حقيقة بمناطق السودان المختلفة يصحبه مفر عزيز من المعلمين منهم لأساتذة مكّي عبّس والتور إبراهيم وعثمان محبوب وأحمد إبراهيم فرع وسر الحتم الحيفة وشملت الرحلات القبول وريرة والجفيل وبالسوسة وبامبيو ومحمد قوب وودسلف وأم درمان وعطيرة تلك الرحلات التي صاغها الأستاذ عبد الرحمن أبو عوف كما كان يحب لمريديه أن يكونوا - شعراً سهلاً بحساب إسياباً في الحاجر في قصيدته.

في المولد لتعبت بالصديق أعم به من فصل صديق

كان لا يزال لاسر في قرية «بحب الرضا» إلا متأبطاً ملقاً من الأوراق أو مرجعاً من المرجع، وكثيراً لا يرونه حالاً إلا وهو مكب على عمل يحوده كتابة أو مناقشة مع زملائه وبلا مبداء في شأن من شؤون التربية والتعليم نقل أبو عوف إلى بحث الرضا في عام 1935 بعد عام من إنشائها ليشتغل منصب نائب العميد فأصبح «الدبمو» لمحرك للعمل في التدريس والبرامج والتدريب وتأليف الكتب وأعمال الإدارة العامة ووضع السياسات المتطورة كما كان السان المعبر عن المعهد في كل المحافل والتجمعات ولدى كل مسؤول وأمام كل زائر

وكان عميد المعهد آنذاك هو التربوي البريطاني مستر قريعت الذي ترك بصمات واضحة في أسلوب ومناهج التربية والتعليم إلا أن القائد الفعلي لتلك التجربة بخصوصيتها السودانية وفردتها كان الأستاذ أبو عوف وقد وصف ذلك أحد عريفه بقوله «كان وجهين لعمله سميها (بحث الرضا) إذ مسحت واحدة من الوجهين ففقدت العمل صفها المميزة»

كان أبو عوف عالماً في التربية ملماً بأصولها متابعاً وفارحاً بهما لتصورته - وكان معلماً مطبوعاً سمح بسجالاته ساعدته على ذلك شخصيته المتعاطفة وقدرته البعد في الخطابة والإلقاء والسماع وأسفوه لرصين في اكتائه باللعين العربيه والإنجليزية وشاعريته المتميزة التي بوه بها شعر لمؤتمر علي بور عندما رثه قائلاً: «أنت علمتي السياسة والشعر»

بحرص مستر قريش دور أبي عوف في تحرية «بحث الرضا» في كتاب له أهداه إليه بقوله «إلى ذكرى عبدالرحمن عني طه نائب بعيد لاني عشر عاماً وأوب وزير تعليم في السودان والذي بدو أمسه ووفاته بما كان لهذه التجربة أن تصبح». وسحدث عن أبي عوف بحفاوة فقال «وكان ذا نفوذ فريد بين المعلمين القدامى، أما بين صغار المعلمين فقد كان بقرناً الوحيد بين هيئة التدريس لدي «يخشون» - بالمعني لاجيني الليم» وبالسبة إليها نحن الأجانب كان المرجع في أسلوب المعاملات اليومية ومثالا في الإحلاص للعمل سدي قطعاه على أنفسنا، وأبف «تمكن نائب بعيد السوداني من التأثير على الآخرين عن طريق أسفوه في دروس البقد بأن يشير إلى نقاط الضعف فيه أمام تجمع المعلمين في دروس المعاينة التي أصبح معلم باراً في كل يوم خميس»، وكان أبو عوف من رؤد المسرح السودني بلا حداث وكان يجيد التمثيل ويؤلف المسرحيات ويدفع إليه الطلاب ولا يفتأ يردد أن الذي يجيد تمثيل لا بد أن يجيد التدريس لأن «فصل مسرح صغير بطله المعلم ومشاهدوه اتلاميذ وإن أفلح لمعلم في التمثيل استطاع توصيل المعلومات إليهم دون عناء أو ملل. اطمأنت مصلحة المعارف ورأب السجاح الشاهر الذي حققه معهد «حب الرضا» في مجال التعليم لأولي إتجه التفكير إلى إصلاح المرحلة الرسمية، وصدر القرار بتكليفه بالقيام بهذه المهمة عام 939.

أما الشهرة الواسعة والمكانة الرفيعة التي احتلتها «بحب الرضا» إنما نهيات بفصل مشاريع رائدة لدهوص الشامل بالبيئة. وكانت الأفكار الخاصة بها تسع من داخل

أصوات

من عصرية المؤتمر ونقطعت صوته به وظلّ يتحبب عصباً في لجته الشفيدة في كل دورته إلا في الدورة الثامنة حيث اقتضت عصبته على الهيئة استيية وبولى رئاسة مؤتمر الحريجين في دورتين وذلك بعد إلقاء الرئاسة الشهرية وأصبحت الدورة كاملة وفي أواخرها قدّم مذكرة المؤتمر الخاصة بمطالب البلاد في أبريل 1942 بعدما اجتمعت الحلفاء في روفة المؤتمر بين معسكر الاتحاديين والإستقلايين وهجر فيها لبعض كان صوته الهادئ العميق يحلحس محذراً من عواقب الأمور ومؤكداً صموده تطبيق الديمقراطية في بلد متخلف كالسودان ودعا المتعلمين للتحلي عن العجلة وبيادل الاتهامات بالحياة الوطنية واكتساب القدرة على التفريق بين ما هو ذاتي وموضوعي كما دعاهم للانتماء إلى شعبهم ولعمل على تعليمه وتنقيحه وبأعباءه ليحسن لنصرف في صل الديمقراطية كان يتحدث كرحل دولة مسؤول مُسلطاً انصواء على المشاكل التي لا تزال تعاني منها بلاده.

كان الأستاذ إبراهيم أحمد واحداً من المؤسسين لحزب الأمة بل أنه كان أحد حمسه من أعدته جلسوا يبحثون له الاسم المناسب حتى استقر بهم الرأي لإحتماره وكان إصمائه لحزب الأمة متنسق مع نشاطه ومشاركته في العمل انعم بالإصافة إلى صداقائه التي لا ريب أنها قد ألفت بطلانها على قناعاته ولم يكن انرحل بالدي يسعى لأصواء التي لا تناسب طبعه الهادئ الرزين الباق من الحظاية الرينة والإثارة العاصفة والمتوقع عن المشاحبات والنسيب قيل أن يكمل حزب الأمة عامه الثالث إسئقال إبراهيم أحمد منه للتفرع للتعليم وإن صل ولاؤه قائماً للحزب ولحظه السياسي

تعود علاقة السيد إبراهيم أحمد بآل المهدي إلى أيام شبابه الباكر حيث كلف بالإشراف على صباه عرب السيد عبد الرحمن المهدي بالخرطوم (د. الوثائق حالياً) الذي اشتراه في سنوات العشرين من أحد لأحانب واستطاع المهندس

مرموقة بقرية عمارة الجعبيين قرب النصب حيضاء وتلقى تعليمه الأولي بمدرستي رفاة والمسلمية والأوسد والثانوي بكلية عردون التذكارية ولما جرى إختيار بعض لطلاب للدراسة في جامعة بيروت الأمريكية تم استثنائه لأنه - حسب ورد في ملف خدمته - لا يحتاج لمن تلث الدراسة تعلمه لحرير وإمكانياته الواسعة

وكان قد تخرج في قسم اسعلمين في عام 1922 وعمل بالمدارس الوسطى وشهدت تلك الفترة نشاطه اباكر في المسرح والمحاضرات بنادي بحريجين بأندردمان مع رصفاته حسين شريف وعبدالمجيد عبدالحميد وعبدالله خليل ومديق فريد وعرفات محمد عبدالله وعوض ساني وعلي نور وأبو بكر عثمان

كان آخر منصب تقلده هو وزيرالحكومة المحلية حتى نوفمبر 1948 حيث عاد إلى قريته عمارة الجعبيين (التي أعاد إليها اسم أريجى لتاريخي) والتي عمل على إصلاحها باستحطيط وتوفير مياه الشرب والكهرباء والخدمات الصحية والتعليمية حتى أصبحت قرية نموذجية.

سارعت جامعة الخرطوم إلى تكريمه بسحه درجة الدكتوراه الفخرية في الفنون اعترافاً بمصله وبذله وريادته كما كرمته أريجى وأقامت له مهرجاناً صحفياً وأطلقت اسمه على المدرسة الثانوية العامة للبنين بالقرية

ينتقل الأستاذ عبدالرحمن إلى رحمة مولا في نوفمبر 1969 بمستشفى الحصاصين إثر عوبة قلبية وشيع جنازه الآلاف في مركب مهيب وولاه عدد من الشعراء في مقدمتهم عبدالله محمد عمر ايب وعلي نور وعمران العاقب ونادرس بعقوب الرشوطي.

27 مارس 2001م

عفة اليد واللسان

إبراهيم أحمد



عندما تمَّ إحتباره كأول رئيس سوداني لبلدية الخرطوم في عام 1946م كان إبراهيم أحمد أحد أبرز رجالات الخدمة المدنية والعمل لعام ويقف على أعلى قمة صرح تعليمي في البلاد. ولكنه حصل على قطعة أرض بالمدينة شأنه شأن الآخرين ، ولما تمَّ يستصع تشييد بناء عليها ردَّها بعد عام من حيازتها إلتراب القانون قلة كانوا يفعلون ذلك وقتذاك دع عك ما يحدث في هذه الأيام العبراء وبعد النوصل إلى إتفاقية عام 1953 ووقع الاختيار عليه ليكون عضواً ممثلاً للإستقلاليين هي لجنة الحاكم العام كان يتعين عليه أن يطلب التقاعد على الرغم من أنه لم يبلغ السن القنويه بدمعش فقد بقي له ما لا يقل عن لعام ليسحق معاش كمثلًا مرفص المعامدة انخاصة في هذه الحالة وطلب بسوية تتناسب مع ما قصاء من سنوات في الخدمة بل أنه تمَّ يمانع إد عومل وهذا للمادة (32/ب) من قانون المعاشات وما كان بالدي يحال عليها كان كما

وصفه عاروه لا يشعله عن عمله لهو ولا هوى ولا بعده عنه استهوار أو عرص ولا دفعه للتفكير فيه حمول أو مرض بن روي عنه أنه لم يسم في حياته قط في قبولة أو طهر وبعد نور الحرب الوصي للاتحاد في أول انتخابات عامه اختار الحزب السيد سيرسيو أبرو بدلاً منه في لجنة الحاكم العام فأشأ إبراهيم أحمد مكتسباً للاستشارات الهندسية وعرضت عليه كثير من الشركات الأجنبية أن يكون وكيلها بالسودان ولكنه أقر الرقص لأن كبار موظفي الدولة من طلابه الذين لا يتوقع أن يرقصوا له طلباً وقد لا يتفق الطبق مع مصلحة السودان

وهي أول حكومة قومية تم تشكيلها بعد الاستقلال ثم إخماده وزيراً للمالية واستمر في هذا المنصب حتى وقوع انقلاب نوفمبر 1958 حيث أثر الابتعاد عن الساحة السياسية وقام بتأسيس أول بنك سوداني هو البنك التجاري - وأصبح مديراً له بعد انتخابه من جانب المؤسسين - الذين لم يمتلك أسهم منهم وهو صاحب المكرة وظل كذلك حتى تأميمه في عام 1970 وفي صباح اليوم التالي لإعلان التأميم جاء إلى مكتبه بانست ليلعلم أوراقه الخاصة ويودع موظفيه . ولما عرص عليه سائق سيارته البنك أن يأخذه إلى منزله رفض ذلك باعتبار أن السارة أصبح مد ذلك اليوم منكاً للدولة ولا يحق له استخدامها وعاد إلى داره في سيارة الأجرة.

كان إبراهيم أحمد من الأعضاء الأوائل في نادي الخريجين بأم درمان وحين انضم الخريجون إلى فريقين متصارعين مجموعة الشيخ أحمد المير ومجموعه محمد عني شوقي واستغانت جماعة النيل من النادي كان إبراهيم أحمد عضواً في تلك اللجنة التي سيطرت عليها جماعة شوقي . وحين نشأ مؤتمر الخريجين العام في عام 1968 كان إبراهيم أحمد من المؤسسين وانتخب في هيئته التنفيذية ولجنته التنفيذية وظل ينتخب عضواً بالهيئة التنفيذية للمؤتمر ولجنته التنفيذية في كل دوراته حتى الدورة الثامنة لعام 1945 حيث استقال مع آخرين

وهكذا يستمر الامتحان

لَمْ تستمر الدراسة في مدرسة رفاعة غير عام واحد استغرق حوالي عشرة أشهر، وأُكملت حوالي شهرين في عامها الثاني، وقد صدر أمر بإغلاقها عقب وفاة الحديوي عباس مباشرة، وتوفي سعيد بث أسبوع واحد، وأمضى رفاعة الحارطوم أربع سنوات بالحارطوم وقفل بعدها عائداً إلى مصر، بعد أن شكاهم الشكوى من تلك التجربة التي اعتبرها مقيتة وكيداً سياسياً ومحاولاً للتخلص منه باعتباره واحداً من رجال العلم البارزين الذين لم يطلق عباس بقاءهم في القاهرة واعتبر بعض المؤرخين أن الأمر يعود إلى موقف رفاعة من ولاية العهد بأحقية سعيد على غير ما كان يحفظ عباس لتولية ابنه.

بعد زيارة الرحانة الإنجليزي هاملتن للمدرسة أدهشه بقدر اندي امتوعه التلاميذ من المعارف في عام واحد، ولاحظ «أن السنوات لطويلة التي تضيع في التعليم في الشرق حتى يصبح المتعلمون شيئاً مذكوراً تحتصرها في الحارطوم إلى حد كبير، وأن سرعة الملحوظة عند الأولاد في الحفظ والإستيعاب قد تمت الاستعادة منها إلى أكر درجة ممكنة».

وأشار رفاعة إلى أن بعض تلاميذ المدرسة تم توظيفهم في المدارس التي أنشأها الحديوي إسماعيل بالسودان في السنوات اللاحقة، وكان من بين تلاميذ المدرسة بساطي بث الذي عمل مسكناً لفردون أثناء حكمه دارينه الأولى التي استغرقت ثلاث سنوات، ووصفه فردون بقوله «إنه تعلم في مدرسة الحارطوم على يد علامة مشهور، ووصل إلى درجة من العلم تجعله ينف على قدم المساواة مع حريجي أرقى معاهد أوروبا، فقاما يوجد موضوع لا يمكنه الحديث فيه بطلاقة، وهو يعرف حكومة البلاد وصرائفها وتاريخها، كما يمكنه كتابة عدة رموز دون النظر إلى مفاتيحها».

الشاب أن يسجر مهمته على أفضل وجه بل ويضيف من إبداعاته تلك لأعمدة الصلحة ذات انطرار الشرقي وهي أعمدة ديكورية لا تسد الساء في الراقع وإنما تحيط بقصر بالهيه والجلال وقد كان بين إبراهيم أحمد ومحمد الحبيبه شريف - بن عم السيد عبد الرحمن وصهره - صدفه وموده مد أن ترائلا في الدراسة وفي العمل بالكنية ويدو أنه هو لذي قدمه لسيد عبد الرحمن ولغيره من أقطاب بيت لمهدي ثم لم يلبث أن تولى المهندس إبراهيم أحمد مهمة مسح مشاريع القطر الحاصه بدائرة المهدي الزراعيه في الحريرة أبا وعيرها من مناطق النيل الأبيض ولم يكن يتقاصى أجر نظير أعماله تلك بسبب تلك العلاقة. كما أن صله الشخصيه بمحمد علي شوقي ومحمد صالح الشقيطي - ولا غير توحدت علاقته به بسبب رواجه من أخته - ساعدت في تميق صله بالسيد عبد الرحمن حتى مات من أقرب مستشاريه إليه والمعروف أن إبراهيم أحمد لم يكن طامياً ولم يعرف بولاء لإحدى الطائفتين - الحتمية والأنصار - وأنه شأ وسط أهله السويين المعروفين بولائهم للطريقة الحتمية وقد عرف عن حؤولته وأصهاره أنهم من كبار الأسر الحتمية بمنطقة النوبة.

ولد إبراهيم أحمد في حلغا دعيم في عام 1899 وبدأ رحلته مع العلم في حلوتها ثم إنتقل إلى المدرسة الأولى ثم الوسطى وقد حرص والده خلال تلك السنوات أن يبعث به إلى صديقه المرحوم محمد أحمد الفصل - أوز ناظر لمدرسة أمدردان الأولى والتي افتتحت عام 1899 - وهو أيضاً جد الشاعر الراحل صلاح أحمد إبراهيم لأمه - وذلك لتطوير قدراته اللغوية وبمكيه من ألفة العربية وكان متوقفاً في جميع سني دراسته حتى قل بكية عردون البذكارية في عام 1916 واختير في قسم الهندسة لبرور في مادة الرياضيات واتسمت أعوام دراسته في الكلية بالتفوق والامتياز حتى احتارته معصاً بها فور تخرجه وقد برر أيضاً في النشاط الرياضي ومدرس صروباً من لرياضة كالتس،

أصوات

وكره القدم حيث كان حارساً للمرمى بهريق الكلية، كما شارك في التدريب العسكري «الكديت»

رغم إنكار البريطانيين للوظائف العليا إلا أن إبراهيم أحمد بمثابرة وحسن أدائه ترقى فأصبح مراقباً لشؤون الطلاب بالكلية ثم نائباً لمديرها وهي الأوقات اللاحقة أصبح أول رئيس لمجلس الجامعة التي عاصرها في أظرفها المختلفة كما أن إنقائه لعمله كمهندس وكمعلم أكسبه كثيراً من الاحترام والتقدير بين زملائه الأسادة - سودانيين وبريطانيين - وطلابه والكثير من المهندسين كما أدى ذلك إلى تحسن وضعه الوظيفي وبصورة منتظمة حتى عهد من كبار أسادة قسم الهندسة بالكلية، وتفرق ذلك مع تعاظم سمعته بين المهندسين مما أتاح له فرص إنجاز كثير من الأعمال الهندسية المهمة في شبابه الباكر.

وقد تم تعيينه عضواً بمجلس مديرية الخرطوم قبل قيام المجلس المنعقدة لكل من السنين الثلاث، كما انتخب كأول رئيس سوداني في أوائل عام 1946، وذلك في بيان الصراع الحربي والحصومة السياسية، وأعيد انتخابه لمنصب المصعب أكثر من مرة حيث تم إنجاز الكثير في عهده وتم التخطيط لما هو أكثر وأعظم ورغم انتمائه الحربي فإن السيد إبراهيم أحمد الهم بمعايير تتسم بالحياد والبعد عن التحزب خلال عمله بالمجلس البلدي

يشارك إبراهيم أحمد في عضوية كثير من اللجان الحكومية. فكان العضو السوداني الوحيد في لجنة التعليم، الذي في عام 1943 وعمل في لجنة السودنة في الفترة ما بين 1944 و 1949 ولجنة تطوير القسم التجاري بالمعهد الفني في عام 1960 كما ترأس لجنة الشؤون الاجتماعية بالجمعية التشريعية واختارته لجنة المتاحف والأثار عضواً في فبراير 1942 وهو عضواً بمجلس أمراء مدارس الأحمد لأعوام طويلة وبعد إستقامته من النشاط السياسي بحزب الأمة وعقب

قيام الجمعية التشريعية تم اختياره عضواً بمجلسها التنفيذي بلا أعضاء مصلحية والمعروف أن كل عضو من أعضاء ذلك المجلس سودانيين وبريطانيين تولى مسؤولية وزير أو وكيل وزارة

رحم الله الأديب الأستاذ عثمان حسن أحمد الذي طَلَّتْ الثقافة السودانية والتوثيق والترجمة لأعلام البلاد هاجساً له وهماً مقيماً ما أذخر وسعاً في سبيل ذلك وحقق لكثير رعم حياته القصيرة ومن بين ذلك كتابه انقيم (إبراهيم أحمد حياة إنسان) كنه رعم أنه محسوب على معسكر الإنحاديين تاريخاً ووجداناً يدل فيه جهداً وجمع وثائق مهمة تنصل بحياة الرجل الشربة وتحدث إلى الكثيرين من معاصريه ومحبيه وعاد في فصله وكان الأمل فيه عظيم أن يواصل عطاءه في هذا المجال لولا أن تحطه بردى وهو في قمة بضجه وحيويته.

9 أكتوبر 2001

الطهطاوي في السودان



رفاعة الطهطاوي

كان الشيخ محمود القبانى تلميذاً بمدرسة الخرطوم التي أنشأها وأصبح ناظراً لها رفاعة رافع الطهطاوي في منتصف القرن التاسع عشر فوصف يوم لامتحان الذي حضره الحكمدار وجمع من الموظفين صدحت الموسيقى وبم تقديم الشربات والقهوة والسحائر، ثم تقدم تلميذان فأنشدا قصيدة بصوت شجي، ثم أثنى الحكمدار على النظم وفنش صغوف التلاميذ وهصرف وتشكلت لجان لامتحان العتين العربية والفرنسية والحساب وطل المتحجون بالمدرسة لا يعادرونها لمنازلهم للعداء الذي يشاؤونه بالمدرسة حرماً ودجهاً وحلويات طيبة أيام الامتحان وقال لقباني إن لامتحان كان شفهياً والحساب على الحجة، والخط يقدم في كراسته التي تسمى «عزلة» وكنت أنا قد اجتزت لامتحان بتعوق في الفرنسية والعربية والحساب، ولكن حصي لصعف في يدي لم يكن جيداً فأرادوا أن يسقطوني في الامتحان، وكان الفائز إذ خرج تعرف له الموسيقى،

الرحيل المباشرة

إبراهيم أحمد عبدالكريم



هجاء نوانرت أبياء مقدقة عن مرصه وحضوره وتدهور حالته. ولم تمض أيام حتى غيب لردى وهو في عنفوان حياته ودروه عطائها. وعندما خرجت العاصمة في موكبها لمهيب الأسبوع الماصي لتشيع جثمانه إلى مقابر هارون بالحرموم كانت ملتاعة ومباعدة. هذا لوجه الأليف الذي ظل يطل عليها مرة في الأسبوع من شاشة التلفزيون، من دون سائر الوجوه، كان يثير اهتمامها وأشواقها بمؤودة أيامها انحاليات. كان يطل عليها بصوته العديد وكثما يزورها مشجعا، ها أنت بك ماص عظيم وتاريخ مجيد، وهؤلاء المبدعون أباءك وأنت مودة ولود رأى هؤلاء المشيعون فيه مثقفهم، معائبين ومبدعين لراحين وصائبهم انصانين والصورة انبهاء للشخصية السودانية الممتلئة بالرهو والتواضع. رأوا فيه تعويضا جريئا عن جهامة لواقع ومرارة العيش وعناقه الليالي وشيخوخة الروح وانطواء الأمل كان يحاول أن يستمد نيسا من الحليل وكرومة وسرور ويوقد شمعة في عتمة الغن انطوين ليصميء مسارب المموس اليائسة ويفتح نافذة إلى لعاضبي السعيد

أصوات

وساطي بك هد أصحى باشكاتب الخرطوم ، وهو سوداني من قبيلة المحس
وقد صلب الجبال هكس في حملته العسكرية كأحد الأعيان ولقي مصرعه في
معركة شيكان الأسطورية المعروفة

عاش رفاة في الخرطوم حريماً متبرماً بأحوال المدينة التي لا ترقى لأيام
باريس لتي أمضى فيها خمسة أعوام هي عمر بعثته التي اتسمت بشأطه
ومثابرة وكدهه في لقراءة والرجمة والتأليف حتى أصبح أحد أبرز رموز
المثقفين في الشرق وأين هو من أيام مدرسة الألس التي كان مديراً بها حيث
وصفه أحد مؤرخي سيرته بأنه «كان ربما عقد الدرس للتلامذة بعد العشاء أو عند
الثلاث الأخير ومكث نحو ثلاث أو أربع ساعات واقفاً على قدميه يدرس اللغة أو
قون الإدارة والشرائع الإسلامية والقوانين الأحسية، وكذلك كان دأبه معهم في
تدريس كتب قون الأدب العالمية، ومع ذلك كان هو شخصه لا يعتر عن
الإشتغال بالترجمة أو التأليف، وكانت مجامع لامتحانات لا تره إلا به»، وقد
عه تلميذه صالح مجدي اكان مجلسه رضوان الله عليه مجلس مسرب وأفراح،
وطالما حصرت وسمعت فيه من لطيف انمراح ما يشهد به برقه المرح بأن سحره
الحلال يقوم للتعليم مقام العلاج».

وعلى الرغم من شكوى رفاة وتبرمه من الخرطوم التي إعتبرها منفي له إلا أنه
كان نجماً من نجوم تلك العاصمة وكان يشارك في المناسبات المهمة وقد
حدث أن أنام حفلاً أمام مرله بمناسبة خطوبة ابنة سلطان تركيا إلى ابن وافي
مصر ودعا إليها أعيان الخرطوم من السودانيين والأجانب وفي مقدمتهم رئيس
مجلس اندعوى ومدير الخرطوم.

كما كان لرفاة صانوه اندي كان يجتمع فيه المثقفون من شخصيات الخرطوم
والعاملين في التجارة والرحالة الأجانب وممثلي القنصليات، وكان يلقي دعوات
كبار رجال لعاصمة وبشارك مما يقام من إحتفالات وقد حدث أن حصر مادة

عشاء دعوته إليها لأمير مصر ست عدلان كريمة آخر ملوك الفونج عام 1852 احتفاء بمقدم الرحالة الأمريكي بايارد تيلور إلى الخرطوم وقد أقام رفاعة صلات وثيقة وصداقات مع الأحياء لمقيمين بالخرطوم والعابرين، من بينهم الدكتور بيبي الفرنسي، كبير أعيان لحكومته والدكتور ريتز نائب القنصل النمساوي وحلقه هجلن والدكتور بولجر رئيس البعثة الكاثوليكية بالخرطوم، والرحالة جورج مللي وأندريه مللي وهاملتس - وهؤلاء إنجليز - وبايارد تيلور الأمريكي وشركل دديه الفرنسي وجميعهم ذكروا رفاعة في مؤلفاتهم الخاصة برحلاتهم في السودان وأدركوا إمكانياته العلمية والثقافية وقد تحدث شرون دديه عن سعة إطلاع رفاعة وموسوعيته ونمكنته من اللغة الفرنسية ومكنته عدد العارفين بها

كان رفاعة قد تخرج من الأزهر وعمل فيه مدرساً لمدة عامين قبل ترشيحه واعطاً وإماماً لإحدى فرق الجيش الجديد الذي أنشأه محمد علي، وبما تم إيماد أوب بعثة كبيرة إلى فرنسا تم إختياره إماماً لها وهكذا تعبر معجزة حياته حين اعتبر مبعوثاً شأن الطلاب الآخرين فأظهر تفوقاً بمشرفته وشغفه بالقراءة، واستطاع أن يقرأ في كل العلوم وإن كان أكثر ميلاً للجغرافيا والتاريخ فكانت ثقافته موسوعية فقرأ الفلسفة والأدب الفرنسية، ومؤلفات فولتير ومونتسكيو و جان جاك روسو ورأسين وشملت قراءته علم المعادن والفنون العسكرية والرياضيات وغير ذلك، كما ترجم وهو في باريس اثنتي عشرة رسالة، معظمها رسائل صغيرة أو فصول من كتب كبيرة في شتى العلوم والفنون والتاريخ والجغرافيا والسياسة والأخلاق والفنون العسكرية والهندسية وعلمي المعادن والصحة

عاد رفاعة من باريس يحمل إحازة الرحمة وفي يده الأخرى مؤلفه الشهير «تحليل الصليب الأبرير في تلخيص دربر أو الديوان لفيش ديوان باريس» الذي وصف فيه باريس وأحوال الفرنسيين وعاداتهم ومظاهر الحضارة الغربية، والذي يعتبر أحد أهم كتب الاستشارة الداعية إلى الحداثة

وكانت الرعة في التأليف لدى رفاة قد ظهرت في وقت باكر منذ أيام الطب في الأهره، فقد نظم في ذلك لوقت أرحورة في علم الكلام، وأحد عن أستاذة لشيخ حسن العصار منه إلى العلوم العصرية إلا أن إهتمامه الأساسي كان مجها إلى لتاريخ والجغرافيا، إلى الدرجة لي حتم مؤلفه الحاضر برحله بقوله «وان شاء الله تعالى يصير التاريخ على احتلاقه مسقولا من الرسائل إلى لعتنا..» وقد تكلمنا بترجمة عدي التاريخ والجغرافيا بمصر لسعيده بمشيئة الله» وقد استطاع بالفعل أن يترجم عدداً كبيراً من كتب التاريخ من الفرنسية إلى العربية.

وكان لرعاة مجهودات مقدرة في مجال التربية ولتعليم بشخصيته لأهره لتي صقلتها انثقافة العربية الحديثة، كما كان أثره واضحاً في إصلاح تعليم اللغة لعربية وإحتبار أساندها وعداد المساهج للتلاميذ فقد وضع كتاب التحفة لمكتبة في القواعد والأحكام والأصول السحوية بطريقه مرصية، وغير ذلك من كتب المقررات.

والى جانب تلك انقدرات المتعددة برر رعاة في مجال الصحافة الذي كان أول من ارتاده حيث أوكل إليه إصدار جريدة «الوقائع المصرية» بعد أن صدر قرار بذلك من مجلس الشورى في يناير 1842، وعمل رعاة منذ البداية على إنشاء الصحيفة على عوار الصحف الفرنسية فاحتار لها محررين ومترجمين ومصححين ممتازين منهم بختيار من تلاميذه حريجي مدرسة الألس ومن أبرزهم أحمد فارس الشدياق ولسيد شهاب الدين.

كتاب رعاة الطهطاوي في لسودان» ألّفه الدكتور أحمد أحمد سيد أحمد وصدرت طبعه الأولى في عام 1973، وقد بدل المؤلف جهداً مقدراً في جمع لمعلومات من مصادر متعددة وقد سبق أن قرأت لهذا المؤلف كتاباً بعنوان «تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصري 1820 - 1885» أهديني إياه أحد

أصدقائي المهتمين بثقافة وتاريخ السودان، ولَم استطع العثور على أي أثر لهذا
المؤرخ الكدود وقد ذكر بأسرود أن هذ الكتاب «تاريخ مدينة الخرطوم» هو في
الأصل رسالة حصل بها صاحبها على درجة الدكتوراه من كلية الآداب قسم
التاريخ، تحت إشراف أستاذين حليلين هما الدكتور محمد فؤاد شكرى والدكتور
محمد أبس في عام 1963 وإنما الذي عرفني على الرسالة أنسى اشتريتها من
سور الأريكية من نحو عشرين عاماً، ونصراً لأهميتها رأيت نشرها في سلسلة «تاريخ
المصريين» تكريماً لصاحبها بدي لا أعرفه ولا أعرف إن كان حياً يرق لو
صعدت روحه إلى بارئها؟»

19 فبراير 2002

الأعمال الحرة والتجارية والبرعية. لا أنه وصل الكتابة ودراسة الصحف حتى قرر السفر للإقامة بالخرطوم ليجد موصفاً يطلق منه لتحقيق طرحه إنساني وهناك التقى بصديقه الفاتح الور الذي عرّض عليه المشاركة في إصدار صحيفة إقليمية بمدينة الأبيض ولما سافر إلى مصر للاستعداد لحوص هذه التجربة بالتدريب في دار «أخبار اليوم» حيث وافق الأستاذ مصطفى أمين قال إنه التقى في مساء ذلك ليوم بمجموعة من الشيوعيين السودانيين الموحودين بمصر وذكر أن من بينهم عبده دهب، وعبدالمجيد أبو حسو، ومحمد عثمان حودة، وصالح عرابي. وبعض الطلاب السودانيين الذين يدرسون بالجامعات المصرية كان ذلك في مايو 1945 وقال إنه توجه إلى مكتبة «المبداء» التي يمتلكها هري كوربين رافسي مجموعة من الكتب الماركسية التي طبعت في موسكو وسكن واشترك في مجلة الأوقات الجديدة «الأرمية الحديثة» التي كانت تصدر في موسكو باسمه «الحرب ولطبعة العامية» وجاء في مذكراته أن عبده دهب هاجم أصحاب دار «أخبار اليوم» والمحررين العاملين فيها وقد له «إن هؤلاء سيعملونك الديماغوجية والتملق» فعبر النظر عن دار «أخبار اليوم» ودار مجلة «أم درمان» التي كان تصدرها مجموعة الشيوعيين بالقاهرة وكان رئيس تحريرها المرحوم محمد أمين حسين لمحمي ويشترك في تحريرها الأديب الهادي العمري وقال إن أبو حسو شرح له لبيان الشيوعي، لا أنه لم يفتح بالموضوع

وبمضي عبدالله رحب في مذكراته شرحاً أسباب مشاركة الأقلام اليسارية في صحيفته «الصراخة» التي أصدرها عام 1950 بأن الأمر لم يتعد الصداقة وبعض الأهداف المشتركة التي تلتخص في التخلص من الاستعمار ومحاربة الطائفية وأشار إلى أسماء هؤلاء الكتاب ومنهم عبدالرحمن عبدالرحيم الوسيلة وعبدالحق محجوب، والتجاني الطيب، وقاسم أمين، وحسن الظاهر رروق، ثم

في الثقافة السودانية

لَمْ يَكُنْ إبراهيم أحمد عبدالكريم مجرد مقدم لبرنامج ومديرًا عامًا سابقًا بشرطة، ولكنه كان موسوعة حية وكثيراً بكترات. يتندر برامجه بسمت هادئ ولور حال من التطلع والتعمل والإدعاء والمحاولات الجوء لتصبح الذات بشي الحديث ويشقق الكلام ويعد إلى أعماق مثيريه وصوف حفته ويخرج بأصل ما لديهم ويصعق بكل مودة وانتباه كل ما هو مذهش وحديد بفار ووارب وي طرح أفكاراً بعذية في منتهى الجدة والطرافة

تميز إبراهيم بالهوق والذكاء النادر وهو صانع بالشرطة وعب توفد ذهبه الأنصار خلال دوراته التدريبية في أوروبا. وأحد يترقى في محاله حتى بال رتبة الفريق وعدا مديراً لشرطة. وكان صحياً للأدب وحافظاً لشعر يحيط نفسه دائماً بالأسماء والقصائين وكان نافداً فنياً وأديباً لودعياً حصيفاً تسعفه دائماً ذكرة متقدمة وبنه حاضرة ووعية حافظة وكان اهتمامه بالنص جزءاً من تكوينه الشخصي حيث كانت والدته المعصوم لها الحاجة حليمه بت لحاجي امرأة جليته لسان بررة لسنة، عارفة بالتاريخ والأدب الشعبي.

بدأ إبراهيم نشاطه الثقافي بالمشاركة في برنامج التلفزيون حيث عرفه الناس وظلوا يستمعون لبرنامج «مربان» الذي كان يعدة ويقدمه مع الشاعر الحسين لحسن والإعلامي حمدي بدر الدين ثم لم يلبث في لسنوات الأخيرة أن أحد يقدم برنامج «سليم الليل» الذي إنصف فيه عدد من المبدعين القدامى والجدد وخصصيات إجتماعية وأدبية وصية ولا ريب أنه استطاع أن يركم تراثاً من المعصومات والأعاني وأن يوثق لتاريخ الفن لأصين

إنفيا للمرأة الأخيرة في مرل صديق لعمر الضيف الأديب لدكتور نور الدين إبراهيم شلقامي بأم درمان في أغسطس عام 2000، وكب في عطلي لسوية، وذلك خلال حفل العشاء الذي ظل بقيمه لدكتور نور في كل عام احتفاء بما كتب الأمسية حريمية عليية لسمات والدار الرحبية تموج بعدد من الصيوف،

أصوات

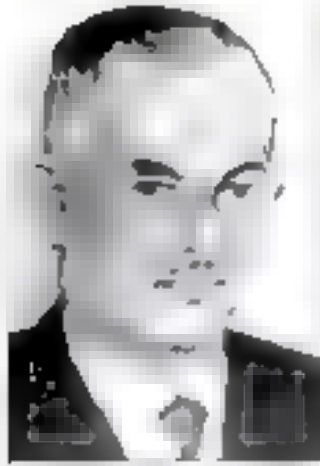
أدباء وصحافيين ومثقفين وصفوة من متعلمي مدينة كوستي وصل إبراهيم متأخراً عالمي الدار عارقة في صمت جميل تصغي لشدو العناد لتاج مصطفى بصوته الهامس لأغنية المترعة بالحسين ثم عني صديقنا العناد الأستاذ عباس تلودي بحسنة النحاسية التي تصيف ألفاً وبعد جديد للأغاني المادرة العريفة التي يتحيرها بحسه الفني الرفيع كانت تلك الأغنية مشحونة بكثير من المواطن والشجن حيث تادل الذكريات مع أصدقاء الطفولة والصبيا الذين جاء بعضهم بكعيراتهم وانتقصوا كثيراً من الصور وانقص السامر بعد تناول طعام العشاء، وقبل أن تنصرف انصفت مع دكتور مور والأستاذ إبراهيم على أن نلتقي في داره في موعد حددناه، ولكن حالت دون ذلك ظروف طارئة

لقد شق عني إبراهيم على الكثيرين ممن عرفوه ولمسوا في شخصه ليس العريكة ودماثة الحلوى والبساطة وحب الآخرين يسأل الله له الرحمة وتعاذ به الحارة لأسرته المكلومة في الحرطوم وكوستي.

7 مايو 2002

المصامية والمتابرة

عبدالله رجب



كنت أراه في سوانه الأحياء يمشي في شوارع الخرطوم يطلع قليلاً وهو يحمل حقيبته الجلدية المكتومة بما فيها من أوراق ومجلات وصحف وعصاه التي لا يفارقه. وأحياناً كنا نراه جالساً في «البيوت» أو «الإستقلال» أو «أبييه» دائماً تجده متكياً على القراءة أو الكتابة، يترجم في أغلب الأحيان. وفي أمسيات لاحقة صرت ألقاه في «مكتبة أنريشيا» في أم درمان بصاحبه الزعيم الموسوعي يوسف محمد لعسن الدسوقي أجدهما منغمكين في لعب الشرد. يتبادلان الدعاءات والعبات الساحرة. وأحياناً أجد مجلسهما عامراً يصح بعضاً من مثقفي المحصرين أمثال حسن أبو جيل، وعبدالله محمد فرح، وأحمد شامي وغيرهم يتحلقون أمام المكتبة بينما يتلوى صف طويل من رؤود السبما المجاورة راخين نحو شباك لتذكر يوسف يعتاط ويتبرم من «سكوا» الفج الذي يديه البعض منهم.

تعصر بلادنا بشمادح من الشخصيات المتميزة التي تركت أثراً واضحاً في الحياة السودانية، فبلادنا لا شك منحة - وبرز من بينهم من واجه الحياة بلا عذرة ولا تأهيل أيام كان التعليم هو جوار مرور للوضع الاجتماعي المتميز والحظوظ كانت فرصه جد قليلة لا تمكن إلا صهوة من الساس من يحصون عليها والأستاذ عبدالله رجب كان واحداً من هؤلاء الذين صعدوا دوائهم وشقوا طريقاً ممعباً في وعورته فهو لم يستطع أن يتجاوز المرحلة الأولية في تعليمه - رغم تجاحه وتقواه - فاصبر لأن يتخذ سبيلاً آخر لإعالة أسرته التي فقدت عائلها ولعن أفصل ما حققه بعد اسحاق المهدي الباهر الذي أحرره، حيث ارتفع بدانه من طعونة معدة ومرفقة بالعمل إلى أحد أبرز الصحفيين والكتاب والمترجمين في السودان وهو أنه حلف ثروة أدبية راخرة من أدب السيرة الذاتية فقد ظل يكتب مذكرات أعيش» منذ البدايات الأولى لسنوات الخمسين هي جريدة «الصراحة» وحتى مطلع سنوات الثمانين هي جريدة «الصحافة».. كتب بصراحة وعفوية وصدق واستطاع بشفافية نادرة أن يؤرخ لمنطقة النيل لأروق ومسحة وحركة التجارة والثقافة فيها بث حرارة وحيوية في كل الشخصيات التي كتب عنها. وشحن مواقفها بدلالات موحية أشبه بما يبده الروائيون لمقدروب. وتناول في مذكرات أعيش قرءته المبكرة ونسبية مهاراته في الإطلاع وتجربته في العمل التجاري وافتتاحه لمكتبة بمدينة مسحة وكيف استطاع أن يرودها بالكتب والمطبوعات التي تصل من القاهرة فيتقمها الموظفون ومثقفو المدينة وتم تلبث هذه المكتبة أن كانت منتدى لتجمع هؤلاء المهتمين وحلقة للنقاش وتبادل المعارف على عرار ما كان يحدث في مدينة أم درمان

كان عبدالله رجب يراسس الصحف المحلية ولعربية وكان جريئاً مقدماً لا يتردد في فصيح مدارس الإدارة البريطانية واستبداد المفتشين والحكام الإنجليز وكثيراً ما كان ينمرض لمصايفات والاستجابات ورغم بقله في

أصوات

أعظم المواقف وأجلها في صمت وسكون.

قال عنه الدكتور منصور خالد «سيدة صحتني الأكثر عمقاً براحمنا الكريم كانت في العهد المايوي أتلقاء بي دار بدر الدين ومتجع حسن مالك فكان كحطرات النسيم في ريث المجلس هو أقل من عرفت من ناس عبثاً علي جلالة، أو ثقلأ عني مقاعديه، استهوتني فيه يومذاك رنة الطبع ورخاحة العقل وسماحة العقل مسعيت وبدر الدين لا يستدرجها للاعتراف في ما كنا فيه - عمر الله لنا - تأني محمود في سماحة جملة وكأنه يقول «لكم دينكم ولي دين» تأني انواراً، وتأني السفارة، وتأني البرهان، حتى كرهيم لمعرضة فيه يومذاك كنا نسميه الرقيب، ولا رقيب إلا رب العباد، ثم ذهبت مايو وحاء عهد جديد - وطن محمود هو الاسم الذي يصدق مسماء - لتقيماً علي إتفاق في حريف ليستني بمسعى إخوانه الذين توسموا فيه حيراً لتعصبه ورياً للعدل وحامياً للقصاص الشعبي - ذلك اصطلاح آخر يشمي للمهداوي أكثر مما يشمي للديموقراطية قال محمود إن كان القصاص هو سيادة حكم القانون فأنامعكم أما إن كان هو الانتقام بهد نيس من شرعي»

وقال الأستاذ محبوب محمد صالح، فويوم أن جاء بي سلك المحاماة، جاء يحمل تلك الحبرات البشيرة والفريدة من ميدان الصحافة، ومن مصبة القضاء ومن يرث الثقافة والوطنية، فكان محمود في خدمة المستضعفين - يمنح لهم قلبه ومكتبه ويتبني قصاياهم ويدود عن حقوقهم - وما جعل المادة يوماً أساساً لقبول قضية أو الدفاع عن مظلوم، ما جاءني مظلوم يطلب عوناً قانونياً ولا يملك بكلفه إلا أحلته ليه نعة في محمود ليلعل شكوه ويسسى مظلمه ويسبري للدفاع عنه، لا يطلب جراً ولا شكوراً وكانت حقوق الإنسان شعله الشاعر، ولا يقبل الصميم لأحد، ولا يتساهل في إسهاك يقع عني مرد في أي مكان وقد حول قاعة مكسه إلى مقر اجتماعات لكل الهيئات الدفاعية التي تكوّن للدفاع في قضايا الرأي والفكر يحمل الهم كله ويقود في توصع جم وبقوق الحجج في صوت واثق لا يهو

أصوات

محمد سعيد معروف ومحمد الحس أحمد في أوقات لاحقة وكادت الصحيفة قد اتخذت خطاً يسارياً منشدداً وجد صدى عميقاً في أوساط الناس في تلك الفترة السليمة وقد استمرت في الصدور منذ أول يناير 1950 وحتى 31 أغسطس 1961 صدر خلالها ألف عدد وكتب فيها العشرات من الكتب والصحافيين الشباب حيث رأى العديد من الأقلام النور لأول مرة فيها وبحر من مدرسينها الكثيرون منهم جعفر حامد الشبر ومحمد الحس أحمد، وعصمت يوسف، ومحجوب عبدالمالك، ومحمد عبدالرحمن شيبو، وصلاح أحمد إبراهيم، وعلي الملك. كشف عدالله رجب في مذكرته عن تجربة نقاديه للإعلامي مع نظام نوفمبر العسكري الذي استمر حتى عشية ثورة أكتوبر الشعبية حيث سب له كثيراً من المصائب وأصعب من تاريخه المشرف وقال إنه بعد الانقلاب اشترط سديته على الصحف قبواً كانت سيجبها توقف بصحف الحرية الصريحة مثل «الاشعاء» و«الأمة» و«الميدان» وبقيت صحيفتا «الطائفيين» «البلبل» و«صوت السودان» قبل أن تتوقف أخيراً بدواعي لقبود عسكرية. وبقيت صحف الأفراد «الرأي العام» و«السودان الجديد» و«الصراخ» و«الأيام» و«الرماد» و«الأحبر» - رحمتي سديما - وبسما أوقف صحيفة «الأيام» لبعض الوقت وأصل الشركاء العمل بصحيفة «المورنج نيوز» وبأعمالهم التجارية، وهاجر بشير محمد سعيد إلى نيويورك لعمل بسكرتارية الأمم المتحدة. وفي آخر عام 1961 قابل هناك الفريق إبراهيم عود ومرافقيه وكان من بينهم صديقه الزيراني أحمد خير وريادة أرناب اللذان توسط لعودة الأيام في أوائل عام 1962.

وكان مكتب الاستعلامات قد أصدر صحيفة «الثورة» في أغسطس 1960 وكلف عبد الله رجب ومحمد الحس أحمد بتحريرها إلى جانب قبلي أحمد عمر، ومحمد فصل الله، لأن عبد الله رجب انسحب من المهمة في ديسمبر من نفس العام وقال إن الصحف المستقلة تعاونت مع الحكم العسكري بلا

يستثاء وأن محمد سعيد معروف ومحمد لحسن أحمد صوتاً إلى جانب محرري «الصراحة» لأحرين بالتعاون ولَمْ يبعد قرار حربهما برقص لحكم العسكري وفي تلك الأثناء مسلم محمود أبو العرائم جريدة «الصراحة» من وزارة لاستعلامات وسميها «الصراحة الجديدة» وأخذ عبد الله رجب يتسلم حسين جريهاً شهرياً مقابل حق الإمتياز لَمْ يتكر لأستاذ عبد الله رجب تعاونه مع نظام العريق عود وقال إنه فعل ذلك «باعتباره نظاماً سودانياً» وقال إن وقوفه معه كان أشرف من «لهاك ويدعاء البطولات كما حاول أن يفعل آخرون

وتعرض عبد الله رجب لتجربته في التعلم الذاتي والقراءة الحرة وأورد علويين «الكسب التي اطلع عليها والتي تحوي شتى أنواع المعرفة.. وربما يكون قد ساعده أيضاً أنه أدار مكتبة في ساحة ارتبط بعلاقات واسعة مع المثقفين والمهنيين باثقة وتبادل الكتب والمعلومات وعن من أطرف تجارته مآياته في اللغة الإنجليزية فقد روي أن اشباب من آل قوته الدين كانوا يجاورونه في السكن - شرعوا في تعلم تلك اللغة وقام بتدريسهم الأستاذ بشري عبدالرحمن لمقبول وفي الشرع ويجوز الموقع الذي إتخذ مكاناً لبيع السجائر والكبروسين جاء بكرتونة بضاء لأحد هؤلاء الشاب وطلب منه أن يكتب له الحروف الإنجليزية التي كتب إلى جانبها الحروف العربية المقابلة لمساعدته على بطقه والتعرف على محارجه ومن ثم أحد يدرّب نفسه على تعلم الهجاء ويتحرّك بمفرده على قراءة عناوين السلع وإعادة كتابتها من صناديق السجائر والكبريت ولحلويات وطرود الأقمشة وطرود الرسائل. وحينما تمّدم قليلاً أحد يطلب مسامح اللغة الإنجليزية من المدارس ائمتخصصة في مصر، ثم واصل كدحه في التحصيل حتّى تفوق في لغة الإنجليزية وبات أحد القلائل الذين يترجمون في مستوى رفيع منها ولها وقد تمّ إختياره في مسوئته لأخيرة كأحد كبار المترجمين في العصر الجمهوري وشرب له لصحف كثيراً من الترجمة في شتى صروب

أصوات

المعرفة وخاصة في الشؤون العالمية وعلم النفس ويعتبر عبد الله رجب صاحب أول ترجمة عربية لرؤية حقوق الإنسان وكان عبد الله رجب إن المذكراته ستصبح من كلاسيكيات لشعب سوداني، مثل «طبقات ود صيف الله» وسوف تعيش في وحدات هذا الشعب تناقلها «الأجيال جيلاً بعد جيل». وبما ذهب الرجل بعيداً فيما قال، فما كتبه جدير بالاهتمام باعتباره سجلاً ودياً للحياة الاجتماعية التي عاشها وفتحت عبء عليها منذ سنوات العشرين لي القرن العشرين فكانت تجاربه المختلفة وثقته من مكان لأخر وجرائه في محاولة التعرف إلى الناس والأشياء والاستفادة من المعرفة سبباً في ثراء وتنوع وأهمية تلك المذكرات، وهي بعنوان «مذكرات أعيش»

توفي عبد الله رجب في عام 1986 وهو في السبعين من عمره أنفق منها جوانب حسين عاماً في العمل الصحافي

16 إبريل 2002 م

رجلٌ من حسنات هذا الزمان محمود حاج الشيخ عمر



«ما من حصة قعد في الرحاب إلا وكانت فيه».

د. منصور خالد

ما كنت أحسب أن مرأً من الناس انفاعلين ذوي القيمة والأهمية في مجتمعنا السوداني نفوس معرفته لأنا برغم أن بهم بالأعداد من معاصرينا وأسلاف، حتى فاجئني في العاء الماضي أستاذنا الدكتور فيصل عبدالرحمن علي طه سعي محمود حاج الشيخ عمر المحامي، فأثني عليه وأطراه وبين مكانته ونوه بقصده إلا أنني لم أكن قد سمعت عنه رغم أنني لا اعتبر نفسي عربياً على مجال القانون، فقد سرحنا في إحدى كلياته. رآه عجبني الآن من تقصير تومعته في نفسي حين أدركت أن إحدى سجناء محمود كانت لتعبر من الصوء والصوصاء، وتجاد

أصوات

ولد الشيخ القدال في كسلا في مطلع القرن العشرين لأحد كبار رجالات الطريقة الحتمية . فقد كان والده حليفة لمخلعة قريباً من السيد محمد عثمان بن السيد محمد الحس الميرغني . حتى بعد صحبه في معاه إلى مصر حين خرج من السودان إبان الثورة المهدية فتشعبت روحه مند ميلاده بذلك العنصر الصوفي التليد الذي نوسحت به مدينة كسلا . وشأ في كنف طاهر ساعد في تكوين شخصيته التي عدت نموذجاً في السلوك ومكارم الأخلاق بعد أن أكمل تعليمه لأوسي في كسلا ثم إختياره للدراسة في مدرسة العرفاء بكلية غردون وكانت تلك المدرسة تقوم بإعداد الطلاب ليصبحوا مدرسين في المدارس الأولية . تعرّج في هذه المدرسة معلمون أقباط تركوا أثراً واضحاً في تاريخ التعليم النومي الحديث أمثال مصطفى أبو شرف وحسن بحيلة وود عيسى زيادة وإمام لحصر الإمام وعثمان هاشم وغيرهم

عمل الشيخ القدال مدرساً في شرق السودان مند تخرجه وكانت تلك المنطقة تحتاج لمعلمين موهوبين قادرين على تفهم أحوال وطروف القائل التي تعيش فيها . وتحتاج إلى صبر وتحمل وقدره لتستمر المدارس وتؤدي مهمتها بنجاح . وقد استطاع القدال أن يصبر مثلاً رائعاً لمثل هذه النوع من المعلمين الذين كانت تحتاج إليهم بلاده في تلك الفترة البكرة والحرجه من تاريخها وقد برع بحمه بالفعل في أو حر سواب لثلاثين عندما بدأ شرق السودان يتحدث عن ذلك انفتى المدرس . خرج كلية العرفاء

وحيث بدأ معهد بحث الرضا دوراته التدريبية المشهورة (الكورسات) للمعلمين كان القدال من أبرز السواب الذين إلتحقوا بها . حيث توطدت صلاته مع المعلمين الذين أنجروا الثورة التعليمية في السودان . عبدالرحمن علي طه (نائب العميد) ومكي عباس وغيرهم من أساتذة بحث الرضا الذين حبروا معنده مما أدى إلى ترشيحه بفسر إلى حصر موت حيث إستطاع أن يمثل بلاده بأروع

بالجثة والصباح ولكنه يثبت الحق بالمنطق و بحجة»

وقال علي محمود حسين رميه في مهبة المحاماة محمود كـ فارس لخلية هي هذه المهبة، ومن ثم فإن همه الأساسي كان إشاعة الحريات، لم يكن يرى للحرية حرباً ولم ير لها لون ولكنه رأى قيمة ينبغي أن يستمتع بها الجميع وعند عهد مايو وحتى في ظل هذا النظام ظل محمود هو قائد مسيرة الدفاع عن الحرية في جميع القضايا، وما اعتقل إلا وتماضيا نحو مكتبته وحوله يحتفي فيه ويسترشد برأيه، ويستهدي بحكمته ويستعن إمكانياته من أجل العدالة، ومن أجل الديمقراطية

أما يسير مدثر فقد وصف محمود حاح الشيخ بأنه لم يكن منفصلاً طاروياً منعالياً، وهو يتمتع بما لا يتمتع به جيش جرار من لصوة الرجسية التي تسمى بدائرة الثقافة و لمعرفة وديندبها الصحيح والنصح كان عرب العلم في كافة العلوم الإنسانية ممتك بالتقدير والاحترام للتقاليد الإسلامية، والسودانية الأصيلة، ولا عرو هي ذلك فهو بن الشيخ الجليل النور حاح شيخ عمر دفع الله أحد أبرز رموز الحركة الوطنية الحديثة في السودان

كان أول من تبادر إلى ذهني حين أبلغني دكتور فيصل نعي محمود هو شخصية حاح الشيخ عمر أول من هتف بشعارات معاديه للاستعمار البريطاني في مقبر أم درمان خلال تشييع جثمان النماز المصري عند لحاق حس عام 1924م. وقد دبع ثمن ذلك حكماً بالسجن وبب أول سجين سياسي في معارك حركة السياسية الحديثة وهذا أعجبي وصف منصور خلد لذلك الشيخ المناضل حين قال «ومن ذا الذي لا يفاخر به حاح الشيخ ودعم، ذلك لشيخ شديد لقتل منقطع القرين كان عالماً مبارراً في ناحيت أعلم وبيثاً هداراً في ساحات الصال، أذكره لأنه أورت محموداً وحتوته ميراثاً خليفاً حسيماً سم بهم إلى حيث ينبغي أن يكون الرجال،

أصوات

وذكر الطبيب حسب الرسول قصة حدثت في أيام رمادية كابية نُصبت فيها رؤوس بمقنن وعاشت روح التسامح والتسامي فقال الأكاذيب قصص على لأح فاروق الربيع بسبب خطاب جده حمير رُسبه بالإعدام الهادي، رحمه الله، هي لجزيرة أنا، قصصنا تبحث عن أحد يتولى اندفع عنه فأعيانا تبحث حتى جئت لمحمود وقلت له، محمود هل تتولى الدفاع عن فاروق في المحكمة العسكرية التي شككت على عجل؟ فقال بقوة نعم، ومن يدافع عنه إن لم أفعل أنا! وقال أحد الحاضرين هذا مسلك وعرا فرد محمود إن لم أفعل سأغرق هذه الوريقة، مشيراً إلى رخصه المحاماة المعلقة على حائط مكتبه. ذهب محمود يدافع عن فاروق والآخرين على عجل فكان لحكم بالإعدام، ولكنه حُف وعض فاروق وشأت بسهما صداقة أبدية

عس معل في صبه الباكر، ثم اشتمل بالصحافة، وكان مراسلاً حربي وسياسياً لصحيفة الرأي الدم، من جبهة القتال في ليبيا العدوان الثلاثي، على مصر عام 1966 ثم عاد وأكمل دراسته للفنون في جامعة القاهرة فرع لخرطوم، واشغل بالقضاء ثم إسناد لفرع للمحاماة التي نجح فيها وكرس حياته لإغاثة المحتاجين وإغاثة الملهوفين ومباشرة بصعفاء.

وقع في يدي الكتاب الذي حمل عنوان محمود صاح الشيخ عمر مواقف ومبادئ والذي تضمن كلمات أصدقائه وعارفي فصله الذين أطنبوا وما تجاوزوا فأوفوا الرحمن حقه في حفل تأبينه، فأردت أن أنشرك بفره فيما قيل عن ذلك السبيل الذي عز أمثاله في هذا الزمان.

9 سبتمبر 2003

القذال رئيساً لحكومة حصر موت

لا أدري لماذا قفرت صور سيربالية إلى ذهني حين قرأت رثاء محمد عثمان ياسين للشيخ القذال بقرله «وحن إذ ودع القذال باشا سعيد القذال إلى منواه» الأخير يودع فيه آخر مثال نجيب العصاميين السودانيين لأوائل أمثال رابع الربيع هي تشاد وسوركتي هي أندوبيسيا الذين تركوا بصماتهم في مصائر دول شقيقة ذهبوا إليها بمحض إرادتهم في ظروف قاسية فأدو رسالتهم خير أداء، ورابع هو «ماتد المعروف الذي سق طريقه إلى غرب أفريقيا بعد أن رفض للإسلام لجسي الإيطالي في بحر اعرال واحتد مع سليمان لربير وهناك حارب الفرنسيين ورفع رية المهدية وقتل في معركة فورت لامي الشهيرة بعد أن أسس دولة لا تزال آثارها شاخصة. أما أحمد سوركتي فقد كان يعمل مدرسا لعلوم دين في مكة حين استدعاه الحضرة العلويون لمهاجرون في أندوبيسيا بقم لهم مؤسسات تربية فأنشأ مدارس الإرشاد التي نالت شهرة واسعة امتدت من أسونيب إلى حصر موت عن طريق المهاجرين العائدين ومن خلال المدارس التي أنشأوها على سط مدارس الإرشاد التي أسسها سوركتي هناك

حاء الشيخ القذال إلى حصر موت معاراً في عام 1939 ولا يزال شاباً في المقدم الرابع من العمر ووصل إلى ميناء المكلا وحيداً لم يتعرف إليه أحد ولم يستقبله أحد عريباً عن تلك الديار التي لم تشاهد كثيراً من السودانيين بعد . وبعد ثمانية عشر عاماً خرج ذلك الفتى من حصر موت بعد أن تجاوز الخمسين في وداعه سلطان البلاد وأعابها بعد أن عاش بينهم معلماً ووزير للمعارف وسكرير للدولة (رئيساً للحكومة)

التحطاسي البارز والعالم الموسوعي

التحطاسي لماحي



صديقنا الشاعر عبد الله إبراهيم موسى شايو، كان ريحانة أماسيد، يعيب عما أحياناً فجأة مخرج. نعاتبه حين يعود فيعتر بأن هوى الكوة غلب عليه فخرج إليها، يمازحنا ويقول « نسير على شاطئ النيل بالكوة نتحدث في كل المعارف، نعالج السجوم والمعجزات وحين يستشكل أمر تلتفت فمري شبعاً من بعيد يصطاد في النيل، لا نعرف من هو فندعوه، نحتكم إليه، نعرض عليه ما غمض عينا، يتفجر متكلماً في أكثر مسائل الفكر خصوصاً فجد صانت ويعود هو إلى حيث كان، وكأنه لم يفعل شيئاً يضحك شايو ملء رتبه ويؤكد أن شاب الكوة جميعهم هكذا علماء وصابون ومبدعون مكبرون على المعرفة والثقافة وهذه هي روح التحطاسي التي لا تزال نضوج في فضاء بلده ودروبها بأريجها «سواح هـد الممكن سائرت على ثره دمه الشاعر لشيخ إسماعيل الدفلاشي صاحب الرابطة، قبل أكثر من أربعة قرون.

ما يكون يقدم نموذج الشخصية السودانية بجمع أبعادها

استطاع الشيخ القُدَل بقدراته الفذة أن ينقل تجربة بحث الرضا في الثورة العلمية بما يتناسب مع ظروف حصرموت وبدأ منذ عام 1940 في تنظيم المدارس وكان بالمكلا مجموعة من المدارس في حصص بشيئة فكوّن منها ثلاثة فصول للمرحلة الابتدائية، وانتقى لطلاب المسميريين وشكل منهم الصف الأول للمرحلة المتوسطة، وكوّن من طلاب المدارس الإنجليزية لصف لثاني وفي أواخر عام 1941 افتتحت المدرسة الوسطى في المكلا - أو في النواحي تحولت لمدرسة الإنجليزية القديمة إلى مدرسة وسطى حديثة، إنتقلت الدراسة فيها مع الإهتمام بالانشاط حيث تم تشكيل فرقة لتمثيل بالمدرسة قدمت مسرحيات متميزة بدأها الشيخ القُدَل بمسرحيه «حرب البسوس» ثم نواب المسرحيات بحب إشراف الأساد عوض عثمان مثل «مجنون ليس» و«الأمم والمامون» وفي «سبل تاج» ويعبر المعلم لوداتي عوض عثمان مؤسساً للحركة المسرحية الحديثة في حصرموت كما يعبر مؤسساً للفرقة الكشفية التي نظمها وأشرف عليها حتى أن أحد أعضائها الطالب صباح بن همام (يعمل الآن طبيباً بالسعودية) شارك في معسكر كشمي أقيم في فرنسا

كانت المدرسة الوسطى في عيل - بأورير بمودجية - والوحيدة في حصرموت.. ويتم إختيار التلاميذ لها بعد إمتحانات نفسية يحلّس لها المئات - وقد وفرت لها اسولة مكاييت كبيرة كان يهجعها الأكاديسي ربيعاً، حيث يمنح النشاط الذهني باليدوي مما يرقى بالعملية التربوية إلى درى عالية من التكامل، ويمارس لطلاب فيها نشاطاً ثقافياً واجتماعياً منشعباً الكشافه - ونادي صعر المرارعين وجمعية التمثيل - والجمعيات العلمية والصحف لحائطية ويسودهم جو ديمقراطي رقي يحلّس نلاميزها في حالة مسنمه من لتعليم والتعلم الأمر الذي يدفع بهم نحو الخلق والابتكار، فأصبحت ذات طابع

أصوات

صغري، معامل وفصول ود حيات وكنت انجمنيات المدرسية تتنافس كجمعية
سبح بأنواعه وتحليل الكتب المدرسية وبأدي صغار بمرارعين ادي يقوم
أعضاءه بحرق الأرض ورر عتها ومعهد بالري، ثم بيع المحصول، وكانت أعمال
لنادي تنوع ببطء دقيق تحت إشراف إدارة من لتلاميذ يجتمعون ويأفشون
بقرات ويحلمون ثم ينعون في حو تسوده الديمقراطية.

وعند رر مستر قريش - الذي كان عميداً لمعهد بحب الرضا - حصر موت
بدعوة من المستشار البريطاني لتقويم ما تم انجازه من الحطة التي وضعها عام
1938 ومدى نجاح الشيخ لعدال في مبداه، كتب عن التقدم الحقيقي لذي
لسمه وسر كثيراً وفان ولكن لا عراة إذا يدكر أن الشيخ انعدل كان هـ

لثم يقتصر دور الشيخ انعدل على أن يكون رائد لجيل السودانيين لدين
هاجروا لشر لتعليم في اليمن الجنوبي ولكن ارتفع به طموحه ودكاؤه إلى
مرتبة الوزارة التي يرتفعا فصار وزيراً للمعارف وحدث بعد أن منحه لسلطان رتبة
باشوية في عام 1945 ثم لثم بدت أن تم بحياره رئيساً للوزراء وذلك في أكثر
بمقاطعات تعليم وثقافة

لثم يكن عدال وحده حين نهض بالعملية التربوية في حصر موت بل كان إلى
حده معلمون آخرون حصارمة وسوديين من بينهم الأسيدة عوض عثمان،
حريج بحب الرضا، وحسين حوجني معلم اللغة الإنجليزية الذي وصل إلى
حصر موت عام 1944 وسعيد أيوب القدس، ومحجوب زباده حمور، وإبراهيم
مجدوب مالك وأحمد بانكر العمدة والدين قال عنهم مستر قريش أووما
يشجع أيضاً أن الأساتذة السودانيين الستة يرثمون أنفسهم مع احتياجات
للاد

وفي عام 1961 قدم المستشار البريطاني تقريراً شاملاً عن التطور الإداري

والرعاي في حصرموت وذلك بعد عام من تولي الشيخ القدال منصبه الجديد. فقال إن سكرتير الدولة الذي عُيِّن حديثاً يمثل مميزات إدارية حقيقية ويحظى بالاحترام على امتداد البلاد وهو رجل حكيم ودكي وله شخصية قوية جدٌ ومعروف ببراثنه واستقامته ولقي تعيينه ترحيباً من الجميع. وقد استطاع أن يقبض على رمام الأمور بحزم وأظهر بصماته الإدارية. سي كانت الحجة ماسه إليها لسنوات عديدة، وما زال معاصرو القدال يتحدثون عن استقامته ويتحسرون على أيام حكمه السريفة.

وعندما رار محمد عثمان ياسين حصرموت موقداً من قبل الأمم المتحدة في سبعينات القرن الماضي كتب عن النظام القضائي في حصرموت يقول لقد أدهشني وعلا خيالي أثناء درستي الإدارية لذلك المنطقة النظام القضائي الإسلامي فيها الذي شارك في وضع أساسه المرحوم القدال، كان اقدال أيضاً قد اتخذ خطوات نحو تطوير نظام الإداري وانتدب إداريين سودانيين متميزين من بينهم لفاضل الشيع الذي وصل إلى حصرموت مساعد للسكرتير للشؤون المالية كما اشكر نظام المؤتمرات الإدارية واهتم بتدريب الإداريين المحاصرة لتولي الوظائف العليا في بلادهم وتم بالفعل إرسال الأستاذ محمد عبدالقادر بامطرف إلى مدرسة الإدارة بكلية الحقوق الجامعية، وعاد يعمل ورياً للسلطنة وفي أثناء تولي الشيخ القدل رئاسة الحكومة ظهرت بشائر السط في حصرموت وحاول الإبحير توقع اتفاق على عجل من حكومة حصرموت وشركات الإنجليرية. واستطاع القدال أن يقنع السلطان بأن توقيع مثل هذا الاتفاق سوف يظل من بقاء لإنجليرية لبلاد. وجمع في عرقه الأمر طوال فترة رئاسته للحكومة التي انتهت في عام 1957

عاد القدل إلى السودان قبل إنتهاء عمده عام وعمل في حمل التعليم مرة أخرى وخاصة في كسلا في كامل حيويته وتدفقه في كتابه الشعر الذي ظل

أصوات

ملازماً له طيبة أيام حياته العامرة وصفه صديقه أبو شرف بقوله صامر حلو
سعة، فكاهة البسار، منصر في حديث متحير للقط، فأنت في محله لا تجر
على الكلام وموكت تشهيه لأن متعتك الحقه أن يصعي بكن جورحك إلى
هذا المررد، وكأنه أنعام البلال فهنا اشاعر الملهم، ولعورج لحنمكن
والعطيب المعوه، والمنحدث البرع، واستياسي الحادق، وهو قبل ذلك كله
بمسلم لهادي النفس، عطيب سريرة المتسامح دائماً، فهو على نور من ربه
من المصادفات ابانوه أن يسجب مثل هذا الرجل بحياته اثرية هذه وتجاربه
بمتعدده ابناً مؤرخاً هو الدكتور محمد سعيد القدان ندي إمتطع أن يرسم
لوحة لوالده في عاية الروعة ولاعتدال لم نصح به عاضفه ولم يهره هوى
وكانت الوثيقة حاصرة في كل صفحات الكتاب ندي وضع به عنوان هو «الشيخ
نقدال باشا معلم سوداني في حصرعوب ومصاب من سيرته 1903 - 1975

26 أكتوبر 2002

في الثقافة السودانية

والطب النفسي بجيף، كما استضافته كثير من الجامعات الأمريكية لبدء
إعشرات من المحاضرات عن الطب النفسي إنتقل التجاني الماحي إلى رحمة
مولاه وهو في الخامسة ولستين مهنتاً حياة بجسد قدرة للإنسان لا محدودة
على نيل المعارف والتحصيل والسمو إلى أعلى القمم

لم يحظ التجاني الماحي بالكريم الذي هو جدير به، شأن الكثير من العلماء
والعبدعين في بلادنا، فهذه السيرة لأقرب إلى الأسطورة كان ينبغي أن تجد من
يهتم بها حتى تلهم مثمها وعلماء الشباب، لاسيما أن تقدم بالشكر
والعرفان للقاتمين على مركز عبدالكريم ميرغني الثقافي في أم درمان، الذين
قاموا بنشر كتاب «التجاني الماحي، سادن المعرفة»، الذي صدر أحير لمؤلفه
الدكتور حسن أبشر لطيف وتقديم الدكتور محمد إبراهيم الشوش النديس حاولوا
بحب وحفاوة أن يقدموا طوعاً من السيرة العطرة للراحل التجاني ويضيف للمكتبة
السودانية التي تمتلئ كثيراً بسير الأفاضل من أعلامنا.

24 أبريل 2001م

حين إديهمت الأفاق في الصف الثاني من مسوات لستين في القرن الأول
وعادت لرؤيته وانتهت السبل وحاصت يابيع لأمل بعد أن تصوحت أورا
أكتوبر الأحرار وعصفت بها ريح الصعدن وأحلام العاصير، ساد الصوط وبيع
ليأس مداه في أوساط المثقفين، فأعرب الكثير عن الصيق والتبرم من تلك
الحالة التي أنهت إلى الأراهن الكثيب سياسيون أفندية يتراهون منهاقين
على السلطة والجاه تحكمهم روح العلاوات والترقيات والتمرع في تراب الميري
دون حارة واستحقاق تعزيرهم القدرات الفكرية والثقافية ويفتفرون إلى البرامج
ووصوح الرزي نعت هؤلاء المثقفون لم يحدوا سوى التحاني بمودجا يحتدى
وشخصاً تهو إليه النفوس فاستعدت عبد الله علي إبراهيم متاعاً، في مقاله
شبهة نكت به انتحاني الماحي قارىء الألواح رآه وحده الساحت عن لحقة
والسدد للمعرفة والصعف عن لعادت الدب يقصي ليده منقلبا في متون
لكتب وانخصوطات وسحابة نهاره في مواسة المرصى والهوص بالواجبات
وقصده بحاحات احتفى به مبتدراً بقوله وهاد أحلس لأكتب عن العالم العلامة
والخير المهمة وقطب رماه وعوث أواه، سيدي ردحري التجاني الماحي أحس
بالقافية لشروود اني لم يسلث وعز دروبها إلا فعون شعراء نظرو نبي طيفة
بأدب وامثال المسجع الذي يتدنته لركاكة والإدعاء والرحرف والوشى لحن
يسلس قياده ويصحنى نفسه محتاراً لأدبع فصل هذا الكاهن، سدد المعرفة
والقلم بسقاية طلابها المحهدين المكشودين راد شرع في شكره لزيد طولا
وانتشر عرصاً وأسامى كالأثير، كفواف برهر العصر، كريمة مطلع الحريف كأريج
بهار القهوة في جلسة مكسال في ظن الصحنى، أندعم في الوجود، يدعم في
الوجود، أنهر وأستهز وأسكر كفى يحني لشال من هو بها كلف معرم بعد
أن استحقه سيطان يردان بها طهره، شكر سيدي التجاني الماحي أقرط آدان
اساميين الصماء، وأعلى حيد لومان سامل وأربس وحه انصاة الميسس، قال
«إن التجاني إذا نكلم نصاعد العلم من رأسه دححين دحاحين وحيم كل مقطع

من حدثه بالأمته «شيء غريب» فعود للمعرفة مدهشتها القديمة التي ظلت تدفع بالمكتشفين من الحمام عراة كمد ولديهم أمهاتهم وكان يتحدث عن الصبري وابن حلكان وابن حدود والفلقشدي والمسعودي، وعن ابن طباطبا وابن طراوه وحلف الأحمر وحمد الرواية وعن عبد الحميد وابن العميد والقاضي الفاضل وابن لاثير وعن علقمة الفحل ولجأحظ وسيبويه وابن ماسويه وابن شهيد، وعن يعانحي ورومر وحتمس واحسانون والكنداك، عن سوفكليس وسكسبير وويررويرث وشوسر كان يجيد اللغات الإنجليزية والمارسية واللاتينية والهوسا فضلاً عن العربية ويعتبر حجة في اللغة الهيروغليبية ومرجعاً في تفسير المعاني، وفي أيامه الأخيرة كان يدرس لغرسية والألمانية وبعد ذلك يجد وصفاً لمقد ميجلسه المكزية يصب ويتحدث وسط مريديه وتلاميذه، كما يجد وقتاً لريادة العرصى في منازلهم ومساعدة المحتاجين من المثقفين والسياسيين وبمحضر عائلته كل عطفه تخصص التجاني الماحي في الطب النفسي وبرع فيه حتى تجاوز صيته المنطقة العربية والأفريقية، حيث اختارته منظمة الصحة العالمية حبيباً إقليمياً لمنطقة شرق البحر المتوسط، وباتت أبحاثه ودراساته مراجع علمية موقوفة يتم تدريسها في أقسام الطب النفسي في كثير من أنحاء العالم إلا أن التجاني كان مهتماً بالفلسفة والتاريخ والاجتماع والأدب والإدارة والحصانة الإسلامية. لقد كان موسوعياً، في جميع هذه العلوم ويؤمن إيماناً راسخاً بأن المعرفة الإنسانية بمختلف صروبها تقود إلى عاية رحدة.

حيما رار المؤرخ والعالم الموسوعي المشرق العربي حاك بيرك الحارطوم توجه إليه ذات مساء وخرج منه تعلوه الدهشة والإعجاب قيل إنه في مكتبة «أفريكانا»، كان يقدم إليه المشرف عليها أحد الكتب التي وصلت إليه عن الطيور وقد بلغ ولعه بالمتحولات القديمة أنه كان يسافر إليها في روسيا وأفغانستان والصين والهند وبلاد القوقاز وأسباباً منه حين كان عضواً في

أصوات

مجلس سيادة رارت السودان الملكية اليرايث الشية فأهداه مجموعة بادرة من الرسائل كان فيها ما يشث أن الجبرال عردون تسم بالشود والفحش وسرقة أنواع نادرة من اللاط كان يؤكد بذلك أن أخلاق السودانيين لا تسمح لهم بالابتزاز ذلك رغم ما كان يعلمه أن بريطانيا لاترأ تنظر شراً إلى السودانيين حين يأتي ذكر عردون الذي ضوه قديساً أعماله بربرة لثام

كان الدكتور التجاني يمتلك أكبر مكتبة يملكها فرد في اسودان، راحرة بكتب التراث الإسمي بمختلف اللغات، كما احتوت على ستة آلاف مخطوط أثري نادر، وحينما عرض عليه بيعها بأموال طائلة رفض ذلك مستكراً وأثر إهداها إلى جامعة الخرطوم

لم يعمس التجاني في العمل السياسي كما نعن رصفاهه الحريجون كان لا يطلب محمداً عندما أحسن بالصيق في مؤسسته الحربية التي تكلمت عظامها واستعصت عليه وهو العالم النفسي، هجرها إسقالة كانت حديث الناس

كان ميلاد التجاني في بده الكوة الواقعة على النصفة اليمنى للميل الأبيض في عام 1911 وتخرج في كلية كشر الطبية عام 935 وعمل في معظم مدن السودان، وفي عام 1947 توجه إلى بريطانيا مبعوثاً للدراسات العليا في جامعة لندن، وبعد عامين قصاه هناك عاد يؤسس عيادة للصحة النفسية عرف بمستشفى التجاني (مأحي للأمراس النفسية، والعصبية بأم درمان، وبات أشهر أطباء علم النفس على المستوى الإقليمي حيث حثارته منظمة الصحة العالمية مستشاراً في عام 1959 وأيام في لاسكندرية حتى عام 1964 ومن ثم عاد إلى بلاده ليتم بحياره عضواً بمجلس السيادة في حكومة أكتوبر كان الدكتور التجاني شغراً بالحياة والنشاط الجسم فقد شارك في العديد من المؤتمرات العلمية والدوات وترأس أول مؤتمر عقد بإشراف الأمم المتحدة في التعليم

أصوات

سقوط الحرطوم في يد الإمام المهدي وعدم معرفة مصير عردون

واحتفظ الدكتور التحاني الماحي ببعض أوراق البردي، وهي من أقدم المواد
لتي إستخدمت في الكتابة قبل اكتشاف صناعه الورق، وقد كتبت عليها
بصوص عربية كل هذه الفاتمه عبارة عن إشارات لتلك الأسفار المتراكمة
والدوريات والكتب النادرة والمحفوظات التي لا تقدر الآن بمنس ولحوائظ
لقديمة التي رسمت قبل تطور علم الجغرافيا ولرحلات الاستكشافية. حيث
كانت معظم أحرء أفريقيا ومناطق أخرى من العالم لم يتم التعرف عليها كما أن
هناك عددا من التحف لأثرية المادرة واللوحات.

5 يونيو 2001م

مكتبة التجاني الماحي

لا بد أن الأمر سيكون طريفاً لو قدر لك أن ترى خريطة جغرافية للسودان القديم قد تعود إلى عام 1525 كما هو مكتوب عليها أو إلى ما هو قبل ذلك بدلاً من نهر عطبرة ستري نهر تاكاري وبدلاً من سهل البطانة ستجد جزيرة مروية. كما ستجد مدن قري والحفدية ومروي وشدي وسواكن والأبيض وسدر وود حيدراً ولعينتون وقد كتبت «حيلافون»، إلى أنك لا تجد الخرطوم ولا أم درمان اللتين برزتا كمدينتين في القرن التاسع عشر وتصبح في تلك الخريطة السيل الأزرق من مسعه في بحيرة تانا التي ورد اسمها في الخريطة بران أو ديبا، إلا أن مسبح السيل الأبيض لم يكن معروفاً آنذاك لذا نراه نائها في أواسط عرب أفريقيا من غير مسبح. وقد كتب عليه النهر الأبيض، كما كتب على البحر الأحمر الحبيج العربي أما إمدد الصحراء الذي يتاحم حدود السودان العربية فقد كتب عليها بحظ واضح «أماكن غير معروفة»، أما موقع بلدة الكوة الحالية فقد كتب عليها «أليس»، هذه الخريطة المادرة من مخطوطات مكتبة الدكتور التجاني الماحي التي بلغت ألفين وستمئة وخمسين مخطوطاً في مختلف العلوم من بينها مصاحف وتفسير وكتب سيرة وأحاديث شريعة ومذاهب

بمجرد دخولك المكتبة التي تم إهداؤها لجامعة الخرطوم في عام 1972 يطالعك بحال لتجاني وهو ممسك بالكتاب الذي أحبه وباب حراً من حياته حتى النفس الأخير تحتري المكتبة على تسعة عشر ألف مجلد من الكتب والمخطوطات والخرائط من بينها ألف كتاب عن الطب وألف كتاب عن علم النفس وألف وثلاثمائة كتاب عن السودان وألف وخمسمائة عن التراث العربي وخمسمائة عن التاريخ القديم وثمانمائة وخمسون عن التاريخ الحديث وسبعمائة

وستون خريطة. ونقية الكتب شملت جميع علوم المعرفة، كتاريخ العلم والفلسفة والرياضيات والميرياء والكيمياء، وعلم الفلك وكتب الزراعة وعلم النبات وعلم الحيوان والتربية والعلوم الاجتماعية والعلوم السياسية والاقتصادية والفنون التطبيقية والموسيقى والأدب والموسوعات ولقواميس وكتب بالعربية وغيرها.

أما مجموعة كتب السودان فتعد الأكمل حيث شملت جميع الكتب التي تناولت السودان باللغتين العربية والإنجليزية وغيرها، ففيها مسحتان من مجلد يحتوي على رسائل عردون بحظ يده. وقد صدر هذا الكتاب في عام 1885 وهناك أيضاً إحدى عشرة نسخة من كتاب سلاطين «البار» ليع في السودان، منها مسحتان باللغة الإيطالية طبعتا عام 1898 وأربع نسخ من طعة إنجليزية صدرت عام 1898 أيضاً والطبعة التالية لها وناريخها 1922، كما توجد نسخة باللغة الفرنسية طبعت بالعاهرة في عام 1898، ونسخة طبعت في لايرج عام 1896 باللغة الألمانية.

وتضمنت مكتبة التحاني حوالي ثلاثين كتاباً محتتماً عن عردون صبح أحدها شعراً وصدر في لندن عام 1885 ووجدت مسحتان من كتاب «قوم شقير» جغرافية وتاريخ السودان لقديم والحديث». كما توجد مجموعة كاملة من «السودان في رسائل ومدونات» مد عام 1918، ووقائع مجلس الحاكم لعام مد 1910 حتى 1925 ويوجد أيضاً كتاب عن بعثة لمار ودنقلا صدر عام 1822، ولا توجد منه سوى نسخة أخرى واحدة بمكتبة الجامعة كما توجد كتب الرحالة الذين احترقوا القارة مارين بالسودان أيام انكشافات الجغرافة والتكالب على المستعمرات أمثال ستغلي وبركهارت وجوسشون وبروس وغيرهم وهناك أربعة محدثات تضمنت صوراً قديمة عن السودان عند ريادة الرئيس الأمريكي روزفلت للحزب في عام 1910، ودلت بالإضافة إلى قصاصات للصحف الأمريكية التي

أصوات

نُبعت لرحمة وهناك طبعة خاصة بدرة من سيليوجرافية السودان لإبراهيم حملي
تحمل توقيعها، ومجلدة تجيداً فاحراً مرر كشافاً ومدهباً ومبطناً.

ويوجد كتاب إحتوى على مطبوعات المملكة المتحدة فيما يتعلق بمصر
والسودان بمصر مكتبات خاصة عن العمليات الحربية البريطانية في السودان
والتي نُتِمْ تقديمها للبرلمان البريطاني عام 1885، كما يوجد مطبوع يوميات عباس
بن مسكونير الجنرال هكس والذي قتل معه في معركة شيكان عام 1883، وقد
طبعته دار المعارف بمصر

تشتمل مكتبة انتحاني الماحي أيضاً على كتب للتاريخ القديم تبلغ خمسمائة
مجلد منها أكثر من 250 مجلداً عن تاريخ مصر المروعية من مؤلفات بدح
وماسيرو وفلندر تري وعن التاريخ الأوروبي هناك ثمانمائة وخمسون مجلداً منها
جزء كبير عن تاريخ بريطانيا والتاريخ لأفريقي وتاريخ لشرق الأوسط ومن كتب
المفسير هناك تفسير الروري وتفسير لدر المسور لسبوطي والكتاب للمحشي
وتفسير الثعالبى وابن الخطيب وابن بيميه وتفسير أخرى ومن كتب السيرة
هناك ابن هشام وكتب أخرى بسات غير العربية ذلك بالإضافة إلى كتب
الفلسفة الإسلامية كمؤلفات ابن رشد و«إحياء علوم الدين» لمعراني ويوجد
عدة طباعات من التوراة يعود تاريخ بعضها إلى عام 1549، كما توجد عدة نسخ
من التوراة باللغة العربية يعود تاريخ بعضها إلى القرن التاسع عشر

أما عن الأدب ففي المكتبة طبعتان من كتاب لأعاني ومختصر الأعاني، كما
توجد طبعات من «ألف ليلة وليلة» بالإنجليزية ولم تخل من دواوين الشعر كديوان
المتنبي بشروحات العكبري والعلامة الوحدوي والبرقوقي وسليم إبراهيم صادر
وناصف البارحي ولجنة تأليف والترجمة ونشر بمصر إحتفالاً بألفيه ميلاد
الشاعر وهناك نسخ من شرح «إخوان الصفا» لإبراهيم القاضي وبه حاشية من تفسير

العسكري والوحيد. كما تجد «رباعيات الحليم» و«سقط الرمد» للمعري وشروحه وبالمكتبة عدد من الكتب الخاصة بتاريخ العلم لمؤلفين أمثال جورج سارتون وألدو ميللي وكتب الصك لعلماء أفداء مثل البيروني وأبي الحسن لرري أما كتب الطب الذي هو مجاله فهناك حوالي الألف كتاب، منها مائتان وسبعون باللغة العربية، مثل كتاب «القانون في الطب» لابن سينا والذي يعود تاريخ طبعه إلى عام 1593 - وهو يحتوي على ألف وثلاثين صفحة بالحروف الدقيقة وكتاب «عيون الأبناء في طبقات الأطباء» لاس أبي أصيبعة، وقد نشر في عام 1883 وكتاب «المعتمد في الأدوية المعروفة» بيوسف ابن رسول العباسي المجهوسي وقد أُلحقه صاحبه للملك عصد الدولة بن بويه، وكتاب «الطب النبوي» لاس قيم البحرية المحتوى عام 761هـ أما علم النفس، الذي اشتهر به الدكتور التجاني الماحي ودع صيته فقد وجدت مذكره بحظ يده على علاف كتاب في علم النفس جاء فيها «هذا الكتاب أهذا لي الصديق العزيز إسماعيل أفندي الأهرري يوم 6/6/1935، وهو كتابه الذي قرأه في علم النفس بجامعة الأمريكية، وهو أول كتاب في علم النفس أقرؤه» وقد بيع عدد الكتب الخاصة بعلم النفس في مكتبة التجاني ألف كتاب، معظمها لمؤلفين من القرن العشرين إلا كتاب «تعطير الأنام في تعبير الأدم» لاس سبرين، وقد تم تأليفه في عام 1096هـ كما يوجد كتاب «فرسة» للرازي

تصمت مكتبة التجاني الماحي أيضاً سبعة «ألبومات» احتوت على عدة خطابات لمردود وليصجستون وصموئيل بيكر ووجت وغيرهم، من بينها آخر ما كتبه مردود في حياته بأم درمان يوم 14 ديسمبر 1884 عبر فيه عن سعادته لأنه أدى الواجب الموعود به وهناك قصاصات صحف منها قصاصة من عدد صحيفة «التايمز» اللندنية صادرة في السادس من فبراير 1885، نشرت فيها برقية عن

للاحتياجات ومطالب الرخص من قبل الأوساط المحافظة والمعلقة لم تكن الإدارة البريطانية تبنى حماماً لتتبع بصورة عامة وتعليم الفتيات بصورة خاصة ولكن كانت تترك حظورة الوعي الذي يمكن أن يتمحصر عنه تعليم الأمهات، إلا أن الأمر تم باستمرار طويلاً حتى بدأت الأوساط المستنيرة تطلب الحكومة بالتوسع في لتجريب فافتتحت خمس مدارس للبنات في مدن مختلفة وكان ذلك في عام 1911. استمر التوسع ببطء شديد حتى تم إنشاء كلية معلمات لمدارس الأولية في عام 1921 وهي عام 1948 أنشأ الشيخ أبو بكر المليك أول مدرسة أهلية وسطى للبنات بأم درمان وذلك بعد أربعين عاماً من إنشاء أول مدرسة أولية ومن ثم بدأ التعليم الأهلي في التوسع والانتشار بسبب الوعي لدى انتظم البلاد وحظها بالإتحاد النسائي خطوات أزعجت الاستعمار حين أنشأ مدارس وسطى للبنات في عام 1953 بأم درمان، والخرطوم وكان التعليم الثانوي قد بدأ بمدرسة أم درمان ومن ثم أنيج لفتاء السودانية دخول كلية الخرطوم الجامعية وتخرجت بأعداد قليلة ثم تليث أن أردت بمرور السنين

عليه هذه الفترة ساهمت المرأة السودانية في النضال جنباً إلى جنب لرجل مد ثورة 1924، وحتى قبل الاستقلال كما أحدثت قسم الوظائف المهمة وتكتب في لصحافة منذ بدايه سنوات الأربعين ولكن أحياناً يكتبن بأسماء مستعارة وقد صدرت أول مجلة نسائية في السودان عام 1947 قامت بإصدارها الأنسة تكوي سركسيان وهي سودانية من أصل أرمني باسم «بنث الوادي» وشهدت منتصف الخمسينات صدور مجلة «صوت المرأة» التي باتت تصدرها أقلام سودانية برئاسة فاطمة أحمد إبراهيم، وكانت تمويلها بالإضافة إلى التحرير عصوات الإتحاد النسائي والسيدة فاطمة أحمد إبراهيم تعتبر نموذجاً رفيع المستوى في الاهتمام بقضايا وضعها وكتسابها لاحترام جميع الاتجاهات السياسية لتمككها بأحلاق وقيم سات البلد السودانيات وكانت إحدى

المرأة السودانية..

تاريخ طويل وتحرية خصة



حاجة كشاف

«البنات تحب الفامرس.. تميت لو أرسلني متدبت أهدى بين القتائل»

محمد أحمد المهدي

«الرجل عظيم والمرأة عظيمة.. وليس أعظم من والدته الرجال»

وولت ويتمان

لا أحد يستطيع أن يتصور تلك الحادثة التي كانت تتكرر يومياً في إحدى سنوات الأربعين من القرن الماضي حين التحقت فتاة سودانية بالعمل كموظفة في مصلحة الاقتصاد والتجارة. كانت تخرج من دارها بأمر درام فتستقل الترام يرافقها أخوها حتى باب المكتب في الخرطوم ثم يعود بها بعد ساعات العمل بنفس الصورة.. كانت ترتدي ثوباً محشماً وتغطي وجهها إلا العينين ومع ذلك كانت تتعرض لسباب والحصب بالحجارة من قبل

ابدهم الدّين اعتبروا تجربتها تمرّداً على الأعراف والتقاليد وحتى هي داخل المكتتب ثمّ تسلّم من ترمب زملائها الموطّعين الذين رفض البعض منهم مجرد التعامل معها في إطار العمل، وأقسم بعضهم بالطلاق على ألا يجلس في غرفة واحدة مع «حرمة» ومع ذلك لم يحضر أكثر من عامين حتى بلغ عدد الموظفات تسع فتيات ممن أكمن تعليمهن الثانوي في المدارس الأجنبية والتحقن بمصلحه الاقتصاد وسجّارة، ونمّ تكن تلك تجربة الفتاة الأولى هي العمل بالسلك لوطيفي فقد سبقت إلى ذلك فتاتان هما أسماء فرغلي وأنيري حمعة سعيد اللتان التحقتا بمصلحة التلغرافات في عام 1920

ثمّ يدرك هؤلاء الحمقى أنّ للمرأة السودانية تاريخاً طويلاً حافلاً بالمآثر والمواقف الجليلة، ولمّ يعلموا أنّ الكنداك، الملكة التي حمت مروي حتى عام 25 ق م استطاعت أن تدحر الحامية الرومانية في كل من جزيرة الفيد وأسوان وأن قائمة أركل احتشدت بملكات أخريات يردمت بهن حصارات بيت مروي، وأنّ أمان رنم بيت الملك كاشنا (715 664 ق.م) حكمت الوحي لمبلي من مصر على عهد أحبها، وقد وصّنها بعم شميم بقوله: «ولهذه الملكة في متحف الجيرة مثال من حجر الجرانيت بقدر أهراف وقوام رشيق ووجه صبور جميل يريه لتاج على رأسها والأساور المربصة في معصمها والحجول الكبيرة في رصعها على مثال أساور السودانيات وحجولهن هذه الأيام»

وفي المجتمعات الرعوية القديمة في السودان القديم برزت المرأة إلى جانب الرجل بمشاركتها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية للقبيلة وقد تولت قيادتها الفعّية في المعارك والمصادمات مثلما فعلت شعبة المرغومانية في البطان وبكرة بنت مكابر الجعلية التي كانت مقاتلة شرسه حتى أنها تمصت عن الزواج وارتصمه بعد حين هاجت علياً ومارالب منطقة جبل أم علي نعرف باسمها وفي مجال العلم برزت شيعات عالمات أدن الحلوي وعلم النساء، يذكر

التاريخ كثيراً مهن أمثال عاطمة ست جابر التي علمت القرآن في خلوتها بقربة تراح القرية من كريمة -إلى حبب أخويها إبراهيم وعبد الرحمن- وهما عائشة بنت ود قدال التي درست بخلوتها بجهه جبل الأولياء، كثيراً من النساء والرجال وفي الشرق بمناطق ليجا اعتمد لتدريس في الخلاوي أساساً على النساء وفي الغرب يفترض أن تكون روجة شيخ الحلوة مثله تحفظ القرآن وتدرسه في الخلاوي وبررت هناك شيخات متفقيات أشان الخلاوي بأنفسهن وأكثرهن من قبائل المور والبرقو والمساليمة

وحين اندلعت الثورة المهدية أطلقت طافات النساء مشاركن في المعارك منذ الوهلة الأولى، وصحبن أروجهن وحوابهن يحمن ظهورهم ويصمدن جراحهم ويقاتلن خلف الجيش يحمن العصي العليظة ويهرجن بالأشيد بحماسة ويدكر التاريخ ربحة بنت مرعي النكناية التي سارت على قدميه ثلاثة أيام بلياليها فشقت الميافي ولوهاد والغباب الموحشة، لم تغش السباع ولا الصباع حتى وصلت إلى معسكر الإمام المهدي في قدير فأبلغته بتحريك قوات العدو من مشوه لقتاله فاستعد لذلك وأدق لقوة مرارة الهزيمة في أقل من ساعة، وكذبت لحاجة ست البسات أم سيف التي حملت نهر النيل إلى صالح ود الميث في قداسي، وواصلت مشاركتها في معارك أشوره حتى حصار الخرطوم حيث استشهدت في أغسطس 1884 هي وعدد من إيمانها البقائلا، كما سقطت شهدات أخريات أمثال حديجة ست سودكتي، وعاطمة بنت أم الحسن، البنين كاتنا تعالجان الجرجي.

كان الإمام المهدي برأ عطوفاً على النساء يحترمهن ويقدرهن ويمتلىء خطابه توفيرهن والعمل على حل مشاكلهن -وكان يتدخل حين يتشرب في تفاصيل حياتهن وكان يستشير بميلاد البسات وقد تمي أن يحجب منه من الفتيات ليصاهر لقبائل، وذلك في سعيه نحو صهر الأمة السودانية وتحقيق

أصوات

وحدثها الكبرى

وفي امهدية تم إلغاء نظام التعليم المرسط بثقافة لإحتلال التركي وتم تشجيع الحلاوي لتعليم الجسبين فانتشرت في أم درمان ومناطق الدامر، والعمراب بشندي ولجريه إسلاح والجريف، وحلقاه الملوك، و ستمر معظم هذه الحلاوي حتى احكم الثنائي، وقد برزت بساء شيعات متفهمات خلال سنوات المهدية كن يطمس بالبيوت لتعليم النساء.

في العهد لتركبي بدأ المبشرون المسيحيون شاطهم في السودان عام 1846 وشمل مناطق مختصة . فأقاموا مدارس مختلفة للأطفال يعلمونهم القراءة والكتابة والحساب ولنجارة والبناء والرسم والعماء والموسيقى وأخذت امرأة نصيب و فر من تلك لتجربة فتعلم اللغات الأجنبية وخاصة الإيطالية الأمر الذي مكن اليارريت مهن من السفر إلى مصر وإيطاليا وقد ذكر الأب الباس ف طويلوي في كتاب «تور الإرساليات الكاثوليكية في حركة الاكتشافات الجغرافية وعلم الأجاس في السودان» أن من بين هؤلاء العتبات طريفة أوديت «من الديسكا»، وبحر النيل حسن من دارهورة، وبحينة ربحان من «دار مساليب»، وقد تلقى تعليمهم بمدينة فيرونا الإيطالية، وعلمت المبشرات المسيحيات النساء والعتبات في بيوتهن فن الصبح والحياطة والتطريز ومبادئ القراءة والكتابة، كما ساعدن على تعليم كثير من الإماء بعد تحريرهن فن التوليد والتمريض . دوا أسس حديثه، ولكن ذلك شكل البدايات الأولى في هذا المجال .

كان الشيخ بابكر بدري طبيعياً على مستوى انقارة الأفريقية حين سعى في مطلع القرن العشرين لتعليم البنات في السودان، فأنشأ مدرسته الأولى عام 1907 وألحق فيها بناته وبنات الأسر القريبة من عائلته ورغم ذلك ظل هدف

مؤسسة نموذجية في المجتمع المدني

الإتحاد النسائي السوداني



فاطمة أحمد إبراهيم

كتبت الدكتورة فاطمة بلكر محمود بروحها الطليقة إرثاً و بحرأتها المشروعة
وغضها العادل المتسامح عن قضية المرأة فأوفت وراثة وأبدعت.. كتابة ما
عهدنا مثلها في هذا المجال في لدقة والتنوع والثراء والتناول النصارم وهي
الأكاديمية الحاذقة بلا ريب والأديبة الكاتبة المتمردة طرقت الدروب الوعرة
لأراد لها سوى الإيمان بإنسانية لإنسان وبقصية أحتها المعقدة أجبرتني أن
أعود إليها. وما كنت أظن أنني سأفعل بعد تقديم كتابها في الأسبوع الماضي
عدت هكل بخطي ربما لا تكون مستظمة لأن مؤلفها «المرأة الأفريقية بين الإرث
والحدائث» يلح عليك أن تعود إليه بين لحظة وأخرى. أتحمسه في كل وقت
وهو على مكتبي. أحاول أن اقتصر شيئاً إلا أنه يحتاج لقراءة متأنية عميقة.
ستمع بما فيه وتمتريد لتجد المزيد.. فما يحتويه يلح عليك بشكل هاجس
وفرحة محنوء إستوقفتني تناوبها لتجربة المصططبات التي إندعتها المرأة السودبة

تصانيف

قباداب الإتحاد النسائي البارزات، كما أصبحت رئيسة لإتحاد ساء العالم كأول عربية وأفريقية شغل هذا المنصب الرفيع. كما كانت أول نائبة برلمانية في المحيطين العربي والأفريقي، وتقيم الآن في العاصمة البريطانية

وقد حازت المعذمة المقتدرة والأدبية البارعة الأستاذة ملكة الدر محمد عبد لله معاصرة باكرة وخديرة بالثناء حين أصدرت رويتها «الصراع العريض» وذلك بعد أن باتت واحدة من كتاب القصة القصيرة المبدعين.

لقد استطاعت المرأة السودانية تحقيق ذاتها وأنت جدرانها وقدراتها هي الإعتماد عليها. وشملت أرفع المنصب وتولت حقائب وزارية. وظلت تروى عن أسرتها ونحوي أطفالها في كل الظروف القاسية التي مر بها الوطن وهي هذه الأيام الصعبة التي فرصت الهجرة على الرجل وفقت المرأة السودانية سد له في غيابه وحضوره، كما إضطرت في كثير من الأحيان للهجرة أيضاً في سبيل تحسين ظروف العيش لها ولعائلتها وإستطاعت أن تصمد في المعاصي البعيدة وتكتب حبرات جديدة وتهل من المعارف في الجامعات ومجالات لعمل المختلفة وهي ظروف الحرب بالجوب ظلت المرأة السودانية تدافع من وجودها وتعمل على استمرار الحياة

تمكف لمتفقات السودانيات الآن على كتابة تاريخ المرأة السودانية. فمعقدت السوات وقدمت المحاضرات، وأحدثت مساهماتهن تترى في هذا الشأن كما اتسعت حركة التوثيق لتصنيف تجربة جديدة لنشاط المرأة وتنوع اهتماماتها، وقد قدمت الدكتورة حانج كاشف بدري مؤلماً في غاية التماسك والثراء بعنوان «الحركة النسائية في السودان» إستطاعت من خلاله أن تصمد إلى التجربة النريجة للمرأة السودانية وقدمت مداح ساطعة للنساء السودانيات ودورهن في الحياة السياسية والثقافية

والدكتورة حاجة كاشف جزء أحسن من معارك شعنا لوطنة، وهي من أوائل الحريجات الجامعات، وقد انعمت في العمل الوطني والنشاط الثقافي والاجتماعي ولقابي واكتست بجاوب في عايه الأهلية، الأمر الذي انعكس بشكل واضح على مؤلفها الميس الذي صدر في الخرطوم عام 984

2 أبريل 2002م



منكة الدار محمد عبيدة

، المرأة الأفريقية بين الإرث والحداثة،

د. فاضمة بابكر محمود



صدر في العاصمة البريطانية أحيراً كتاب « المرأة الأفريقية بين الإرث والحداثة » للدكتورة فاضمة بابكر محمود كمساهمة بارزة في الكتابة حول هذه القضية الشائكة والمعقدة والتي تشغل حيزاً كبيراً من الاهتمام. واشتمل الكتاب برؤيته الشاملة العميقة على نماذج ورؤى حول التجربة الإنسانية للمرأة بصمة عامة كما تناول تجارب النساء الأمريكيات في كندا ومصر والسودان بصورة خاصة.

ويقول الدكتور محمد سليمان محمد مدير معهد ليديل الأفريقي ومقره في لندن إن هذا الكتاب يلمح حاجة ملحة في مجال المرأة السودانية من أجل تحريرها وإعلاء كرامتها الإنسانية، وهو يسد ثغرة في المكتبة العربية في مجال القضايا العممية والنظرية لحركات النسائية الأفريقية عامة والسودانية خاصة إنه حصيلة سنوات طويلة من العمل والدراسة والبحث

والدكتورة فاطمة بانكر محمود ناشطة شيمية سودانية معروفة وعاملة في مجالات العمل العام والدفاع عن المرأة. وهي أيضاً أكاديمية بارزة حاصرت في جامعه الخرطوم والجامعات البريطانية وقد تنقت نعيمها في شعبة العلوم السياسية كلية الاقتصاد والدر سات الإقتصادية بجامعة الخرطوم وجامعة «هل» بالمملكة المتحدة متحبة باللحة المركزية بالإتحاد السائي السوداني مدعام 1970 ورئيسة لمظمة اسائيه لحركة «البان-أفريكانة». كما أنها عصور مؤسسة لكل من إحد الكُتاب السودانيين والمظمة السودانية لحقوق الإنسان لها عدة مؤلفات والعديد من الأوراق البحثية من أهم مؤلفاتها «البرجوارية السودانية هل هي طليعة للسمية؟» ويتركز إهتمامها على قصايا المرأة والاقتصاد السوداني والإسكان وهي تقيم حالياً في لندن مع زوجها الدكتور محمد سليم وسهما عره.

وقد تلقينا منها بكل امتنان نسخة من هذا الكتاب القيم المليء بالمعلومات والوثائق ولدي نام بتحريره الدكتور صلاح آل بندر بلعة رفيعة ربت للمحوى العميق لهذا العمل الفكري المميز نسي أن نتاح لنا فرصة أوسع حتى سناول شيئاً نلقي ضوءاً على أهمية هذا العمل قبل توريعة والذي سسم بادن الله خلال الأيام المقبلة

1 أكتوبر 2002

أصوات

كانت لمشاركة الدكتور، حائدة راھر التي حرحت في أول مظاهرة ضد الاستعمار في عام 1946 والأستاذة فاطمة طالب التي سبق أن أسست ورابطة المعتبات لثقافية، أثر بارز في دفع المبادرة بحشد المتعلمات لإشياء تنظيم «الإتحاد النسائي»

ولا بد أن هؤلاء لرنهات قد تأثروا بالحركة النسوية المصرية وقائداتها مثل هدى شعراوي بالإضافة إلى حركة التحرير التي شملت المستعمرات لأفريقية والآسيوية خلال انحراب العالمية الثانية كما كن قريبات من تطورات الحركة الوطنية لسودانية. ولن نكون بعيدين عن لحقيقة إذا قلنا إن هذا الإتحاد نشأ في أحضان تلك الحركة. كما أنه تزامن مع بروز حركة اليسار السوداني - الادي كان أول تنظيم يفتح باب عضويته للنساء - وكانت حائدة راھر من بين أعضائه البارزين ولا شك في أن كثيراً من الأساليب التنظيمية التي إبتدعها اليسار نعت الاستفادة منها في بناء تنظيم الإتحاد

في المرحلة ما بين 1952 و 1965 طرح «الإتحاد النسائي» مراراً يدعو للقدم الإقتصادي والإجتماعي - كان متقدماً نسبياً على تقاليد المجتمع السوداني عهد ذلك وخاصة في الريف - حيث طالب بتعليم المرأة ومساواة الأجور وتعير قوايين لأحوال الشخصية. كما دعا لمحاربة العادات لصارة مثل الشلوح وعلاء المهور وإيفاق البدحي في المناسبات، وركز على مسألة نشر الوعي ومحاربة الأمية وأنشأ فصلاً مسائية لمحو الأمية في بعض مدارس العاصمة ومدن الأقاليم.. ويادر الإتحاد النسائي أيضاً بإنشاء مدرسة وسطى للبنات هي حي الخرطوم جنوب كانت أول مدرسة للبنات يقوم بتأسيسها تنظيم غير حكومي ومنذ ذلك الوقت بدأ التفكير في إصانة القسم الثانوي الذي صادره سلطة ميري في عام 1969

لتحرير دينا وتأكيد عربيها على تحديد مصيرها ومشاركتها في صنع مستقبل بلادها

تحدثت عن تجربة المرأة السودانية منذ أن كانت شيخوخة تؤسس الحلالي لتعليم الصبية والنسبيات حين نهضت معلمة مثابرة أو «حوارة» متألمة في كل «بعهود» التي تو ثرت اليها أحبارها حتى القرن العشرين الذي شهد طهارة لإبسان الكبرى. وحين بدأ التعليم الرسمي استطاعت المرأة السودانية ولوج المؤسسات التعليمية العليا وتخرجت فيها فبرر دورها المشهود

شديدي ما كتبتة عن الإتحاد النسائي والدور الذي لعبه في الحياة السودانية كإحدى المؤسسات البارزة في المجتمع المدني، دعم ما تردد عن ارتباطاته بتنظيم حربي معين وأوصحت ملابس تلك العلاقة بكل جرأة وشعافية فهي «عصوة قيادية متحبة بلديجة لمركزية بذلك الإتحاد منذ عام 1970 تلك المؤسسة ذات بصوت الجهر والتي ما عدنا نسمع عن نشاط لها منذ زمان ليس بالتقصير وإن عليها مازال على مؤسسات لمجتمع المدني من سكون وموات ألحقته بها معاول الهدم والتخريب.

تناولت الكتابة تجارب التجمعات النسوية الباكورة مثل «لادي النسائي» الذي نشأ بمدينة ودمدني في عام 1926 وجمع لديها من روجات كبير الموظفين بمشروع الحرية ويمبادره من روجات لبريطانيين العاملين في خدمة الحكومة الاستعمارية عهد ذلك. وكان هدفه لا يعدو تنشلية ولتثريه. ولكن سرعان ما «مضى سبيله» حين رأى فيه الوطنيون حروحا عن التقاليد والمعادن هائرت النساء السودانيات عدم إرتياده وبوقف نشاطه. وفي عام 1928 تكوّن أيضاً جمعية المرشدات الكشمية التي أسستها البريطانيات وامتصت عصبونتها عليهن بالإضافة إلى سب الجاليات لأحسبة الأخرى كالأرمن والاعريق والشوام

أصوات

استمر كذلك حتى فتح باب عصريته للسودانيات في عام 1948

شأت درطة الغنيات الثقافية، في عام 1946 وصحت عدداً من بنات الموطعين والمتعلمين ممن كانت أعمارهن تتراوح ما بين 8 و 22 عاماً وديت بقيادة مجموعة من متعلمات ثم درمال برئاسة خالدة راھر السدات التي أصبحت فيما بعد أول طيبة سودانية وسكرتارية هاطمة طالب إسماعيل التي عملت حتى وفاتها بمجان التعليم استمرت هذه الرابطة لمدة أربع سنوات أشان خلالها أوبا مدرسة مسائية لمحو أمية لساء وروضة للأطفال.

كان ذلك إرهافاً لتصور وعي المرأة السودانية وإحساسها بضرورة إشاعة التحميم وسط الساء لتأكيد انتشار ذلك الوعي حتى استطعن لإمساك بقصبي تحررهن فصاعدت الحركة الوطنية وبعث دورتها في سنوات الأربعين من القرن الماضي وساهمت بعراء السودانية بنصيب وافر في الأحداث السامة والحركة المطالبة للعاملين وشاركت الممرصات لأول مرة في تنظيم تظاهرة مع رملانهم في نقابة عمال وعاملات وزارة الصحة وفي عام 1955 فارب إحدى الممرصات بعصوية اللجج المركزية لسقابة. أما «إتحاد المعلمت لثماقي» فقد تأسس في عام 1948 ثم لم يلبث أن تصور بقيادة الأستاذة نفيسة الميث وأحريان وتحوّل إلى تنظيم وطني في عام 1949 هو نقابة المعلمات فاهترمت به السلطات ونم تسجيله رسمياً في ديسمبر 1951

سبق تكوين الإتحاد النسائي السوداني في مطلع عام 1952 شؤ تنظيمات سوية أخرى مثل نادي ودمدي النسائي الذي تأسس في عام 1944 والجمعج الحبرية انسانية بمدينة الأبيض في عام 1951 و«إتحاد الساء الناطقات بالإنجليزية» الذي أسسه الإدارة لبريطانية عام 1947 وجمعية «نهضة المرأة» التي أسستها السيدة رحمة عبدالله جاد لله (والدة السيد المصادق المهدي) عام

1949، ثم جمعية لثقافة نسوية والتي تكونت بعد الإتحاد النسائي عام 1954

جميع هذه المنظمات كانت محدودة العضوية والأهداف ولم تسع بقضايا مثل تحرير المرأة أو تدوير أهداف سياسية واقتصادية واجتماعية.

كانت صاحبة فكرة تكوين الإتحاد النسائي هي الأستاذة عريزة مكّي عثمان أروق حين أشارت في بحث قدمته في كلية الآداب بجامعة الخرطوم إلى أن مشاركة المرأة السودانية في الحركة الوطنية لا يمكن أن تتم إلا في إطار تنظيم نسائي قومي جماهيري شامل وبمبادرة مجموعة من المتعلقات ومن بينهن مؤسسات «رابطة المتبات الثقافية» حادثة زهر السادات وفاطمة طالب إسماعيل وعريزة مكّي أروق بالإضافة إلى مجموعة أخرى بدأت مناقشات حول تنفيذ فكرة التنظيم

وفي يناير 1952 انعقد الاجتماع الأول بأمر درمام في منزل الأستاذة عريزة مكّي حضرته 28 من المتعلقات بالعاصمة المثلثة وكانت أغليتهن من أم درمام.

وشكلت لجنة التمهيدية الأولى للإتحاد النسائي السوداني من 15 عضوة من يتول أدبهم (ممرضة)، وثريا أماسي (معلمة)، وسعاد عبد الرحمن (معلمة)، وحالدة زاهر (صبيبة) وفاطمة حبيب (معلمة)، وثريا الدرديري (طالبة جامعية)، ونميسة المليث (معلمة)، وسعاد الفانح البدوي (طالبة جامعية)، وحاجة كاشف (طالبة جامعية)، وعريزة مكّي (معلمة)، وخادم الله عثمان (ممرضة)، وفاطمة عبد الرحمن (معلمة) ومحاسن عبد العال (معلمة)، وفاطمة أحمد إبراهيم (معلمة)، وحديجة مصطفى (معلمة) وتم اختيار فاطمة طالب أول رئيسة للإتحاد

كان من أبرز أهداف الإتحاد النسائي هي تحرير المرأة من حالة الإردواح كائني في البيت وكمواطنة عاملة في المجتمع، والإهتمام بالطفولة والأمومة والدفع عنها، والقضاء على الفقر ومحو الأمية لتحقيق لتسمية الاجتماعية بالاعتماد على النفس.

كنت ألتقي بالعم ود القور أحياناً حين أكون جالساً في مكتب صديقاً وأستاذنا الراحل محمد ميرغني بركة عليه الرحمة كان بركة قد بقعد في أوائل سنوات الثمانين وتخذ مكتباً له في المطبعة الواقعة شمال السوق كُنا يلتقي فيه أحياناً مع عدد من الأصدقاء حين كان ود القور رئيساً للطباخين في داخلية مدرسة كوستي الأميرية لوسطى في أوائل سنوات الستين كُنا طلاباً فيها كما كان الأستاذ بركة معلماً يدرسنا للغة الإنجليزية كُنا في القسم الخارجي إلا أننا نعرف وصادق جميع عمال المدرسة بمن فيهم طاقم المطبخ ود القور ومحمد ويحيى.

كشف لنا ود القور ذلك النهار أنه عمل ضابطاً للملكة أمية وروى لنا ما رآه وما أتاحت له معرفته لم يكن حديثه ذاك جديداً على أدبي فقد سمعت أطرافاً من أخبار تلك السيدة العجيبة من بين القصص والحكايات وأحداث التاريخ التي كنت تزويها لنا الوالدة التي كانت تتدفق بسوعاً من الحديث في تلك الليالي السعيدة. وما رآه مديس لها - عليها الرحمة والمعزة - فقد حدثت مصدراً أساسياً في تكويننا المعرفي والوجداني، وطانة ديميكية شحذت دواتنا وحددت توجهاتنا.

كانت قصة الملكة أمية وما رآلت حواء من تاريخ المدينة وما رآلت انذاكرة نستعيدناها كلم سافتنا لظروف قرب دار العمدة ود التوم في الطرف الجنوبي لحي المربع. كما كتب قد فرأت ما لا أذكره إلا ما كسه الدكتور مصطفى مارك مصطفى عن الملكة أمية وما اشتجر به وبين الراحل الطيب محمد الطيب من سجل حزن هذ الشأن. ومصطفى باحث وفاض ظل يدي اهتماماً عظيماً بمدينة كوستي التي نشأ ومرعرع بين زروعها في حي المربع الذي استضاف الملكة يوماً، وإن كان ذلك قبل ميلاده بسنوات ومعظم انفصص القصيرة التي كتبها مصطفى مارك تدور أحدها في تلك المدينة التي أحياها

وكان الاتحاد النسائي في معظم الأحيان يستخدم المدارس الحكومية بعد اليوم الدراسي حيث تبدأ حصص محو الأمية في الرابعة بعد الظهر حيث تكون النساء قد فرعن من شؤون منازهن

تعاقبت على رئاسة الاتحاد النسائي فاطمة طالب ثم حادثة راھر وحاجة كاشف بدري - لفترة وجيزة قبل لحكم العسكري الأول - ثم الأسادة فاطمة أحمد إبرهيم التي ترأسته منذ عام 1965 وحتى الآن

لقي الاتحاد النسائي معارضة ساعرة من قبل السلفيين عند إنشائه وهجوماً منظماً من قبل أئمة المساجد والعناصر المتشددة التي رأت في طرحه خروجاً عن الدين والعادات والتقاليد ولكنه في نفس الوقت لقي تعاطفاً ومساندة من القطاعات المستبيرة والمثقفين الذين طموا مسداً دائماً له

دأب الاتحاد في سنواته الأولى على إقامة «أسبوع المرأة» في 28 يناير. وكان حدثاً مشهوداً تتلقاه جميع النساء حتى الأميات منهن بكثير من الترحاب. وكان يوم «أسبوع المرأة» الذي يقام أيام درمان كثير من النساء والرجال لحضور الندوات والمحاضرات ولمشاركة في أسواق الحبري. يمتد الاحتفال سبعة أيام: يوم للطهولة ولأمومة ويوم للعائلات ويوم للضالبات، ويوم لنقصيات العامة، ويوم للمناشط النسية، ويوم للمباريات الرياضية، والآخر لمحور الأمية. وفي ختام الأسبوع يقام حفل غنائي ساهر يشارك فيه كبار المصدين. يقدمون أحدث الأغاني إلى جانب الأناشيد الوطنية وتلك التي تتناول قضية تحرر المرأة مثل «عبية المنح حسن عصبه» «هيا يسعد وانت يا ثريا» على الجهاد نشيد الحرية» وكان الأسبوع يشتمل على المعارض للأعمال اليدوية ولصور والشعارات الخاصة بتحرر المرأة، إلى جانب معارض الرسم والتحرير والحيطة والسبيح

وكان الأطفال يشاركون بتقديم فقرات شعرية بالإضافة إلى الأغاني والأناشيد

أصوات

وكان الاتحاد النسائي أول من اهتم بالصوت الشعبية والرقص الشعبي بترويجه
لرقصة الكمبلا المعروفة في جبال أنتوية

أصدر «الاتحاد النسائي» محله «صوت المرأة» التي شنت الحملات ضد
الدجل والخرافة وعملت على تحرير النساء من كل أوجه التخلف وقد لعبت
دوراً سياسياً بارزاً بأن دكتاتورية الفريق عبود وكشفت سياساته بالمقال والصورة
والكاريكاتير وكان يتم توريدها بصورة واسعة ويتابعها كثير من الناس

صورتي للملكة آمنة



مبنى دار العمدة ودار القوم بحي العرابيع جنوب كوستي.
وقد قام مبني جديد على انقاضها

إقترت انطاهي المكلف من الدار. كان حراس من لجند واقفين. حيا هامساً
وأعرب عن هويته. أفصحوا به فدخل. فاده رجل من العناء إلى عرفة كبيرة دوع
الرحل باب العرفة وتأحر تقدم انطاهي داخلاً ولكنه لم يلبث أن أجعل
نعماسك ثم تقدم كانت هناك سيده مهيبه قد منوت جالسة على السرير
الحاسي الضخم مارة الحس ذات حلال وصحامة تدو وقد تجاوزت الأربعين،
دهية اللون، واسعة العييين، ذات صفائر عبيطة ترتعي على كتفها كانت تترين
بكثير من الحلبي الدهية أساور صحمة وفرطين مستديرين يتدليان أسفل
الحدين ردت نحيته باقتصاب مهدأ روجه وأحدث تتحدث معه في الشأن الذي
حاه من أحله وفي تلك الأثناء كانت هناك وصيفة تحمل مروحة من ريش النعام
وتقف إلى جانب السرير لذي تسائر فوقه الحطراف والحشيد.

أَصْوَات

حين كان الطاهي المكلف بصف ذلك المشهد حلتته يقرأ في صفحة مترعة من كتاب ألف ليلة وليلة أو نص مكتوب عن إحدى الكذابات في زمان ممدة مروي المدينة أو كأنه يعيد على مسامعنا ما كتبه الرحالة بروس حين زار شدي في القرن الثامن عشر ووصف للمدة سنا ذلك الوصف الذي جسده الرسامان جحا وعبي عثمان حين رسما لمرأة السودانية في دروة أمجادها التاريخية. وكما عبر المجذوب « المرأة التي تغت الحقيبة بأوصافها ومحاسنها »

كانت تلك هي الملكة امه التي حلت صيفة على صرل العمدة محمد شوم - عمدة مدينة كوستي - في عام 1929 بأمر من سلطات المركز وقد تم إحلاء لدار وتهيتها بالصورة التي تليق بمقامها السامي الرفيع كانت رهبة المحبس ويقوم على حراستها نفر من الشرطة ريشا تجري معها التحقيقات تمهيدا لمحاكمتها بالنهم الموحية إليها.

عاش الطاهي المكلف العم أحمد ود القور حتى عام 1982 لبروي لما ذلك لمشهد الفريد ولولا تلك لسانحة لذهبت به الأيام ويطوى إلى الأبد حدثي العم ود القور كيف أن السلطات الحكومية أسست إليه مهمة الطبع لهذه لشخصه لأسطورية كان لا يزال شاباً ممتلئاً بالحياة والعقول فكان يحضر يوماً لإعداد الطعام الفاخر بجلالة الملكة. وكانت وحياتها في العالب تتكون من لدجاج وأفرح الحمء ودم الصان والحساء والحصروت وبعد الفراع من مهمته عصرأ يستأديها في الحرج فتد يددا إلى كيس قريب من ساداتها وتناول جبهات ذهبية دون أن تعددا فيأخذها وهو يتمتم بعبارات الشكر ويحرج ليعود في صبيحة اليوم التالي فيتكرر لمشهد ثنية. وظل على هذا أموال حوالي ثلاثين يوماً حتى تم ترحيلها إلى مكان سحها وتحدث صاحباً بأنه لم يضع تلك الشررة بل شيد به داراً في الحلة القديمة بالصور الأحمر وادخر ما تبقي حيث انتفع به خلال سنوات ماحلة.

كثير من الرجال والنساء من رتبة العودية مخرج بعضهم من سلطان سادتهم وأقامت لهم الحكومة مستوطنات لإيوائهم

وكانت للحكومة هذه أُنشأت لجنة عرفت بقلم تحرير الرقيق وأسندت رئاستها لمستتر ركل الذي جاء إدارياً ثم ما لبث أن تحول إلى عالم اثار قدم خدمات جليلة وفتح طريقاً للدراسات الأثرية في السودان

شاهد الناس في تلك الفترة مستر أركن يرور القرى حاملاً أوراق الحرية محدثاً عن ضرورة القضاء على استعباد الناس حيث لا فرق بين أسود وأحمر وأبيض، ولكن كثير من هؤلاء الأرقاء رفضوا إستلام تلك الأوراق باعتبارهم أحراراً يقيمون مع سادتهم السابقين بكمال إرادتهم كإهل لهم وأقامت الحكومة مستوطنات للأرقاء السابقين أو الأحرار الجدد مثل أسود وأم هباب وبابوسة ويجمع غيرهم في قرى أطلقوا على بعضها أسماء مدنة للإساءة لهؤلاء البداة وقد أطلق الأهالي عليهم «رقيق أركن» يقصدون مستر أركن الذي أشرف على تحرير الكثيرين منهم

وتم اعتقال عدد كبير من المالكين الذين ينتمون إلى ثلاث من القبائل التي تقيم في بادية النيل الأبيض ولم يستطع البعض منهم تحمل ظروف السجن انقاسيه فماتوا وهم الذين يعتادون على حياة لدعة يتناولون كميات من الحليب والربذه ولقشة بالإصاصة إلى لحوم الطرنند كالرراف ولعللان والأران ودحاح الرادي التي كانت تجمع بها عباب المسطقة في ذلك الزمن العبد

وفي تقرير كتبه مدير مديرية النيل الأبيض في 15 مارس 1929 إلى السكرتير الإداري جاء بأنه في وقت مبكر من عام 1928 تم في المركز الجنوبي للمديرية إكتشاف عدد من الأرقاء من قبائل البرتا المستوردين حديث من أثيوبيا ونتج عن ذلك إستعادة 500 رأس رقيق وأطفالهم، وبينهم عدد كبير حري إستيرده منه

أصوات

وأذكر أن الطيب محمد الطيب أشار أيضاً إلى أن مصطفي لا بد أن يكون قد
سنتقى كثيراً من المعلومات من عمه الإداري الشهير مكاوي سليمان أكرت
لدي كان عليه الرحمة كثيراً من المعارف والمعلومات

أما المستر حاكسون مفتشي مركز حلغا فقد قدم صورة أخرى لملكية أمية رآها
في الحبس حين قدم منقولاً إلى المركز كانت تقيم في دار مكونة من ثلاث
عرف تقصي عنها عقوبتها بالسجن كتب عنها المطبوعات عشرة هي كتاب
«للسودان» أيام وممالك» لم يحاول أن يتناول قصبتها وبعوض في تفاصيلها
ذلك على الرغم من أنه أدرك أنها شخصية محسنة لا تماثلها امرأة أخرى من
ساء بلادها امرأة تتعبر بالحرارة والشجاعة ذات حسرة وسطورة قل إنها كانت
تحبب جميع سكان تلك المنطقة حتى أنها أمرت بطرد جميع سكان قرية أثيوب
كانت هي الجوار وصف حالها عند إعتقالها حين أطبق عليها مستر مكلايرين
وجسوده يحاصرون دارها دنت ليلة فنت ربيعة لعاش رعم لاضطراب لدي
ساد مرلها والخوف الذي اعتري أعوانها. أصرت على ارتداء حدائها بكعب
العالي وجواربها الحريرية ثم تكف بدلت من رقص التوجه مع مكلايرين حتى
وصعت ثوب من السودره على نفسها وعثرت قعنها سلوك أوروب، لا ريب أنها
كتسسته من أوساط أرسقراطية الأمهره خلال إقامتها في أثيوبيا فقد كانت مريده
حوجلي ود الحسن الذي هاجر أبوه إلى الحبشه خلال أيام المهديه ويحدر
أسلافه من لمتمة قال حاكسون إن حوجلي كان يتظاهر بالاستعانة في العمل
التجاري وبدي إستعداده للعامل الأثيوبي مدفع ألف «نقية من الذهب إذا تم
ضبطه في إحدى المحاكمات بعث حوجلي ود الحسن بزوجته لقيم د حل
لحدود السودانية إنحدت إحدى القرى مقرابها وعثرت الحكومة السوديه
بوجودها حين عيبتها عمدة يمتد سلطانها في رقعة واسعة تجاورنها هي بنغودها
وسعوتها وأحكمت سيطرتها على الأهليين المساكين وصف حاكسون إستقبالها

لمفتش المركز الإنجليزي حين كان يرورها فتحيطه بمظاهر الفحمة والتراب وتقيم سرادقاً محرقاً تعرضه بأنواع من السجاد الدار تتأثر عليه أرائك أليفة جاءت بها من أثيوبيا وقال إنها كانت تتحدث العربية وتمهها بشكل جيد إلا أنها كانت تنهر على المتحدث بالأمهرية حتى تتعرف على مصيبتها بشكل وطيد كانت تظهر بأنها ممثل للحكومة إلا أنها في الواقع كانت وكيلاً لأعمال زوجها الذي وصفه جاكسون بالوصاعة والمكر حيث استطاع تمادي الوقوع في يد السلطة لسنوات طويلة ولما أحس أن الأرض باتت تعيد تحت قدميه حتى بعث بزوجته إلى داخل الحدود السودانية للتوسع في تجارة الرقيق التي استطاع من خلالها أن يجمع ثروته الطائلة لقها بالست ولم ترد كلمة الملكة فيما كتب لقب الملكة كان متداولاً في الأوساط السودانية أما الإنجليز في تقريرهم فكانوا يكتبون الست امسة. وصفها جاكسون بالمجرمة إلا أنه لم يستطع تجاهل مظاهر العظمة الملوكية التي كانت تحيط بها نفسها ولا الصجر الأرستقراطي التي كانت تعبر عنه بصيغها وتبرمها من حفاف القصر في حلها

كان حاكسون قد حمل إدارياً في حكومة السودان منذ أوائل القرن العشرين وقد أحس هذه البلاد وكتب عنها بشعب وحماس وقد تنقل ما بين أم درمان والحلفاية والكاميس وسار ومناطق الشك وسوير في جنوب السودان وقد رسم صوراً فلمية بادرة وفي عام 1929 تم تملكه ممتشاً لمركز حلما حيث وجد الملكة امسة مسجبة في تلك المدينة وأفسح لها فيما بعد صفحتين في كتابه السودان ديز أند ويز. وقد صدرت طبعه الأولى في أبريل عام 1954 ولم يترجم حتى الآن وقد صدرت له مؤلفات أخرى هي: «عثمان دقة» «وسى الدار» «والعاج الأسود والأبيض» «والسوير في أعالي النيل» «والسودانيون اسمقاتون» «وعردون باندا» (وهو الوحيد الذي تمت ترجمته إلى العربية) ما دلت ألهمج بالشكر لابي شقيقتي الأستاذ صديق مصطفى أبو قرحة الذي أتاح لي فرصة قراءة هذا

الكتاب من بين كتب أخرى عن السودان حملها إليّ عند حضوره من الولايات المتحدة في إجارته الأخيرة.

في أوائل عام 1928 وقع حادث قتل في منطقة تقع جنوب غرب مركز كوستي. أفشى ذلك انبعاث إلى مظاهرات أدت إلى كشف أمور خطيرة كانت تجري في تلك المنطقة. ولحق كان نائماً كأن لم يمر أكثر من ربع قرن على إلغائه بموجب إتفاقية عام 1899. تلك الإتفاقية كانت قد ألغت الاتجار في البشر إلا أنها سمحت بتدرج تحرير الرقيق المرسى لإعتبارات اجتماعية. وقد توقف بسبب تلك التجارة السيئة ولم يبرر مشكلات بهذا الشأن حتى اكتشف المستور في تلك المنطقة دفعت سلطات مركز كوستي بشرطتها إلى مكان الحادث الذي كان صاحبه رقيقاً قتله سيده. فكشفت التحقيقات عن وجود عدد كبير من الرقيق كان يصل إلى ذلك المكان من داخل لمناطق الحدودية وقادت التحقيقات إلى أن هناك سيده تدعي أمه يلقبها الأهالي بالملكة تدير تجارة عبر مشروعة من داخل مملكتها الصغيرة كانت تبسط نفوداً على الأهالي البسطاء وتستعمل بؤسهم وسداحتهم بالنصرف في أيمانهم ببيعهم إلى وسعاء أو مشتريين قادمين من مناطق النيل الأبيض يستمر الحال لسواب عديدة حتى تم الكشف عن ذلك لنشاط الخطير كما كانت تمارس نشاطاً تجارياً آخر للتغطية على تجارتها الأثمة فتقوم بتعدين الذهب بعد الحصول على التبر من الوديان ومساقت المياه المتدفقة من الهمة لأثيوبية وتصع جيهاً من لذهب عليها ختمها تحاكي بها جيهاً الذهب الإيجيرية

نشطت سلطات مركز كوستي واندفعت شرطتها في أبر دي الجنوبية والجنوبية العربية للبحث عن أصحابا تجارة الرقيق فاضطربت المنطقة وأحد مالكو الرقيق في جفائهم في العبابات والوديان وبمختلف الأساليب وعلى الرغم من ذلك تم القبض على عدد من الأثمين فأودعوا السجن في مدينة كوستي وتم تحرير عدد

أصوات

بالموت حتى أوقفوا تقدمهم . واحتدمت المعارك ثلاثة أيام تصدعت خلالها
طوبى المحاصرين نتيجة القصف المدفعي وقتل صفوة العرسان.

ولما حاول أمير شيخ قصده أحمد نجدتهم من موقعه في السيل الأبيض تصدب
له قوة حكومية عرقلت حركته وعندما بلغته الشائعات بمقتل أبو قرحة نوى عبد
عمره وأراد أن يهاجم قوات العدو وحده بولا أن أمست به المحاصرون وسعوه من
محاولة الهجوم الانتحاري . كانت تلك المعركة أشبه بالملاحم الإغريقية حاصي
شعب صد الغزاة الأجانب . فالحصار استمر رغم تلك الانتكاسة العسكرية وبم
تعزيز قوات الثوار بالأمير عبد الرحمن الهجوم وتحركت القوات الرئيسية بقيادة
الإمام المهدي نفسه من كردفان سجن مواقعه بأمر درمان . ولم يلبث أن صدر
انقرار بافتحام العاصمة وتحريرها وقد تم ذلك في صبيحة الإثنين 26 يناير 885.

المرأة السودانية ظلت طوال تاريخها أحنًا للرجال . فالكمد اكاك ملكات مروي
شيدن الحصار وقاتل المرأة ومهيره بت عود إمتعت هجيتها في صاح يوم
راصف بالدم تستهفن عرسان قبيلتها لمواجهة المعتدين .

وحفظ التاريخ لبونة بنت المثل بمرحقها . فقد كتبت شعر يقور بالحماسة
والمعاني الثورية . مثلما فعلت شعبة المورعماوية لبي جشبت قيم القبيلة هي
أشمار جميلة ماتت جرد من التراث الذي يعكس واقعا اجتماعيا رصا للاستكانة
والصعب . وهالك شاعرات أحريرات كتبن شعرا وطنيا خلال معطعات تاريخية
حاددة وقد حافظت بنت المكاوي الإمام المهدي بأبيات مدهشة يقولها

طبن العز صرب هوينه في البرزه

وعبر طبن أم كبان أنا ما بشوف عزه

كان طال الوبر وسيه بالجـزـه

أوصاف

لحرب وصدرت أحكام بالسجن على نضع مئات من الصالبيين في تجارة لرفيق وجرى سدان حرق قوافل الرفيق من الحشة وكشف شعبها ومحاسنها، وأرسلت المعلومات للمديريات الأخرى، خاصة مديرية المويج ولصمان بسجيل كل الأرقاء المسترقين حديثاً، تقرر تسجيل كل السود المحذرين من صلب لرفيق كما تقرر إصدار أوراق الحرية لكل من يتطلب وضعه نوعاً من الحماية ولكل شخص آخر يطلبها.

أما مدير مديرية المويج فقد كتب إلى السكرتير الإداري في 24 فبراير 1929 يقول «يبدو أن البطاويط على جانبي الحدود قد استجابوا للأمر بكن ما هو جديد بالإشارة حقاً أن كل حالات الاسترقاق لم تشمل أشخاصاً يقيمون في السودان كان كل الأرقاء من أثيوبيا إضافة إلى ذلك فتجارة لرفيق بحملتها كانت في يدي عائلة خوجلي. ولتم تحدث أية حادثة ذات أهمية من «الشيخ بورا قور» أر لشيخ حمدان أبو قور؟ تم اعتقال لست أمة وقدمت للمحاكمة وأديت وألغيت عموديتها، واستحب أقاربها إلى أثيوبيا، كما تم اعتقال البطاويط لمتورطين وأرسلوا إلى كوستي للمحاكمة، وهرب آخرون إلى أثيوبيا وانفصح أمر عمدة بلوارا وجرد من العموديه وبشكل عام يمكن القول، دون مبالغة إن تجارة لرفيق قد انقضت.

خرجت شرطة مركز كوستي إلى المادنة الجنوبية لمركز حيث الرعاة بجوسون لغوايت بقطاع الماشية، كانوا يبحثون عن إغارات تعمر الاتهامات المتعلقة سبع لرفيق، عثروا على شاهين برعيان قطعاً من الماشية استجوبهم فقد الحديث إلى الكشف عن جريمة طلت عامصة لأكثر من اثني عشر عاماً فهي حوالي عام 1916م خرج علود وعساكر (من قبيلة سيم) يصحبهم الحثيم باندبه (وهو تعايشي) إلى المنطقة الحدودية بين السودان والحبشة بشراء أسلحة نارية ولما كان علود يملك من المال أكثر من صاحبه فقد اشترى رقيقاً (صبيين وفتاه)

وهي الطريق تأمر الإثنان على علوان قفلاه على مرأى من الأسرى الصغار باع
القنابل الولدين لرحل من الجمع يدعي إبراهيم الشاهر والعصابة لأحد شيوخ
العليقة اتأبث الشكوك ذوي المتبل علوان ودهوا يقتصرون اثر الرحلة الدامية
ولم يحثروا على دليل فأبلغوا سلطات مركز كوستي التي باشرت تحقيقاً مع
عساكر وبادية ولم تجد دليلاً فاطعاً فأطلقت سراحهم وقتل ابلاغ متوحاً حتى
عام 1928 حين عثرت الشرطة على العلامين برعيان بقار الشاهر فاعترفا بما
رأياه من جريمة وحشية بالعتاة بخيتة من قرية العليقة لتعريض شهامة لعلامين
والتعرف على المتهمين لئلا ينتم إليهم أن أدبا وتعد بيهما حكم الإعدام. وكان
أحدهما قد عمل شريف في أعقاب ارتكاب الحريجة وحتى قبل حدوث تلك
الطورات الدرامية

لم تشأ بخيتة أن توجه إلى مكان آخر عقب إبلاغها بحريتها ولم تأبه لذلك
بل توجهت عائدة إلى العليقة لتستأنف حياتها في تلك القرية. فقد ألفتها وألعب
الشيوخ الطيبين الذين أولوها رعاية حسنة ومحضوها عظماء واحساناً. تميزت
بخيتة بجمال بارع وقوام لادن حتى أطلق عليها الناس في القرية لقب المربع
تروحت وأنحبت وعاشت طويلاً حتى شهدت أحفادها حراً من سبيج الأعراق
السودانية بنموذجه الإنساني المدهش

لحاجة ست البيت أم سيف

عندما حفر صبيح المعركة وتوقف دوي المدافع ولم يعد يسمع سوى صرير الرصاص في أماكن متفرقة كان ميدان المعركة الممتد من مناطق بري وحتى أقصى حروب الحريف يعصر بحثاً لفتلى وجرحى المحتصرين والحيول النافقة كانت مجموعات من قوات الأنصار تعطي استجابه لبقول الجرحى بعيداً عن ساحه الموت. جهداك عشروا على جثة الحاجة ست البيت كانت لا تزال ممسكة بيدها وإلى جانبها خمس جثث لفتيات بدا أنهم كُنُّ بقائل إلى جانبها سقط جميعهم بقذيفة مدفع وإستشهد. كان ذلك في الرابع عشر من أغسطس عام 884. أثناء حصار الخرطوم انتصرت قوات الجبال عردون مؤقتاً وكبدت لمحاصرين أكثر من 2500 قتيل

الحاجة ست البيت امرأة من أهالي بلدة القطية وإحدى قريبات الأمير محمد عثمان أبو قرحة فيما سمعنا في طفولتنا من أمهات وفيما روت السيدة رباح الصادق المهدي في دراسة قيمة كتبها عن سوء أم درمان في مهادية بشرتها مجله «كتابات» التي تصدر عن مركز الدراسات السودانية بالماهرة

حاولت جهدي أن أحصل على مزيد من المعلومات عن هذه الشخصية المريده التي امشقت جسدها وانخرطت في المشاط العسكرية الثوري لتحرير السودان. سميها بات جراً من اسمها ست البيت أم سيف كتب عنها المؤرخ محمد عبد الرحيم أسطرا قليلة في معرض تناول له لواقعة الجريف في محطته عن المهادية وقال «ومن العريب وحذب بين القلبي امرأة تدعى الحاجة ست البيت دنقلاوية من

سكان قطيبة وسيطها بيدها كانت محارب إلى أن لعظت العرس لأخير فله در المتنبّي حيث قال .

وما أتأبث لاسم الشمس عيب ولا لتذكير حجر بلهلان (انتهت روية محمد عبد الرحيم) وقد علمت أيضاً أنها كانت امرأة ثرية ورعة استطعت أن تحج البيت رعم مشقة السفر إلى الأراضي المقدسة في ذلك الزمن البعيد وعندما بلغتها دعوة الإمام المهدي هاجرت إليه لتقاتل في صفوف قواته. وعلمت أيضاً أنها كانت قد حملت رسالة الأمير أبو قرجة إلى صالح ود المثلث في فداسي وقد نصبت لها حيمة بين الجيوش حتى تؤدي مهمتها المتعلقة بتسليم صالح للعلمية التركية في فداسي ويبدو أن لإحتبار قد وقع عليها لأن الأتراك بدأوا يفتنون رسل الإمام المهدي كما حدث في الأبيض وتكرمت لها على الدور الكبير الذي لعبته في سبل الثورة.

كان لبلده القطيبة حظها الوافر من لشهداء في ذلك اليوم يوم معركة الحريف - تجاوز السبعين شهيداً - قبل أن يمر أحد أحداً.. خرجت النساء أمام منازلهن يكيبن قنابلهن ومن بينهم أشجع العرساء وأعظمهم بلاء - إسشهد نصر ومصطفى شقيقاً الأمير أبو قرجة - نصر اقتحم بمرسه استحكامات الأتراك ليقتل بسيفه الجنود المدفعية فلقى مصرعه بين صفوف العدو بعد استشهاد شقيقه مصطفى صرعت رصاصة فرس الأمير أبو قرجة قائد قوات الحصار فانطلقت الشائعات بمقتله الأمر الذي أصعب معنويات جيش الثوار الذي لحق به الدمار بعد أن دكت المدفعية مواقعهم كانت معركة عتيفة شرسة استند لها غردون جيداً ليرفع الحصار عن المدينة وحشد أكثر من خمسة آلاف جندي بقيادة الأميرالاي محمد علي بك حسين الشلالي والسر سوارى حشم الموس بك الشايقي.. تقدمت القوات فجراً تحملها حمس بواحر مدرعة بصماتح فولادية تحمل المدافع وانتظمت على السيل قبالة كل معسكر من معسكرات قوات الحصار . وأرلب الجنود المشاة وبدأ نصف المدفعية لتحرير هجومهم فوجههم الأنصار بشائهم وجرائهم واستهانتهم

المحارج وجاء أبناء لأقاليم ومصدروا هم البنارون والمجارون واسميكاكيون والكتاب وبعد أن يستمروا عن فوائد الهجرة أو حين يصابقهم « لأحشيديون » في أرائهم فانهم يخلقون بعيداً ويأتي من لأقاليم الأبعد من يأخذ مكانهم ولا يستطيع أن يهاجر كما. ليس هناك مكان يتبع ثلاثين مليوناً من المهاجرين ولديك سوف يظل السودان مأهولاً إلى قيام الساعة ولكن بدل أن تسكه قطعان من لدناب وبعض المهاجرين من النيجر ونشدد يريد أن يسكنه أهله ويعرفه فيه الحياة التي تليق بالأدبيين ماء نظيف ومدارس ومبشعيات واتصال مستمر مع العالم الخارجي» وتحدث محمد المكي عن تجربة له مع وزير الخارجية المغربي محمد بن عيسى حين كان سفيراً للرباط في واشنطن وتذكر قولاً أسره إليه بأن «الثقافة الأمريكية تحمل إصداً لمسيحية بكل وضوح» وأدرك بعد خمس سنوات صحة وعمق هذه المقولة حين اكتشف أنه «تحت أغلفة الثقافة التجارية ونتائجها الإباحي والعرائبي هناك صخرة صلبة يرتكز عليها المجتمع الأمريكي هي صخرة المسيحية التي كانت السبب الرئيسي في شوء أمريكا من لعدم كل هذا النتاج التجاري ليس به انعكاس في لكونجرس». ولاحظ محمد المكي بمتابعه لدقيقة « أن لمدارس ترمح قيم العائلة والنهذيب على الطريقة القديمة نصف أمريكا ريف ونصف الآخر حصر صادراتها الأوسى ايكومبيوتر والحبوب والريف متمسك بالقيم التقليدية وفي الحصر هناك من يتمسك بها وهذا ما يجعل الشئ بيننا وبينهم غير بعيدة كما يروج البعض صحيح إن فكرتهم عن دينا قد تشوشت كثيراً نظراً لما ترتكبه الأنظمة وجماعات الطرف من جرائم باسم الدين ولكن ما زال الأمريكيون يدخلون الإسلام وجوه عديدة للاحتلاف بينا وبينهم أهمها أنهم لا يعرفون الفصل بين الفكر والعمل إذ اقتنع الأمريكي بمكره ما علقه بعدها بلا تردد بهجر التدخين يناصر أطفال العراق يحافظ على البيئة بالعمل وليس بالكلام والآن أصعب شيء بالأمريكا هو أن تجد مكاناً تدخس فيه. وعلى أيما كانت جريدة مبهاتن كوماً من القمامة والآن بجزيرة وأمريكا كلها من «بات النظافة استعادوا البيئة

موت رائع لامرأة شحاعة



د. إنعام البدوي

في ذلك النهار المطير من أغسطس الماضي عصت مقبرة هاتون كروس الإسلامية بالعاصمة البريطانية بعدد كبير من أفراد الجالية السودانية - علماء وأطباء ومهندسين وقانونيين وشعراء وكتّاباً وصحافيين وشيخين وطلاباً وسيدات محرويات دمعات. أحاصو بقبر سيدة من طراز فريد حملت بأ موتها طيله ثلاث سنوات قبل وقوعه ما أبلع أحداً سوى روحها عاشت بين الناس بصورة طبيعية لم تستجد عاطفه ولا رثاء طلت في موقع عملها وهي في قمة الحيوية والنشاط كما طلت ترتب شؤون عائلتها الصغيرة لمرحلة ما بعد عيائها. جاءت بولادتها من الحرطوم إلى لندن يعتاد طعلاها عليها رازت أشقاءه العقيمين في أماكن متفرقة خارج السودان ووسعهم دون أن يشعرهم بغداحة الحطب وقرب رحيلها وهي أسبوعها الأخير كانت تستقل روارها شاشنها المبهودة وروحها العذبة دون أن يدري أحدهم أنها قد أعدت كل ما يتعلق بمراسم دفنها ومكانه ناقلاً أفراد الجالية السودانية بأ وفاتها هاتقياً في ذلك المساء الحزين وحددوا المركز الإسلامي مكاناً

لإقامة الصلاة على جثمانها الطاهر وهرعوا في صباح اليوم التالي إلى هناك فصحبت أصدقائي منهم إلى حيث التقيت بعدد كبير من الذين أعرفهم مقيمين وفادمين في عصاتهم السوية ومن هناك توخَّعها إلى المصيرة الإسلامية حيث حشد جمعهم حول المرصماتين. وما أن فرعوا من الدعاء بها بالرحمة وقرأوا لئاحة على روحها حتَّى تقدَّم روحها أشاب متمسكاً رابط الحاش ليصاح المشعين فرداً فرداً شاكراً ومقدراً ما يكبدوه في سبيل الوصول إلى دث المكان العصي للمشاركة في أدء واجب العزاء والمواساة كانت المذكور ينعام البدوي قد تخصص في علم الأمراض - بعد أن تخرجت في كلية الطب بجامعة الخريرة - مما أتاح لها فرصة الإطلاع على حقيقة مرصمها ومدى خطورتها وسرعة انتشاره فلم تذهب بها انظرون للتعلل بالأوهام في حياة بات الإستمرار فيها مستحيلاً لذا شرعت رعم تعاطيها العلاج -في ترتيب أوصاعها في صمت وبشجاعة لا يتكرر نوعها كثير-

علمت أنها بذت يتيمة الأب وقامت بتربيتها هي وأخواتها أم مشيرة جسورة استطاعت بكدها الشريف أن تمكهم من إكمال تعليمهم في أفضل الجامعات وأن تورثهم كل فصائل وسجايا أمتها فكانت الفقيدة بعم أسطع مثال وأفضل نموذج لتلك التربية المترعة بالمعالي

وفي وقت لاحق إتقيت بآبن عم الفقيدة صالح أحمد ابندوي الجعيد وهو شخص نادر يميز بأريحية وحسن الخلق فأتحفني بمريد من المعبومات عنها قال إن جدها من ناحية والدها هو "الجعيد" صاحب إسم مصنع السكر المعروف ووالدها المهندس السابق بالأشغال عبدالرحمن البندوي الجعيد وحدها من ناحية والدها هو الشيخ محمد الطيب عمر الذي وهب حل حياته لترقية منطقة الجلاوين. أما أمها هي السيدة المثالية آسيا محمد انصب عمر، التي لم تتحل عنها الأقربون عند رحيل روحها شاركوها في حمل العباء وأروها وخاصة والدها، الذي كان

أصوات

مره ماوى لطالب العلم كم وجدت العون امتواصل أيضاً من عبد محمد
البدوي الجيد

بات وجود الجاليات السرداسة في المهاجر واصحاباً حلياً لم يعد أفرادها يتحدثون
عن عوده وشيكة أدركوا ما تتعرض إليه بلادهم من تدهور في كل أوجه الحياة.
حافوا على مستقبل أبنائهم وما تحبته الأياد من محن وما جاوزوا بجديد فالعالم مد
أن درج فيه الإنسان شهد حر كه المستمر من دغل إلى سهل ومن بحر إلى نهر
وبلادنا بخصوصيتها الجغرافية كانت أكثر لأماكن التي شهدت هجرت الإنسان
وفي سوح ثقافتها وتعدد أعرقها ما يؤكد ذلك. ما تحاورنا الحقيقة فيما نقول
والإنسان السوداني ظل مقبلاً في بلاده من الأزل جاءه من حاء وعادته من غابر
إلا أن العقود العظيمة المصاة تم تشهد هجرت كثة من الحارج أو إلى الداخل
سحبها التاريخ كان نحرراً يجري داخلياً في إطار حدود السودان الجغرافية الحالية
نذا كتب هجرة أو سفر بعض الأفراد القليلين إلى الحارج حتى قبل سوات أمراً
يشير المنق والأحزان

ما قرأت أنقص مما كتب صديقه وشاعر أمتنا عبد محمد المكي إبراهيم المصمم
حالي بالولايات المتحدة عن هجرة السودانيين وامتهابهم ثم يكتب دراسة ورسالة
أجاب بحكمة وحرارة على أسئلة في بقاء له مع مجته «كتابت سودانية» الصادرة في
ديسمبر الماضي ما رأي في الهجرة والاميطان في المهاجر شراً مستصيراً بل رأي
في ذلك مصلحة وطنية كبرى وتماً لمجانية لسودانية في الولايات المتحدة بأنها
منصيح داب شأن بعد رول العارض السيمسي الرهن وفان إن لكل شعوب الدنيا
جاليات مقيمة بأميركا وأن السودانيين همك عناصر شطة مجتهدة ينقدون ببدء
ولكن ثقة إلى الأمام وأشار لشاعر انحصيف الذي يطر إلى الأشياء ويفد إلى
جوهرها بعبي الرجل الحكيم إى أنه لطبيعة تمتت الفرع وداشاً في السودان
فروع مسوف يأتي من يملأه ألا ترى ذلك يحدث الآن. هاجر أبناء المدن إلى

ملخص

يرى يحتل منصبه القيادي فيه أما عبد الحالح محجوب فقد سماه أبوه عنى المأمور المصري الذي انصل بالحركة الوطنية السودانية وندلعت أول تظاهرة سياسية بأمر حرماني أثناء تشييع جثمانه وكان يدعى عبد الله علي عامر قد أطلق عليه اسم علي عبد اللطيف

أما علي عبد اللطيف القائد الأول لتلك الحركة السياسية فقد ركز فكره السياسي على وحدة السودانيين أولاً ثم وحدة وادي النيل . والواضح أنه كان يمثل وقائع الثورة المصرية ويهتم بشكل خاص بنشاط الرحيم سعد رعلول ولم تنتج تلك الحركة السياسية فكر محدد لأن نشاطها ركز على العمل اليومي الذي تجد في الاحتجاجات والتظاهرات وكانت قيم الشجاعة والتياب تلعب دوراً كبيراً في توجيه النشاط

والواضح مما أسلفنا من قول إن هذه التجربة تحتاج لمزيد من الكتابة والمحيص لأنها ارتبطت بشكل مباشر بالتطورات اللاحقة . وانشاء مؤتمر الحريجين وتشكيل لأحزاب سياسية . التي قامت جميعها في منتصف سنوات الأربعين من القرن العشرين . ولا تزال تلك الأحداث التي وقعت في تلك الفترة تلهب الحبال وتثير الشجون حيث حاول أبطالها البحث عن حمولتهم وتقرير المصير لشعبهم ودفعوا عن هويتهم وروى المؤرخون أنهم أثناء التحقيقات معهم كانوا يصرون على أنهم سودانيون . ويرفض الصبغة البريطانية من أنهم ذلك ويعتبرونهم مطالبين إياهم بذكر قبائلهم بدلاً من انتمائهم القومي .

لقد أرسى هؤلاء الرجال أسساً راسخة بقوميه السودانية على الرغم من سقوط البرنامج الذي طالبوا بتحقيقه . ورسوموا طريقاً معيداً بدمائهم وتصحياتهم في محاولة للوصول إليه .

6 فبراير 2001

أصوات

الطبيعية من برائش الموت وإذا افتتح للأمريكي فكرة فتح حسه لسمعها ولو بدولار واحد وفي العام الماضي عقدوا قمة لرؤساء الأمريكيين الأحياء كان الهدف منها تشجيع العمل الطوعي المتطوعون في أي حارة هم الذين يرافقون الوضع الأمني ويجمعون أوراق الأشجار ويتولون حماية الأطفال وبعجده وردد طلب شخص المساعدة فإنه يجد المئات مثل تلك المرأة السوداء التي أنجبت سبعة نوائم فتسرع عشرات الناس واحد لعمل الملابس وآخر لعللي البرازات وتهديم النس وآخر لأشغال البيت وآخر للحماصات . الخ

لكل ديث لم يخش الشاهر محمد صكي إبراهيم على الأطفال السودانيين من الحصار الأمريكية التي تتسلل إلى لروح فوتشربك في الوحدة ثم ير في ولادتهم هناك يرطون باللسان الأمريكي ويتشربون انثقافه الأمريكية صبرا وأشدر إلى عدم حدود الاختلاق المعادير التي سررها لمفتريون بقاءهم في أمريكا حيث أصبحت هذه الهجرة واقعا في مسيله لأن يكون أبديا

انفاس اليسار في أحدات ١٩٢٤



صالح عبد القادر

وقف المعتقل لسياسي أبو زيد أحمد حسين - في مشهد لا يكرر كثيراً - حقيقياً بالوعة الإنجليز في الجيود البريطانيون الذين كانوا يحيطون بسجن كوبر فهد مشاعره وأجبرتهم كلماته المؤثرة على أن يرفعوا قبعتهم من قوى رؤوسهم استحياساً له وتعبيراً عن نوع من التضامن. كان ذلك في نوفمبر ١٩٢٤م في دروة الأحداث التي بالاحتف خلال تلك الأيام وأثناء التمرد الذي قادته المعتقلون السياسيون داخل السجن لا شك أن مثل ذلك الموقف كان يجند وعياً شديداً وعميقاً وأسلوباً للعمل والدعاية واستحريص ما كان يمكن أن يتأتى لشخص عادي في مثل تلك الظروف.

كان بحركة الوطنية التي برزت في حوالي عام ١٩٢١م - ممثلة في جمعية الاتحاد السوداني - ثم في اللواء الأبيض رحم شديد وبراء عريض - تفجرت أحداث متباعدة وعسفة كأبأ أعد لها إعداد . وقد تميزت بالدقة في السطيم وروح النصحية إلا أنها تظل كما رأى العراقيون قفزة في المجهول . فادت إلى أن حول لم يسفر صبحه إلا

أصوات

بعد سنوات عجاف والعرب في نهر هذه المشاهد لسياسي أنه لم يكن جميعه من نصب «جمعية اللواء الأبيض» وذلك معتراف لسلطات البريطانية أثناء المعارك، حيث برأت الجمعية من مسؤولية المشاركة في التظاهرات بإستثناء ثلاث حالات فقط وختمت تظاهرة أم درمان الشعبية الكبرى التي أزعجت البريطانيين ثم تشارك اللواء الأبيض فيها فم الذي كان يجري ومن الذي كان يعين ويحشد مثلث التظاهرات الجريئة ليس في العاصمة وحسب وإنما في عدد من لمدن الإقليمية الأخرى ؟ - على الرغم من بروز تيارين في الحركة الوطنية أحدهما التيار التقليدي الذي ترعاه رعماء الطائفية والمؤسسة القبلية وساعده لبريطانيون والأحر الذي عبر عنه جميعه «اللواء الأبيض» إلا أن التعيرت التي طرأت على الواقع السوداني ولم يتمكن أحد من التعبير عنها خلال عقدين من الزمن كانت سريعة وعميقة وكانت أهم العوامل لتلك التعيرت إقامة مشروع تحرير الذي صاحب إشتهاء وفود عناصر أجنبية مهندسين وفنيين من اليونان وإيطاليا وقبرص وجنوب أفريقيا حملت معها كثيراً من المفاهيم السياسية الجديدة التي سادت في أعقاب الحرب العالمية الأولى وخاصة بعد تأكيد انتصار لدولة لسويفية ودحرها للحرميين البيض والتدخلات الأجنبية . وذلك بالإضافة إلى التأثيرات التي أحدثها المشروع على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي فقد كان تحولاً كاملاً وعميقاً.

وأشار محتجوب عمر بشري في كتابه «معالم الحركة الوطنية في السودان» إشارات ذات دلالة حين تعرض لأحد أعضاء جمعية «اللواء الأبيض» ويدعى علي أحمد صالح ووصفه بأنه كان شاباً ناشئاً مخرج من المدرسة الوسطى وعرف بأنافته وإطلاعه وقال إنه أعجب بليبيس ويعرف على رجل ماركسي يوناني اسمه اسميكاس كان أستاذاً للمهنة في جامعة اثينا وهرب إلى الخرطوم حيث أسس مكتبة وأكد أن علي أحمد صالح كان يتردد عليه وأشر بشري أيضاً إلى أن صالح عد العادر - أحد الأعضاء الفيلاديين البارزين في جمعية اللواء الأبيض - تعرف على القنصل السوفيتي بجده في

بورتسودان حيث زوده ببعض الكتب الماركسية ويقول باشري في كتابه أيضاً إن
وانده تسلم خطاباً من حلفاء الله خالد بناريح 27 يناير 1921 يدعو للاتصال بصالح
عبد القادر الذي كان وكيلاً سفيراً في مصلحة البريد والبرق وتسلم منه بعض
الرسائل وسلمها لشخص يدعى أبو زيد وأغلب الظن أنه هو الرجل الذي شوهد
يحطب في سجن كوبر بعد سنوات قليلة موصفاً قصيته للجنود البريطانيين.

أما الدكتور جعفر محمد عبي بحيث فقد أورد في كتابه النشاط الشيوعي في
الشرق الأوسط مع إشارة خاصة لمصر والسودان: إن عطبرة في النصف الأول من
عقد العشرينات كانت معقلاً للنشاط الشيوعي في السودان وأن الحرب الشيوعي
المصري تعمل إلى حد ما هناك حيث اكتشفت السلطات البريطانية في عام 1925
سحنة من برنامج الحرب المصري في الخرطوم وليس في القاهرة

وجاء في كتاب «صدق أو لا تصدق» للرحالة أحمد حسن مطر أنه هرب في تلك
السنوات من البلاد وكانت يديه حيلة بالنشاط السياسي حيث طلب تلاحقه
محاربون البريطانيين في السودان وتنتج أخباره ورمثله وحولت أن تنصب له كميناً
من خلال أحد أصدقائه وقد روى هو كيف سافر إلى أوروبا وأصل بالكومنتيرن وشارك
في مؤتمر للشبيبة الشيوعية.

مهما يكن من حال فإن هذه المشاهد المنفرقة لا تعني أن بارز يساري ساد في تلك
السنوات واستطاع أن يكون تنظيماً وبع وراء تلك الأحداث إلا أنها تؤكد وصول
بعض هذه الأفكار - وإن كانت بشكل مشوش - ببعض الرغبات التي كانت تبحث
عن روايه ومرجعية فكرية في مصالها تحرير بلادها من الاحتلال الأجنبي.

وأظه يسر غريب أن نجد أبناء بعض رعماء تلك الأحداث قد سارك في النشاط
السياسي اليساري الذي تبلور في عام 1946، مثل عبد الوهاب ريس العابد بن عبد التام
الذي أصبح أول سكرتير سياسي للحزب الشيوعي والتجاني الطيب بابكر الذي لا

أصوات

إعدام قادتها وعن حملة فمعية شملت جميع الرعماء السياسيين بالسجن والنفي والتشريد. انتهت الثورة نهية مأساوية فاجعة وسيطر على البلاد حرن كثيف ودخلت في ليل دجوجي قاحم وطويل أجبر فيه المنفقون على التراجع والارواء والهجرة من الوطن وانصرف بعضهم إلى الأدب والعز كعرفات محمد عبدالله وتوفيق صالح جبريل

لَمْ تذهب أصدا «الثورة أذراع الرياح» لتعكس أثرها في الحركة الثقافية وبرزت أعمال أدبية لا تحلو من التجديد والإنتاج لشعري توفيق صالح جبريل كان حديثاً في شكله ومحتواه لا يمكن مقارنته بإنتاج أصرايه في معسكر المحافظين كعبدالله عمر المساء. وفي نشر كانت كتاب الأملين علي مدي تعتبر فتحاً إبداعياً جديداً لا مجال لمضاهاتها بما كان يكتبه حسين شريف - الصحفي الأول - في «الحضرة» رغم بلاعته ومهامة ألقاظه ولا يزال نقاد الشعر السوداني يرددون لعدة الشاهية للأملين علي مدي «الشعر الجديد يتطلب ناقدًا جديدًا» وفي مجال لعناء بررت لموهبة القدة للشاعر الموسيقي الفنان خليل فرح الذي ابتدع الأعية السياسية الحديثة وكتب قصيدة «عرة في هواك» وصيرها.. وعلى أنعام أعنية عبيد عبد نور

يا أم صفائر قودي الرس

وأهمني بلحيا الوطن

اندلعت نظهرات الشعب واهترت شوارع العاصمة تحت أقدام العكرين السودانيين انواقفة ولعن الرصاص في صدور صباط وحرد الإحتلال البريطاني في قلب الخرطوم

لَمْ يقتصر تأثير الثورة على هذه الجوانب وحسب وإنما امتد إلى المسرح حيث شهد الناس عرفات - أحد قادة الثورة - ممثلاً بارعاً يشارك في عدد من

حيوية «الحرب المشاعب»

ورد في تقارير مدير مكتب المخابرات البريطانية بالخرطوم في عام 1924 أن جمعية اللواء الأبيض صمت العناصر التي قد تشكل في المستقبل القريب «الحرب لمشاعب» باعتبارها المنظمة الرئيسية المداخلة للإدارة البريطانية أي «الحرب الوطني» الحديث في السودان ورأى مدير ذلك المكتب - وهو المستر ولس - أن هذا التنظيم هو بلا واجهة لشباط يمارسه المصريون الوصيون من خلال تجمع للسودانيين متصافين مع مصر وظنّ ولس أيضاً أن المصريين يعملون هذا النشاط وحدد وسيطين هما محمد توفيق لقاصي بمحكمة أم درمان، وحسن عبد الوهاب الصابط بالجيش المصري وسحاول حصر عضوية التنظيم - خاصة بعد أن سمر نشاطه في التظاهرات التي أقصت مصجع الخرطوم في ذلك الصيف الرهيب - ورأى أن عضويته لا تزيد عن مائة وخمسين شخصاً موطّعين صغار السن تتراوح أعمارهم ما بين السابعة عشرة والعامسة والعشرين في أدنى السلم الوطني بالدرجتين السابعة والثامنة وجاء في تقرير آخر للمخابرات كتب في يوليو 1924 أن هؤلاء مشاعيين معظمهم من المواليد الذين تشعروا أصولهم من مصر

والمستر ولس هذا هو ندي ورد ذكره في قصيدة للشاعر توفيق صالح جبريل - أحد مؤسسي لحركة- يهجو فيها سليمان كشة الذي اتهمه التنظيم بإفشاء أسرارهم لمدير مكتب المخابرات

سيمان كان بديع الرومان
معبد ساحرة ساحرة
هوى لا يعي بساط الريح
رحطم مرآته الساحرة
ساع لضمير يهلس لولس
لا أيس ذمتك الطاهرة

كانت تقاريره قليلة المظهر صباية لرؤية حبس ظل أن معظم عضوية التنظيم من المواليد لمحددين من أصول مصرية ومن أولئك الذين وضعهم تلك بقدري بالمستين قليا بمسي أبناء الحود والصباط سودانيين من صالات برقيس الذين اقتنهم الحكم اتركى من مواضعهم في انقرن التاسع عشر وعادوا من مصر ليصبحوا جزءاً من الطبقة الوسطى الجديدة . برادعها وصلاتها لمتوثبة وهي تنوى لنلعب دوراً في تشكيل مستقبل بلادها بانحرار من ليهود لأجبي أرب السطاط في تقريرها هذه أن يحل الأحدث وفق منظورها بمائم على بيويه مجتمع قبلي لا رابط قومي يجمعه . فانها أن تدرك أنه فين عقدين من السموات فقط واجهت جيشاً قومياً واحداً بالأمة يحول دونه و دون فتح البلاد جيشاً تصدى للألة الحربية الحديثة لسي رحمت فوق أشلاله . ربما يكون صحيحاً أن جزءاً من عناصر التنظيم كان من هؤلاء وأولئك ولكن ذلك كان يرتبط بحقيقة التركيبة السكانية لمدن العاصمة الثلاث . وخاصة لدين أدرك ضرورة التعليم النظامي الحديث وخرجوا في المدرس التي ترقدت كثير من الأمر في إلحاق أسائها بها اتقاء لشرورها المحتملة . لا أن ما أسفرت عنه لأنهم أكد أن التمثيل العرقي في ذلك التنظيم الذي شمل مدناً أخرى كان مكافئاً وإن خلف عن ذلك الأرياف القصية بحكم تدني مستوى وعيها مثلما توفر في التجمعات الحضرية

وتقارير المحاربين هذه عملت عمداً كان يدور في وحدان المثقفين وفنداك من

بواخر ثورة عارمة بعد سكون إستمر أكثر من عقدين من الزمان . كانت رؤيتهم حاللها عاثمة وحلمهم عصي التحقيق . عجزوا عن التعبير عنه إلا بالتمثل بالماضي والأمجاد السالفة . كتبوا شعراً رومانسياً بعيداً عن الواقع وحطوا في المساسات الندية . ولكنهم سرعان ما أدركوا أن قشور الحصار العربية التي أدخلها المستعمرون رافقتها القصة الأمية الحديدية والملاحقات القمعية والسيطره على كل الأمور . كان البريطانيون حارجين لتوهم ظافري من حرب كربية وجدوا حاللها بأيديهم من رعماء البلاد التقليديين الذين كان وعدهم قد عاد من إنجلترا بعد أن هُزم لهنائي للملك جورج الخامس على النصر «المؤزر» منهوعاً سفر الولاء .

بررت الحركة الوطنية كالشهاب الساطع بدت وكأنها كانت بلا موعد ولا مقدمات إلا أنها عبرت عن أممي المثقفين وتطلعات لصفة الوسطى وتجاوبت مع ما كان يعتصر في مصر خلال ثورة 1919 . وما أعقب ذلك من مطالبات بالدستور وجلاء لقوات الأجنبية لكنها لم تستطع أن تقدم نفسها كما يسعى لم تلجأ لأساليب المصال المصرة والدووية . وظل فكرها مشوشاً يراوح ما بين وحدة وإدي النيل تحت جناح المصري والبحث عن القومية السودانية والدفاع عنها إلا أن لإجماع تلخص في رفض لاستعمار في كل الأحوال مع الاحتفاظ بصرويه قيام علاقة ما مع مصر

فجأة انفجرت لأوضاع السياسة واندلعت المظاهرات وتلاحقت الأحداث حتى بلغت مبعظاً عسكرياً خطيراً بالتصاهرة المسلحة لطلاب الكلية الحربية نصاماً مع الحركة الثورية الجديدة ثقافت الأحداث وأحسنت الإدارة البريطانية بحظورها فمررت إحراح الجود والموصفين المصريين من السودان فنهركت قوة عسكرية سودانية من أم درمان واصطدمت بقوات الجيش البريطاني في الخرطوم في معركة شرسة قتل فيها من الجانبين عدد كبير . ولكنها أسمرت عن

أصوات

منهم الآن سوى سربهم الثقافي في مطهر الأذكار الصوفية في الجيزة، نقابر ومواكب وجبت مرر كشنة دهنو، ولكنهم تركوا آثارهم في الثقافة السودانية وأنماط سلوكها. ولا بد أنهم أو بعضهم كانوا قد تأسسوا من الحصار المرويه التي انراحت سياسياً وتبعثرت نفاهاً بفعل الصراع العسكري والعزو الأحيى ولكن بشت إشعاعها في كثير من مناطق المقاره الأفريقية وقد تكررت تلك التجربة مرات في بلاد السودان أكثر من غيره من البلدان بسبب موقعه وطبيعته الجغرافية كما حدث فيه إقطاعات حصارية وثقافية منذ أن درج الإنسان على وجه الأرض.

رأى الأستاذ عبد الجبار في بحث البروفيسور حرير مدحلاً للنعيم المطري المحل أصراً بأصله واستنتاجاته النهائية شي تصب في حانة اندفاع الطري عن مفهوم المركزية وتكريس استراتيجية لسي، وعلى عليه الحديث المشهور حول الأعراق في السودان، وذلك حين قسم الجعليين إلى خلص «أولاد عرمان» وغير ذلك الأمر لدي من شأنه أن يثير الحساسيات العرقية، ليس بين الجعليين وغيرهم من المجموعات العرقية، ولكن بين الجعليين أنفسهم

ويرى الكاتب في دراسة حرير محاولة لتوثيق بين الشافعين العربية والأفريقية معبراً عن الحنين إلى سنن كما تجلى ذلك في أعمان مدرسة العابة والصحراء وأسقط عليها نظرية العنث الثقافي كما رأى في مساهمات عبد الله بولا وحسن موسى وعبد الله علي إبراهيم جدارة فكرية وتنظيراً حماساً لما يتعلق بالهوية وهم الذين انتصروا للأفريقية رفضين سب الغول وأوعلوا في جلد العروبيين ودعاة البوبقية رصعين الصراع السياسي نصب أعينهم دون تمييز للمقاربات والمعارفات التي تثير الثقافي عن السياسي.

وامتدح الكاتب فرانس ديسج في تحليله لأحاجي قبلة الديك لتوظيفه هذا مفتوح لصيرته والدهن للاجتماعي والثقافي دون أن يتجاهل علاقات

«المسرحيات - كما شهدوا - على عبد اللطيف رعيم الثورة - يساهم في الإخراج المسرحي»

صد المدينة الأولى أدرك تنظيم حركة اللواء الأبيض أهمية التعليم فتصممت مذكره علي عبد اللطيف التي صودرت قبل أن ترى النور ضرورة التوسع في التعليم إلا أنها - كما هو معروف لم تستمر لتشريع في رعاية مشروع للتعليم الأمر الذي بات من أهم وجبات الحركة الوطنية هي سنواتها التالية - حيث أصرطع مؤتمر الحريجين بمهمته تعليم لأهلي فأنشأ بمدارس وتطوعت عضويته للتدريس فيها - كما أنشأ «معهد القرش» وغيره من المؤسسات التي برافق قيامها مع النشاط الوطني يرقدها حماس الشعب ورعته في التحرر والاعتناق

13 فبراير 2001م



التظاهرة المسحة لطلبة الكلية الحربية

رؤى جديدة حول مسألة الهوية



عبد الجابر عبد الله

أعد صديقنا الأستاذ عبد الجابر عبد الله دراسة قيمة حول موضوع الهوية في السودان الذي اتحد في معظم الأحيان كأحد لعوامل المهمة في لصراع المدمر الذي هدّ قواه وأقعدته عن التقدم، جاء البحث تحت عنوان «السودان في متاهته: من الهوية إلى لوحدة أو وضع العربية أمام الحصان» مساهمة ثرية في إطار المسجل العسكري لدى استمر حلال السنوات لأحيرة بين تياراب العربيين ودعاة لأفرقة والتوفيقيين المنادين بالأفرو عربية استهله بالإشارة إلى مصير «المث لير» المأساوي الفاجع في مسرحية الكاتب الإنجليزي الحالد ويليام شكسبير وكيف عصفب به الأهواء والصراعات الداخلية وأودب به إلى الحنود تلك التراجيديا التي تتماهى مع ما آلت إليه الأحوال في بلاد السودان

إستطاع الكاتب الحصيف أن يؤسس بحثه على رؤية نقدية ثاقبة تناول بها عملاً لعمرو فيسور سيد حامد حرير حول الحكاية الشعبية عند الجعليين وقد جاء لعنوان للعمل لترجم إلى اللغة العربية هكذا «الحكاية الشعبية عند الجعليين» تداخل العاصر الأفريقية والعربية لإسلامية، لم يفت الكاتب أن يواء بقيمة

وسبق الكتاب وريده العلميه الأكاديميه حيث نشر في عام 1991 إلا أنه أبدى ملاحظات مهمه حول المحصنه المعرفيه، والاستنتاجات النهائي لمبحث. ثم يكن هو أول من يشير النقاش حوله إلا أنه أعاد النظر فيه مجدداً وأتحده مدحلاً لهذه المسأله التي وصفها بجرح الهوية والوحده الوطنيه، القديم المتجدد، جرح لا يعري بالسياسي فهذا هو أول الكتابه والتمحيص والمشاركه النحيثه والمكثفه في ما يدور الآن والبلاد تقف في معترك الطرق لا يدري ما سيؤول إليه المصير.

يرى مكاتب أن أبرر ممثلي التيار لعروبي هم كتاب مجلة «الفجر» ومن بينهم قيادات سياسيه نظرت إلى السودان من زاوية واحده. احترلته سياسيه وجغرافيا وعرقياً وثقافياً وأن هذه القيادات رسحت فكره اندياح بمركز على بقيه أجراء قصر الدائره وهي فكره توسعيه استعماريه هي الأساس، إلا أن تطبيقها على اواقع السوداني يقع في مستوى أدنى من مستويات التوسع والهيمنه، وتحدث عما وضعه بظاهرة «الإرجه الثقافه» أي أن لثقافه المهمنه تريح كتله ثقافه أخرى مكافئه لوربها كثقافه مهيمه وتحل محلها وتمحو شخصيتها بالكامل. تحدث السيد بلقاس أموم أحد قادة لحركه الشعبيه في مجلس خاص يوماً متسانلاً عن اللغه التي كان يتحدث بها اسانس بعد سقوط مملكه سوبا عام 1504 ولم تذكر لي محدثي كيف كانت الإجانه لكن لسؤال ثار في تلك الرعاب لحارة هي أن يسكب المثقفون على دراسه تاريخهم الثقافي والإجتماعي - لا لسياسي وحده - لتعريف معارفهم النظرية وتطوير أرئهم السياسيه وفقاً لدلت

كانت منطقه الجريرة تقع ضمن مملكه عنوة لنوبيه المسيحيه وعاصمتها سوبا، لم تفتح دراعها للعناصر العربيه إلا لمن استطاعوا التسلل في جماعات قبله كانت هناك لغة نوبيه وثقافه ذات خصوصيه ولكنها لم تلت أن دانت بي حضم النوادين الجدد والمهيمنين القدامى لا أحد يدري أين ذهب «العروج» وهم أفوام وصفهم بعض المصادر لتاريخيه بطول الفاهه وصحافه الجسم. ولم يسبق

أصوات

الدعاش حين قرأته حُجِّلَ إليَّ أن كلَّ لسحر قد عادر سحنتك بانفاكس فعاد
جسداً بلا روح فما في سسختي كثير، وليس بعده، الحق أني لا أستطيع أن
أُحجِّلَ أن النسخة التي تكلمت عليَّ بها قد عادت شيئاً من السحر احتواء غيره
لا أدري، ربما اتضح في الزمن، الأتي الذي تحدث عنه السور، وقال عنه إنه
ينشكل الآن في رحم العيب، إن الفاكس لا ينفل دوماً الحروف فحسب وإنما
يسهل في بعض الأحيان روح التراكيب الفريدة المصينة.

وحاء في لرسالة أيضاً «حامد جو لم أعرفه، بل لم أسمع به غير هذه الأسمية
مما كتب السور، بيد أني بت أشعر أني صاحب مصيبة خاصة فيه، لا لأني من
طبته لأنه من وصفو بأنهم ملج الأرص، أما بشير فأنني أعرفه وهو لمرط حيوت
يصعب على المرء تحيُّل لموت فيه، حين لا قاني السور في ريارته الكريمة، بي
في أحيات الألفية انصاية في البحر، وهي الريرة التي أشر إليها في قصة
الأخرى، ربما لم نشأ أن نتذكر بشيراً، لعلي من أجل ذلك لم أعر السور فيه
وبشير كانت تصادده أحداث عريية وندرة، وليس أعرب من أن تصل بهم طائرة
تهبط اضطرارياً على نحو أسهم فيما بعد في الوصول إلى إتفاقية أديس أبابا»

هد عس يدعي مدعش بكلِّ المقاييس النقدية لا أستطيع أن استمع به
وحدني دون مشاركة لأخرين لم أستأذن السور بعد وأن أحاول أن أقدم به بعض
المقطعات علمت أنه عاد من الولايات المتحدة وأقام في الكويت ولا أعرف
أكثر من ذلك علفعولي جرأتي ولا أظنه يمدح في ما رآيته

قال السور حمد «إن الملائك الرحلين كانا شخصين قلقين مسافرين لا يستمر
لهم قرار، صوفيان صانان بل درويشان مجدويان أراد عجز الرمان والمكان،
والتهامهما في لقمة واحدة وفي دحيلة كل واحد منهما إحساس بدو الأجل،
عبر عن نفسه في حمى التفل التي ما رحتهما أبدأ، كان بشير مثل حامد بماماً،
من حيث الرعبة في التفل وكان كلاهما يبحث عن شيء ما بحثاً مصيباً لا

التأثير والتبادل ما بين الديسكا وغيرها من لقباثل ودون التعلق بالأوهام بتواشج
ثقافة الديسكا وتأثيرها بالثقافة العربية

توصل الأستاذ عبد الجبار شأن المثقف السودعي إلى أن أزمة لهوية والثقافة
هي السودان هي جوهر الصراع لسياسي والإجتماعي بمفهومه الحقوقي
السيادي ودعا إلى السوية الشاسية عبر دستور ديمقراطي يقر الحقوق
والحریات الأساسية والعامة بكافة امواطنين دون الارتهان للامعاءت اديبية أو
العرقية أو الثقافية

اتحصا عبد الجبار برؤيه ثابته ومساهمته ذكية نحن في أشد الحاجة إليها في
تلك الأجواء المدلهمة، وأنسى أن تكون هذه الدراسة قد وجدت سبيلها للنشر
لتعم فائدتها.

71 يونيو 3002م

«هي كيون المشلاقة عاقبة»
وفيض من أريج الكتانة



النور حسد

ما رلت أذكر الأستاذ بانكر أحمد موسى الشاعر ولكاتب المسرحي عليه
رحمة الله حين كان يدرس تاريخ أوروبا في الصف الثالث (عمر) بالمؤتمر
ثانوية كان يدخل حاملاً حقيبته الجلدية التي تحتوي على كتب «المعملين»
لملاحظ مع أعراضه الأخرى. كان إحساسه بالذريع عظيم فيتحدث في تودة
جاساً على طرف المصعد، لا انكرسي في أغلب الأحيان يشد، بحديثه العذب
وصوته المديد ولا يحطئك حماسه لما يقون رغم هدونه وما رلت أذكر يوم أن
كان يتحدث عن الإصلاح الديني في أوروبا متناولاً شخصية مارتين لوتر، قال إن
كلماته كانت تخرج من فيه كشلال من نور، فأعجبنا ذلك الشبيه وما زال عامياً
بالذاكرة. وعندما وصف عبد الله عبي إبراهيم الدكتور التجاني الماحي في مقاله
شبهيرة نيك «فريق الألواح» فإن إن العلم كان يتصاعد منه دحانحين دحانحين
يستعار التعبير من «الطبقات» في معرض الوصف لأحد رجاء الصوفية العارفين

حين انتقلت بالأساتذة السور حمد لأول مرة في مطلع الثمانين من القرن الماضي لمرحل صديقنا الأستاذ الطاهر محمد حمد بمدينة كرسشي ذكرني حين يحدث مدارس بونر أو ديك انصوفي العلهم في تاريخنا العاصر بمانر الرجال وكان السور في تلك الأعسية المكربة البعيدة بتحدث لغة صبية جديدة ومعاصرة تندفق مفرداته وتثبت عنو الحاطر في عقد بصيد من الكلام المحكم ما رال صداها يتردد في الأذن ثم أخط بلفظه بعد ديك لا مرة واحدة غيرة بالمحطة الرسطى في الحرسوم ببادلنا حديث قصير بقدر ما سمح لى لوقت وفي العام الماضي بدأب ألقى من أصدقائي بأبوعلي إصدارة غير دورية يشرها العنان الشكيلي ولساقد المعروف حسن موسى لمقيم بقرى سماها «جهنم» وبصدرتها هذه الصارة جردة لهدم النقد والمارصة، تورع مجاناً لى نهمة الأمر ولنمرسه إليهم حق اسساحيد وتوزيعهم بمعرفتهم ولا يشر أي حرة منها في الصحف الياره إلا بآدب باشرها» ولإصدارة باجحة بكل المقاييس وبزكد إضمام المثقفين والكتاب لسود بين وحديهم على ثقافتهم لوطية وشارك بالكتابة فيها أفلام جادة من بينهم لسور حمد لحسن انصوف فقرأت له مبالاً جيداً غير مسبوق لغة ومضموناً بعنوان «أهل المترة» فلم أجد فارقابين حديثه وكتابته نفس التألق الددر والفكر المشبوب وانفدرة الفده على امتكده المحوبة ثم لم ألت أن وقعت بدي على مقال بعنوان «في كون الشلاقة عاقه» تناول فيه سيرة ثلاثة من الفانس التشكيليين، ثلاثتهم رحلوا عن دنيا قسم امادة إلى قسم الأول بعنوان «عمر حيري عاقل وحيد في حفص بمحاسن» والثاني بعنوان «الرحلان حامد جو وبشير حريشة سمنان من وراء ما بعد احداثه» أعجبي هذا نعمل وحاصه ما كتبه عن صديقه ابن عمي لأستاذ طه أبو قرحة المحامي «رجل المثقف وانكذب المطبوع» الذي اختفى بالعمل أينما احتده وبعث برسالة عن طريق هاكس من ابهرين حيث يقيم ويعمل وجاء في رسالته «ما كتبه السور عن حامد جو وبشير حريشة أطيب من رائحة

توجهت ذات مساء رتقي إلى مركز عبد الكريم ميرعبي الثقافي بأم درمان، لاحظت جمعا على سطح مبنى المركز فتسقف أنا وصديقي اندي صحبتته، وحدها كرسيتين فجنب كانت فرقة صوصل يؤدي مسرحية ما أسعدنا ما صبح الثياب على المسرح نأهض كن مشحونا بالمرر والمباشرة هذا شعب لن يصيح ما دامت هذه طلائعه، بين وسب انتهت الأعسية لمسرحية النعيت بالأسند كمال عبد الكريم مدير المركز الذي أحسن إستقبالنا وأكرم وفادتنا وأتاح لما فرصه التعرف على أقسام المركز ثم انضممني بمجموعه من إصدائه، عكمت عليها أياما كما عثرت أيضا على كتب حديده في مكتبه مروي أروت كثيرا من الظما، من بينها كتاب نقدي عن الصب صالح للأستاذ عثمان محمد احسن الأكادسي البار والمثقف المرموق والأدب الشط عربر الإنجاح ما تشرفت بفقائه وبكفي استمتعت واستعت بكثير مما كتب، وهو محب وليس بدهاء، يؤسر مهجا مختلفا في تولد المرص يصحي كما هو صديق للصب وعارف بفصله يدفع حين يكتب عنه ولكنه يصيب والطيب صالح كناع المسك بحديك دائما بشيء منه، كما نظفر بأريجه النوح يحدث عنه وأسهب ونقل في إبدعه وتناول أشياء لم تكن يعرفها عن العالم الشري للكتاب والحق يقال إسي لم أتمكن من متابعة مقالته في الصفحة الأخيرة لمجلة «المحلة» اندي إسمو لسنوات وكان لطيف يكتب عن الشعر وما كان ذنك بحد هوى في نفسي إلا أنه يدور أن هناك ما كان يستوجب النظر والقراءة، شر رفيع وساور دكي اسوققي ما سافه من وصف لأحدى حساب الأمم المتحدة في عنوان الحرب الباردة كان وهناك مدونا عن لإداعة البريطانية يتبع اندورة وكانت تنك الجسم للرؤساء هرود ماكميلان رئيس الوزراء البريصي ويكييتا حروثشوف الرئيس السوفيتي وغيرهم وصف الأول فقال بينما كان ماكميلان يفح حطبا عنى السبعة متلك لبره السحالية قليلا، لتي بعلب عليها ذلك السام الأرستقراطي كان ينظر من حين لأخر إلى رجل قصير القامة، ممنوع الجسم،

أدري ما هو الأسباب التي كانا يقدمانها لتسمر عادة ولحركة الكثيرة وللشغل الذي لا يهدأ لم يكن دوماً مقبلة فقد كانت في أغلب الأحيان عللاً أكثر منها أسباباً لم يكن يكون بعللها في ذلك لمحبي كانا مثل من حكم علي بالتسمل ولربما شب بينهما بالسفر بين الأمكة بعضاً من حالات الإدمان وهي موتها هي حادثتي مرور يشاره، وربما تشابه المصائر. ويقول إن التشابه بينهما - في حالة تتبع القرائن - أقصى بكليهما إلى كلية القنود معرفتي ببشير حريشة، تمت بعد التحاقني بكلية القنود فهو كرفاني قادم من حور طقت الثانوية، ويسمى أنه كان مشهوراً في حور طقت مثل شهرة حامد جو في حنتوب، وقد توطدت صلتني ببشير عقب تخرجه من كلية القنود، وذلك بعد أن انضم إلى حركة الأخوان الجمهوريين أما حامد جو فهو قريبي شأناً سورياً ونقاصاً حياة قروية مشتركة، وتدرجنا في المراحل الدراسية من الابتدائية وحتى مدرسة حنتوب، كان حامد يأخذ حياته لحظة بلحظة ولا يتحسر على مفااته، ولا يدع التطلع لما سوف يأتي يدهله عن حمائل لحظته الراحة كاتب له قدرة على نفع الحياة في العدم، تصيح حنة حامد بالسببة بي من غيره قاعاً صفتها، وحرائب بعض فيها اليوم، وجوده حولي كان يحل كبريات معصلاتي لا أحتاج لأكثر من رؤيته أو وجوده من حولي لتذهب عني المحاولات الوحودية والحر والوحشة لقد كان متصلاً بالجوهر وممدود من الجوهر مدد عجيباً، وأهم من ذلك كله كان قادراً على أن يعدي بحالته غيره

قال الور إنه حين التحق بكلية القنود الجميلة في مطلع السبعينات كان حامد مدرساً بالمدارس الابتدائية وكان يروره في الكلية معروف على أصدقائه وأعجبه المكان وفرر فجاء الالتحاق به أحسن بأن ذلك المكان المسمى بكلية القنود يباسيه، لقد كان يبني أموره على الحدس فعليه هو الذي يحبره وحين يحبره قلبه بشيء لا يلتفت إلى متحدث آخر قلت له إن فكرته جنونية بل وسريالية مثل

أصوات

سائر أموره، لأخرى، فهو لم يكن يمارس الرسم أبداً، ولم أعرف له اهتماماً به غير أن حامداً أحب ذلك المكان وأولئك لقوم، أصر على حيدره وعمل له اقتنى لألوان والأدوات وصار يعمل مجد ويطلقني على أعماله وبالفعل التحق حامدا بكلية الفنون دعم أنني

بعد موته أحسست بأنه فعلاً غريباً على هذه الحياة، بدا لي مثل من جرى رساله من المستقبل يرسم لنا بعضاً من صوره... ولبقدهم مودجاً لإسان جديد، لا يزال يتمحصر في رحم العيب إنسان تحرر من الانكسار أمام الاستعلاء باللون والجس والطبقه وبانتحصيل المعرفي، ومن أي فخر يحاور به أي شخص لشعر عني الآخر، كان إنساناً لا يسلم لناس بالاميازات التي يمسحونها لأنفسهم يحرص على لعني نفسه حتى يعمل العبي أن يشاركه ما عنده ويعرض نفسه على صاحب الجده، والسلطة حتى ينسى صاحب الجده والسطوة وصعبته ويقترب من لحيات حتى لا تبقى سطوة جمالهن هيبه، وماش من يرغم أنه ملم بموضوعه بسديه تامه، ويعبر شعور بالانكسار أو الدوبية كان حامدا أعمى من أي لواحبي أثبتته، في رؤية الفروق وكاتب له قدرة فطرية، لا ملغة فيها ولا تعقيد، تمكنه دائماً من الفداد إلى جوهر الأمور

رأى البر بشير حريشة لأول مرة عام 1971 بد حلية الحله الجديدة التابعه لعمهد الكليات التكنولوجية وقد كان يسكها بعض من طلاب كلية الفنون «رأته في عرقه مجاوره لعرفتني، يرقص رقصه «الجيرك» أو «الهورس» ثم أعد أذكر بالصبط واحد من الرقصات العربية التي كانت فاشية في الأوساط المدييه لحزومية أبداً ك استرعى انتباهي منذ أول وهلة بقوامه القصير وأفقه الأقي، وحركات رقصه المتوافقة التي دلت على حس موسيقي سليم، وروح طليمة أيضاً.

انطبع مشهد رقصه في ذهني وظللت أرقبه من بعيد في الكلب بإعجاب، غير أنني لم أعرف عليه عن كثب لقد كان هو في السنة الرابعة وكنت في السنة

الأولى ثم ما لبث بشير بعد الحرج أن انضم للحركة الجمهورية، حيث تعرفنا
عن قرب ولا أزال أذكر يوم سمر بشير إلى جوبا، ومعه حلف الله عبود ومحمد
الحاج بعد أن تم نقلهم إلى مكتب الشر بجوبا أذكر أنني كنت في ودعهم في
مصدر الخرطوم مع حسن موسى ومحمود عمر وربما آدم الصافي أعلمت بهم
طائرة «لوكور- بريديش» المروحية عند لظهور ولا أزال أذكر أن حسن موسى
عنق على شكل الطائرة بقوله إنها «تشبه الكديسة الحامل» وفي المساء عرفنا أن
الطائرة قد صلت طريقها ما أردت بهذا القول إن حسن موسى عيه حارة ولكن
استببه استرعى إنتباهي وظل عالقاً بدهي قرابة الثلاثين عاماً انماصية» بها
بشير مع رفقاته من تلك لحادثة المطيع بكل تعقيداتها ثم ما لبث لاحق في حادث
سير بمدينة الأبيض، وبها حامد حور عم أسعارة الكثيره على شاحنات وباصات
وحافلات وكامسي وكرا اب السود ن الهرة وبوهي هو الأخر في حادث سير في
الجمهورية البية»

5 فبراير 2002م

رواح ثقافي وثلاثي سياسي



محمد صليح

عرف الناس عن سياسة في السودان قهرهم لحطاب الديماغوجي العاشر
لسلطة مهترته ما قدمت سوى الكلام والشعارات ومريداً من الفشل، ولا يتطعم
الناس كثيراً أيضاً لحطاب المعارضة العاطلة عن الإبداع، والمتميزة بالمراوحة
والاعتراش الفكري فلاذوا بالآداب والثقافة وأحدوا يندفعون للحصول على
املاحق الثقافية للصحف وليس هذا بعريب فهي رمان الجور السياسي ولصمور
الفكري يعتصم المثقفون بكل ما هو غير يومي يرفعون عن الأحداث التي لا
تفتأ تتكرر ولا تأتي بحديد ينتظرون أيام المد ورياح التغيير أسب ذلك حلال
ربارسي الأخيرة للسودان في عطشي السوية، وأسعدني ما رأيك عليه الشباب
يهضون من كتابة الواقع السياسي وفول الرمن الجميل.. يؤمرون المكتبات
ببقراون، ويكونون الفرق المسرحية في المراكز الثقافية شباناً وشابات مصعمين
بالأمل ومسليحين بالجرأة وعفوية المبادرة ونصاعة الوجدان

حين تطرق للبعام في حديثه عن منطقة بحر العرلان، فقد « في هذه البلاد حيوان يسمى البعام أشبه شيء بالإنسان في صورته وقامته ويستأنس كالقردة وله شعر مستمر حلف ظهره على جانبيه. فائق في طوله جميل في منظره يعرف به السودانيون كما تعرف العرب في عيون الحادور والعرلان »

وكثير من يكون قد سمع عن البعام في معرض وصف جدائنا وأمهاتنا لمن يسمي بالعمي وبلاهة السوك ولا أعتقد أن أحد قد تعرف به كما ذكر مؤلف الكتاب وربما يكون البعام هو لحلقه المفقودة بين القرد والإنسان ولا يفتأ علماء الأنثروبولوجي مكشوفين في سبيل حل ذلك اللغز

حين تم تعيين عردون للعمل بالسودان اصطحب معه إبراهيم هوري هذا وراو معه عدة مناطق وخاصة الاستوائية وبحر العرلان وقد تناول تجربة دكتور الرجل من خلال كتابات أخرى محتمة.

وكان نقط الرصد حظه في شحذ هصولنا واستارة إنباه أيضاً فقد كان ذلك النمط العفري النادر من بين السلع التجارية المهمة التي كان يصدرها السودون إلى البلاد الأخرى تطرق إليه كثير من الأخباريين الذين كتبوا عن بلادنا ولكنهم ما وصفوه ويبدو أنه يعيش وربما لا يزال في بعض مناطق الجنوب والجنوب الشرقي، ويسمى ذلك القط المحبب بمصره لماذ الذي كان يقول أهل إنّه كان يقرره بدّ حشّ بالخطر يريد أن يشعل به عدوه لمطارده ويلهيه بجمع العطر الذي يقده به كمادة هلامية يتم الاحتفاظ بها في قرون العرلان والأنبار وتستخدمه النساء في مستحضرات التجميل وإذا ما تمّ قبله فإنّ جلده يظل يصوع بالعطر فيعمر المكان كله وكان يربط في يد الرضيع قطع صغيرة من جلده، وإذا ما تمّ صيده حيا يوضع في أقفاص بمنازل الأثرياء

لَمْ يقتصر تواجد الحيوانات الوحشية على مناطق محدّدة بالسودان وإنما

أصوات

ليس حسن الهدام، هيشه مثل هيئة رئيس عمال نحى في ميده، رجل لو خير ماكميلان لما احتار أن يدعو إلى العشاء في داره في لندن مع صهره دون دوشاير، إلا أن ذلك الرجل الذي يجلس متحمر، مثل دث رابهر، وهو نجم هذا المهرحان دون مزارع بيكيتا حروتشوف، أمين عدم الحرب الشيوعي وأقوى رجل في الاتحاد السوفيتي كان يصل قبل بدء الجلسة دائماً ولا يترك مقعده حتى نهاية الجلسة عندما لاحظ مرة فلة الحضور هت وقف وصرح عاصباً قبل أن يؤذن له، أين يذهب هؤلاء السدويون؟ إن دولهم المقيرة تدفع أموالاً طائلة لرسلمهم إلى نيويورك، ليس للمسحة والتسكع، ولكن للعمل لَمْ يَلُث السدويون الذين كانوا يحشون الفهوة في لصاله الفاحرة ويتكلمون بالعمل في انردعات أن جاموا يسابقون إلى قاعة الجمعية العمومية. لاحظ الطبيب أن جلسات تلك لدورة تحولت بمهارة إلى حصون مسرحية، البطل الذي يمثل قوى الخير والعدل والحرية، هو الاتحاد السوفيتي ولشير الذي يمثل قوى الظلام والباطل والفقر هو دول العرب.

وعندما كتب الطبيب صالح يصف الأمم تيريرا التي رآها في مطار الخرطوم تهم بالمعادرة قال: «لأن فنتظر إقلاع الطائرة التي سوف تعود به إلى باريس»، يقصد أحمد محتر أمبو مدير اليونسكو وقتئذ، وكان الوقت أواخر الليل، وإذا صوء يسطع في أعينها التمت إلى مصدره فإذا بتلك السيدة العجيبة تدخل بهدوء كما يسيل انماء في الجدول، عليها الثوب الأبيض الذي اشتهرت به وحولها فتيات في مثل ريبها سمراوات هدياب أو ثيوبيات أو خليط من أحباس. ثم يكن معها سوى مودع وحيد ريب من إحدى منظمات الأغاثة ذهبت وسلمت عليها وعملت معها أنها كانت في سنر وفي الجزيرة جنوب الخرطوم، وأنها قصت شهراً تحاول أن تساعد صحايا المجاعة تهش لك كأنها تعرفك من زمن وتحدثك بصوت حامت فيه لككة هدية معمم بالمرح، وجهها مغصص مليء بالشجاعة وجه

حميل أجمل ما وقعت عليه عينك، يدرك بوجوه كثيرة أحتها وصابت منك
في زحام الحياة، تملؤك بالحسرة والحرارة وتراها خفيفة جد وهي صغيرة الحجم
أصلاً كأنك تستطيع أن تحملها في راحة يدك، تريد أن تحتصها وتقبلها كما
تحتص جدتك أو أمك أو إبنك

31 مايو 3002م

البيئة الأمازوتية التي اندثرت

البعام في مملكة لحوان

كانت أسعد أوقات طفولتنا تلك لأماسي التي حمت بالحكايات المشوقة والأحدر المثيرة والحكايات العربية عن مختلف مناطق السودان وخاصة الجنوب - ندي عمل فيه أجدادي تجاراً جواسي أفاق مد منتصف القرن التاسع عشر ثم والذي مد أوائل القرن العشرين - حيث كان (عليه رحمة الله) مولماً بالسفر والصيد.

كانت قصص الحيوانات وأنواعها تستأثر بجانب مهم من تلك الأحاديث التي كانت ترجيها إلينا ولدينا فتثير الفضول وتلهب الخيال وكانت حين نتحدث عن البعام تملك رغبة عارمة في رؤيته وصحبته في طفولنا السعيدة تلك والبعام الذي هو من فصيلة القروود لم أعد أسمع عنه منذ ذلك الزمن وإن كنت عاريت أذكر وصف هيبته القوية من شكل الإنسان وسلوكه الهدئ لسيل وجهه للناس ورصاه بالعيش معهم كفرد من أفراد العائلة لا بد أن فضيلته قد انقرصت وما عادت تسعى على الأرض شأن الكثير من الكائنات التي كانت تكاد لا تعيش في السودان ولكنها وبا للعصرة سمعت إلى الأبد قبل أن يتم نصبهم ضمن الكائنات التي درجت على طهر هذا الكوكب. كان السودان حتى وقت قريب بمساحته الواسعة وغاباته الشاسعة ومياهه الوفيرة محمية مثالية بمملكة الحيوان.

وعين طاعتت أخيراً كتاب «السودان بين يدي مردود وكنتشره لمؤلفه المصري إبراهيم هرزي باشا» الذي صدر مرة واحدة قبل مئة عام - قرأت عجباً

ولعل أطرف ما حدث في هذا الشأن إن عردون باشا حين عمل بمسطق الجنوب جلب أفيالاً هدية داجنة للاستعانة بها في لحركة داخل العاين وشيد لها جتوده زريبه واسعه تخرج منها لترعى في الحلاء المعجور فكانت حينما تعود بحر الهدر يعود معها بعض أفيالها الأفريقية لموتحشة لتي تصبح هدفاً لسهم بجود الذين يأكلون لحمها وتسترلي الحكومة على أنيابها الشبية

71 يوليو 1002م



إصطيد فيل في منقلا عام 1903م

أصوات

تماوتت في كثافتها فمن دنقلا في أقصى شمال البلاد كانت عرلان انتيتش تتجول في عابات لسط وكان لرراف والجاموس والأسود وعرلان ترتع في المناطق الشمالية الشرقية وقد ذكر الدكتور عبد الله الصيب أن عماله اصطاد أسداً في بركة الدم، ولما أعياه حمله على دابته قطع إحدى رجليه لأماميتين وأخذها ليرأها الناس

وهي إقليم عصره لفت نظر الرحالة الإنجليز حورح بيللي أفرس النهر التي عادت أن تحرق من نهر عطبرة إلى حقول القمح والفلج المجاورة لبلا لترعى فيها وتلدوسها بأقدامها العظيمة فتعيث سداً وذكر أن أهالي إحدى النجرات الواقعة جنوب بربر طلبوا من لسطات إمدادها بموات لطرد أفرس النهر فأرسل إليهم مئة جمدي لإصطيادها.

وقال بوركهارت إن عابات النك كانت تعص بالحيوانات المفترسة كالأسود والسمور الرقط والعرلان والحيات والأفاعي وإن لأهالي كانوا يحاولون حماية ماشيتهم بحفظها في رراب من الشوك. وأنه كان من لبادر أن يقتل أسداً أو سموراً في حالة دفاع عن النفس حيث إن الأهالي ما كانوا يملكون سوى السيوف والرمح التي لا تقوى على قهر ملك الوحوش

وقال بوركهارت إن السمور كانت تكثر في الأودية الشرقية المتدحمة لمدينة شندي وهي مرتفعات الدسر وعلى بعد مسافة قريبة جنوب شرقي شندي كان يوجد لرراف الذي يصطاده رجال الشكرية والكروية ويستفيدون من جلوده في صناعة اندري «لروس» وترد إلى شندي الماعز الجببية الصالحة التي تتميز بقرونها الطويلة لمحبة حتى وسط الظهر وبلحمها اللذيذ المذاق ويسمى هذا نوع بالريل وهو لاسم الذي يصبغ على العرال الأحمر في سوريا وبعد صيده يقودونه من أفعه مشما يمعون مع النعام الذي كان يكثر بتنت الجهات. وريش النعام في شندي كان أقل جوده من النوع الموجود في الصحراء العربية

والأنواع الأكثر طلباً في أسواق مصر هي التي كانت ترد من أسواق كردفان ودارفور وقال بوركهارت أن الفلاحين النجعيين كان يحملون ريش النعام إلى أسواق مخلوطة بالسويس الجيد والرخيص، ويستبدلونها بالذرة وكثير من الأهالي كان يربون النعام في منازلهم فيستأنس كما الطيور الداجنة

وقد ذكر الرحالة الإنجليزي دليم جورج براون أن دارفور كانت تعج بالأسود والسمور والصباع والنداث وابن أوى وقال إن الصباع كانت تسير في هيئة قطع يتراوح عدد أفرادها من خمسة إلى عشرة وترجع على القرى ليلاً فتتزع ما تستطيع صيده، وتفتك بالكلاب والدواب حتى إذا دخلت المنازل وهالاه أيضاً عرلان التينل ووحيد القرب والراف وأفراس النهر التي كانت تعيش في البهيرات الصغيرة أما الأفيال فقد كانت تسير في قطعان كبيرة يتراوح القطيع ما بين 400 و 500 فيل وأحياناً يبلغ الألفين.

وكان عرب البقارة يهتمون بصيد الغيل الذي يعتبر صرباً من الشجاعة والجسارة وبداء الفتوة فس أن يكون كسباً للحصول على العاج أو اللحم يطاردونها بالحيل ويصردون بالغيل الواحد يوسعونه طعناً بالرماح حتى يسقط قتيلاً أو يصوبون نحوه السهم من فوق الأشجار وأحياناً يحفرون حفراً في طريقه ليسقط فيه.

وذكر الرحالة براون أن عرب السودان يصطادون الأسود والسمور لجلودها وأحياناً يأكلون لحومها لإعتقادهم بأنها تكسبهم الشجاعة والحرأة والنبات في معارك، وأحياناً يتمكنون من صيد الأشبال لبيعها للتجار الجلابة الذين يصدرونها إلى مصر لتقدم كهدايا للسلاطين والكبراء.

وقد ذكر المؤرخون أنهم لاحظوا وجود الأسود في قصور ملوك النوبج في منار وتحدث براون عن الطيور في دارفور وكثرتها كالدجاج العيسى والبيضاء الأحصر

أصوات

الذي يستأنس في المنازل ويتعلم شيئاً من معردات اللعبة حتى يتم تصديره إلى مصر فيباع بأثمان مرتفعة.

أما الرحالة السويسري يوركهارت فقد كتب عن الأبهار التي تجري في بحر الغزال والتي يبيع بالتماسيح وأفراس النهر كما يحدث عن حيوان عرف باسم «أم كرحي» قال إنه يتميّز بحجم كبير مثل الحرتيت ورأس صغير إلا أنه غير مؤذ ذلك بالإضافة إلى الأفيال ووحيد القرن والبراب وعرال «أبو عرف» وهو في حجم البقرة يقرون ضخمة يدفع بها نحو الصيد فيرديه قتيلاً أو يصيبه بجروح خطيرة ويحدث عن لجلال الذي وصفه بأنه في حجم العجل والتيسل الجبلي

أما الرحالة الألماني فيرناند فيرن قد شاهد التجريب أبا الواقعة على النيل الأبيض بوسط السودان في حوالي عام 1840 قبل سنوات من إستيطان الإمام محمد أحمد المهدي وأسرته فيها وقد كان يسكنها بعض من قبيلة الشنك وقد وصف فيرن الحياة البادية فيها وأنواع الحيوانات ولطيور ولاحظ وجود الأسود بكثرة وأفراس النهر ولعب بطر فبرن في عادات قسمة النار به ياقبم الاستوائية حرص الرجل منهم على أن يصع جلد الحيوان المفترس الذي يصطاده فوق ظهره كدليل على شجاعته وذكرى لإنتصاره وسلبه على الشدائد التي واجهه في حياته وكانوا يربون رؤوس عصيهم بما يشبه قرون الثيران الصغيرة أو يكوها بقطع صغيرة من فرائه ويشبه فبرن السرية في تمسكهم بهد، انتماليد بالجرمان القدماء حتى يلقون «وكما أن الأسر السيلة كانت تتحد من رأسي التحرير البري وانتور شعيرات لها معاني لتقدير والاحترام، كذلك فإن البارية ينطرون لجنود وأنياب الحيوانات كرمز للبطول والشجاعة أو التقدير لبعض اصصات التي يحتلها من غيرها من الحيوانات» ويصعب فبرن يقوه «لو تمّ يكن لمسح حرراً لكاد من المحتمل أن يصع البارية على رؤوسهم عطاء قبعات الحرب من ذات الفراء».

لعلمه ألا أحد في السودان يعرفها.

تناهت أخبار ذلك الأوروبي العجيب لطلاب الداحليات في الكلية نقلها إليهم عبد الرزاق العتيبي وعمر الريح فجاءوا به ذات مساء حيث أدى معهم صلاة العصر والمغرب وأخذ يتحدثهم ويتدفق في الحديث متداولاً شتى صروب المعرفة بساطه وتوسع نصاب عن عمق ثقافته وموسوعته. وكان يتحدث باللغة الإنجليزية وكان من بين هؤلاء الطلاب الأستاذ حسن بجلة في السنة النهائية في قسم المعارف بكلية عربون عامذاك. وقد روى هذه الحادثة في مؤلفه «ملاحم من المجتمع السوداني» الجزء الثاني بعنوان «شخصية عامصة نمر بالسودان في الثلاثينيات» لم تطل إقامة هذا الرجل طويلاً بالسودان فقد عاد على عجل وفي ظروف عامصة ولم يعد أحد يسمع عنه شيئاً

61 يوليو 2002م

صالح مؤمن أوروبي لا تخطئه العين

كان يراه ناس أم درمان من منطقة أبو روف يرتدي جذاباً موهب جاكيت وعبامة
وصندلاً رجل أوروبي لا تخطئه العين. يتحدث العربية الفصحى والإنجليزية
بطلاقة ويحضر في مختلف المصانع والمواضع في انصافها وأمام المساح
ويحفظ بجميع طبقات الناس كما يريد التعرف على الأشياء. يقحم نفسه
متحدثاً ومتسائلاً وباحثاً. كان يحرص على حمل شهادة صادرة من المغرب تؤكد
إسلامه واحتياجه اسم صالح مؤمن مكنية بالعربية والعربية. يكفي بذلك
ويتحاشى التفاصيل حول حياته. ويؤدي الصلاة في مواجدها

كان حي أبو روف مقللاً لشباب ذوي همم عالية. يتطلعون إلى فجر جديد.
يعملوا في التعلم والتثقيف الذاتي وكان عام 1930 الذي شهد ظهور صالح
مؤمن دروة تألقهم موظفين صغاراً وطلاباً في كلية عردون لا يكتمون وطيتهم
ولا بعضهم للاستعمار. ولم تكن السلطات عاقلة عن نشاطهم تحصى أنفاسهم
غادين رائحين لم يكن قد مضت سواب طويلة على ثورة 1924 وما تسحق
عن نتائجها وتجرب المدمرة ودروسها المريرة التي أخذ بتجرعها هؤلاء الشباب
مكبي على الكتب باحثين عن المعارف لرسم طريق الخلاص أو العثور على
أمل يعبر بهم ذلك الواقع الكئيب

وكانت سنوات ما بين الحربين من أكثر فترات التاريخ توتراً في العالم كانت
أوروبا نودع حرباً ومستقبل أخرى وتجربة الإتحاد السوفيتي برعامة جوريف

متألمين - باتت حقيقة راسحة والسازية تدق على الأبواب، تمثل دروة الأبنية الرأسمالية وجوح المكر العربي الحديث، وجاءت الأزمة الاقتصادية لتتهتر كثير من المسلمين. وتثير كثيراً من التساؤلات حول مصير الإنسانية التي انقسمت إلى معسكرين على المستويين السياسي والاقتصادي. كانت فترة حرجة تواحه معتزق طرق وعرة

كان لا بد لهذا الشباب أن يتصلوا بمؤمن.. ثم يكن بعيداً عنهم فقد اكرى داراً صغيرة في الحي إلى حوارهم يتحدث في مختلف المعروف والفلسفات خاصة في علمي الأجسام والاجتماع اللذين تخصص فيهما بهرهم بثقافته الواسعة وعلمه الغرير فالنمو حوله يستمعون إليه لما كانت كنية عردون تروي تعصهم للمعارف كانت تلقي إليهم بالمتات وتكتفي بتقديم القليل لهم بما يؤهلهم بلوغات الصيرة ما كان تريد لهم ثوار مشغفين يثلقون راحتها ويصنعون طبيعة الاستعمار.

كان صالح مؤمن بها هم الاستعمار بلا هوادة في جراءة وعلاية. وسكن أنوف الشباب المتحفرة كانت تشتم فداً الهمس واستررب لاس في حقيقة وهي طبيعة المهمة التي لا بد أن يكون قد وعد من أجلها ولماذا نعض سلطات المدينة الطرف عنه وهي التي يرعجها ما هو أقل من ذلك؟ وهل كان يكفي أن تكلف شيخ بحارة ويدعى عبد الحكيم لكي يضل إليها ما كان يقوله صالح مؤمن الذي يلتفت إلى شباب ساجراً يتحدث بالإبحلية فيطلب منهم أن يترجموا لعبد الحكيم ما يستطيع أن يقله للمعشر غير مكترث بما سيؤول إليه الحال. رأت مجموعة شباب أبو روف في صالح مؤمن جاسوساً إنجليزية مكلفاً بدراسة أفكار المثقفين السودانيين وتوجيهاتهم، متشكراً في زي المستشرق المسلم القادم من المغرب وخاصة عندما حملت إليهم الصحف المصرية أبناء عن أن بورس الجاسوس الإنجليزي المعروف عادر المغرب في طريقه إلى

كان لورنس معروفاً على المطاق العالمي بعد أن اشتهر بالدور الحظير الذي لعبه خلال الحرب العالمية الأولى (1914-1918) حين عمل مستشاراً للشريف حسين ملك الحجاز وكيف تمكن من إفساح العرب بالوقوف إلى جانب بريطانيا وحلفائها في حربها ضد ألمانيا وجبهتها ومن بينهم لأتراك الذين صاوا لعرب بسلطانهم وفادهم عقوداً من الزمن وكان بريطانيا قد أعلنت وعودها المكتوبة ولموثوقة بالسيادة للعرب على أوطانهم بعد القضاء على النفوذ التركي. ولكنها تكبرت لها وتفاست مع فرنسا مركة ترك وبت نورس من خلال ما أصفي عليه من قدرات حارقة أسطورة تسعى على فديين وخاصة عندما أصدر كتابه «أعمدة بحكمة السبعة» ثم ما لبث أن صدرت عنه مجموعة من الكتب عن حياته في ابيادية العربية ومعاملاته ولا يزال العلم الذي حمل عنوان «لورنس العرب» يحتل مكانه بارزة في تاريخ السينا

لاحظ شاب أبوروف أن صالح مؤمن بجيد معرفة القائل العربي وخصوصية حياته الصحراء وتفاصيلها الأمر الذي لا يمكن منه إلا رحل عاش في تلك البيئة طويلاً وسرّع عورما واهتم بدراساتها كما لاحظو معرفته العميقة بعلم الآثار وقدرته على حل الرموز الهيروغليفية وعلاقاته الممتدة مع مصر أديون مدير متحف الآثار بكلية عردون وعلموا أنه كثيراً ما كان يساعد في هت صلاسم كثير من الحروف والمقاطع المحفورة على الآثار

وكان صالح مؤمن بجيد لعبة الأسبرانتو التي أزد من وضعوها أن تكون لغة عالمية يتحاطب بها الناس على اختلاف لغاتهم وقد حاول مؤمن أن يعلمها لتلاميذه - شاب أبوروف - وبدأوا في طلب الكتب الخاصة بدراستها ووصلت بالفعل إلى البعض منهم إلا أن الرحيل المفاجئ لرحل العرب حال دون ذلك وكان الرحل يستخدم هذه اللعبة في تدوين مذكرته في كراسات خاصة

يتطلعون خارج حدودهم وإن فعلوا فإنهم يتطلعون إلى الشمال والشرق لأنهم لا يعتبرون أنفسهم أفارقة بل عرباً، أما حوادث مارس 1954 فقد أسألت بتقرير موسع كتبه الحاكم العام سير روبرت هاولورد الحارحية البريطانية جاء فيه أن «محاوفا من انمهدية قد تجددت ومن المحتمل أن يكون حرب لأمة قد أصعب فرصه في الحصول على السلطة عبر الوسائل الدستورية العادية، وإن سلاحهم لأكثر فاعلية الآن هو إثارة الاضطرابات وقد حققوا هدفهم أثناء زيارة محمد نجيب إلا أن العلاقات بينهم وبين جهاز البوليس أصبحت مريرة للغاية إن ما حدث يوم الإثنين الرابع من مارس كان من الممكن أن تتصاعد حضورته حيث كان الأنصار أقوياء وشجعان وثبتوا أمام إطلاق النار من جانب لبونيس وهي فترة معينة أثناء وقوع الاضطرابات وبعد مقتل القومندان البريطاني فقد رجال الشرطة لثمة بأنفسهم تماماً وإذا قدر للأنصار أن يدفعوا بقوة أكبر كان من الممكن أن يفتحوا القصر، وقد وصل بالفعل جماعة منهم إلى الحدائق القريبة من «مصرل» أنهم هادئون الآن ويلتقون حرجهم، ولكن لا يمكن إستعداد وقوع حوادث أخرى أكثر حضوراً أو حتى مدحة إذا ما قرر حرب الأمة القيام بعمل ولو أن ذلك غير منظور في المستقبل انقريب وأشر لتقرير إلى أن حتى المعتدلين أمثال المعكر إبراهيم أحمد هددوا بحملات لدم بيسا أبلغ ميرعني حمرة روار أجانب بأن الاضطرابات كانت بسبب عدم ولاء الخدمة المدنية في «سودان» وهو يعني بذلك سريانيين ويعزو لتقرير - الذي تم إرساله كبرقية - الاضطرابات للتدخل المصري حيث أن مؤيدي حرب «الأمة» تستقرهم رؤية مجموعات من السياسيين المصريين تروح وتجن بالإضافة إلى حسب سلاح سالم والاحتراق الذي يتخذ شكل أعمال الإحسان وتقديم السلاح وتسهيلات التدريب

وعندما عاد السيد علي الميرغني من إحدى زيارته لمصر بعد إقامة طويلة

هود جكن في مشهد من لتاريخ اسود اني المعاصر



د. فيصل عبد الرحمن علي طه

عندما عاد بوماس هودجكن إلى السودان بعد ستة أعوام من الغياب كتب في مجلة «الاسبكتير» في عددها الصادر في الثالث من سبتمبر 1954 يقول «أسعدي أني وحدث المودانيين ودودين وموودري الحيوية على النحو لدي ذكرهم به وكان من المبهج أن يرافقي في الباص الذي أقلني من المطار طالب عائد بوطه من جامعة السجاب وقد أوضح لي هذا الطالب أن الحلول لكل المشكلات لأفريقية يمكن استنباطها من مبادئ أولية بية وبتنهجت عندما لتقطني من الخاك الوصيع الذي أرلني فيه الباص مسلم جاد أبدى أسفه عندما علم أنني غير مؤمن وقدم لي قبضة من «معوط» حاد الرائحة وكان مبهجاً أيضاً لجيوس تحت أشعة الشمس المساطعة في مهبى بالقرب من المسجد الاستماع للأعاني العرامية المصرية التي كانت تدار بصوت عال على الحانكي «أنا سعيد في هذا الصباح الجميل أنت حياتي. وأنا أحب الحياة»

في الثقافة السودانية

توحيلا من صوت من التعبير الشاسي السريع صار كثير من كانوا مواصعين نسبياً عظماء وقادة أحرار لمعارضة انديس كانت الشرطه تراقهم بحذر أصبحوا ورراء كما أصبح الضلاب الواعدون مرطعي خدمة مدنية ناردين ومحبري صحف ومحاصري جامعات. غير أنهم لم يتسموا بالبحرقة أو الجفاف.

أوبسما أنا جالس في المساء في «دار الثقافة» وهي مكان مثير للإعجاب ابتكره دوقلاس يو بولد حيث يحتسي المرء القهوة ويلتقي بأصدقائه، كب أستمع إلى سودانيين من ذوي الآراء المتباينة تماماً من أمه واتحاديين وساريين ومحافظين وهم يناقشون الحركة القومية وقد نساءلت عما جعلهم شديدي العقلانية في توحشاتهم المتباينة ربما يعود هذا جريئاً إلى تقليد المساواة الإجتماعية الراسخ في الحرية والأسرة.. وجريئاً إلى فصولهم العلمي اندي حمره جيلان من المدرسين «الجديد»

هذه الصورة «رواية ظني رسمها هودجكن لسودان سنوات الخمسين من اندي الماضي - عشية الإستقلال - جزء من الوثائق التي ترجمها البروفيسور فيصل عبد الرحمن علي طه لمجموعه من بحث لوثائق البريطانية السرية 1940- 1956 وذلك في إطار مساهمته المتميزة في إعدادها وقد تفصل مشكوراً باطلاع على نصها الأصلية بحظ يده. حتى يتسنى للقراء لوقوف على مقتطفات منها ريثما نصل إلى أيديهم قريباً

وجاء في تقرير شياصي بتاريخ السابع من يناير 1955 عدا، سودنة بوظائف من فيليب أدامر لمعرض التجري للمملكة المتحدة بالحطوط إلى وزير الخارجية البريطاني أنتوني إيدن «ومع السودنة الكاملة للإدارة فقد إنفصى كثير من نصف قرن من الحكم البريطاني بجزء من أفريقيا يعادل في مباحته كل أوروبا انغربية وآل تصريح عمل الحكومة إلى سودانيين أنفسهم وقد تم هذا

أصوات

التحول سلسلة ملفنة للنظر باستثناء تطاهرة واحدة خطيرة حدثت بالخرطوم إن الست لسياسي والذي عتبر لفترة طويلة كأداة نموذجية للإدارة الاستعمارية قد صار تاريخ الإداريون السودانيون الذين تسلّموا مقاليد الإدارة أقبلو على عملهم بكلّ همة وحماس ودرجة من الكفاءة نادره في دول شرق أوسطية

سجل ديبو اتش لوس في تقرير سري أقوال ندادود عبد اللطيف الذي كان مديراً لمديرية بحر العرب يقول فيها إن هناك إشارات لتحول الرأي العام المتعلم نحو اليسار وإن هذه السرعة ظهرت حتى في أوساط كبار الموظفين السودانيين ورجح أن يكون هذا التحول نحو روسيا كدولة عظمى وليس نحو الشيوعية كمنظرة أما توم برزيني بوررة الخارجية البريطانية فقد كتب للمعرض اسجاري للمملكة المتحدة بالخرطوم بتاريخ الثالث من فبراير 1955 حول أحداث أدلى بها يحيى المصلي لعدد من الناس في لندن وسب إليه عرم الحكومة على إصدار تشريعات لمكافحة الشيوعية في النقابات إلا أن الرسميين أبلغوه بعدم اقتناعهم بمحاربة الشيوعية عن طريق الفوضى. وقد وصف التقرير يحيى المصلي بأنه شخص محافل ليس من السهولة قول آرائه بهذا الشأن لأنه قد يبرر ذلك عند الضرورة بأنه جاء كصانع من بريطانيا وحده في التقرير أيضاً أن الحكومة البريطانية فكرت في توجيه الدعوة لفريق من النقابيين السودانيين لزيارتها في ذلك العام إلا أنها أدركت في وقت لاحق أن هذا الأمر لن يكون عملياً لأن رئيس اتحاد العمال وسكرتيره شيوعيان.

وتناولت إحدى الوثائق انتشار الشعور المعادي للعرب في الدول الأفريقية التي يحتلها الاستعمار الفرنسي، الأمر الذي دفع الفرنسيين بمناقشتها مع رصائلهم الإنجليز الذي عبّروا عن وجهة نظرهم للفرنسيين بأنه من غير المتوقع أن يتبنى السودان المستقل مبادئ دعوية إسلامية يمكن أن تهدد حدوده الجنوبية والعربية ورأوا أن السودانيين الشماليين محدودو النظر لنعابة ولا

إلى القاهرة فوصلتها بعد عشرة أيام فقط قبل وصول البريد الذي يستغرق عدة
ساعات المدة أو يريد . لا ندري أحد كيف حدث ذلك . ولكن دواوين
الحكومة المصرية وشوارع القاهرة أحدثت برود ذلك الحدث بين المتصدين
ولتكذيبه حتى بلغها رسمياً في 21 نوفمبر

بعد إصداره السريع لمباحثة ولتملاحة بلغ الإمام المهدي بالبلاد أقصى
درجات مرجعها الثوري وحرك كيانه المنعش للحق والعدل . وحلب ألبها
بمواظمة العميقة وطرحه الجديد . يقف أمام انجموع محدثا بصوته العالي العميق
وهي مأجودة بسمته الأسطوري المهيب وقوامه الفرع امتك الوجدان وأتاح
لقوى الحبسه أن تعلق لتتجاوز واقع الحياة البائس ولربابة التعيسة

كانت كلماته السبغة الموحية تنسرب إلى النفوس العمما فتفتح أمامها سوح
الأمل أشدت الأمة السودانية واليها المشووعة . نتي تافرت وقرت بينها
عصية القبيلة . ها هي تتوحد حلال أشهر قبيلة وثقف وراء هذا الإمام الشاب
تشدد مستقبلاً واحداً وترحف لتحقيقه بقياده المد ، وروحه الملهمه وراياته الحماقة
التي لم تعرف الهريمة والانكسار . انتصارات أشبه بالمعجزات في زمان تكالبت فيه
قوى الاستعمار وهي في دروة إسكادها على المظقتين العربية والإسلامية
المتين لهما لبل دجوجي طويل ما ترى من خلاص سوى القيدل الباهت
الصوء الذي كان يتلمس به جمان الدس الأعماقي ومحمد عده طريقاً لا يعرفان له
أولاً ولا آخر .

كان الإمام المهدي في الظروف التي سبقت حملة هكس في قمة حيويته وشاعبه
الداق - الفكري والسياسي والعسكري - فثار على كتابة مشوراته التي عدت أديا
متكاملا لثورته وتحسيدا لفكره المتحد . فكان يمارس عاداته الشافعية العميقة
يعط ويوخره ويرشد ويرأس مجالس الحرب استعاقبه ويحفظ للعمليات العسكرية
وما يسبقها من تدريبات واهتمام بالأحوال التشريعية والإدارية - للدولة الجديدة

أصوات

بالاسكندرية لتلقى به دهبو. اتى لوس من مكتب بحكم العام بالبحرطوم وقضى معه ساعة من الزمن يستمع خلالها للإبصاعاه عن مصر وقد نه أنه تجنب الحديث عن الشئسبه السودنيه إلا أنه حاول إجراء مباحثه بين محمد نجيب وجمال عبد الناصر . إلا أنه من الواضح أن المحاولة قد فشلت ورأى السيد علي في عبد الناصر رجلاً ذكياً جداً ومعقولاً ووضع به أنه ساحة محسنة من صلاح سالم ولاحظ أن عواصف السيد علي كانت لا تزال مع محمد نجيب كان ذلك في يوم 16 يونيو 1955 حيث قام لوس بتسجيل بعض المصادقة في تقريره السري

وينصح من لتقرير التي ساولت أحداث التمرد في جنوب السودان التي وقعت في أغسطس 1955 والبلاد لا تزال تحت الحكم لداتي برئاسة إسماعيل لأمره أن لإداريين البريطانيين كانوا في عاية الإبرعاع ووقعوا أن تتفاهم لأحوال وقد قدم سير همفري تريفيان (اسفر لبرطاني في القاهرة) تقريراً عن إبراع من صلاح سالم -وهو الوزير المصري المكلف بشؤون السودان- بشأن القيام بإجراء عسكري بريضي مصري مشترك في جنوب السودان. وقال صلاح سالم أنه وفقاً لمعلومات لحكومة المصرية فإن الوضع في المديريات الجنوبية يتدهور بصورة مفرعة وقد أظهرت التقارير أنه بعد الاضطرابات التي وقعت في حواقر المتمردين إلى العاية ومعهم 1500 بدقية و80 مدفع برين 200 رتبين ونصف مليون طلفة ذخيرة «303» وثلاثة مسدسات وعدد كبير من سيارات. ورد عليه تريفيان أن معلومات الحكومة البريطانية على السبب من ذلك وأن الأوضاع تتجه نحو الهدوء ثم اقترح صلاح سالم أن تتدخل الحكومتان بوضع قوات مشتركة بين القوات الشمالية ومتمردين الحوس ورد عليه تريفيان أن لحكومة السودانية قد تستطيع التصرف بدون مساعدة من قوات خارجية ويسبق مؤزرتها في جهودها لاسعادة سلطتها في الحروب

سادس المحاولات مكتب المفاوض التجاري البريطاني بالحرم مع بداية سيطرة الوظائف مكتب خطاباً إلى وزارة اسحارة و لصناعة في لندن في 16 فبراير 1954 يعرف فيه عن فرعه للاستبدال الوشيث للموظفين البريطانيين بسودانيين في «مصالح المسئولة عن مشتريات الحكومة فيقول «بالأمس كان لنا نصيب الأسد في التجارة المتصلة بواردات حكومة السودان» ويقترح تقديم أسعار منافسة حيث أن بعض التحقيقات أسفرت عن أسعار غير منصفة وشركة ماكيبات «سجرة» كانت تحقق أرباحاً تزيد على 50 في المائة وشركة جسر المحدودة كانت تزود حكومة السودان بالأنها الماسخة لسنوات عديدة بسعر - شمل أرباح وكيها المحلي جلاتي هانكي وشركاء - يتجاوز 100 في المائة ويصدر التقرير من أن لأوضاع تمر بمرحلة تغيير لد فيتعين على الشركات أن تقدم أسعاراً معقولة وإلا فسوف يقتلون لإزلة التي تبهر دهاً.

وفي تقرير بتاريخ 21 نوفمبر 1954 ذكر أنتوني يذن وزير الخارجية البريطاني أنه التقى برئيس الحكومة السودانية إسماعيل الأهرى في لندن وأبلغه بهامته بأن ترسل شركة المطع الإنجليزية - الإيرانية ممثلين إلى السودان بعد أن تطورت قضية التمييز عن المطع وقد أصبح أهرى أن أفضل لأمال في العثور على المطع يكمن في ساحل البحر الأحمر ومناطق العرب والجنوب

شيكان، المعركة الأسطورية



هكس



الإمام المهدي

وقف لورد هتر مورس أمام مجلس اللوردات البريطاني معرباً عن أساءه وحيرته حول الظروف التي أودت بجيش كامل بعدة ولعتاد يقوده صباط بريطانيون عظام عفى عن آخره في براري كردغان في دقائق معدودة وكأنما ابتلعت الأرض أو لحسته عصا ساحر فأرأته عن حير الوجود وقال إن التاريخ لم يشهد منذ أن ابتلع ابهر الأحمر جيش فرعون كثرة مثل تلك التي حلت بجيش هكس فألقى عن آخره وقصص عليه قصصاً مبرهاً

كذلك الحنرال هكس من الحجة العسكرية المتألفة في لعصر الميكثوري شارك في حملة نابير التي فهرت الهمة الأنثوية لتأديب الأمراء طور المتمرد ثيودور وحين استسلم أمر انشودة المهدي في السودان إلتخب لميادة ذلك الجيش لذي شهد تلك «المأساة» التي لم تكرر في التاريخ الإنساني

كان لا انتصار الإمام المهدي على جيش هكس في صبحى يوم الاثنين الخامس من نوفمبر 1883 دوي هائل رددت أصداؤه السهول والوديان وحملت أساءه الريح

وحدا حدوده مؤرخون آخرون كالآب أهرفلدر ، لا أن الصدفة وحدها والتي كانت أشبه بالخيال الروائي هي التي كشفت عن أهم تفاصيل المعركة، وذلك بالعثور على معركة عيسى بك سكرتير حاكم السودان في جيب أحد شهداء كرري بعد خمسة عشر عاماً من معركة شيكان فأزالت كثيراً من حجاب الأمور

12 نوفمبر 2002م

أصوات

التي انبثقت تحت ظلال السيوف وأسمه الرماح - والرعاية الشخصية المباشرة التي كان يوليها للآلاف من أنصاره

وصفه الأب أهرلندر في كتابه «عشر سنوات في الأسر» والذي تحدث إليه لساعات طويلة وسر عور ثقافته ومعرفته في أمور اللاهوت بقوله «إن مطهره الخارجي أحادٍ للعناية، فهو طويل، قوي البنية، ساحر الحديث، لا تعارق لأبسامه شعبية، عميق في معرفته»، أما رودولف سلاطين فقد وصف مطهره الخارجي أيضاً بقوله «رجل قوي البنية، طويل القامة، عريض المسكين، صحم الرأس، يلتفت النظر بعينين عسلتين براقنتين، تحف وجهه لحية حالكة السواد ومميزه ثلاثة قصود مائلة في الحدين، دائم الابتسام» أما السودانيون الذين رأوه فكانوا يصغوه ويحسمون حديثهم بعولهم «ما بتوصف»

رأت الحكومة الحديوية ومن ورائها لندن أن تحسم الأمور المتدفورة في السودان بحسب لخب يقوده كبار المباط البريطانيين لؤاد لشورة وإعادة الأمور إلى نصابها في السودان. ما أدركوا حجم ما آلت إليه الأمور ولا التأييد الواسع الذي لقيه الإمام المهدي حيث أخذت تهرع إلى مبايعته القبائل والأسر والأفراد بعد أن تخلوا عن دينهم وأموالهم ليقدموه أرز حهم مدء للوطن ولست الدعوة الجديدة

استخدم الإمام المهدي أساليب الحرب الشحنة في القرن التاسع عشر قبل أن تعثر بطريات وممرسات لجرالات ثلث الحروب في القرن العشرين أمثال الجرال جناب العيشامي وبين مار الصبي وفيدل كاسترو وحيدرا وعبرهم يستخدم أساليب «الأرض المحروقة» وه لملمة نأكل نقندول» ودر شراره أحرف السهل كله

عندما تحركت قوات هكس في ثلث الحملة المهولة التي أطلقوا عليها اسم القلعة أعلن الجران البريطاني قومه سدي ظل يردده السودانيون إلى وقت قريب

هذه الحملة يستطيع جلودها أن يسدوا السماء بأسه ليدق إد مالت إلى السقوط وتثيبت الأرض إذا مدت بأرجلهم».

تحركت تروس آلة المهدي العسكرية بوجه الأحداث حسب محطته المدروس لمواجهة الحملة في إيفاع وتنسيق رائعين فقد عُيِّن المهدي قوة من أربع ربات على رأسها الأمير محمد عثمان أبو قرجة والأمير عبدالحليم مساعد والأمير شيع فعنه أحمد والأمير عمر الياس أميرير، وتم انتقاء ثلاثة آلاف فارس من الأبطال المعدودين ليكونوا قواماً لتلك القوة.

عندما أشرفت قوات هكس على التربة الحضرية أطلق المهدي لقواده العنان فانصدقوا بقرسانهم عرباً ليهذوا المرحلة الأولى من الحطة العسكرية على نحو مدهش فأحلوا المنطقة من سكانها وحرقوا الأرض أمام الحملة بردم الآبار وبالمساوشاب المستمرة دون الصدام المباشر الذي حذر المهدي من وقوعه. فأرهبوها وقبوا من عصدها وافقدوها الروح القتالية لتصل لقنة سائعة مسطعها رماح المقاتلين المتعطشين لملاقاة العدو

كان النشاط في معسكر المهدي بالجرارة - خارج مدينة الأبيض قد بلغ دروته لرفع كفاءة القوات بالتدريب المتتالي تحت الإشراف المباشر للإمام الذي ظل يشدد على الانضباط وروح العمل الجماعي حتى تدرب بروح انمردية والعمل العشوائي الذي يميز سلوك القبائل ذلك بالإضافة إلى إهتمامه بعمل المحابر حيث أكدت المصادر أنه في ناريخ المعارك العسكرية لم يمكن قائد من الإحاطة بالأبناء لمفصلة عن الحصم مثل تلك التي حصل عليها الإمام المهدي واستعملها بمهارة لأبعد الحدود . ووصف المؤرخون ملابس تلك المعركة بأنها كانت أشبه بمبارة للشطرنج حامية الوطيس كانت غابة شيكان أشبه بمصيدة أبدعت الطبيعة في تشكيلها، مدخل واسع يعري بالدخول ويتسع بمواجهت الجيش، وعد الوعل فيها مسافة ثلاثة أميل أو أربعة تحد أن الباب قد أعلق من الإمام ما عد

أصوات

فتحة صيقة توجه طريق كازفيل إلى الشمال فكأنما قيس الودي وفصت العامة على ريات المهدي الثلاث متحده من أمام وإيسار وليجير مسرة بأشجار لعانة تاركة باب المصيدة مفتوحاً يشعه طريق كازفيل وهو يحمن صفوف المربع المتريحة نحو قلب المصيدة كان الركن الأساسي لحظة المهدي هو الاصطدام بجيش هكس وهو متحرك يمس قبل ذلك ولا بعده

إن مجرد تحقيق ذلك النصر الساحق الحاسم على تلك القوة الصالحة في أقل من ساعة دون تفوق عددي يذكر كما روح مؤرخون الأوروبيون يؤكد أن الفصل يعود إلى التخطيط الدكي والاستخدام المحكم للإمكانات المتاحة للمهدي

وصف الرائد (م) عصمت حسن راعو في كناية «شيك» الذي عدا مرجعاً مهماً لتلك المعركة أحوال المعانين قبيل اللحظة الحاسمة من المصادر التي توفرت به فقال «كان منهم من يبكي مشوقاً للقاء ربه، ومنهم من يسم، ومنهم من يتكلم بالسريانية»، وجاء في أحد المشاهد الأقرب إلى الأساطير أن إدريس الحمداني أحد فرسان ربة عمر انيامر كان يستع بقوة بدنية خارقة فلاهم طافم أحد المدافع الجبلية التي عادة ما تجرّها البغال وأراحهم عن المدفع وتسرير بسلاسه وبها حول صدره وسحب بعيداً خارج الميدان وعاد يواصل حوصص معركته أما الأمير حمدان أبو عتجه أحد قادة الهجوم الأساسيين فقد ظل لسنوات طويلة إذا استعاد ذكراته عن معركة ميكان لا يدكر أنه كان يسمع شيئاً أو أنه قتل أو جرح حيناً من فوات هكس إلا أنه عند انتهاء المعركة وجد رمحه وثيابه ملطخة بالدماء، فقد مرت تلك اللحظات العيفة، وكأنما حنكرت الأيدي القابضة على السيوف كل الأحاسيس فلم تترك لبقية الحواس شيئاً لسجله في الهمول ولدكرة».

والفرد الجبرن ويجب بتقديم أول وصف للمعركة بعد استجوابه حدود أسرى قتلوا في صفوف جيش هكس فحاول أن يبرر لهزيمة ويقلل من شأن الانتصار،

المندوب السامي البريطاني بمصر بإستثناء الأمير عثمان دة اندي ظل مُبدأً حتى يوم وفاته في عام 1926.

وجاء في التقرير السنوي للإدارة البريطانية في عام 1907 تقرير لإستمرار إعتمال الأسرى بأنهم قد يستجيبون لمعصب أو لجحوش اتباعهم فيعودون مرة أخرى إلى المهديّة ويرجعون بدور التمرد والحروب على الصّعة من جديد والواقع أنّ هذه الإحراجات جاءت متسقة مع خطط الإدارة البريطانية في احتثات الحركة المهديّة وحرمان الأنصار من قياداتهم السّياسيّة وحباط روحهم المعنويّة، الأمر الذي مكّن الإنجليز من المعصاة على لانتعاشات التي رفعت لواء الثورة المهديّة خلال العقدين الأولين من القرن العشرين. لأنّ الأحكام العرّة فشوا في تحقيق الهدف الرئيسيّ برعرة إيمان الأنصار الراسع بعقيدتهم فعندما أرادوا معهم من قراءة «رأب الإمام المهدي» وجدوا أنّهم يحفظونه في صدورهم فلم يحكموا من أسراعه مها وهي هذا الإطار حاولت التأثير على أسائهم بإلحاقهم بالمدارس الطامه الحديثّة ومن ثمّ في وظائف حكوميّة يمكنهم من الانحراط في الحينه لعملية وسياك الدعوة الدينيّة إستعدادا لتلقي الثقافة الإنجليزيّة وقد حصصت بهم مدارس في رشيد وحيفا معروّلين عن أقرانهم من أطفال المسلمين. وتلقى بعضهم التدريب العملي في القنعة كسروجيّة وجاريين وأرسلت عددٌ لدراسة الرّواعة في مررعة مودحية في ميت الدية قرب مدينة طابا بإشراف أحد موظفي الجمعية الرّواعية الحديويّة وهذا درسو الرّواعة والمساحة وبعض مبادئ لطلب البيهريّ والعة العربيّة والحساب وفي خلال العطلات الرسميّة كانوا يتوجّهون إلى سجن دمياط لزيارة ذويهم وبعد إكمال دراستهم عمدت الحكومة إلى ترحيلهم إلى السودان حتّى لا يتأثرو بشعارات وأفكار الحركة لوطية المصريّة وشجعت الإدارة البريطانيّة أحزاب من أساء الأمراء على الدراسة المخايه بمدارس ثمّ درمان وود مدني وكية عردوب وعملت على إستبعادهم في الوظائف الحكوميّة كما دربت

سجناء اصمير من أنصار الثورة لمهدي

حين تحرك جيش لعرو البريطاني نحو السودان بقيادة الجبرال كنشبر كن رودوف سلاطين اندي عاد يصحبهم مستشاراً للمخابرات أكثرهم تحرقاً للثأر فقد مكث في أسر الخليفة سنوات حتى تمكن من الفرار إلى مصر. كانت تملكه مشاعر الحماد وروح الانتقام فكان يتعرس في وجوه الأسرى عقب كل معركة أثناء الرحف. عله يتعرف إلى من يتنسى العثور عليهم. وكان موسى لكاسم نعيم الحظ حين وقع أسيراً عقب إحدى المعارك فسعد سلاطين وتهلل وجهه فالكاسم كان قد أجرى له عملية الحما عقب إعلايه إسلامه، حيث وفد إلى المهدي في كردفان مستسجماً في حركة مسرحية. باحثاً عن خلاصه الشخصي بعد أن أحسن بأن دارفور، ألتى كان يديرها، لا شك في سقوطها ثم يتردد سلاطين لحظة في الأمر بعديه فأشرف بشف لحبة الرجل وشاربه شعرة مشعرة ثم قبله وأصرم الدار في جثته وبهذه الروح وصل الرحف إلى أم درمان وبعد معركة كرري مباشرة أحد يبحث بحث محموراً عن من يبقى من القيادات التي بحث من المديحة واقتاد له ين ثم العثور عليهم في مساء نفس يوم المعركة إلى ساحة الإعدام غرب مدينة أم درمان - ميدان الربيع الحالي - وجرت عمليات تصفية جسدية شاملة - لم تشف عياله - ولم يستطيع أن يخفي خيبة أمه من مفارقة الخليفة عبداً، للمدينة فصبح بنعقبه مور إلا أن لحمة ضلت في مساعها وارتدت حالية. وبعد عام تمكن وبحث من القصاص على الخليفة عبداً، والحمية علي ودخل، والصديق بر الإمام المهدي، والأمير أحمد فصيل، وهارون محمد، أحي الخليفة، وإثنين من أبناء الخليفة وأمرء آخرين وعدد من الجنود في ذلك المشهد الأسطوري الذي لم يملك الجنود نفسه إلا أن يعترف بعظمته وجلاله وهي الشكابة بالجريرة تعرشت قواب لعرو

بمجموعة الحليفه شريف وأقامت لهم محاكمة ميدانية عاجلة قصت بإعدامه مع
اسي المهدي الفاضل واشرى وأنقلت جثثهم بالحوازة وألقت بها في النيل
بعد دفن جثث القتلى الآخرين ومن ثم يقتل أو يجرح من صغار أبناء المهدي
- عبدالله، وانطاهر، وبصر الدين، وعلي - فقد اقتيدوا للأسر بأمر درمان ومن ثم
أصيف إليهم أسرى أم ديكروت، وقررت السلطات البريطانية ترحيل عائلات
المهدي وحنفاته اثلاث وعدد من أمراء النعاشية إلى المعتقل في رشيد بمصر

عثر على عدد لمجلة «النهال» المصرية - صدر في ديسمبر 1899 - وصف فيها
أحد الكتاب وصول هؤلاء الأسرى إلى مصر والمقال يمتحن بالأخطاء التاريخية
وسم عن جهل واضح بما كان يجري في السودان من أحداث كانت مصر جزء
أساسياً منها ويقضي أن الكاتب استقى هذا الوصف من إحدى الصحف المصرية
في عام 1899 حتى اللغة - ثم يتصرف فيها - تركها كما هي - لغة القرب التاسع
عشر بصنعها وركاكتها ، لا أن بعض ملاحظاته جديدة بالنظر فدان اربعي الساعة
العاشرة من مساء 27 ديسمبر 1899 وصل إلى القاهرة أسرى الدارويش البالغ
عددهم مائة وخمسون أسيراً ورحلوا فوراً إلى معتقل رشيد. وكان في مقدمتهم
الأمراء الدين سموا أنفسهم في واقعة 24 نوفمبر 1899 أحياء يوم قتل النعاشي
ورأت دولته من الوجود ومن الدين أحصروا لأمير شيخ الدين بن الحليفة عبدالله
والأمير يوسف الديكيم والأمير محمد زين و لأمير محمد فرار وعدد كبير من النساء
والأطفال ، ولاحظ الكاتب أيضاً أن الأمر كنههم أصحاب شمم وللعنايشي بات
أسيرات وهي على جانب عظيم من الجمال والاحتشام، بشرة حبشية اللون
والرجال يحتقرون من يحلقون لحاهم ولا يرتدون العمامة وتمسكهم بالدين عظيم
ولا يسرون على المذاهب الأربعة»

ويسو أنهم وصلو في الأيام الأخيرة لشهر رمضان فكانو صائمين فكان إنهم في
فجر يوم عيد الفطر اريدوا ثياب بيضاء نظيفة ووقفوا للصلاة يؤمهم أحد كهول

الأمر. فأحدوا، يطبلون الركوع والسجود حتى «تتفرق الركعتان أكثر من ساعة من الزمن». تزامنت تلك المشاهد مع وصول الأمير عثمان دقنة الذي أعين في شرق السودان بعد أن بارح منطقة أم ديبكرات قبيل المعركة بقليل، فجاء به عن طريق البحر الأحمر إلى ميناء السويس فوصفه الكاتب أيضاً بأنه كان طويلاً الغامة، متوسط الحجم، أبيض اللون، عريض الوجه مسديراً، تحيط به لحية عظيمة، تعبر علامته الواضحة عن سمات الدكد والشجاعة. وكان يرتدي ثوباً انتف به من كتفه حتى قدميه. كعادة أهل السودان وعمامة كبيرة على رأسه وفي أثناء ترحيله من البحرة إلى عربة العكة الحديد إحتشد جمع عفير من الأوروبيين الذين طالعا ناعوا الصحف الإنجليزية التي نوهت بطولاته و حرقه لمرجع الفرسان البريطاني. فتدافعوا نحوه يسلمون عليه وامنت إليه عشرات الأيدي فأحد يصاحبههم مرداً فرداً ويتحدث إليهم بكل بشاشة وترحاب.

لقي هؤلاء الأسرى معاملة قاسية من قبل السلطات البريطانية التي كللتهم بالقيود الحديدية بدعوى أنهم يشكلون تهديداً خطيراً. إلا أن الصحافة لوطية المصرية كشفت ظروف اعتقالهم واتهمت الإدارة البريطانية في مقالات عديدة بشرب في «الأهرام» و«المصر» و«اللواء» و«المؤيد» بسوء معاملة الأسرى وأحدثت صيحة كبرى في هذا الشأن واهتم النائب البرلماني البريطاني بريلر فورد بالعصية وكتب مقالات حادة في الصحف بصحيفتي «ديلي نيوز» و«بيش»، ودلت عقب زيارته لسجن دمياط في 25 مارس 1908 حيث قابل بعض الأسرى من الأمراء، واستمر بريلر فورد مع عدد من رفاقه البرلمانيين الليبراليين في التحري عن أحوالهم والمطالبة بإحلاء مسيلهم.

وكان لمسح البحر الأبيض المتوسط البارد تأثيره الصار على أحوال الأسرى الصحية فتوفي بمرض السل أبناء المهدي الصغار عبد الله والظاهر ونصر الدين. كما توفي الأمير محمود ود أحمد في عام 1906 ولحق به آخرون من بينهم بعض النساء. وطلبوا يرسمون في قبورهم حتى عام 1909 حين أزيلت عنهم بتوجيهات من

إعدادة افتتاحها بإشراف وتوجيه معلمهم لمصريين، أما التاتو، فقد كانت محاولة مسرحية معركة كرري كعمل سياسي دعائي تم عرضه في عام 1899 للإشادة بانتصار الجيش الإنجليزي في تلك المعركة وفي عام 1903 شهدت ساحة لمولد السوي الشريف في رقاعة مسرحية قصيرة ألفها الشيخ بابكر بدري وقدمتها مدرسة رقاعة أما التجربة الرائدة فقد كانت مسرحية من تأليف مأمور المركز المصري بالقضية عبدالقادر مختار، كان ذلك في عام 1908 وكانت بعنوان «مكتوت» ولعلها أول مسرحية سودانية طويلة تعرض في السودان، باللهجة العامية وتدور أحداثها في «إنداية» لامرأة تدعى مكتوت وقام بالتمثيل تلاميذ المدرسة الابتدائية، وكانت تهدف إلى تهذيب الأخلاق ومحاربة بعض العادات انسلية ويكون بذلك هذا الرجل المصري قد سبق جماعة المؤلفين السودانيين الذي قدموا في أوقات لاحقة مسرحيات مستقاة من البيئة السودانية، وفي الوقت نفسه كان النادي المصري بالخرطوم يمارس نشاطاً مسرحياً فقد نشرت صحيفة سودان في أول حبر لها عن عرض مسرحي عربي بالسودان، في عام 1909 بعنوان «مهورات لملوك» وهي رواية أدبية أخلاقية وضعها حصة الأديب عبدالعزير أفندي حمدي من موظفي مالية السودان مثلت بالنادي المصري في الخرطوم وما ألفت الساعة الثامنة مساء الخميس الماضي حتى أم جمهور عظيم من كبار الصباط والموظفين الإنجليز والمصريين والسوريين دار لنادي وأجاد الممثلون في تشخيص أدوارهم مما دعا إلى سرور الحاضرين، ونعرت عقد الجمهور وكنهم شبي على حصة واضع الرواية وحصرات الممثلين ويلاحظ أن الجمهور السوداني كان غائباً عن حضور أول مسرحية طويلة تعرض على مسرح في السودان أما جمعية التمثيل والموسيقى السورية فقد تأسست من خلال أعمالها التي كانت تقدمها في مسرح السرور، بالخرطوم جنوب مبنى البريد والبرق. وكان يديره الحوجة لويرو، بجانب قهوته الشهيرة، وقد نقلت الجمعية نشاطها إلى أم درمان في عام 1912 على مسرح حشبي

أصوات

مصلحة السكة الحديد مجموعة من أبناء هؤلاء الأمراء بورشها في حلها بالإضافة إلى تدريبهم على الحفرة وحلح القطر وغيرها من المهام. وقد تمّ تقديم جميعاً إلى عطبرة عام 1908 عندما تأسست رئاسة السكة الحديد وهي عام 1908 اقترح الجنرال وبجت ترحيل الأسرى سرّاً من دمياط إلى حلفا حتى يكونوا بمثابة ملاحقة الصحافة المصرية وعبود البرلمانيين البريطانيين إلا أنهم بدء على نصيحة سلاطين لدي تمّ تعيينه مفسّناً عاماً على السودان منذ سبتمبر 1900، فقد تمّ ترحيلهم بصورة علنية بدعوى أنهم يشكون من رطوبة الطقس في مصر ويطلبون بالترحيل إلى منطقة أخرى.

أثمرت الحملات التي شنتها الصحافة الوطنية لمصرية والصحافة الليبرالية البريطانية لتحسين أوضاع المعتقلين وإطلاق سراحهم في حمل سلطات العرو على تحسين ظروف الإعتقال وتوفير الرعاية الصحية لهم، كما بدأت في الإفراج عنهم تدريجياً مع تحديد المصاقل التي ينبغي أن يتواجدوا فيها ولما رأيت الحكومة أنه بات من المستحيل أن يتمكن هؤلاء الأسرى لملاحقون، وخاصة أفراد أسرني المهدي وأحفاده من توفير العيش الكريم لأنفسهم بصورة عادية بسبب القيود التي فرضتها عليهم "حسبت أنها ملزمة أخلاقياً بمسحهم محصنات شهرية وكان سلاطين الدي بات مسؤولاً عن كل المسائل المتعلقة بالدين، قد حدّد في البداية حجم تلك المحصنات، ثمّ ما لبثت الحكومة أن قرّرت زيادتها

وهي عام 1919 فسمت الحكومة سجناء لأهوار السياميين إلى ثلاث مجموعات. الأولى تكوت من 77 أميراً بينهم يوسف الديكيم والعتيم موسى ومساعد فيدوم وإبراهيم منخير، وقد أحسّ سبيهم جميعاً ورفعت عنهم الرقابة الأمية وسمح لهم بالعيش في أي بقعة يرغبون في البقاء عليها. أما لمجموعة الثانية وتكوت من 9، شخصاً من أفراد عائلة المهدي وهي مصدقهم السيد عبدالرحمن فقد حرص عليها قيود خاصة وإستمرت مراقبتها أميناً ذلك بالإضافة إلى المجموعة الثالثة التي

أطلق عليها لغة المتطرفين، وقد تضمنت خمسة أشخاص على رأسهم السيد علي عبد الكريم.

لقد بدل البروفيسور حسن أحمد إبراهيم مجتهوداً مقدراً في كتابه «الإمام عبدالرحمن المهدي» وأفراد الفصل الأول منه لهؤلاء الأسرى بعنوان «سجناء الصمير من المهديين»، فبحث في كثير من الوثائق البريطانية والتقى منذ سنوات السبعين بعض هؤلاء الأسرى الذين رووا له أطرافاً من تجاربهم تلك التي لم يسلط التاريخ أنصاءً عليها كثيراً.

9 يوليو 2002



الأمير عثمان بالله في سجنه

بدايات الحركة المسرحية في السودان

مما لا شك فيه أن المجموعات السودانية عبر التاريخ كانت قد شهدت صروباً من الفن المسرحي غير ذلك الذي يقوم الآن على الأسس المسرحية الغربية أو المسرح الإغريقي إن شئت القوم، فالاحتفالات الطقسية في المعابد النوبية القديمة واحتفالات مواسم الحصاد التي تحتشد بأنواع مختلفة من الرقص والأغاني هي مشاهد نستطيع أن نضعها بالمسرح الإحتفالي ومازالت مناطق عديدة في الأرياف والوادي السودانية تقدم بمادج إحتفالية ذات أنماط مسرحية جديدة بتأمل النقاد والمتابعين للفنون المسرحية وفي العصر الحديث ارتبطت بشاة المسرح في السودان بشأته في الشام ومصر.

كان مارون النقاش البستاني أول من قدّم مسرحية بصفة جادة في مرحلة بيروت في أواخر عام 1847 وهي مسرحية بعنوان «الحبل»، وقد يكون قد اقتضاها من «حبل» موليير، ثم انتقل المسرح من بيروت إلى دمشق على يد أحمد أبو حلين البستاني الذي اصغر للهجرة إلى القاهرة بعد أن اعتق الوالي التركي مسرحه وكان فيه بجمع بين النمثيل والموسيقى والعباء الأمر الذي شكّل بدايات لشيخ سلامة حجازي وميد درويش وميرة المهدي الذين أثروا للمسرح العائلي في مصر وبعد البستاني جاء يعقوب صنوع ليهودي المصري، ثم سليم النقاش وكانوا كثيراً ما يتمزحون لسطح الحديوي فيأمر بإغلاق مسارحهم

وهي مدرسة الخرطوم الابتدائية التي أنشأها الحديوي عباس وأسد إدارته للمفكر المجدد رفاة رافع الطهطاوي بدأت محاولات مسرحية جمسية وتؤكد المصادر أن أول عرض مسرحي قدمه طلاب هذه المدرسة في عام 1880 - بعد

البدايات الأولى للصحافة السودانية

حسين شريف رائداً ومؤسساً ومفكراً



لا يتناول مؤرخ تاريخ الصحافة السودانية إلا ويستهل بالحديث عن الصحفي الأول حسين شريف . فقد برز مهياً ناصحاً وكاتباً ومفكراً وسياسياً ذا بصيرة نافذة حيث أصدر أول صحيفة سودانية لحماً ودماً في عام 1919، هي صحيفة «حصارة السودان» . ظل حسين شريف مهتماً بالشأن السوداني منذ نعومة أظفاره، ولا غرو فهو أحد ورثة قادة الثورة المهدية، فأبوه الحليفة محمد شريف حامد، الحليفة الثالث للإمام المهدي، وأمه السيدة ربيب بنت الإمام المهدي

وقد إشتهر والده برصاص الإنجليز عقب الفتح عام 1899 في الشكبة، فشا يميناً إلا أنه ظل قريب الصلة بحاله السيد عبدالرحمن المهدي . وفي عام 1915 اتهمه السلطات البريطانية بمخالفة الخلافة العثمانية وقامت بسبعه إلى مقلا بحروب السودان لفترة من الزمن عاد بعدها إلى الخرطوم ليمارس شاعه الصحفي الذي بدأ في صحيفة «رائد السودان» وعندما أصدر صحيفة «حصارة السودان» في عام 1919 دشش بها لبداية الحقيقية للصحافة السودانية، وفي تلك الصحيفة كتب أربعة مقالات حطيرة حاول فيها تحديد مستقبل السودان، كانت تلك الأهم تشهد

في حوش منزل الحاجة فواز عرب مدرسة أم درمان الأميرية. وواصل هذا الحواجة تقديم المسرحيات في داره حتى نهاية الثلاثينات وربما بعده. والمعروف أن صديق فريد كان يمثل على خشبه هذا المسرح مع جماعته أثناء سنوات العشرين وما بعده. كما قدم فيه يوسف وهبي عروضه وكذلك بدجة مصابي مع فرمها للفرص والاستعراضات وما يصاحب ذلك من موبولوجات ومن بين ما قدمت لجمعية السوربة مسرحية «آثار لعرب»، لتجيب الحداد السوربي الجنسية، وهو رعيم مدرسة التعريب ومؤلف مسرحية «صلاح الدين الأيوبي» التي اشتهر بها صديق فريد في السودان، كما اشتهر بها سلامة حجاري في مصر وكان فريق من الحريجين السودانيين قد تأثرو بهذه الفرق المسرحية الواحدة على الرغم من أن لنادي المصري قد توقف نشاطه المسرحي بعد ثورة عام 1924 حيث تم إحصاء المصريين من لردان فقد أنشأ الحريجون، جمعية التمثيل، التي صممت صديق فريد وعبدالرحمن علي طه وعوض مبانى وطه صالح وسماعيل فوزي وعلي بدري وأبو بكر عثمان وشوقي الأسد وعبدالرحمن موفي وقد شاركت جمعية التمثيل في الدعوة إلى لاكتتاب الناس لمدرسة الأهلة بأم درمان وذلك من خلال العروض التي قدمت في أقاليم السودان المختلفة هي عام 1931 قدمت لجمعية مسرحية «صلاح الدين الأيوبي»، مسرح نادي الحريجين بالأبيض حيث أسس ليهولة بعد الرحمن علي طه، وشارك في التمثيل مكاري سليمان أكرت وإبراهيم يوسف سليمان ومكي عباس وحضر حمد ويوسف مصطفى السي وأمين بابكر وحسن ريادة، وفي معظم الأحوال يرتبط الشاهد المسرحي بالعمل السياسي وكان علي عبدالصيف وعرفات محمد عداة غير بعيدين عن هذا النشاط أما صديق فريد فيعتبر الرائد الأول للمسرح السوداني الحديث حيث استطاع تكوين حركة مسرحية إنف حولها الجمهور السوداني منذ حوالي عام 1918 وواصل نشاطه هذا حتى حوالي منتصف الثلاثينات.

وفي أواخر تلك الفترة عمل على توحيه لمرق الماشية ورشادها، أما جماعته التي أنشأها فكانت تبذل وتنمير بسبب المقاتلات أو الحلاقات أو ظهور الوجوه الجديدة التي كان يرعاه، ويصقل موهبتها وقدم صديق فريد خلال نشاطه المسرحي عدداً من المسرحيات منها: العارس الأسود، وتاجر البندقية، ووفاء العانيات، والقبلة القاتلة، والتوبة الصادقة، ويوليوس قيصر وفي سبيل التاج، وصلاح الدين الأيوبي، وهران البندقية، وعطيل، ومجنون ليلى، والعناسة، ووفاء العرب، والمرأة وانوفاء، وعسرة وكن هذه المسرحيات كان قد تم تقديمها في مصر والشام وأعاد هو إحراجها في السودان. وذلك قبل أن يمرر لكتاب المسرحيين الذين تناولوا الحياة السودانية في نصوصهم كبير هيم العبادي وحالد أبو الروس و سيد عبدالعزير وأحمد عباس، رؤاد المسرح السوداني لأصيل لدين رتكرت أعمالهم على ترثنا وقوميتنا ولهجتنا ونماليهدنا

تلقى صديق فريد، واسمه الكامل محمد صديق عثمان فريد، تعليمه في كلية غردون تذكارية في أول قسم فيها أنشئ للمعلمي اللغة الإنجليزية والعربية والعلوم الحديثة، أي أنه نال أعلى تعليم في زمانه، ومخرج منها عام 1912 وكان من بين الذين تخرجوا معه محمد الحسن دياب وعبدالكريم محمد وحمزة فتحي حسين. وكان شخصية صديق فريد اتمتعلم المثقف التي ولجج باب المسرح قد رفعت من شأن التمثيل خلافاً لم كان سائداً في العالم العربي من إردراء للمثل وبعث له به المشجعياني وضعه معاصروه بأنه كان طوي القامة، متكامل البنيان، ولاعب كرة ماهراً في شبابه، د ملامع واصحة معبرة أسمر اللون مرحاً وساحر الشخصيه سريع البديهة، لطف وقلباً شجاعاً جريئاً لا يكثرث كثيراً لم يرتكب من أخطاء وقالوا إنه كان واضح الثبرت، جهير الصوت، باختصار أنه كان ممثلاً من الطراز الأول، وكان صليحاً في اللغة الإنجليزية، إلى الدرجة التي كان يعتقد رصعائه أنه حفظ العاموس الإنجليزي عن ظهر قلب، وكان يجري التدريبات المسرحية في منزل

أصوات

أسرته الواقع شمال مدرسة أم درمان الأميرية، ويتم عرض أعماله في مسارح نادي انخريجين أو الحواجة نوار أو مدرسة أم درمان الأميرية أو نادي الصباط الوطنيين بالمرودة ولم تقتصر عروضه على العاصمة بل كانت تفرقه تستغل أحياناً في عهدة وبورتسودان والأبصر وغيرها من المدن الإقليمية

ولد صديق فريد بأم درمان عام 887، لأب عاصر ثلاث حقبة من تاريخ السودان وهي لتركيب والمهدية والحكم الثنائي وكان ذلك لأب قد مال بسطاً من التعليم أثناء الحكم لتركيب بمدرسة الخرطوم مما أهله لأن يتم اختياره معلماً لأبناء الحليفة عبدالله وغيرهم من أبناء الأمراء، يدرسه مبادئ الحساب وكتابة بعض الرسائل وعمل أثناء الحكم الثنائي موظفاً بالمالية إلى أن وافته الأجل المحتوم بعد عمر مديد في عام 1921 إلا أنه كان قد تعرض للإعتقال في عام 1917 بتهمة تأييد دور المحور في الحرب العالمية الأولى وربما يعود ذلك لأصوله التركية وقد لعب عدد من أبنائه دوراً في الحياة السياسية والاجتماعية بالسودان

وقد ذكر بعض المصادر أنه لأسباب غير معروفة فرّر صديق فريد فجأة للهجرة إلى أريتريا في بداية الحرب العالمية الثانية ومكث هناك إلى أن توفي متأثراً بالالتهاب الرئوي عام 1941 وهو في سن الرابعة والخمسين، وأشارت إلى أن مكان قبره مجهول، إلا أن الدكتور فيصل عبدالرحمن علي طه أكد أن صديق فريد كان قد التحق بقوة دفاع السودان مراحماً وعمل معها في جبهة أريتريا حيث توفي ودفن في المقبرة الحربية الإنجليزية بأسمره، وقد رآه قرره وقرأ الفاتحة على روحه عبد ريد به لأسمره في عام 1963، ووجد مكتوباً على شاهد القبر بالإنجليزية «صديق فريد، مترجم»

10 أبريل، 200م

العادات الإجتماعية السلبية ثم تلك صحيفة «حصارة السودان» أن أصبحت في نشاط سياسي سافر لنقب ضد الداعين للوحدة مع مصر ونصدي حسين شريف في مقالته للصحافة المصرية والدعوة للإتحاد تحت انتاح لمصري.

في عام 927. وبعد ثلاث سنوات من أحداث الثورة، تقدم الشيخ عبدالرحمن أحمد، المعلم بمدرسة الخرطوم الانتدائية بالتصديق له بإصدار مجلة أدبية إلا أن طلبه ووجه بالرفض وفي نفس العام تقدم سيمك دأود مديل صاحب مطابع مديل، بطلب لإصدار صحيفة باسم «الجريدة التجارية» فحصل على الموافقة وفي عام 1930 وصفت الحكومة قانوناً للصحافة وصدر رسمياً في سبتمبر من ذلك العام وبعد صدوره مباشرة تقدم محمد عباس أبو الريش بطلب لإصدار مجلة «النهضة السودانية» التي كانت تصدر مكتوبة بخط اليد تتداولها مجموعة من الأصدقاء وبعد صدورها في ثوبها الجديد أحد يكتب فيها محمد أحمد محبوب وسماويل لعناني وعبدالحليم محمد ومحمد عشري ومصديق وغيرهم من شباب الكتاب الذين برزوا في الثلاثينيات وتم تمص سوى أشهر قليلة حتى مرض صاحبها أبو الريش وظل يشرف عليها محمد أحمد محبوب وعرفات محمد عبدالله ولم تمر النهضة طويلاً بعد وفاة أبو الريش فتوقفت بعد أربعة عشر شهراً من صدورها.

بعد «النهضة» انتقلت الصحافة السودانية إلى المعترك السياسي وصدرت مجلة «الفجر» لصاحبها عرفات محمد عبدالله واستطاعت أن يملأ الفراغ في الساحة الثقافية ولمكرية واحتضنت عدداً من الأقلام وخاصة تلك التي شاركت في تحرير «النهضة»

بعد بروز الأحزاب السياسية في النصف الثاني من الأربعينيات أصدرت صحفها المعبرة عنها، كما صدر عدد من الصحف المستقلة، وأخذت الصحافة السودانية تشق طريقها خلال السنوات الأخيرة للإستعمار مستشرفة العهد الوطني

أصوات

تطورات ثورة 19 9 المصرية وكانت تصريحات قادتها السياسيين حول السودان ومستقبله تستدعي حورا تشارك فيه جميع الأطراف المعنية إلا أن مستوى الوعي السياسي كان دون لطموحات المتعقبة بمثل هذا الحوار كان القادة السياسيون المصريون يتحدثون عن استعادة السودان ووحدة البلدين تحت التاج المصري، وبعضهم كان يتحدث عن حق الفتح، فانقسم السودانيون بشأن تلك الرؤية ويرى تياران أحدهما رأى مستقبل السودان في وحدته مع مصر، و الآخر دعا لانفصال شراكة الحكم الثنائي وفراد إنجلترا باسلسلة رئيسا يشهد مساعد الوضحيين السودانيين فيتوبون شؤون أنفسهم مع علاقة مميّزة مع مصر. وكان حسين شريف مطر، للمربع الثاني ومد دعا شرفا عن ذلك المعسكر حتى وفاته المفكرة في 1928، إلا أن أفكاره باتت أساسا نظريا لما عرف فيما بعد بمعسكر الاستقلاليين عن البعض أن حسين شريف من صناع الاستعمار إلا أن سلطات الاحتلال كانت واقفا عليه في اوراق حيث كانوا يحذرون السيد عبدالرحمن المهدي بأن «اس أحلك هذا سيقودك يوما إلى حل المشقة» رأت فيه رعيما وطنيا محملا يحشى جانبه

أوغر اللورد كرومر لأصحاب صحيفة «المعظم» المصرية، وهم يعقوب صروف وفارس ممر وشاهين مكاريوس بأن يصدروا صحيفه في السودان، وكان هؤلاء الثلاثة لسانيين يمثلون «دار المقتطف» التي بدأت نشاطها في بيروت ثم انتقلت بالمحبة إلى القاهرة في عام 1885 كانوا قريبين من الإنجليز، إستمالهم اللورد كرومر لصرب الصحافة الوضحية في مصر مثل «الأهرام» لذا بدأت الصحيفة الأولى في السودان وثيقة الصلة بالإدارة البريطانية، أجنبية بي كل ما يحيط بها من مظاهر جاءت بخدمة النظام الجديد ففي عام 1903 حين صدرت بمرطوم كان السودانيون خارجين لشوهم من صروف عصبية متخيس بالجرح بعد أن هزمت دولتهم، بحيث بهم الكوارث السياسية والاقتصادية والاجتماعية من كل جانب كان تعدادهم لا يتجاوز لمليون وثلاثمائة ألف بكثير لا حظ لهم في التعليم

المدني الحديث ولا أساليب الحياه العصرية التي تسارعت خطواتها في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر جاء شركاء مثلاًفة بإمكانهم لصحيفة فاسودوا المطبعة وأسودوا مهمتها لعمال مصريين ورئيسه التحرير شهاب مكاريموس ومن بعدة لحليل ثلثت وصدرت صحيفة السودان بانتظام ابتداء من أكتوبر عام 903. لصف أسوعية ولم تكن أن أصبحت أداة التعبير الوحيدة لحكومة الإحلال وأنشأت أول مكتبة للصحف الأجنبية ولأدوات المكتبية والمطبوعات، وهي مكتبة فاسودا بوكشوب.

بعد إبتعاش الأحوال الاقتصادية وبحرّج عدد من السودانيين في كنية عربون والمدارس الحديثة الأخرى ليكونوا رأياً عاماً أنشأ اليونانيون سقيمان بالسودان ساولو وحريستو عام 1911 مطبعة تجارية في لحروطوم، هي مطبعة فكتوريا ثم حصلت على موافقة بإشياء صحيفة باسم «سودا هيراند» ماطفة باللعتين ليونانية ولابحلية لتخاطب جابيتها والأحباب الأخرين إلا أن بعض المهتمين بالأدب من سوريين ومصريين وسودانيين اتصلوا بصاحبها مقترحين إصدار مدقق باللغة العربية يعنى بالأدب العربي وقد كان فصدرت صحيفة «رائد اسودا» بتصبح ثاية صحيفة في تاريخ السودان ولتذهب دور دور في النهضة الأدبية والفكرية وتولى تحريرها الأديب والشاعر السوري عبد الرحيم مصطفى قبيلات، الذي كان يعمل في مصلحة سكة الحديد السودانية ووجد نجيب الذي قامت على أكتافه الحركة الأدبية والصحف السودانية في بدايتها مجالاً لشرا أعماله الشعرية والنثرية والتقى على صفحاتها خريجو المدارس الحديثة بالجيل الذي عاصر الثورة المهدية حيث كتب فيها محمد عمر البنا مفتش المحاكم الشرعية، وأبو نفاسم هاشم شيع العلماء وبابكر بدري وعمر لأرهري أم حيل الكتاب من الخريجين فقد صمّ عدالله محمد عمر البنا وعبدالله عبد الرحيم لأمين وأحمد محمد صالح، وتوفيق صالح جبريل كان قبيلات رجلاً جريئاً ذا مروءة وكان لا يحصى تعاطفه مع تركيا

أصوات

ودول المنحور بعد شرب الحرب العالمية الأولى، فوحدت عليه السلطات البريطانية وعندما كتب مقالاً حول مجاعة كانت قد اجتاحت البلاد شج عجزاً على الحكومة وعقد مقارنة بين معاده الأهلين من الفقر وشطف العيش وما يرفل فيه الحكام المستعمرون والأحلب من تعيم فتم اعتقاله وإبعاده عن السودان إلى مصر محفوراً

لَمْ تعمّر الرائد بعد إبعاد قليات طويلاً فقد توقف عن الصدور في عام 1918، لأنها سجلت انتصاراً للسودانيين قبل أن تتوقف، حيث ألت رئاسة تحريرها لأول صحفي سوداني هو السيد حسين شريف وعندما أدرك حسين شريف أن رائد السودان ستتوقف عن الصدور نشر فيها مقالاً بعنوان «شعب بلا جريدة قلب بلا لسان»، نأشد فيه السودانيين بالاككتاب لشراء مطبعة وإصدار جريدة ماطقة باسمهم تنشر أفكارهم وإنتاجهم الأدبي، وقد تحققت دعوته بصدور حصارة السودان في 28 فبراير 1919 كأول صحيفة سودانية ملكية وتحريراً وقراء. في تلك الفترة صدرت أيضاً مجلة «السودان في رسائل ومدونات، باللغة الانجليزية لتعنى بنشر البحوث عن السودان وأهله وتاريخهم وتقاليدهم وعاداتهم ليستعيد منها الإداري البريطاني خلال ممارسته لشؤون وظيفته

كان الأعضاء المؤسسون لصحيفة «حصارة السودان» هم اعادة عبدالرحمن لمهدي وحليل عكاشة ومحمد الحليفة شريف وحسين الحليفة شريف، وعثمان صالح، وحسن أبو، ومحجوب فضل المولى وعبدالرحمن جميل كان من الواضح أن هذه المجموعة ذات صلة بطائفة الأنصار وتنت حول السيد عبدالرحمن لمهدي، أي ذات لون سياسي محدد.

في أول عهده، اهتمت الصحيفة بانقضايا الاجتماعية والمطلبية فدعت لإنارة لشوارع وإصلاح الطرق والتوسع في مجال التعليم والاهتمام بتعليم المرأة ومحاربة

البحر الأحمر والسيل مدر القنصلية وعند وصولهم رحب بهم على الطريقة السودانية كما ذكر الرحالة بايارد تيدر أنه لدى وصوله إلى الخرطوم دعتة الأميرة بصرة بنت عدلان إلى مأدبه فحمله في درها وورعت هدايا على جميع المدعوين. ويبدو أن الأميرة بصرة قد إستقلت من قصره في السوربة لتسكن في العاصمة الجديدة الخرطوم

وكانت لعلاقات أقوى ما يكون بين السودانيين والجالية المصرية - موطيس وجارا - وقد تروح العمال المصريين من سودانيات وسحبوا من عرفوا في أوقات لاحقة بالمولدين

وكان هؤلاء اعمال يعملون كمديرين للمقاهي وانحمايات العائفة وحيازين وصانعي أحديه وخياطين وحلاقين وفي إصلاح أسلحة الحيش أما لأقباط فقد كانوا قليلي العدد إلا أنهم كانوا يسعون للإرتباط بالموظفين السودانيين ويتبادلون معهم الدعوات إلى الموائد وخاصة في المناسبات الدينية والسوريون كانوا أكثر الحاليات عدداً بعد المصريين ومنغارية وكانوا يعملون موطيس في الحكومة ويسكنون في الأحياء الراقية إلا أنهم لم يعمدوا صلات عميقة مع الآخرين.

وقد نشأت مستديات ثقافية كانت تستقطب لمح من أعيان المدينة، كمستدى المفكر المستنير رفاعة رافع الصهصهاوي الذي جاء إلى السودان بصر للمدرسة الأميرية ومستدى إبراهيم بك مرزوقي رئيس النلم الأهرجي بالحكمندارية ومستديات الحكمنداريين.

ويؤم هذه المستديات مثقفون أجان ووطييون وبعض كبار التجار الذين يتحدثون عن تحاربهم بالبلاد وخاصة لجيوب الذي كان قد ارتبط بحركة التجارة منذ أوائل النصف الثاني من القرن وفي أخريات الحكم انتركي في

وظلّ الحكم الشمولي هو العقبة الكؤود التي تصطدم بها الصحافة حيث
المصادرة والرقابة المستمرة مما أثر سلباً على مستواها ودفع بالكثير من الصحفيين
لمعادنه الوطن والعمل بعيداً في الصحافة العربية شرقاً وغرباً

15 مايو 2001م

الحرطوم في القرن التاسع عشر

يستند الإنهار بالرحالة لمرئسي شايه لوح الذي رار الحرطوم في منتصف القرن التاسع عشر، فلم يستطع إخفاء إعجابه بالمدينة.. وربما أفرط في وصفها حين قال إنها تذكره بباريس بمحالتها التي تشبه فالييه رويال، الراحة بكل ما يحتاجه الإنسان لعصري من ملابس جاهرة وأنواع العصور ولدحان بالإضافة إلى حدتها الماء شمارها المتروعة التي وصفها بحداثق الشاربييه أما الرحالة الايطاني بايارد تيلر فسمى أن تكون شوارع روما وفينورسه في مثل مظافة شوارع الحرطوم. ومهما يكن من حال فنظف هذه الصورة بسية لأب رحالة أجنب احريين إتقدو مظاهر كثيرة في تلك الحرطوم القديمة عراقت بهم ربما كانوا قد راروها في زمن الأمطار والعيصات التي كانت تحلف مستنقعات صغيرة تكون سببا في تشويه المدينة و انتشار الأمراض إلا أن عشاق لحرطوم - من الأجنب لذين راروها - كانوا هم الأغلبية ففي صحيفة «الأهرام» كتب أحد الأدباء لمصريين يصفها فقال «مدينة الحرطوم جامعة إلى جمال الموقع الطبيعي محاسن النظم المدني والرويق الحضري. وكثر أسبقتها من الحجر واللبس الأحمر مردانة بالحبس والأحر، وقصورها في غاية البهجة والرويق وشوارعها مننظمة جداً. وفيها شارع يسدئ من شاطئ النيل الأزرق ويسهي في جنوب المدينة يسمى السكة الجديدة استعادة من اسم السكة الجديدة في القاهرة وجميع سكانها محافظون على عادتهم الأصدية ثم شأ فيها التقيد العربي وعادات المدينة لأوروبيه، حتى أن هناك نحو ألف شاب يتكلم باللعين الفرنسيه والإيطالية. وتحيط بها سباقين خصبة بصيرة ينبع عددها حوالي مائتي بستان ولسكانها ميل شديد إلى تربيين مبارلهم بالرياش الفاجر ولديهم من

أصوات

العلاهي وأماكن الرقص والمفاهي م يرد على الحسمانة. وأشار إلى أن عدد سكانها يبلغ نحو 250 ألف نسمة حوالي خمسهم من السودانيين والأحرون من الأتراك والمصريين والسوريين والأوروبيين والمغاربة وفيها نحو عشرين عائلة مرسية أشهرها عائلة الدكتور بيه وحوالي 15 عائلة إيطالية وأربعين عائلة نمساوية ومثلها ألمانية وأشهر العائلات النمساوية عائلة الحواجة ديعيد العاش ومن العائلات النمساوية عائلة الحواجة هك ماحير وبها مائة عائلة يوتانية وحوالي عشرين عائلة من الأرمن أشهرها عائلة بطرس بث سر كيس»

واتخذ كثير من الأوروبيين الممرطوم وطناً ثانياً مثل كين الحياط الألماني وهول نائب القنصل اللذين عاشا فيها لسنوات طويلة حتى قتل في معركة سقوطها عام 1885. كما كانت الحرطوم نقطة لبقاء بين جميع الرحالة وطلاب السياحة ولصيد والمصريين الباحثين عن الثراء السريع والمكتشمين الساعين لمعرفة منابع النيل سواء كانوا في طريقهم إلى داخل القارة أو في طريق العودة إلى بلادهم بحرين في النيل أو لبحر الأحمر. وقد وصفها الرحالة ليحان بقوله «فقد كانت هي الجنة عند نقطة الانتقال بين المدنية والهمجية، إلا أنه رأى الجائفة الأوروبية تكوّن فيها «أوروبا صغيرة غير هائلة» فقد كانت الجماعات الأولى التي وصلت إلى الحرطوم بعد الفتح تجاراً مغلسين ومجرمين عثة وشداد أفاق معامرين وعدوا يجربوا حطوطهم في جمع الثروة أو لبحروا قورهم عبر حائش عارلقوا إلى كل ما هو بعيد عن المصيد وأممرامي المصاد وتبحروا في الرقبى وأساءوا إليه وكانت دار الإرسالية الكاثوليكية مستد هم ومكان حملاتهم باختلاف مذ هبهم. وكانو كثيراً ما يحتفلون بمناسبة الرواح ووصول أوروبيين جدد إلى لمدينه لينعرفوا من خلالهم على أخبار العالم الخارجي وكان هؤلاء الأوروبيين علاقات بالسودانيين أيضاً وقد حدث أن استضاف قنصل النمسا الدكتور ريتز مشايخ قبائل مناطق ما بين

الثقافة في مواجهة انسيط

واقهر السياسي



عبد الكريم مبرغني

لما أراد الملك بادي بن رباط ملك سائر إقطاع الشيخ إدريس ود الأرباب أرضاً واسعة رفض وقال له هذه لدار دار الموبه وأنتم عصيتُمها منهم وأنا لا أقبلها، وجاء في كتاب الطلقات أيضاً أن الملك بادي ولد أوسيه أعلى بوسته عن كل ما بهاء عنه الشيخ خليل الرومي الذي كان شيخاً صوفياً فقيراً خلق القميص.

صلت المؤسسة الثقافية السودانية طول عهدها بريافاً ضد العدم والتسلط وفهر الإنسان، وكان برورها ساطعاً في عهد الفوج الذي شهد بعض لموتك الطعنة فتصدى لهم شيوخ الصوفية والرموهم حدودهم منعوهم من انتهاك حقوق الإنسان ولما عرا لأتراك السودان وقاوم أهل ذلك الغروب مسألة فادرة كان لتلك المؤسسة مواقفها الحكيمة. فالشيخ إبراهيم عبدالدافع الفقيه الصوفي كتب قصيدة حرص فيها على العقيدة ودفع الشس نقياً وسج في ليمان صرة بالقاهرة. رزح تحت وطأه طويلاً.

أصوات

السودان كان هناك متدي أحمد أفدي العوام لمصري لعراقي السرعة
والمصري إلى الخرطوم بعد الاحتلال للإنجليزي ولدي أدى تأييده للثورة
المهدية إلى إعدامه قبيل تحرير المدينة

كان لتعليم أندلسي راسح القدم حين دخل الأترل إلى السودان وإسمه
على هذا الموان حتى دخلت الجماعات النشورية وأهمها البعثة الكاثوليكية
التي باشرت نشاطها في عام 1843 وافتتحت مدرسة داخلية للأطفال الذين
تبنيتهم، وصممت إليهم بعض البيص والمولدين وقد استطاع تلاميذها بسهولة
ويسر إعادة اللغة الإيطالية بالإصافة إلى العربية كما تعلموا قدرًا من مبادئ
الحساب والرياضة البدية والرسم والعماء كما ألحق بها قسم تجاري كان يعد
المصالح الحكومية في الخرطوم بخريجه واهتمت المدرسة بالتعليم المهني
فافتتحت بها أقسام للتجارة والحداثة والحياكة وصناعة الأحذية والميكانيكا
يشرف عليها خبراء إيطاليون وهي السنوات الدلية لعام 1859 بدأ لوسع هي
المدرسة حتى بلغ عدد تلاميذها ثلاثمائة من الأولاد ومائتين من البنات
بحلول عام 1878 وكان من أشهر خريجيها القس الديكايوي الأب دانيال سرور
الذي ألف أكثر من عشرين كتاباً عن عادات وتاريخ قبيلته ثم بقي منها سوى
كتاب واحد موجود الآن بمكتبة المحفوظات بمجمع اباء فيرونا.

وكانت بالخرطوم مدارس أهلية للبنات تقدم في البيوت وديرها ساء مصريات
وموحدات متعلمات يدرسن التصريف والطبخ ولشؤون المنزلية كما كانت
بالخرطوم أيضاً ساء حاضنات للقران الكريم يعلمن بنات علي القوم القران
والدروس الدينية واحط في مدارسهم، وبافتتاح المدرسة الحكومية بالخرطوم
التي أسست نظارها لرعاية رفيع الطهطاوي ثم قبون مائتين وخمسين تلميذ
وقد مارب المدرسة على سيق المبتديان بمصر من حيث النظام والمقررات
وطريقة التدريس وعلى الرغم من أن المدرسة لم تستمر طويلاً إلا أن تلاميذها

عرفوا بمستوى رفيع وأجادوا لعنيس العربية والتركية وقد وصف الجبرال عردون سكرتيره الذي كان أحد تلاميذها بقوله «إنه تعلم في مدرسة لخرطوم ووصل إلى مستوى يجعله على قدر المساواة مع التعليم في أرقى المعاهد الأوروبية . فقلما يوجد موضوع لا يمكن الحديث فيه بطلاقة كما أن في إمكانه الكتابة بعدة رموز دون أن ينظر إلى معانيها»

وأما الرحالة والمكتشفون من روار الخرطوم في القرن التاسع عشر في وصف ببالها التي كانت تحبها جماعه من المعبات و لرافعات «العوام» كان قد طردهم لحدوي عباس من القاهرة . فوجد سوقاً في الخرطوم . وكن يدعين إلى حفلات الرواح ولولادة ولحتال والرحيب بصيوف فاديين وكان إلى جانبهم أيضاً رافعات سودانيات كن يرتدين «الرحط» وكن جميعهن يرقص على انعام آلات موسيقية ويؤدي أنواعاً من الرقص منها المصري والتركي والسوداني، ويعنن الأعاني المصرية والسودانية وأحياناً الحبشية

الخرطوم في القرن التاسع عشر كانت عاصمة للترك بلا شك . انبأوها في أوئل سنوات عروهم للسودان وازدهرت نتيجة للحبوة الاقتصادية التي اكتسبتها البلاد . وهي بدة عهدا كان العصر الوطني فيها قليلاً يتمثل في من وفد إليها من عناصر كانت تسكن في المناطق المجاورة لها ثم ما لبثت الهجرات إليها أن تكثفت فهرعت إليها جماعات من النفاة والجعليين والشايقية وخاصة عندما افتتحت الملاحة النيلية إلى الجنوب . وسكنوا في أحياء خاصة بهم وبعد أكثر من ستين عاماً هي عصر الاحتلال التركي للبلاد اندلعت الثورة المهدية وسقطت لخرطوم واتخذ الإمام المهدي أم درمان عاصمة لدوله لوليدة.

وتوَّخه الكثير من سكان لخرطوم إلى المدينة الجديدة وأقاموا فيها وحين استعادت القوات البريطانية السودان باسم مصر أعادت عمارة لخرطوم

أصوات

المهجورة وتحذتها عاصمة لها وهكذا استفت حرطوم القرن العشرين ليتركز الاهتمام عليها أكثر من سابقتها التي لم تحظ بكثير إهتمام من المؤرخين وخاصة فيما يتعلق بتاريخها الاجتماعي

2 أكتوبر 2001م



قصر الخديوية بالخرطوم عام 1880

ولما بلغ سداد الترك مداء وصاق السودانيون به درعاً خرج من عاءة تلك
لمؤسسة للمفكر الثوري والمائد السياسي العسكري محمد أحمد المهدي
لدي هر سكون المعصقة وتردد ذوي انتصاراته العسكرية الأسطورية في جيبات
لعالم وانتصر وأقام دولة وطنية حددت قسماات القومية السودانية وكرست
حصريها ثقافتها ودعت تلك المؤسسة إلى جانب شيوياً ثوراً كالشيخ العبيد
ود بدر و الشيخ محمد الحير العشايوي والشيخ الطاهر المجدوب والشيخ
لحسن المرهه والحسن سعد العادي والسد المكي الشح يساعيل الولي
وعامر وأحمد المكاشفي وغيرهم امتشقوا الحسوم واجنرحوا المعجرات

وبعد أحداث ثورة 1924 واحمادها بدعوية وصرامة صيفت الإدارة البريطانية
على المثقفين الحناق وبككت بالمشاركين فيها وقللت فرص الوظائف وساء
الملاذ جر «خائق من الحصار لم يجد الخريجون ماصاً سوى اللجوء إلى
لمعرفة والثقافة جمعيات تنعقد في المساكن لنقراءة والنقاش وتبادل ما يتيسر
من كتب ومجلات وصحف عربية وإنجليزية. فقرأوا لطفه حسين، ومحمد حسين
هيكل في صحيفة «السياسة» وقرأوا في صحيفة «بلاغ» لعباس محمود العقاد
وركي مبارك وإبراهيم عبدالقادر الماربي وكان الملحق الثقافي للصحيفتين
يفحص بالدراسات ولأبحاث العلمية والأدبية والاجتماعية والاقتصادية، وبعض
الخريجين هتموا بمتابعة شرات الجمعية القومية البريطانية من كتيبات وأوراق
بروح للمفكر الديمقراطي الاشتراكي، كما ناعوا كتابات رعماء الجمعية كبردار
شو وهرج ويلر وقد ضللت برامج بعض الأحزاب في أوقات لاحقة تلك
لتوجهات الاشتراكية نديمقراطية

وفي مذكراته ذكر أحمد حير أنه كان من المؤلف أن تردحم غرفة الشاب
بأكدام من المؤلفات العربية والإنجليزية والصحف الأجنبية، كما لاحظت
مجلة «الفجر» أن الشباب كانوا يقرأون حتى في الترام

كانت البدايات بجمعيات القراءة المشتركة وحلقات النقاش قد تشكلت بمدينة أم درمان في الهاشميات وأبوروي، وقد بادر بإشياء جمعية أبوروي الشقيقان حسن وحسين أحمد عثمان «الكدا»، وكان من بين أعضائها مكايي سليمان أكرت، وانور عثمان، وإبراهيم يوسف سليمان، ولهادي أبوبكر اسحاق، وإبراهيم عثمان اسحاق، وإبراهيم أيس، وسما عيل العتباتي، وعبدالله ميرعبي، ومحمد محجوب لقعد، وحمد توفيق، وعبدالحليم أبوشمة وحضر حمد، والتجاني أبو قرون، وحسن ريادة جاهرت هذه المجموعة بعداء مسافر بريطانية وإدارة البريطانية، أما جمعية الهاشميات فقد ضمت الشقيقين عبدالله ومحمد عسري الصديق، ومحمد أحمد محجوب، وأحمد يوسف هاشم، وعبدالحليم محمد، ويوسف مصطفى السبي، ويوسف المأمون والسيد العيل إهنت جمعية الهاشميات بالكتابة وبرر منها شعر، وكتاب متميزون لعبوا دوراً كبيراً إبان الحركة الوطنية وبعد لإستقلال وساهم معظم هؤلاء في تحرير مجلة «الهضة» ولما عاد عرفات محمد عبدالله من السعودية عام 1931 وأصدر مجله «العجرا» في يونيو 1934 أصبحت جمعية الهاشميات تعرف باسم جماعة «العجرا» ذات برعة إستقلالية وترفع شعار «السودان للسودانيين»، وقد تحدث السكرتير الإداري لحكومة السودان جيمس روبرتسون عن هذا الشعار في عام 1945 وقال «إنه بودة حسن الحيفة شريف في عام 1928 نغرق شمل جماعة «السودان للسودانيين» إلا أن شعرهم ظل حي ومسط عدد من لموظفين ولصايد وأشار روبرتسون إلى أن هذا الشعار عاد مجدداً للظهور بعد بضع سنوات كمصدر إلهام لجماعة من الشبان المنتمين عرفو باسم جماعة لعجرا، وكان يقودهم عرفات محمد عبدالله، وفي حوالي عام 1931 أنشأ يحيى العسلي جمعية أدبية سميت عدداً من أصدقائه وزملائه في الدراسة منهم إبراهيم جبريل وعلي حامد، ومحمود العسلي واليسع حلبة وشير محمود ومحمد نور حسين وبدوي مصطفى والحاح عرض الله،

أَصْنَافُهُ

وأحمد لسيد حمد وتعتبر هذه الجمعية بواة لما عرف في وقت لاحق بجماعه لأشقاء

أما هي لأقاليم فقد أسست جمعية أدبية بالنادي السوداني في عصرة وأخرى ببادي الموظفين في ودمدني في عام 1935 وكان من انمقرّر تكوين جمعية أدبية ببادي الأبيض.

أسأ جمعية ودمدني الأدبية بعض أعضاء جمعية أبوروف من الموظفين الذين سمّ نقلهم إلى تلك المدينة، وكان من بينهم طه صالح وسماعيل العشاني وإبراهيم عثمان إسحاق وإبراهيم آيس وأحمد خير وعبدالله عبد الرحمن نعمد الله وعبي نور والظاهر النيل وعمر عبد العني ومصطفى الصاوي وأحمد مختار ومير عبي دفع الله. وكانت تلك الجمعية قد تميّرت بالحيوية والنشاط فتبلورت منها فكرة مؤتمر الحريجين في عام 937، وقامت بتظيم أنجح وأصحهم مهرجان أدبي يقبمه مؤتمر الحريجين في تاريخه

هذه هي المؤسسات الثقافية والفكرية التي نشأت صغيرة متو صعة في مسارل لأعضاء، ولكنها ما لبثت أن امتدت سواعدها واستطاعت تحمّل عبء القضايا لوطنية في مؤتمر الحريجين حتّى ابتقت منها الأحزاب السياسية

وتشهد العاصمة السودانية الآن شوء مؤسسات ثقافية وأدبية في محاولة لإحياء تلك التحارب التي ساهمت في تشكيل الوعي الإجماعي والفكري للأمة السودانية، ومن بين هذه المؤسسات مركز عبد الكريم مير عبي الثقافي بأم درمان

وعبدالكريم مير عبي يعتبر واحداً من المثقفين لطليعيين الذين شاركوا في الحركة الوطنية كان شعور بالثقافة والمعرفة الموسوعية دأ برعه اشتراكه وإن لم يتم إلى حرب بعينه وقبل رحيله بسنوات تحوّل صالون منزله إلى ندوة فكرية

وثقافية تناول شتى صروب المعرفة، وقد ولد بمدينة أم درمان في عام 1923- تلك الفترة المليئة بالأحداث والتحولات منذ أحداث ثورة 1924- بعد سنوات من نهاية الحرب العالمية الأولى وما أعقبها من متغيرات سياسية، وبعد تخرجه في كلية عردون -قسم الإدارة- بدأ حياته موظفاً بمكتب السكرتير الإداري، ولم يبدأ أن تفتح له مأموراً بمركز بيلا ليكون بعيداً عن أحواء العاصمة الملتهية بالنشاط لوطي، ولما كان إهتمامه بحركة الوطنية عبقاً بالتعليم إستعان عبدالكريم ميرغني من الوظيفة الحكومية واتجه للعمل بالتدريس في مدرستي الأعداد وأم درمان الأهلية

وبعد فترة قصيرة التحق بجامعة بريستول في بريطانيا لدراسة الاقتصاد والعلوم السياسية وتخرج فيها بدرجة لامتياز في عام 1955 وللا على أعتاب إستقلالها، فوقع عليه الاحتار ليكون قائماً بالأعمال في السفارة السودانية الوليدة بلندن، وتنظم في السلك الدبلوماسي فأصبح سفيراً للسودان في الهند في لفترة التي شهدت صعود حركة عدم الانحياز كما عمل سفيراً لبلاده في اليابان وإيطاليا ونيونان ومصر مما أفاد في إثراء ثقافته ومعرفته حيث طلت درره في تلك العواصم مشرعة الأبواب وملتقى السمراء والكتاب ولأدياء. وبعد ثورة أكتوبر 1964 لشعبية اجمعت القوى السياسية على إحتاره وزيراً للنجرة في لفترة الانتقالية - وهي الوزارة التي عاد إليها في عام 1969 عقب انقلاب مايو وتولى أعباءه لفترة قصيرة انتهت عام 1970.

وفي أيامه الأخيرة وقتل وماته عام 1996 إهتم كثيراً بعلم الدواي بالأعشاب وأنشأ صيدويه عشبية إنتفع بها كثير من المرضى. وكان يعد الدواي بنفسه ويورعه بلا مقابل، وهذا المركز الذي أنشئه بمبادرة من أسرته يستكمل العهد الحرير الذي قدمه لأمته بلا من ولا أدى

8 مايو 200 م

غربة الروح والتمرد الخلاق

معاوية نور.. صورة وخبر

إعادة طالب سوداني بالقاهرة إلى ذمته بالخرطوم بالقوة

القاهرة 18 ديسمبر 2028
وصل محمد النوراني
معه عدة حوز إلى
القاهرة في سبوت
برفقة مهاجر 28
في كلبه الطيب والشمس
لكن طلبت الحوز بعد لحظة
أيام برسول الله من
المرافق والوفاء في
نور سبوت رابطة
في هوز بقاء إلى الخرطوم
وذلك من قبله
لصورة بالقاهرة ليس له
الطلب لمرافق مطوية
لقد تم رفض في هوز
القوة في هوز في 28
المرافق في هوز
المرافق في هوز



يشعر المرء بكثير من اللوعة و لأسمى كلما جاء ذكر أحد مبدعيها العظام لدين
قصوا وهم في شرح الشباب، بعد أن خلفوا ما هو حدير بالخلود ومن بين هؤلاء
على وجه الخصوص حدير فرح إسنجاني ومعاوية والنصر قرب الله وعرفني
فقد كانوا والحق يقال تعبيرا صادقا عن الروح السودانية لمبدعه قبل أيام كتب
أطالع إحدى الصحف المحلية حين عثرت على خبر لديهم لصحيفة اللطائف
بصورة 28 المصرية في عددها الصادر في 28 سبتمبر 1928 وقد جاء فيه أن
طالب السوداني معاوية محمد نور وصل إلى القاهرة قبل أسبوع لإكمال دراسته
فيها بعد أن هجر كلية الطب بالخرطوم إلا أنه قرحى بعد بضعة أيام بوصول حاله
من السودان ولم رفض دعوته له بالعودة إستماع علي بالشرطة وعاد به كس
حاله ذلك هو الدرديري محمد عثمان القاصي وعصو مجلس انسياده في وقت
لاحق. وكان قد وقف على تربيته بعد وفاة والده وهو لا يزال صغير

كان الخبر مصحوباً بصورة معاوية وهو في التاسعة عشرة، إلا أنه يبدو حدثاً في الرابعة عشرة، كان قد أنفق عامين في كلية الطب «مدرسه كتشبر» قبل أن يحسم أمره ويقرر التسلح حمية إلى مصر. كانت عائلته من العائلات المستيرة وقداك، وكانت تغمر نبوغه حيث كان انغمس في تلك الكلية لا يجاور عددهم أصابع اليدين. وكانت ترعب في أن تراه طبيباً من «السمع والبصر».

ما كان معاوية متمرداً على مستوى انسبوك بل كان هادئ الطبع ودوداً هديته المعارف التي أخذ يسهل من قبضها وهو لا يزال في طور ليماعه وبلغت دروتها بعد أن انهم مكتبة كلية عردون الراحرة إلا أن هاحساً قوياً كان يلج عليه لدراسة الآداب في الجامعات الأجنبية.

ما كانت الصحافة المصرية تدرك أن ذلك الفتى الهارب أديب مرموق مألوف تحتفي بكنائمه صحافة الحرحوم ويوقع باسم «مطالع» وما كانت تدرك أنه سيعود من بيروت بعد سنوات قلائل ليفتحم الأوساط الأدبية في القاهرة ويصبح نداً بمخالفة الذكر. يتحرراً على نقد عميد الأدب العربي ويعد مكاناً رحيباً في صالون لعقاد

أحسن بعريته الروحية إدوارد عطية حين أدرك قيمة بعريته وتناول تجربته في كتابه «عربي يروي قصته» ورسم صورة كئيبة للواقع الإحتشاعي الذي أحاط بمعاوية في مديته أم درعد خلال سنوات العشرين من القرن الماضي ووصفه وهو يقرأ لكبار الكتاب ولمفكرين الأوروبيين أمثال جين أومس والدرس هكسلي في جو من التعاسة والإملاق الثقافي.

كان إدوارد عطية المدرس بكلية عردون صديقاً له وقد ساندته كثيراً في محاولاته بفتح أسرته بالسماح له بترك دراسته الضرب والتحول لدراسة الآداب في الجامعات بالحارج

وبعريته ومثابره ومماوسة شتى أنواع لصعوط نجح معاوية أخيراً في انبراع

موافقه عائلته بالسفر إلى لسان للإلتحاق بالجامعة الأمريكية في بيروت على نفقته الخاصة ومد مدياته الأولى أظهر بصحاً وسوعاً وبرر اسمه دوناً في لمحاقل الأدبية والثقافية وأخذ يستخدم أساليب ومناهج ثم يعرفها الأدب العربي من قبل وساعدته قراءاته الموسوعية وارتيازه اندروب لوعرة والمسالك والاتجاهات النقدية الجديدة لأن يقف بدُ لعمالقة العصر ويقنحهم عرين طه حسين نفسه حين كشف أن فكرة كتابه «الشعر الجاهلي» الأساسية منقولة عن المستشرقين وأعاد كل محاولات لتجديده إلى مطاها في «الأدب الغربي وحنى الشعراء الرومانسيين الذين تربعوا على عرش الدوق الأدبي عهد ذلك.. علي محمود طه، وإبراهيم ناجي، وأنصر بهما . أوسعهم نقداً ووصدهم بمحدودية الفكر وعيب الوعي «شامل بتطورات العصر ومتطلباته والافتقار للحساسية لشعرية والركاكة ولتهلك.

تبع سريعاً وانبثق كالشهاب ثم لم يلبث أن خبا بعد أن افترسه الدهر . كان في الثالثة والعشرين حين التقى بأندريه مارلو وأحرى معه لقاءً صحفياً في القاهرة. تحاشى الموقف كبار الأدباء والمثقفين وتجهيوا الجلوس أمام وزير الثقافة الفرنسي الذي وصفه بيجول بأنه لرجل لوحيدي الذي لا يشعر بأي تبدل لدى لقائه ثم يكن جرأة معارضة جوءه نخالية من محتواه فقد استطاع في ذلك الزمن لقياسي أن يستوعب لتيارات الفكرية والأدبية والاجتماعية والسياسية في لعالم لغت الأنظار باكراً للحركة العمالية وفكر الاشتراكيين العائيين برعاية بيرنارد شو و هـ.ج. ويلز وكان الناقد العربي الأول الذي أشار لأسماء مثل ت. س. ايوبت ود. هـ. لورنس وإديث سينويل

كنت كثيراً ما استمع بذكريت عمم لأسناد مبارك بياكر البشير -عليه رحمه الله- وهو أحد كبار رجاء التربية بأم درمان - يحدثني عن التطورات الاجتماعية والأحداث التي شهدتها المدينة منذ سنوات العشرين حين تفتح وعيه طفلاً

بحي الموردة.. وكان أكثر ما يشير حربي حين يتعرض لمأساة معاوية.. قال إن «موصول كان يدفعهم وهم صبية أعرار إلى انتطلع من حلال مائدة العرعة التي خُس فيها معاوية بمسول «مريض» كذا كان قد تمكن منه الداء وهو يحضج للعلاج بالرقى ويتعاويد مبيدًا بالسلاميل محروماً من الطعام يتعرض لنصب بالسياط من وقت لآخر كذا ذلك حلال النصف الذي من سموات الثلاثين كان شائعاً ولم يبلغ الثلاثين بعد مهرولاً شاحب اللون وقد تساقطت أسنانه ونحر رأسه ما كان العلاج النفسي قد وجد طريقه إلى السودان شأن كثير من دول العالم وكان الخيار الوحيد أمام أهل المريض أن يدفعوا به لتعرض لمثل هذه التجربة

كثير من الناس يرى أن العبقرية العدة والغدرات الإستثنائية للإنسان قد تقود إلى الجور. هذا المفهوم شائع لدى كثير من النماذج ولم يكره علم النفس الحديث ولا يزال هناك من يتحدث عن مأساة معاوية ويعروها لدكائه المفرط، إلا أن هناك من يشير إلى أن حساد نبوغة دسوا له سمًا غريباً فتك به وأودى بحياته

أتردد كثيراً على حي الموردة وهو مهد للعبقرية لا ريب. فقد درج فيه عدد من المبدعين شعراء وعلماء ومفكرين يشرد دهمي وأما أمم دورهم وأتوقع كثيراً أمام المكان الذي شهد عذابات وروحات معاوية مثلما يحدث لي حين أرور منزل عمنا المرحوم عباس محمد نور - شقيق معاوية - بالحلة الجديدة في كوستني وأحياناً بد قادتني حظاي إلى مقابر الشيخ حمد النيل التي لا تبعد عن داري - أتطلع يا حنا عن ديك المكان الذي صم حدث تلك العبقرية «مؤودة» وحين قرأت مرة مقالاً للشاعر ولكتاب العربي محمد بيس عن مبرة للعظماء والمبدعين الألمان رأها بمدينة بولن خلال زيارة له كففت عن الأمل بالنظر برؤية ذلك «قبر» الذي وقف عليه العقاد طويلاً وانتحب

الاستعماري سبين

وصمير المثقف



دوحلاس بيوبوند

قبل سبين عدماً كتب السير دوحلاس بيوبوند السكرتير الإداري لحكومة السودان مقالاً بشرته صحيفة «سودان ستار» قال فيه: «إنني من أدخل في نكبات حرب مستقل لسودان عدا القول إن لا ترح لا بقف ساك وإن أي مرق يرعم ته بمقدوره الكهين بمستقل السودان لا بد أن يكون سيداً أو غياً إسي أعلم أني لست سأ رأمس ألا أكون عاً. إن قصاري ما تستطيع أي حكومة أو أمة أن تفعله حيال المستقل لدي هو بيد الله، هو أن تهين نفسها دهاً ومادياً ومعرباً لأي شيء يمكن أن يحدث وكالفيتة المبحرة في رحلة طويلة، فإن عليها أن تعد نفسها لمواجهة أي رياح قد تهب عليها»

لَمْ تنص هذه الكلمات على روح انشازم والمخطط كما يبدو في ظاهرها، وإنما عبرت بشكل واضح عن استفراء عميق لواقع كان ولا يزال ممعاً في وعورته. يصعب الشكهن بمألانه لَمْ تصدر عن حاكم استعماري يهدد بمصائر غير محدودة بعد خروجه، وإنما عن رجل مثقف حدث أن توحه إلى الله متصرعاً

ومبتهاً يقول «يا أيها الإله انقذ مني كل حكمة يا من تصرف عنايته الإلهية كل الأشياء على الأرض، بدعوك في رحمتك اللانهائية أن تحفظ أهل هذه الأرض وقبائلها، وأن تشملهم بكل حمايتك في المدينة والريف وفي الجبال والعيبة والصحراء. نتصرع إليك أن تقبهم من كل مصائب المحاعة والمرص وسفك الدماء. أفرغ في قلوبهم وعقولهم أنس حياتك ألا وهي التقاهم ليستبدلو بدعوة بالسلام ويحكموا العدل في مجالسهم ويشيعوا المرحمة في بيوتهم ويسدوا من حياتهم أفعال الشر»

توحيه سيوبولد بهذه الكلمات لأهل كردفان فتعبر لهم كل الخير من صميم مؤاده «المسيحي»!! كردفان التي شهدت ما شهد في تاريخها القريب بعد أكثر من نصف قرن من ابتهالات مديرتها الإنجليزية هذه - حتى بات يحرسها الأجانب لتعم بشيء من الأمن والاستقرار أما دارفور فدع عنها الحديث «فالحزن الأكبر ليس يقال» كما عبر المبتوري يوماً

أحب سيوبولد بسطاء الناس - أهل الريف - حيث عمل وتنفذ الأحوال وأراد لهم صوتاً مسموعاً يجعلهم معصياً عن عصايتهم حتى لا تصيغ حروفهم وحتى لا يتم «دبحهم من أجل إسعاد الأعدية» واستحب بساطة بعض الحريجين لتوسيع تمثيل هؤلاء البسطاء في المؤسسات الدستورية الوليدة وحذر من اتساع الحرق بين الريف والمدينة ودعى للاستحسان القومي وطرد أعداء تنقذهم في السودان الجهل والفقر والمرض والخلاف

لَمْ تكرر ابتهالات سيوبولد ككتاب حاكم أجبي مستد قابع في قصره ينظر إلى رعياء السود التعساء المساكين بعرو وامتلاء. وإنما كانت كتاب مترعة بالإنسانية والحكمة والنظرة الشاملة للبشر. ليس هو الذي وصف المثقف في محاضراته «العجائب الإنسانية للثقافة» - التي اسدر بها شاطئ «دار الثقافة» في الخرطوم - وقال إنه ذلك الشخص الذي يسمي إنسانيته من كل شيء ولا

يسمح لأحماله المعربة والعكرة بأن تجفف سابع تلك الإنسانية وهي اساطة وسعة الخيال وروح السامع والمكاهة. ويصح بيوبولد المتعلمين لسودانيين أن يتعرفوا على بلادهم من خلال المشاهدة الميدانية وأنصاف على مناطقها حتى يتمكنوا من حبها لأن الحب الحقيقي لا يشأ إلا بالمشاهدة ودعاهم إلى التحدي بالسامع وتقبل لرأي الآخر لأن الحقيقة دائماً سببية

لا بد أن بيوبولد كان يظن للمتعليمين السودانيين بعين انرية والتشكك، وربما يكون قد انس فيهم ترفع عن قصايا أهلهم البسطاء وميلاً للشعور بالذات أكثر من التحلي بالروح الوطنية ولا بد من الوقوف إزاء رد فعله من مدكرة الحريجين، وما إذا كان يتناسب مع معيه لحير السودان فالمدكرة التي رفعها إبراهيم أحمد رئيس مؤتمر الحريجين العام في الثالث من أبريل عام 1942، كانت تعبر عن أصابي لسودانيين في الاعتناق بالإعلان عن حقهم في تقرير المصير عقب الحرب لعظمى مباشرة عاظ بيوبولد أن يدعي المؤتمر حقه في تمثيل الشعب السوداني، رأى فيه حقه من الأمدية لا يحق لها أن تتحدث باسمهم كان قاسي وفظا في التعبير عن ذلك ورد المدكرة لعقديها وربما لا يشفع له حذبه وحموا على أهل الريف الذين يشكلون غالبية أهل السودان وكانت الإدارة البريطانية تسمى إليهم من خلال رعاتهم التي كان المتعلمون يرونها المعقل الثاني للرجعية بعد الطائفية. تلك الأفكار التي دفعت بحليصه جيمس روبرتسون لأن يعمل على إنشاء الحرب الجمهوري الاشتراكي في ديسمبر 1951 ربما كان في ذلك نوع من لوصاية إلا أن بيوبولد ثم يلبث أن اجتمع مع قادة الحريجين وأجزل وعود بتوسيع المشاركة في الحكم هي إطار نظم دستورية متدرجة

وصف روبرتسون بيوبولد بأنه كان رجلاً حصص الخيال مرحاً بوحياً بالمعجبة وافر النشاط متعاطفاً مع الآخرين فيص بأفكار التقدم والعمل لتخير الناس نقرأ كثيراً وبهتهم بالأدب والاربح، سريع لتفكير بشمر عقل مصب وتطلع لمعرفة

الأشياء والتحقق منها. يكون دائماً القدرة الحسنة لمن هم حوله. رآه في كردفان مديراً لمديريتها في سنوات الثلاثين ثم أصبح نائباً له كمسكّن إداري في الأربعين. وقال إنه كان معظوظاً أن بقي غرباً منه لسنوات واستطاع أن يقيس بعضاً من روحه في العمل من أجل أفريقيا وبعد أن حلفه في وظيفته كان يدرك أنه لا يستطيع أن يكون له تلك المربية الشخصية الرفيعة فلم يشأ أن يحل مقعده الأكاديمي كرئيس لمجلس إدارة كلية عردون

وقد كان بيوبولد هو الأب الشرعي لجمعية التنمية التي افتتحت في فبراير 1945 والتي بعد من أهم إنجازاته باعتباره طهره في التعليم العالي فهي إطار توصيات لجنة لورد دي لاوير ثم تجميع المدارس العليا السبع وهي الآداب والهندسة والعلوم والطب والبيطرة والزراعة والقانون في كلية عردون وتم تعيين توتهيل مدير مصلحة الزراعة كأول عميد لها. وبعد أن أصبح بيوبولد رئيساً لمجلسها الذي ضم سودانيين ومصريين وبريطانيين رُشح عباس محمود العقاد لعصريه لمجلس إلا أن المكابذات لشابة في مصر لم تسمح بالعرفه على ذلك

بعد سنوات بعيدة ظلت شخصية بيوبولد ترد في خاطري. صورة لإداري الإنجليز المنقلب الذي أهدى ثلاثة آلاف كتاب لتصبح بوابة لمكتبة جامعة الخرطوم الحالية والرجل الذي كان يتردد على دره عباس محمود العقاد أثناء لجوئه للسودان في الحرب اثنى واندبقرطي المشير لدي أنشأ «دار الثقافة» بالخرطوم لتبقى مكاناً مفتوحاً للحوار.

توفي بيوبولد وهو في الحادية والخمسين إثر إصابته بتسمم في الدم ودور بالخرطوم حسب وصيته. ونحسر على وفاته كثير من المتعلمين وغيرهم من مختلف الطبقات، حتى الأستاذ أحمد خير -الوطني المتطرف في عدائه للإنجليز- وصفه بـ «السياسي الموهوب والأديب المصفوق والكاتب المطبوع

أصوات

والعالم المثقف المجد الذؤوب»، وقال إنه «بنتك لخلال والمؤهلات وثق وشائج الصداقة مع عدد لا حصر له من الوطنيين من مختلف الميوس والثقافات وظل حريصاً على الإتصال بهم أو مراسلتهم بدرجة كانت مثار الدهشة والتأمل»

لقاء في بحر المدينت



الإمام عبدالرحمن المهدي

«باللحظة والسحر، لقد انتهت المهديّة إلى الأبد».

في بركة من ونجت لزواجه في 24 نوفمبر 1899،

في الثامن والعشرين من يوليو 1919 شهد قصر ناكجها في العاصمة البريطانية وصول أول وفد سوداني يزور المملكة المتحدة كانت تفهم عربات ملكية ويرافقهم السير ونجت حاكم عام السودان والورد جراتيل وغيرهم

وعندما وقف الوفد أمام الملوك ألقى رئيسه السيد علي الميرعي كلمة بهته فيها بإحراق مصر في الحرب العالمية الأولى وذلك باسم لسودان، ثم أعم عليهم بالياشين فعنح السيد علي الميرعي ييشان فيكتوريا من درجة فارس مع لقب «سير»، وباليشان نفسه من درجة رفيق لكن من الشريف يوسف المهدي والسيد عبدالرحمن المهدي والشيخ إبراهيم موسى ناظر الهدوء والشيخ علي لنوم ناظر لكيايش والشيخ إبراهيم محمد فرح ناظر الجعليين

أصوات

والشيخ عوض الكريم أومس وكيل ناصر الشكرية كان الوفد الذي وجهت إليه لحكومة لبريطانية الدعوة لحضور احتمالات المصير يصم أيضاً الشيخ الطيب أحمد هاشم مفتي السودان والسيد إسماعيل الأزهرى قاضي شرعي مديريه دارفور، ندي صاحب حمده الأستاذ إسماعيل الأزهرى المدرس بمدرسة أم درمان الابتدائية (رئيس أول حكومة سودانية) ليرافقه كمترجم كما صاحب السيد عبدالرحمن المهدي ابن أخته حسن لحليمة شريف والشيخ جعفر أحمد شرفي انتجراًم درمان واحترار الشيخان الطيب وأبرالقاسم أحمد هاشم الأستاذ محمد حاح الأمين للمدرس بمدرسة أم درمان الابتدائية أيضاً ليرافقهما

لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْوَقْدُ اسوداني يحسن قصابا سياسية أو رؤية محدده لمستقبل لسودان غير ذلك لظام الذي فرض نفسه بالحديد والبار، ويكاد أفرادهم يجمعون، ثم يجمعون بطرود أفضل ربحالة من لاستقرار بعد استنوت العجاف لتي شهدتها البلاد في أحرقات القرن التاسع عشر. كان جميع أفراد الوفد من رعماء دينيين إلى نظار قبائل مسحمين مع الإدارة البريطانية ويتوقون إلى المزيد من التعاون معها إلا السيد عبدالرحمن المهدي ندي ما زالت نظر إليه بعيون لشكك والريبة كانت ترى فيه رعيم محتملاً لأضطرابات جديدة باسم الثورة المهدية ثم تكثف مما فعلته بعد انتصدها في معركة كرري وحملات الملاحقة والتصفيه التي كانت مستمرة حتى ذلك العام الذي رار فيه الوفد لادن وحين قدّم السيف الذي ذكرت المصادر أنه يعود لوالده الإمام المهدي لا بد أن صوراً مأساوية كانت تلاحق ذاكرته ملا توقف. معركة كرري برهبة التي قتل فيها حوالي عشرة آلاف رجل.. دمروا ولم يقهروا كما عبّر وستون شرشل في كتابه «حرب نهر» والمعارك المتصلة بشخصه بقية رجال الدولة المهزومة أم ديكرت التي استشهد فيها الحليمة عبدالله ولحليمة علي ودخلوا وأخوه لصديق بن المهدي ثم المعجزة التي شهدناها شخصياً في انشكابة حيث

اعتُيِل أخوانه المصطفى والمحمدي وأصيب هو نفسه بطلق نارٍ في كتفه كانوا مجموعة صغيرة تهيم في العلوب ونقتات من ورق الشجر ثم سوت المصطفى الداخلي من الشكاية إلى جزيرة النيل فأم درمان تحت الرقابة المباشرة لروودولف ملافيس الممثل العام الذي عاد يشار من سوت الأسر

استقبلته الصحافة البريطانية بروح عدائية لم تعرف المهادنة وكسبت في عداوتها الرئيسية في الصفحات الأولى بوصف ابن المهدي. فدل عردوب. كانت عمياء في حقدتها وإحساسها بمرارة مقتل عردوب أثناء فتح الخرطوم لم تثبت من الأمور وما طرأ من تعيرات في موقف الرجل الذي أراد أن يقول للإنجليز بتقديمه السيف لملكهم أن الحرب التي عصت عليها سوت تجاوزت العشرين قد انتهت. وهذا أُنذ احتط طريقاً يختلف عن الأساليب الثورية، التي ما عادت تجدي لقهر الآلة الحربية الجديدة والامبراطورية التي لا تعيب عنها الشمس

كان أعضاء الوفد قد بحثوا قبل مقابلتهم للملك جورج الخامس فكرة تقديم هدية له ولكمهم صرخوا الصرخة عن هذه الفكرة لصق الوقت الذي لم يحكمهم من اختيار هدية مناسبة ولكن السيد عبدالرحمن المهدي فاجأهم بتقديمه هديته التي استشار فيها الحاكم انصام وسجت ملك وبالت مرافقته لم يكن تلك المصاحفة لسر السيد علي الميرغني رئيس الوفد والذي يعتبره الإدارة البريطانية رجلاً السودان الأول، فعبّر عن استيائه لهذه المصاحفة بدرجة التي أعس رغبته في العودة فوراً إلى السودان إحتجاجاً على هذه المبادرة التي قد تسحب بساط الرعامة من تحت قدميه كما أورد البرفيسور حسن أحمد إبراهيم في كتابه «الإمام عبدالرحمن المهدي» وقد أمضى صمويل عطية صابط المحاورات الذي رافق الوفد لينة بأكملها محاولاً إقناعه بالبقاء في لندن وعدم العودة إلى الخرطوم

في زيارة لخرطوم في نوفمبر 1926 -بعد تركه لخدمة في حكومة السودان-

انتقد سلاطين قرار الحكومة بالسماح للسيد عبدالرحمن بالتوجه إلى لندن قائلاً إنه لا يمثل إلا المهدية المتعصبة التي تشكل خطراً حقيقياً على الحكومة. ووصف سلاطين تقديم السيف للملك بأنه «خطأ بين وعرض مسرحي».

وقد أعلن السيد عبدالرحمن أن دعوة الحكومة البريطانية سرته «لأنها تنطوي على نوع من الاعتراف الذي كان خصومي يعملون جاهدين على إنكاره» واعتبر الزيارة سانحة لتوضيح موقفه بأن الحرب التي كانت قائمة قد انتهت ورغم ذلك مازالت الإدارة البريطانية في الخرطوم تعامله وكأنها مازالت ناشبة. وفي كتابه «دور السيد عبدالرحمن المهدي في الحركة الوطنية» قال البرفيسور حسن أحمد إبراهيم إن موالة السيد عبدالرحمن للحكم البريطاني لم تنشأ عن قناعة صادقة أو يقين يتماشى مع مبادئه بل فرضها الواقع السياسي. ويؤكد الدكتور محمد سعيد القدال في كتابه «تاريخ السودان الحديث» أن مشاركة السيد عبدالرحمن الحكم البريطاني إتخذت طابعاً سياسياً أكثر من كونها تأييداً أدبياً معنوياً.

وفي مذكراته اعتبر السيد عبدالرحمن أن الرحلة كانت فاشلة من الناحية السياسية، إلا أنها كانت مفيدة من الناحية الاجتماعية والثقافية، حيث سمحت لهم برؤية عالم مدهش رأوا فيه الإنجليز يمارسون مهناً وضيعة عكس تلك الصورة التي تحيط بهم في المستعمرات حكاماً بصولون ويجولون. وقد تسنى له أن يركب الطائرة فوق سماء لندن يصحبه الشيخان علي التوم وإبراهيم محمد فرح.

شنت الصحافة المصرية حملة عنيفة ضد زيارة الوفد السوداني لبريطانيا حيث كان الشعور الوطني في حالة من الغليان في مصر ضد الإنجليز بعد اعتقالهم سعد زغلول ورفاقه الذين طالبوا بالحرية وبدستور للأمة. إلا أن تلك الصحافة كانت مدفوعة بعواطفها فتنبكت الموضوعية في رؤيتها لتلك الزيارة. كان السودان قد خرج لتوه من تجربة مريرة جسدت لها دولة الخليفة عبدالله بحروبها

المتواصلة التي خلفت كثيراً من الجراح والمرارات وأضعفت اقتصاد البلاد التي اجتاحتها المجاعات التي مات فيها خلق كثير.. فتناقصت أعداد السكان وضممرت قدراتهم.. فرأى من تبقى حالة من الاستقرار والهدوء تعم البلاد. كما رأوا في السياسة البريطانية المخاتلة عدلاً وأمثلاً جديداً في حياة أفضل.

في ختام الزيارة وفي رحلة قصيرة لم يتجاوز زمنها الساعة ونصف الساعة في بحر المانش التقى فقيه مغربي يدعى محمد الحسن الحجوي بالوفد السوداني فتعرف على أعضائه. وأعجبه حسن إستقبالهم له وبشاشتهم وفصاحة ألسنتهم وتأديهم ورأهم أقرب شياً بالمصريين والتونسيين. ويبدو أنه لم يكن قد رأى سودانيين من قبل. وأخذ يتحدث معهم حول أحوال بلادهم وعن أوجه التقدم الذي طرأ عليها في السنوات الأخيرة والتعليم الذي أخذ في الانتشار وصدور الصحف التي بلغت أربعاً. هي «رائد السودان» و«حضارة السودان» و«السودان»، والرسمية «غازيتة السودان». وحدثوه عن القوانين التي تحكم البلاد والمنتجات الزراعية والنشاط الاقتصادي. وطلبوا منه أن يتقل ما حدثوه عنه إلى بلاده. وقد أطرى هو الإحتلال الفرنسي كثيراً وما رأى أنه قد قدمه للشعب المغربي من أسباب الطمأنينة والعيش في سلام. وأجاب عن تساؤلاتهم حول مشاركة الجنود المغاربة في الحرب إلى جانب الحلفاء وحول إحترام فرنسا للدين الإسلامي وإهتمامها بالمساجد وصيانتها.

كان ذلك الرجل قد قام برحلة رسمية إلى أوروبا بتكليف من السلطان المغربي مولاي يوسف لحضور عيد الجمهورية الفرنسية وإحتفالات الإلتصار على الحلفاء وقد وجد الفرصة سانحة للعبور إلى بريطانيا حيث زار لندن ومانشستر وقادته الصدفة ليستقل تلك العبارة التي أقلت الوفد السوداني. وكان الفقيه الحجوي هذا على قدر من الوعي والإستنارة حيث تخرج في جامعة القرويين وشغل منصب نائب الملك في منطقة المغرب الشرقي. ويعتبر حسب الدراسات

المغربية المعاصرة ففيها مجتهداً ومفكراً إصلاحياً تجديدياً دعا إلى الانفتاح والإستشارة والأخذ بمقومات التمدن لاكتساب القدرة على التقدم والحاف ببركبة الحضارة الغربية.

وقد استطاع تلميذي الباحث السوداني عبدالله صالح سفيان المقيم بالرباط العثور على هذه الوثيقة النادرة أو النص الذي كتبه الحجوي حول لقائه الوفد السوداني الذي وصفه بصورة طريفة وأورد أسماء أفراده باختلافات طفيفة أضافت كثيراً لطرافة النص الذي نشره بمجلة «كتابات سودانية» في عددها الثامن الصادر في يونيو 1999.

من بولون توجه الوفد إلى باريس ومنها إلى مارسيليا لركوب البحر مرة أخرى إلى مصر ثم إلى السودان عن طريق السكة الحديد.. فوصل إلى محطة الخرطوم في مساء السابع عشر من أغسطس. وكان في مقدمة المستقبلين نائب الحاكم العام واليوزباشي أحمد عبدالله سعد ياور الحاكم العام وممثلو الجاليات الأجنبية والأعيان وجماهير الشعب. وظلت الدور الخاصة بأعضاء الوفد تغص بالمهنتين لعدة أيام.

ووقف الشاعر المهندس عبدالرحمن شوقي في دار السيد علي الميرغني المحتشدة بالناس وألقى قصيدة مأسحة.. كما وقف نظيره الشاب الأستاذ أحمد محمد صالح وألقى قصيدة رائعة في إستقبال السيد عبدالرحمن حتى أوشك الناس أن يحملوه على الأعناق.

4 يونيو 2002

